

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد الأمين دباغين - سطيف 2
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي
أطروحة
مقدمة لنيل شهادة
دكتوراه العلوم
التخصص : اللغة و الأدب العربي
إعداد الطالب :
الجمعي حميدات
عنوان الأطروحة :

الأساليب الطلبية وأداء آتها الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف
(مقاربة تداولية)

أعضاء لجنة المناقشة :

رئيسا	جامعة محمد الأمين دباغين - سطيف 2	أستاذ محاضر "أ"	د. كمال قادري
مشرفا و مقررا	جامعة محمد الأمين دباغين - سطيف 2	أستاذ محاضر "أ"	د. محمد بوادي
ممتحنا	جامعة منتوري - قسنطينة	أستاذ	أ.د. محي الدين سالم
ممتحنا	جامعة محمد الأمين دباغين - سطيف 2	أستاذ محاضر "أ"	د. الزبير القلي
ممتحنا	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	أستاذ محاضر "أ"	د. محمد بن صالح

السنة الجامعية: 2015/ 2014



شكرٌ وعرْفانٌ:

أُتوجّه بالحمد و الثناء والشكر لله ربّ العالمين ، وأُصلي و أُسَلِّم
على سيّدنا محمدٍ "ص" خيرٍ مُعلِّمٍ للأنام ،وقدوةِ المسلمين في كلِّ
زمانٍ ومكانٍ.

- أتوجه بالشكر و التّقدير و العرفان إلى أستاذي الفاضل المشرف
الدّكتور " محمد بوادي " حفظه الله ورعاه وجزاه الله خير الجزاء لما

قدّمه من توجيهاتٍ وإرشاداتٍ طوال مدّة إعداد هذا البحث .

- و الشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة ، وإلى جميع أساتذة
قسم اللغة العربية وآدابها ، بجامعة سطيف 2 .

- الجمعي -



اهداء:

- إلى روح الوالد العزيز -رحمه الله- الذي بلغني نعيه وأنا في
ديار العُربة، أُحضّر لهذا البحث ، فلم تكتحل عيناه برؤيته وهو
يخرج إلى النور ... رحمك الله والدي ، و طيّب ثراك .

-إلى الوالدة الكريمة أطال الله في عمرها .

-إلى أفراد العائلة عامّة ، وأفراد أسرتي:

الزوجة الكريمة و الأبناء ؛ عبد الحق "دودو"

أيمن ، سلسبيل ، هديل ، والصغيرة نور .

-إلى كلّ من هُم في قلبي ، ونَسِيهِم قلمي.

-إلى كلّ من ساعدني من قريبٍ أو من بعيدٍ.

الجمعي. ❖



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين

تعدّ اللغة الوسيلة الأساسية للتواصل الإنساني ، فهي تُمثّل اجتماعية الإنسان وتحمّد تفاعله مع غيره، ممّا يساعده على التعبير والتأثير و التأثير، فباعتبار طبيعتها التواصلية و التبليغية كانت ولا تزال مدار اهتمام الباحثين في شتى الاختصاصات منذ عشرات القرون، لذلك عكفت الدراسات اللسانية -منذ نشأتها- إلى دراسة هذه الأداة، وعملت على وصفها بمختلف المناهج و الوسائل المتاحة لذلك.

كما كان لتطور اللسانيات الحديثة دورٌ كبيرٌ في إبراز حقيقة اللغة، و الكشف عن مناهج جديدةٍ لتحقيق هذه الغاية، فتعدّى الدرس اللغويّ حدودَ الكلمة إلى الجملة إلى ما بعد الجملة ، وصار لزاماً تجاوزُ حدود الوصف إلى مجال الاستعمال الفعليّ للغة بين المتخاطبين.

وهذا الانتقال كان سبباً في تعدّد جوانب الدراسات والاتجاهات، واختلاف المدارس و المناهج و النتائج، منها الجانب الاجتماعيّ...، ومنها الجانب النفسيّ... ومن هنا كان المجال مفتوحاً لبروز منهج جديد في دراسة اللغة عُرف بـ"التداولية"، والتي أثارت اهتمام العديد من الباحثين، بما يُبيح من إمكاناتٍ لحلّ مشاكلهم العالقة كما أنّها فضاءً مفتوحاً على مختلف المعارف الإنسانية، فهي تعرف من علم الاجتماع ،وعلم النفس ، وعلم الاتصال... وغيرها.

فكان من نتائجها الأولى أن ارتبطت اللغة في المنظور التداولي بمقاصد المتكلّم وبوضعه الاجتماعيّ وأهدافه انطلاقاً من القصد و الهدف الذي يسوق من خلاله خطابه ، و الذي يختلف تبعاً لاختلاف العناصر السياقية مما يفرض عليه أطراً مُعيّنة ينبغي عليه أن يحترمها من أجل تأسيس علاقةٍ ناجحةٍ بالخطاب مع الطرف الآخر في العملية التواصلية، سواء أكان هذا الطرف حاضراً حضوراً فعلياً أم مُتخيلاً .

وكما اهتمّت التداولية "بالسياق" و"المقام" و"بالمتكلمين ومقاصدهم وقدرات المتلقّين على الاستيعاب وكفاءاتهم التواصلية و التداولية ، فإنّها وسّعت من اهتمامها ليشمل مقارنة النصوص الأدبية، لغاية الكشف عن مقاصد التواصل و التبليغ ، وتحديد معالم هذه النصوص اعتماداً على أغراضها التداولية ، وبذلك تكون التداولية قد فتحت آفاقاً جديدةً أمام الدرس اللساني المعاصر، لا سيما وأنّها قامت بتغيير خارطة المهام الإجرائية في مقارنة الخطابات و النصوص اللغوية ، مُعيدة الاعتبارات "الخارج لغوية" التي أُقصيت على يد اللسانيات الشكّلية بدعوى انعدام الترابط بين البنى اللغوية والسياقات الاجتماعية التي ترد فيها من جهة و بدعوى أنّ الاستعمال الفردي للغة ليس جزءاً من الدراسات اللغوية الأخرى من جهة أخرى ، وبذلك اعتبرت المعنى دأ مرتبة ثانوية على التركيب ، ودرست اللغة بعيدة عن الاستعمال .

وهو دافع آخر كان وراء نشأة "التفكير التداولي" حين اهتمّ بالتواصل والاستعمال الفعلي للغة، وذلك حين أدرك "التداوليون" تمام الإدراك أنّ اللغة شكلٌ من أشكال النشاط الإنساني القائم على وظيفة التواصل والإبلاغ، وما يستتبع ذلك من رهانات الاستعمال اللغوي في العملية التواصلية، فكان الاهتمام مُنصبًا على دراسة اللغة، والعناية بأقطاب العملية التواصلية، فاهتمت التداولية بالمتكلم و مقاصده، بعدّه مُحركًا لعملية التخاطب ومراعاة حال المخاطب أثناء الخطاب، كما اعتنت بالظروف والأحوال السياقية المحيطة بالعملية التخاطبية ضمانًا لتحقيق التواصل من جهة، ولتستغلّها في التوصل إلى معنى و"مقصديّة" الخطاب بصفة عامة من جهة أخرى.

لقد ظهرت التداولية إلى الوجود وشكّلت قُطب رحى العلوم اللسانية، وزاد اهتمام اللسانيين بها بعد أن وصلت النظريات السابقة لتحليل اللساني إلى الطريق المسدود، لا سيما في الوقت الذي هيمنت فيه "اللسانيات البنوية" على الدراسة اللغوية في النصف الأول من القرن العشرين بدءاً من "دوسوسير" إلى "تشومسكي" وآمنت بأنّ اللغة نظامٌ من العلامات والعلاقات، وجاءت بمنهج جديدة لدراسة اللغة بذاتها ولذا تمّ دراسة شكلية خالصة، مُقصيةً بذلك الكلام والسياقات الثقافية والاجتماعية التي ينتج فيها، واعتبرت الجملة أكبر وحدة لسانية قابلة للدراسة، وبذلك أهملت الجانب الاستعمالي للغة ومقاصد المتكلمين...

لتظهر نداءات من داخل البنوية ذاتها تدعو إلى دراسة وظائف اللغة، وضرورة الأخذ بعين الاعتبار "السياق المقامي" الذي تنتج فيه من لدن الوظيفيين أمثال "جاكسون" و"أندري مارتيني"، والسياقيين من أمثال "مالينوفيسكي" و"فيرث".

من جهة أخرى ركّزت المدرسة التوليدية التحويلية على الملكة الإبداعية للغة، وقدرة المتكلم / السامع المثالي على إنتاج وفهم عددٍ لا مُتناهٍ من الجُمَل، وذهب علماء اللغة الاجتماعيون إلى أنّ الكفاءة اللغوية ليست كفاءة نحوية فحسب، بل كفاية تبليغية تواصلية، فنادى "هاريس"، "هاليدي" و"فان ديك" بضرورة الاهتمام بوحدة أكبر من الجملة وهي "النص" أو "الخطاب".

وبالموازاة مع هذه النداءات و الدراسات كان فلاسفة "اللغة العادية" وعلى رأسهم "أوستن" يناقشون رأيا للمناطق في وظيفة اللغة، وبحثوا في استعمالاتها، والوظائف التي تؤديها المنطوقات والأفعال التي تنجز بواسطتها فتوصلوا إلى أنّ اللغة لا تصف العالم فقط، وإنّما تعيّرهُ أيضا، وأنّ اللغة ذات استعمالات متعددة، فالمنطوق الواحد وفي سياقات وملايسات مختلفة قد يُنجز أفعالا مختلفة، ومن هذا جاءت فكرة "الأفعال الكلامية" والتي عُدت مركز الدراسات التداولية، باعتبار هذه الأخيرة تدرس علاقة العلامات بمستعملها وظروف

استعمالها، وبآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية للنصوص و الخطابات، فهي منهجٌ يسعى لفهم وتحليل الخطاب.

وبالرغم من أنّ التداولية مبحثٌ لسانيٌ جديد، لكنّ البحث فيه يمكن أن يؤرّخ له منذ القدم، حيث عرف العلماء العرب في العصور القديمة فكرة "التداولية" بمفهومها العلمي الحديث، و ناقشوها في كثير مما وصلنا من تراثهم، فهم و إن لم يُؤصّلوا لمصطلح التداولية بلفظه، إلاّ أنّهم توافروا على كلّ ما تهتمّ به من مظاهر لغوية تنبثق من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب العقلي، كما ترجموا لمباحث كثيرة متصلة بها في باب "الخبر و الإنشاء"، ولم يكن الاهتمام بالتداولية مثار اللغويين من النحاة وعلماء البلاغة فحسب، بل اعتنى بها عنايةً شديدةً كلّ من علماء المنطق، والفلاسفة والأصوليين والفقهاء.

وإذا كان القرآن الكريم -بوصفه خطاباً لفظياً متعالياً قد لاقى العناية والاهتمام منذ نزوله، وتوسّل العلماء إلى قراءته بما تهيأ لهم من أدوات النظر فيه، فكشفوا ما ينطوي عليه من معانٍ ودلالاتٍ، باعتباره يمثّل قمة البلاغة وذروة البيان-، فإنّ مما لاشك فيه أنّ السُّنة النبوية في جانبها القولي تأتي في المرتبة الثانية- من حيث الاهتمام- فصاحةً وبلاغةً، ويأتي البيان النبوي في الذروة لما امتاز به من خصائص كثيرة تميّزه عن بيان البشر وبلاغتهم، وتسمو به عن مستوى كلّ بيانٍ.

كما أنّ الناظر في "التراث الحديثي" يرى أنّ اهتمام الدارسين -نحويهم وبلاغيهم- قديماً وحديثاً بموضوع "البلاغة النبوية" يتسم بكثير من القصور، وكانّ الموضوع ثانويّ، تكفي فيه الإشارة العابرة عن بسط القول باعتباره وسيلة لا غاية، هذا الأمر بقدر ما هو لافت للانتباه، فهو باعثٌ على التّطلع إلى معرفة هذا العُزوف غير المقصود، لأنّ علماءنا بقدر ما اهتمّوا بإعجاز القرآن ومعانيه وإعرابه، بقدر ما قصّروا في الحديث النبوي الشريف، عدا ما نسجله -استثناءً- من لفتات رائعة تُشكّل إلى حدٍّ بعيد سندا قوياً، ومرجعاً متيناً لمن يرغب ويهوى البحث في هذا المجال.

من هذا المنطلق كانت البداية لسلوك طريق مُغاير في النظر إلى الخطاب النبوي باعتباره ظل محورياً للدراسات الكلاسيكية التي لم تتجاوز حدّ: "الرّواية و الرّواة في الشّكل"، و"المحتوى البلاغي في المضمون"، خاصّةً وأنّ المنطلق يجمع بين "الحداثة و التراث"، ويوظف اللسانيات الحديثة بنظرياتها المختلفة، والأفكار النقدية المعاصرة في الكشف عن خبايا التراث وإمكانياته.

في هذا الإطار يندرج موضوع البحث على نحو ما هو مجسّد في العنوان: "الأساليب الطلبية وأداءاتها الإبلافية في الحديث النبوي الشريف" مقارنة تداولية"، وقد وقع الاختيار على النّص النبوي إضافة إلى أنّه من

أعرق النصوص العربية وأقدسها بعد القرآن الكريم من جهة ، وأتته النص الأقرب للاحتجاج عند النحويين و البلاغيين بسبب كثرة أساليب الطلب فيه و تنوعها و اختلافها ، بوصفها تمثل مجالاً ثرياً يتناسب وطبيعة الدراسة التداولية ، والذي يعتمد على استقراء هذه الأساليب ووصفها و تحليلها ، ثم إبراز مدى تأثيرها ودورها في عملية التواصل و الإبلاغ، من جهة أخرى.

وقد كان اختيار "التداولية" منهجاً في "تحليل الخطاب النبوي" لكونه يعدُّ مستوى تصنيفياً إجرائياً في الدراسات اللغوية المعاصرة، يتجاوز المستوى الدلالي ليبحث في علاقة العلامات اللغوية بمؤوليتها ، وعلاقتها بالسياق الذي وردت فيه ، من خلال دراسة ما يعنيه الخطاب في سياق معين ، ومعرفة هذا السياق وأثره على لغة الخطاب عند إنتاجه ، مع إيلاء عناصر هذا السياق أهمية ، مُتمثلة في مقاصد المرسل ، وظروف الخطاب الخارجية (المكانية و الزمانية) ، والعلاقة بين طرفي الخطاب ، ومدى استحضار طبيعة المتلقي الأولى في الذهن عند إنشاء الخطاب.

في ضوء هذا التصور ، وأمام هذه الرغبة تتراءى إشكالية سعى الباحث إلى الوقوف عندها على أمل إيجاد إجابة عن تساؤل رئيسي يعدُّ إشكال الدراسة ونقطة الجمال فيها ، متمثلة في : ما هي جملة الأغراض البلاغية التي خرج إليها الخطاب النبوي من خلال توظيف أساليب طلبية مختلفة في صورتها الحقيقية و المجازية؟ ، سعياً منه عليه الصلاة و السلام إلى تبليغ ما أمره به ربه ، أو على حدّ تعبير "التداوليين": "فيم تكمن مجموع الأفعال المنجزة بالقول" مباشرة أو غير مباشرة في تحقيق قوى انجازية حرفية أو مستلزمة مقامياً ، ولّدتها علاقة الرسول "ص" بمخاطبه مقاماً ومقالاً؟.

لتكتنف البحث - شأنه شأن البحوث التداولية الأخرى - مجموعة من التساؤلات والإشكالات نحاول الإجابة عنها من قبيل : ما طبيعة التداولية؟ وما أصولها الفلسفية و اللغوية؟ هل هي ثورة على اللسانيات البنيوية وما بعد البنيوية ، أم هي امتداد لها؟ ، ما المقصود بأفعال الكلام؟ و ما موقعها من اللسانيات التداولية؟ ، كيف عالج الدرس العربي القديم ظاهرة أفعال الكلام؟ ما مدى صلاحية المنهج التداولي لدراسة الخطاب النبوي ؟ إلى أيّ مدى يمكن استثمار نظرية الأفعال الكلامية في الكشف عن الأدوات و الصيغ و الآليات التعبيرية المستعملة في الخطاب النبوي للدلالة على القوة الانجازية لهذا الخطاب؟.

ما الدور الذي يعكسه السياق العام المنجز فيه الخطاب النبوي؟ ، ما مفهوم الحجاج وأهم مصطلحاته؟ ما هي علاقة الحجاج بالتداولية عامة ؟ وبالإقناع بصفة خاصة ، باعتبار أنّ الخطاب النبوي يقوم على بناء لغويّ مشحون

بسمات تواصلية منها: "تجاوز، وسرد، واستفهام، وتقرير، وتأكيد.... وكلها تُعدّ أدواتٍ حجاجيةً يمتلكها الحديث النبوي بصفة عامة.

للإجابة على هذه الإشكاليات وبعد أن آثرت تخصيص الدراسة في مُدوّنَة لها من الخصوصية مالها، وهي "الأحاديث النبوية الشريفة"، وضبطها بكتاب "صحيح البخاري" نظرا لإجحاف الدراسات العربية الحديثة في دراسة الأحاديث النبوية "دراسة تداولية" تُؤيِّقها حقّها، في هيكلٍ تنظيميٍّ قوامه: "مقدمة"، تليها "أربعة فصول" مع "خاتمة".

ففي المقدمة عُرضت إشكاليةُ البحث وتفرعاتها المعرفية وأبعادها المنهجية، مع ذكر أسباب اختيار الموضوع والأهداف المرجو تحقيقها من هذا البحث.

كان الفصل الأول "تمهيدا" يُشكّل بيليوغرافيا العنوان: وهو المجال الذي تجسّدت فيه العلاقات القائمة بين عناصر العنوان و مصطلحاته، ووقفا على "المصطلحات المفاتيح"، بخطةٍ داخليةٍ وُزعت عناصرُ البحث فيها على مباحثٍ ثلاثة، كان الأوّل منها مُوضّحا لمفهوم الطلب في الدرس التّحوي، وما تخلّله من عناصرٍ تتمثّل في تعريفات الطلب في كتب النحو و البلاغة، ونظرة اللّغويين و البلاغيين للإنشاء، واعتبارات كلّ طائفة في تقسيمه إلى طلبي وغير طلبي، مع التركيز على أهم الأساليب الإنشائية الأكثر استعمالا في البلاغة عموما، وفي الحديث النبوي الشريف خصوصا، وتناوّلها بشكل نظريّ وفق عناصر تُخدم كلّ أسلوبٍ، بدءًا من التعريف إلى الأدوات، إلى الأقسام، وغيرها.

ليقف المبحث الثاني على المدوّنَة بما فيها من خصائص وجماليات، بدءًا من التعريف اللغوي و الاصطلاحي "للحديث"، مع تحديد معالم وأسباب فصاحة رسول الله "ص" وبلاغته، ليُختتم المبحث بأهم ما أُلّف في ميدان علاقة الحديث النبوي بالبلاغة العربية قديما وحديثا.

أما المبحث الأخير في هذا الفصل فكان متعلقا بمنهج الدراسة "التداولية"، بالتّعرض إلى ماهيتها ومفاهيمها المختلفة، وجذورها الفلسفية التي قامت عليها في البلاغة العربية عند الغرب، وكذا مبادئها وعلاقتها بالتخصصات، والعلوم الأخرى "كعلم النفس" و "علم الاجتماع" وغيرها....

أما الفصل الثاني و المعنون بالسياق التداولي وأثره في عملية التواصل من خلال نماذج من الحديث النبوي، فكان ولوّجه من خلال الوقوف على حقيقة السياق في جذوره اللغوية، ومعناه الاصطلاحي عند العرب والغرب، خاصة مدرسة "فيرث" السياقية، وأشهر من أرخ لقواعد السياق عبر محطات مختلفة بين العرب والغرب.

أمّا الفصل الثالث والموسوم بالأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف ،وهو لبّ الدراسة و البحث ،فكان هو الآخر في مباحث أساسية ، أولها نظري مختصر ،تناول الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية والمراحل التي مرّت بها على يد كلٍّ من "أوستن" و "سيرل" و "جرايس" ، مع السعي للتأصيل لنظرية الأفعال الكلامية في الدرس العربي القديم عند علماء البلاغة، وعلماء الأصول وغيرهم .

ليكون المبحث الآخر مُشكّلاً الجانب التطبيقي للأفعال الكلامية ، بدءاً من قراءة أولية في تداولية الخطاب النبوي ، وتحديد عناصر الخطاب من مرسل و مرسل إليه و سياق لغوي مقامي، بالوقوف على مُناسبة الحديث وظروف إلقاءه، وتحديد كتابه وبابه ، كما صُنّف في المدونة ،ليتخذ الحديث بعدها مجالاً للتطبيق من خلال أدوات منهجية مستخلصة من الجانب النظري لدراسة الأفعال الكلامية، وذلك بتناول الأحداث الكلامية في شكل صيغ لأساليب طلبية حسب التقسيم الخماسي لـ"جون سيرل" و "أوستن"، مع التركيز على قسمين اثنين يخدمان الموضوع من جهة :

***الإخباريات: وفيها يتعلق الأمر بالأساليب الخبرية ، كقسم أول من أقسام الكلام .

***الطلبات: ويتمثل في الأساليب الطلبية ،وهي الصورة الثانية للكلام في شقّه الداعي إلى التنوع في الأساليب من: استفهام ، وأمر ، و نداء ، ونهي وغيرها.

وكان ذلك بالتطرق إلى الأفعال الانجازية المباشرة ،وهي التي يكون فيها التوظيف للأساليب الطلبية توظيفاً حقيقياً وفق ما اتفق عليه علماء البلاغة " الغرض الحقيقي" ، وإلى الأفعال الانجازية غير المباشرة، وذلك حين تخرج هذه الأساليب عن صورتها الحقيقية لتدلّ على أداءات إبلاغية مختلفة وفق ما يمليه السياق ويحدده المقام مع التمثيل للقوتين الانجازيتين الحرفية و المستزمنة ،بحسب ما اقترحه التداوليون في الفرضية الانجازية .

أمّا الفصل الرابع والأخير ، والموسوم بـ "الحجاج التداولي وآلياته في الحديث النبوي" ، فقد ارتأيناه كفصل يكمل نظرية الأفعال الكلامية وأثرها في استمالة المتلقي ، وتحقيق الإقناع ، بتطبيق آلية من آليات التحليل التداولي والمتمثلة في "الحجاج" ، وذلك باعتباره محاولة واعية من المتكلم للتأثير في المتلقي على مستوى سلوكه أو على مستوى مُعتقداته وقناعاته ، لاسيما وهو الذي يُبنى وفق إستراتيجية معينة بتوظيف وسائل منطقية أو لغوية أو بلاغية أو جميعها معا .

تناول هذا الفصل مباحث متعددة ،من منطلق أنّ غاية الحجاج الأساسية هي إقناع مُتلقيه و التأثير فيه ،فكان التقصي لمكوناته ، والبحث في طرقه التي جسدت البنى الحجاجية ، من خلال الإجابة على مجموعة من الأسئلة

ما الحجاج؟، وما دوافعه؟، ما علاقة الحجاج بالإقناع؟، ما الوسائل التي اعتمدها الرسول "ص" في التأثير في متلقيه؟، مع الإشارة إلى معنى الإقناع كهدفٍ أسمى متوخى من وراء توظيف هذه الآلية .

كيف نظر العلماء العرب للحجاج؟ انطلاقا من العرب القدامى كالجاحظ، ووصولاً إلى المحدثين كطه عبد الرحمن، محمد العمري، أبي بكر العزّاوي، ما مفهومه عند الغرب القدامى "أرسطو"؟ وعند المحدثين الذين يمثلهم "بيرلمان" والذي ربط الحجاج بالبلاغة البرهانية؟ و"ديكرو" الذي يؤكد على وجود حجّاج في كلّ لغة؟.

كانت الإجابة عن هذه التساؤلات في جانبها النظري، لتُجسّد تطبيقياً وفق مباحث داخلية اتخذت الأحاديث النبوية الشريفة مجالاً لتطبيق أشهر الآليات الحجاجية بدءاً من اللغوية إلى البلاغية إلى المنطقية، مع التركيز - كلّ التركيز - على أهمّ عناصر هذه الآليات لما لها من دور في عملية الإقناع و التأثير .

ليختتم البحث بخاتمة عامة مثلت أهمّ النتائج المتوصل إليها في البحث في بُعديه النظري و التطبيقي عبر فصوله جميعها .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على "المنهج التداولي" في تجسيد آليات التداولية، والتي كان يتّكأ فيها على آليات الوصف و التحليل وحتى الإحصاء .. لأنه الأنسب لهذا النوع من البحوث القائمة على وصف الظواهر الأسلوبية واللغوية في الخطابات بصفة عامة، و الحديث النبوي بصفة خاصة، ورصد خصائص النظريات اللسانية والتداولية، كما أنّه لا بد من الاستعانة بالمنهج "التاريخي" في رصد نموّ الأفعال الكلامية وكذا فكرة الحجاج و بروز معالمها، ونشأة النظريات الدارسة لهما، ليبقى المنهج التداولي أنجع أداة إجرائية تُظهر أوجه الاستعمالات للآليات التداولية من أفعال الكلام وكذا الحجاج في الخطاب النبوي، وتكشف جوانب العملية التواصلية بين المتكلم و المتلقي، ومن ثم تسعى إلى إبراز مقاصد المتكلم وأثرها في سامعه.

ولاشكّ أنّ البحث استند الى مجموعة من المصادر والمراجع، ذات الصلة بالموضوع، حديثة وقديمة، عربية وأجنبية، بدءاً من مدونة "صحيح البخاري" كمدونة للبحث أساسية، كما كان الاعتماد على أمّهات الكتب البلاغية القديمة ك"البيان و التبيين" للجاحظ، "دلائل الإعجاز" للجرجاني، "الخصائص" لابن جني، "مفتاح العلوم" السكاكي، إضافة إلى "نظرية أفعال الكلام العامة"، أو "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" لجون أوستن والمقاربة التداولية، للكاتبة فرنسواز أرمينكو، لتكون الاستفادة من المراجع الحديثة في العلمين معاً (التداولية و البلاغة وتحليل الخطاب) منها: "استراتيجيات الخطاب" مقارنة تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري، "التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي، "في اللسانيات التداولية" لخليفة بوجادي، "اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي" لطله عبد الرحمن، "تحليل الخطاب المسرحي" في ضوء النظرية التداولية، لعمر بلخير، "أساليب الطلب عند

النحويين والبلاغيين" للدكتور قيس إسماعيل الأوسي ، "التداولية والحجاج" لصابر الحباشة ، "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" ، لحمادي صمود ، ومجموعة من المقالات عن التداولية والحجاج ضمن مؤلف: "الحجاج مفهومه ومجالاته" ، إعداد : حافظ إسماعيل العلوي

وسعياً منا إلى تتبع المفاهيم الجديدة في الحقل التداولي وضبطها ، و الوصول إلى الجديد الذي أضافه هذا المنهج ودوره في تحليل الخطاب ، وإبراز إلى أي مدى كان العلماء العرب تداوليين في طروحاتهم ودراساتهم اللغوية نظرياً وتطبيقياً ، وعلى أمل تطبيق هذه المقاربة في الخطاب النبوي ، فإنّ محاولتنا هذه لم تخلُ من صعوبات تمثلت في كيفية التعامل مع المصطلحات في الجانب التطبيقي وضبطها بسبب كثرة المفاهيم وتعدّد المصطلحات في مصدرها الأصلي ، مع قلة الدراسات التطبيقية في هذا المجال الجديد نسبياً ، أضف إلى ذلك حداثة الآليات التداولية المتخذة كوسائلٍ للتحليل خاصة المتعلقة بالأفعال الكلامية و الحجاج في الحديث النبوي الشريف ، إلا أنّ عزاءنا الوحيد هو هذا الجهد . وهو جهد المقلّ . وحسبه أنّه حظي بدراسة هذا الموضوع ، على أمل أن يتوفر له - مستقبلاً - جهدٌ أوفّر ، لتوسيع ما أسفرت عنه هذه المحاولة .

وفي الأخير أرجو أن يكون هذا البحث محققاً لأهمّ أهدافه ، وأن يكون مفيداً في إعادة الاعتبار لتراثنا العربي في ميدان التداولية عامة ، وأفعال الكلام و الحجاج بصفة خاصة ، حيث يصبح الربط بين القديم و الحديث عادة حسنة يحصل بها التكامل المنشود بين أطراف المعرفة .

و أنا إذ انهي عملي المتواضع هذا ، فإنّ الفضل لأصله عائذٌ ، والشكر لأهله واجبٌ ، فاعترف أنّ ما كان فيه من محاسن ، فالفضلُ لله تعالى الموفق أولاً ، ثم للأستاذ الدكتور "محمد بوادي" ، والذي تعهد هذا البحث برعايته الطيبة وتوجيهاته السديدة الصائبة ، منذ أن احتضن البحث بين يديه ، وتحملّ عناء المتابعة و التوجيه ، لا أثر فيها للملل و الضجر ، طيلة ما لهذا البحث من أيام العمر . فلك مني أستاذي الكريم جميل معاني الشكر والتقدير .

كما أتقدم بخالص شكري إلى كلّ من أعانني في مراحل انجاز هذا البحث حتى استوى على سوقه ، وأنا على أمل أن أكون قد حققت فيه ما كنت أصبو إليه ، وأدعو العليّ القدير أن ينفعني بتوجيهات أساتذتي الكرام الذين شرفوني بقبول مناقشة مذكرتي هذه ، وتصويب فكرتها ، وتصحيح خطئها و إقالة عثرتها ، فلجميع مني الشكر و التقدير ، ومن الله السداد و التوفيق .

وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكلت ، واليه أنيب ، وله الحمد من قبل ومن بعد .

الفصل الأول

تمهيد مفاهيمي.

مباحث الفصل

أ- المبحث الأول:

جملة الطلب في الدرس التحوي.

ب- المبحث الثاني:

البلاغة النبوية بين أسباب التكوين وبلاغة التمكن.

ج- المبحث الثالث:

التداولية بين النشأة و المفهوم.



المبحث الأول : جملة الطلب في الدرس النحوي:

توطئة :

لقد كانت العناية فائقةً باللُّغة العربية حين اعتنى بها علماءؤها -نحويهم وبلاغيّهم-، مدفوعين إليها بدوافعٍ متعددة، فكان التّحويون مدفوعين بما جسد شُيوع اللّحن في القرآن الكريم، أمّا البلاغيون فكان لعلّة كشف سرّ الإعجاز القرآني، وبذلك تعرّض كلاهما للظاهرة اللّغوية في مستواها التّركيبي، لتكتسي العناية نوعاً من التّصرف في بناء الجملة أو التعبير، من منطلق فصاحة اللّغة العربية وبلاغتها، وبذلك أولوا التعبير أو "استعمالات اللغة في مجالاتها" المختلفة نوعاً من الأهمية البالغة مما جعل الأساليب المعتمدة من قبل ناطقيها مُتباينة ومختلفة.

فإذا كان البلاغيّ يُبدع في طريقة تعبيره مُستعملاً التّشبيه والاستعارة وحتى الكناية، و يتفنّن في إيراد صُورها بأسلوب مُوجز، مُقنع، هو القمّة في البلاغة، ترى من جهة أخرى آخريّن يعتمدون على أساليب تنقل ما في نفوسهم من حالات مختلفة تتراوح بين الحيرة والشك والحنين والرجاء...

فبقدر ما تنوعت الدراسات التي انصبّت حول القرآن الكريم، وكان للقرآن الكريم دورٌ في ظهورها "كعلوم التفسير، الفقه، الأصول"، مُبديّةً اهتمامها بهذا الجانب، ظهرت دراسات مماثلة ك"النحو" و"الصرف"، "البلاغة"، مُتخذةً كلام العرب شعره ونثره مصدراً للاهتمام لما يحتويه من أساليب تعبيرية نادرة.

وفي ظل التّكامل الحاصل بين "النحو والبلاغة" عند علماء اللّغة بصفة عامة، نلاحظ تلك العناية الكبيرة في دراسة "الجملة العربية"، هذا الباب الذي تُرجم تلاحم العُلَمين معا، حين اعتنى الأول "بصحة التّركيب" وهو "علم النحو"، واهتمّ الثّاني بما وراء هذه الصحة التّركيبية من "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" وما تدلّ عليه القرائن من معانٍ تُفهم من السياق أو التّركيب، لأنّ ممّا لاشك فيه أنّ الجملة الصحيحة نحويّاً تحتاج إلى أهم خصائص الصّحة فيها وهي "مطابقتها للمقام وللمقتضى الحال"، وما يستفاد من القرائن حين خروج الكلام عن مقتضى الظّاهر، لذلك تظهر جهود البلاغيين مُكمّلةً لجهود النحويين حين يُنظر للجملة من هذين المنظورين معا، ف(سيبويه) مثلاً لم يخلُ "كتابه" من الإشارات الابلاغية حين جعلها تسير مع القواعد النحوية، والصرفية، والصوتية، و(الجرجاني) حين أسس "نظرية النظم" علّق قيمتها في احترام معاني النحو وقوانينه، جاعلاً الهدف من النظم هو "وضع الكلام حسب مقتضيات علمي النحو والبلاغة".

ولعلّها هي الفكرة ذاتها التي دأب على ترسيخها كثيرٌ من اللغويين والبلاغيين - علاقة النحو بالبلاغة- سواء المتقدمين منهم أو المتأخريين، فعبروا عن هذا الارتباط، مثل ما يعكسه الدكتور (تمام حسان) حين جاهر بالقول: "...ومن هنا نشأت هذه الفكرة التي تزدّد على الخواطر منذ زمان طويل أنّ النّحو العربي أحوج ما يكون

إلى أن يدّعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يُسمى "علم المعاني"، حتى إنّه ليحسن في رأيي أنّ علم المعاني قمةُ الدراسة النحوية أو فلسفتها إن صحَّ هذا التعبير...¹.

لذلك حاول كثيرٌ من علماء العربية أن يُفردوا للأساليب (علم المعاني) أبوابًا مستقلةً، فنجدُ (أحمد ابن فارس) في كتابه: "الصّاحبي في فقه اللغة" يتحدّث في "باب معاني الكلام" عن أساليب: الاستخبار، الأمر والنهي والدعاء والطلب والعرض والتحضيض والتمني، وقد حدّد المعنى الاصطلاحي لهذه الأساليب، مُتحدّثًا عن بعض مسائلها وصيغها، وذكر المعاني المجازية التي تستعمل فيها...². وحين استقلّت (البلاغة) عن (النحو) حُصرت مسائلها، وضُبّطت أصولها وفصولها وأدخل علم المعاني فيها، استقلت أساليب الطلب بأبواب خاصة في كتب البلاغة...³.

1 مفهوم الإنشاء الطلبية :

إنّ النّاظر في كتب النحو العربي وإن كانت قد خَلّت من وجود أبواب مُستقلة بدراسة أساليب الطلب، وذلك لخضوعها للمنهج المنطقي، واستنادها إلى فكرة (العامل) التي كانت محورَ الدّراسة فيها، إلّا أنّها قد تضمّنت . ولاسيما كتب الأوائل - ملاحظاتٍ كثيرةً، لكنّها متفرقةٌ تتعلق بطبيعة هذه الأساليب وأدواتها، والمعنى الدقيق الذي تُستعمل فيه كلّ أداة، والزّمن الذي يمكن أن تدلّ عليه، والأوجه التي تُستعمل فيها⁴. وعلى الرغم مما حَظّيت به "الجملة" مثلاً في الدرس النحوي اللّغوي العربي القديم من بحوثٍ ودراساتٍ إلّا أنّنا لم نجد قسمًا ضمن ذلك الموروث اصطلاح عليه "بالجملة الطلبية" لميل الكثير منهم إلى أنّ الأهمّ في الدراسات النحوية هو دراسة "التركيب"، مثل ما دعا إليه (السكاكي) حين قال: "اعلم أنّ علم النحو هو أن تتخو معرفة التركيب فيما بين الكلم...⁵"، و ذلك راجع إلى إدراكهم أنّ المفردات وحدها لا تُوصف بالمعنى التركيبي، ولا يُستغنى بها في الكلام إلّا إذا زُكبت مع غيرها، فيحدث معنى ويستغنى الكلام.

¹ - تمام حسن، اللغة العربية معناها و مبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 2 ، 1979 ، ص:18.

² - الأوسي قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين-، بيت الحكمة بغداد 1989، ص:15.

³ - المرجع نفسه، ص، ن.

⁴ - المرجع نفسه، ص، ن.

⁵ - السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط2 / 2001 ، ص:

فحين تناولوا الجملة مقسمين إياها إلى "خبرية وإنشائية"، محددين غرض كل قسم و أثره ، تجلّى للدارس أنّ الجملة الطلبية ليست قسمًا من أقسام الجملة العربية منفصلا، لأنّ النّحاة لم يذكروا نوعا للجملة سمّوه "الجملة الطلبية" لذلك كان موضوعها أقرب إلى درس علماء المعاني.

وفي ثنايا الحديث عن "الجملة والكلام" كان الاتفاقُ حاصلًا على "أنّ الكلام ضربان: سواء عند البلاغيين أو النحويين أو حتّى عند علماء الأصول، أحدهما: أن يكون خبريا محتملا الصدق أو الكذب لذاته فيدخل في ذلك كلّ خبرٍ ، سواء كان هذا الخبر واجب الصدق كأخبار الله تعالى وأخبار رسله وأنبيائه، أم كان واجب الكذب كأخبار الملحدين في عقائدهم، وأخبار المتنبئين في دعوى الرسالة والنبوة.."¹، أو هو: "ما يحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به"² كقولك "العلم نافع". فقد أثبت صفة النفع للعلم، لأنّ نفع العلم أمرٌ حاصل في الحقيقة والواقع، والمراد بصدق الخبر أن يطابق الواقع، والمراد بالكذب عدم مطابقته للواقع.....³

في وقت حاول المهتمّون خاصة من النحويين والبلاغيين رصد معالم ظاهرة الإنشاء في الكلام وهو الثاني منه، فرسموا له صورًا نحويةً إجرائية تطبيقية تبحث في القواعد، وحلًا بلاغية منطقية تبحث في المعاني للتركيز على أهمية التعبير بالإنشاء في الكلام العربي من حيث القيمة الأسلوبية وحتى الدلالية منه.

وقبل الحديث عن مادة (الإنشاء) في الدرس النحوي، حرّي بنا تتبع مفهوم اللفظة في المعاجم اللغوية (الإنشاء لغة): يتّصل بمادة: (ن.ش.أ) ومفاده: الخلق، الابتكار، والابتداء والارتفاع،⁴ فنقول: نشأ الشيء نشأ ونُشِئَ ونُشِئَتْ ونُشِئَتْ: إذا حَدَثَ وتجدّد، والإنشاء بمعنى الإيجاد والاختراع من عَدَمٍ، قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ... الأنعام 98، أي "أوجدكم"، والنشأة بمعنى "الإيجاد والتربية"، قال تعالى: " وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ " النجم 47، ومنه قوله تعالى: " إِنَّا أَنْشَأْنَا هُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا نَتْرَابًا .. " الواقعة 35، يعني خلقناهن خلقا بعد الخلق الأول، ومثل هذا النوع من الكلام موجّه لأصحاب اليمين في الجنة..⁵ ولما اختصّ هذا النوع من الكلام بأنّ إيجاد لفظه إيجاد لمعناه سمي "إنشاء".

¹ -المراغي أحمد مصطفى، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط4، 2007، ص: 43.

² - الهاشمي أحمد، جواهر البلاغة في المعاني و البيان، تح محمد التونسي، مؤسسة المعارف بيروت ط 04 2006، ص: 63.

³ - المرجع نفسه، ص: 63.

⁴ -ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، مادة نشأ .

⁵ - ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ضبطه وخرج آياته محمد عبد الكريم الدمشقي دار صبح بيروت لبنان، ط04 2006، ج4، ص285،

ب/ أما في الاصطلاح: فالإنشاء كلامٌ لا يحتمل صدقا ولا كذبا لذاته، إذ ليس لمعناه قبل التلفظ به وجود خارجي أو لا يطابقه، وقد سَمَّاهُ (القزويني) "إنشاء"، وسَمَّاهُ (السكاكي) "طلباً"، و التَّسميَّتان تدلَّان على معنى واحدٍ، ف(السكاكي يقول: "والطلب - إذا تأملت - نوعان، نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول"¹، أما (الخطيب القزويني) فيقول: "الإنشاء ضربان: طلبٌ و غيرُ طلبٍ والطلبُ يستدعي مطلوباً غير حاصلٍ وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل"²، فهو بذلك يقصد الإنشاء الطلبي، فمضمون الإنشاء يتوقَّف على النطق به، وطريقته تُحدِّد نوع الطلب، واستدعاء ما هو غير حاصل ومن ثمَّ يُقَدِّمه المخاطب...

أما (أحمد الهاشمي) فيقول: "وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء هو: "ما لا يحصل مضمونه، ولا يتحقَّق إلا إذا تلفظت به. فطلبُ الفعل في (افعل). وطلب الكف في (لا تفعل). وطلب المحبوب في "التمني"، وطلب الفهم في "الاستفهام".، وطلب الإقبال في "النداء". كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها"³. ومن هنا فإنَّ تعريف "الجملة الإنشائية": "هي كلُّ كلامٍ لا يصحُّ أن يُقال لصاحبه. إنَّه صادقٌ فيه أو كاذب... أو كلُّ كلامٍ لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته": يقول (محمد نخلة): "أما الإنشاء فهو ما لا يصحُّ أن يُقال لِقائله: إنَّه صادقٌ فيه أو كاذب. لأنَّ المتكلِّم لا يُخبر عن شيءٍ، بل يطلب إيجاد معدوم"⁴.

فالإنشاء قائمٌ على أساس الطلب الذي يطلبه المتكلم من المخاطب، فالكلام الإنشائي في مثل هذه الحال مرتبطٌ بتصور المتكلم ومشاعره، وإنَّ خرج عن أغراضه الحقيقية أحياناً إلى أغراضٍ مجازيةٍ.. وقد يكون في وسع المخاطب تنفيذ ذلك. كما في قوله تعالى مخاطباً موسى وهارون عليهما السلام: " اذهبوا إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يَنْدَكُرُ أَوْ يَخْتَسِي " طه: 44/43، فتحقُّق مضمون هذه الجملة مُتوقَّف على النطق بها، ثم يتمُّ تنفيذ ما تدلُّ عليه. وقد يكون بالوسع عدم تنفيذه كما دلَّ عليه السياق القرآني (في خطابه لموسى وهارون) في قوله تعالى بعد الآيتين السابقتين " قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ، قَالَ لَا تَخَافَا... " طه: 46/45، ثم وقع الفعل الحقيقي بعد الطلب والتوضيح " قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ

²-السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ص:414.

² -القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، تح، محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ص: 13

³ - الهاشمي أحمد، جواهر البلاغة ص: 84.

⁴ -نخلة أحمد محمود، علم المعاني، دار العلوم العربية بيروت، 1990، ص:81.

اتَّبَعَ الْهُدَى "طه47، وعليه فالإنشاء الطلبي قسمان: الإيجابي: (الأمر، التمني، الاستفهام، النداء...)، وسليبي يشمل: (النهي...)¹.

وهو بهذا المعنى يكون "الإنشاء" قسيم "الخبر"، وهو عندهم على قسمين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي.² ومنه نخلص إلى أن الإنشاء عند البلاغيين خاصة هو صورة الكلام يُنشئه صاحبه ابتداءً، دون أن تكون له نسبة خارجية تُطابقه أو تخالفه، فيكون كلاماً لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، بخلاف الخبر، مثل قولنا: "هل جاء زيد"، في هذا المثال نرى أن الجملة لها معنى ليس له وجودٌ خارجيٌّ، وهو الاستخبار عن الجيء، فيكتفي اللفظ فيها بذاته، وتكون له قيمة الحدث أو الفعل الذي يُنجز به شيءٌ ما، فالتكلم قد أنشأ كلاماً يفهم منه أنه يطلبُ جواباً يتعلق بمدلول اللفظ فيه، (مجيء زيد)، فالكلام إنشاء من نوع الاستفهام لا يتعلق بشيء خارجيه.

• عدم احتمال الأسلوب الإنشائي للصدق والكذب، إنما هو بالنظر إلى الصيغة الموضوعية له: "كنسبة الكلام للمخاطب بلفظ (قم)، (لا تقم)، فإنما تُوجدها صيغة (افعل)، (لا تفعل) "مثلاً .

• معظم البلاغيين ركزوا على عبارة "المقصود" في تعريفهم للإنشاء، وذلك لإخراج غير الطلبي منه، الذي هو في الأصل إخبار عن طريق القصد إلى معنى الإنشاء، على نحو قول (عبد السلام هارون): "ولأن أكثره في الأصل أخبارٌ نُقلت إلى معنى الإنشاء"³.

وإذا أردنا تتبع مفهوم الطلب وعلاقته بالأساليب الأخرى، وجدناه لا يكاد يخرج عن مفهوم واحد - باتفاق اللغويين - فهو من ناحية اشتقاق الكلمة من مادة - طلب -، إذ يذكر (ابن فارس) في معجمه: "الطاء، اللام، الباء" أصل واحد، ويدل على ابتغاء الشيء، ويُقال: طلبتُ الشيءَ أطلبُهُ طلباً، وهذا مَطْلَبِي، وهذه طَلْبَتِي، و أطلبْتُ فلاناً بما ابتغاه، أي: أسعفتُهُ به، و لربما قالوا: أطلبْتُهُ: إذا أحوجتُهُ إلى الطلب، وأطلب الكأُ:

تباعَدَ عن الماء حتى طلبهُ القومُ، وهو ماءٌ مَطْلَبٌ..."⁴ وجاء في "المصباح المنير": "...وتطلبْتُ الشيءَ تبعيُّته وأطلبْتُ زيداً بالألف: أسعفتُهُ بما طلبتُ، وأطلبْتُهُ: أحوجتُهُ إلى الطلب..."⁵.

1- حسن جمعة، جماليات الخبر و الإنشاء، دراسة جمالية نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2005. ص: 102

2- نخلة أحمد محمود، علم المعاني، ص: 81.

3- محمد عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانقي مصر، ط2. 1979. ص: 17.

4- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت ط1991/01 م3 ص: 418/417.

5- الفيومي أحمد بن محمد علي، المصباح المنير، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ط1999/03، ص: 194

وقضية الطلب في النقد العربي - كما أسلفنا - تناولها الكثير من النقاد إضافة إلى النحاة والبلاغيين (ابن قتيبة) في "أدبه" قسم الكلام أربعة أقسام: "أمر، وخبر، واختيار، ورغبة"، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي: الأمر والاختيار والرغبة، وواحد يدخلها الصدق والكذب، وهو الخبر¹.

فيبدو من حديث "ابن قتيبة" أنّ القسم الأول هو "قسم الطلب"، وينحصر في الجانب العاطفي لأحداث الإنسان وطلباته، لأنّ الأمر طلب حصول فعل ما، والاستخبار طلب خبر ما، والرغبة حب حصول فعل ما. في وقت ذكر (ابن فارس) في باب الحديث عن معاني الكلام، إذ جعلها عشرة: فيقول: "عند أهل العلم عشرة ويقصد معاني الكلام، خبر واستخبار، وأمر ونهي ودعاء وطلب، وعرض وتخصيض، وتمنّي وتعجب..."². وقد تناول البلاغيون الحديث عن "الطلب"، حين قسموا الكلام جميعاً قسمين، "خبراً وإنشاء"، ومقياس ذلك هو "الصدق والكذب". فأما الخبر: فهو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، "نحو العلم نور"، أما الإنشاء: فكلّ كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولا يصح أن يُقال لقائله: إنّه صادق أو كاذب، لعدم تحقّق مدلوله في الخارج وتوقّفه على النطق به، يُسمّى كلاماً إنشائياً³.

وهي القضية ذاتها التي أشار إليها (درويش الجندي) مُعلّلاً قول العرب: "لا يحتمل الصدق لذاته": "لأنّه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه، وذلك نحو قول بعض الحكماء لابنه: "يا بني تعلّم حسن الاستماع كما تتعلّم حسن الحديث..."، وأنت لا تستطيع أن تقول لمن ينادي شخصاً أو يأمره أو ينهاه: "إنّك صادق أو كاذب"، وذلك لأنّه لا يُعلمنا بحصول شيء أو عدم حصوله، وليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يمكن أن يقارن به، فإنّ طابقه قيل: إنّه صادق، وإنّ خالفه قيل: إنّه كاذب. إنّ من ينادي أو يأمر أو ينهي ليس لندائه أو أمره أو نهيهِ وجود خارجي قبل حصول النداء أو الأمر أو النهي يحتمل الصدق أو الكذب..."⁴.

وقد نظر البلاغيون إلى الأساليب الإنشائية، فلم يجدوها على ضرب واحد، فقسموها إلى قسمين: "طلبية وغير طلبية"، مُعرّفين الإنشاء الطلبي بأنّه: "ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، فإنّ استعمل الإنشاء الطلبي لمطلوب حاصل وقت الطلب امتنع إجراؤه على المعنى الحقيقي، وكان من الواجب تأويله بما يناسب المقام كالأمر في قوله تعالى: "يا أيّها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله... النساء 135، وفي قوله تعالى: "يا أيّها النبيّ

1- ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر، ط4/1963، ص: 04.

2- ابن فارس، الصحاح في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشومري، مؤسسة بدران للطباعة والنشر بيروت 1964/ص: 179.

3- محمد عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 13.

4- درويش الجندي، علم المعاني، مطبعة نهضة مصر، د، ص: 13.

اتَّقِ اللَّهَ "الأحزاب 01، فالمعنى قائمٌ على طلب دوام الإيمان والتقوى للترقي في مراتب الكمال فيهما"¹ فإذا كان لفظه يدلُّ على الطلب صراحةً سميَّ "طلباً محضاً" ومنه: الأمر، النهي، الدعاء... وإن كان طلبه مفهوماً من خلال الكلام يسمى "غير محض"، ومنه الاستفهام، والعرض والتحضيض.²...، وأنواع الإنشاء الطلبي تسعة أقسام: (أمر، ونهي، واستفهام، ودعاء، وعرض، وتحضيض، وتمن، وترج، ونداء).³

أما القسم الثاني فهو **الإنشاء غير الطلبي**: وهو الذي: "ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب. أو هو ما لا يستلزم مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب".⁴.. فالإنشاء غير الطلبي كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته، ومن أساليبه: صيغ المدح والذم، والتعجب، وصيغ العقود، والقسم، والرجاء...⁵ ولا يهتم البلاغيون بهذه الأساليب الإنسانية غير الطلبيّة لقلّة الأغراض المتعلّقة بها، ولأنّ معظمها أخبار نُقلت من معانيها الأصليّة، أمّا الإنشاء الذي يعتنون به: "فهو الطلبي لما فيه من تفنُّن في القول، لخروجه عن أغراضه الحقيقيّة إلى أغراضٍ مجازيةٍ تُفهم من سياق الكلام".⁶

ولهذا كلّهُ أُخرج الإنشاء غير الطلبي عند القدماء من جملة الإنشاء الطلبي، لأنّه لا يستدعي مطلوباً بعد النطق به، (كالشرط، والقسم، والتعجب، والمدح والذم، وصيغ العقود)..، ويمكن أن نلخص ما سبق في جملة نقاط أساسية هي:

- 1- نظر البلاغيون إلى الإنشاء من خلال التعريف، فوجدوه على ضربين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي.
- 2- الإنشاء الطلبي هو ما يستلزم مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب، فتأخّر وجودُ معناه عن وجود لفظه (أي التلفظ يسبق الامتثال له)، أمّا الإنشاء غير الطلبي فهو ما لا يستلزم مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب وهو بذلك يتحقّق وجودُ معناه في الوقت الذي يتمُّ النطقُ به. (يتحقّق مدلوله في وقت التلفظ به).
- 3- يمتاز الإنشاء الطلبي عن غيره بخروجه إلى معانٍ جانبية (مجازية) تُفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال كخروج الاستفهام مثلاً عن معناه الأصلي (الاستخبار والسؤال) ليفيد عدداً من المعاني المختلفة في مقامات متباينة يقصدها المتكلم: كالإنكار، والالتماس، والتقرير، وغيرها.....

1- محمد عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 13.
2- محمد سعيد اسير، بلال الجنيدى، الشامل في علوم اللغة، دار العودة بيروت، ط2/1975، ص: 577/578.
3- محمد عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 13.
4- الهاشمي أحمد، جواهر البلاغة، ص: 84-.
5- عتيق عبد العزيز، علم المعاني والبيان و البديع، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1970، ص: 66/67.
6- الهاشمي أحمد، جواهر البلاغة، ص: 75.

4- يهتمّ البلاغيون بالبحث في القسم الأول (الإنشاء الطلبي) لأنّ فيه من المزايا واللّطائف ما ليس في القسم الثاني (الإنشاء غير الطلبي)، لأنّ الكثير من الإنشاءات غير الطلبيّة أخبارٌ في الأصل نقلت إلى الإنشاء. من أهمّ الأساليب الإنشائية التي اهتم بها البلاغيون: الأمر، النهي، الاستفهام، النداء.

2: أنماط الجملة الطلبيّة:

إذا كان البلاغيون قد أخرجوا الإنشاء غير الطلبي من الإنشاء وأساليبه، فالأجدر بالباحث أن يقف عند جماليات الأسلوب الإنشائي الطلبي سعيًا منه لتحديد أنماط الجملة الطلبيّة في الدرس اللغوي بدءًا من الاستفهام، ثمّ النداء، ثمّ الأمر، فالنهي ...

2-1: أسلوب الاستفهام:

جاء في معاجم اللغة العربية كما في "اللسان": مادة (ف.ه.م) أنّ الفهم هو: "معرفةُ الشيء بالقلب وفهْمُهُ فهِمًا وفهامةٌ: علمُهُ، وفهْمْتُ الشيءَ: عَقَلْتُهُ وعَرَفْتُهُ، وأفهَمْتُهُ الأمرَ وفهَمَهُ إياه، جَعَلَهُ يَفْهَمُهُ، واستفهمه: سأَلُهُ أَنْ يُفْهَمَهُ، وقد استفهمني الشيءُ فأفْهَمْتُهُ وفهَمْتُهُ تفهيمًا".¹

أما اصطلاحًا: "فهو طلب ما ليس عند المستخبر"²، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل. يُعد أسلوب الاستفهام أحد أساليب الإنشاء الطلبي في الجملة العربية، سواءً كان لهدفٍ محدّدٍ ومباشر، أم كان لتصوّرٍ إجماليٍّ جماليٍّ غير مباشر عند المتكلم، فالاستفهام "قد لا يبحث فيه المتكلم عن إجابة محدّدة وإنّما يهدف إلى تصوّر ما يتحدّث عنه، فيخرجه عن حقيقته إلى مقاصد شتى، ويكون بواسطة أدوات تُسمّى بأدوات الاستفهام، تستعمل في أقسامه...".³

و"قد درس أغلب النحاة الاستفهام موزعًا على أبواب النحو المختلفة"⁴، إذ لا مرأى في أنّ أسلوب الاستفهام "أسلوبٌ لغوي - قبل كلّ شيء - وأساسه طلبُ الفهم، والفهم صورة ذهنيّة تتعلّق بشخصٍ ما، أو بنسبة، أو بحكمٍ من الأحكام على جهة اليقين أو الظن"⁵، وله قسمان: حقيقيٌّ ومجازيٌّ.

01- القسم الأول: الاستفهام الحقيقي :

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة: فهم ..

² - ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، ص: 186.

³ - حسن جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء، ص: 136.

⁴ - قطبي الطاهر، بحوث في اللغة (الاستفهام النحوي) د م ج، بن عكنون، الجزائر، 1994، ص: 03

⁵ - حسن جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء، ص: 136.

هو طلب العلم بالشيء اسماً أو حقيقةً أو صفةً أو عددًا لم يكن معلوماً من قبل، أو هو الاستخبار الذي قيل فيه: "طلب خبر ما ليس عند المتكلم، أو هو ما سبق أولاً، ولم يفهم حق الفهم، فطلب فهمه من المخاطب فإذا سُئِلَ عنه ثانياً كان استفهماً"¹، أي أنّ المتكلم "يطلب من المخاطب أن يحصل لديه فهمٌ دقيقٌ عن أمرٍ لم يكن حاصلًا قبل سؤاله عنه"².

ولم يكن الاستفهام ليحظى بالدرس الموحد عند اللغويين إلاّ من خلال الحديث عن أدوات الاستفهام، فلا يكاد يخلو مؤلف نحويّ من جمعٍ لأدوات الاستفهام في باب واحد، يضمُّها جميعاً.³، باعتبارها الدالة على المعنى في الجملة، ظاهرةً كانت أو مقدّرةً.

أ- أدوات الاستفهام: أدوات الاستفهام هي أدوات تلخص معنى الاستفهام الذي تدخل من أجله على الجملة، بدليل أنّ الجملة الاستفهامية قد تُحذف، وتبقى الأداة دالةً عليها، كقولنا: "عم، لم، متى...." مُكتفين بذكر الأداة عن إعادة الكلام، و"لا تستغني جملة الاستفهام في العربية عن الأداة إلاّ أن تحذف الأداة وتدلّ عليها قرينة، بخلاف لغاتٍ أخرى..."⁴، والأدوات في الاستفهام قسمان:

**أدوات الاستفهام عن النسبة: هما "الهمزة" و"هل"، شرط أن تكون الجملة معهما في نظامهما المؤلف دون تقديم أو تأخير لأحد أجزاءها"⁵، وهما "حرفان"، أما بقية الأدوات فهي "أسماء وظروف": "من، ما، كم، أين، متى، وأي، وكيف، وأيان... ومنه قوله تعالى: "أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ" الذاريات (12)، وقوله: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ" الرحمن 60، و"تخرج أدوات الاستفهام عن أصل وضعها، فيستفهمُ بما عن الشيء مع العلم به، لمعانٍ أخرى تُستفاد من سياق الحديث، وبوجود قرائن تصرفها عن إرادة الاستفهام الحقيقي، ومن هذه الأغراض: "التعجب، والنهي، والوعيد، والاستبطاء، وغيرها..."، و"الأدوات فيها ما يختص بـ"الأسماء"، ومنها ما يختص بـ"الأفعال"، ومنها ما يدخل على "الأسماء والأفعال" وهي كثيرة في العربية، تُصنّف إلى مجموعات، كلّ مجموعة تشترك في دلالةٍ عامّة، وتدلّ على معنى خاص، من هذه المجموعات قسمٌ تجمع بين أدواته دلالة الاستفهام..."⁶.

¹ - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص: 181.

² - حسن جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء ص: 136.

³ - قطبي الطاهر، بحوث في اللغة، ص: 03.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 06.

⁵ - المرجع نفسه، ص: 07.

⁶ - المرجع السابق، ص: 08.

ب- حروف الاستفهام:

****الهمزة:** همزة الاستفهام حرفٌ من حروفِ المعاني، تدخل على الأسماء والأفعال وهي أمُّ بابِ الاستفهام ولها صدر الكلام كما لغيرها من أدوات الاستفهام، يُستفهم بها عن النسبة، مثل "هل" (التصديق)، كما يُستفهم بها عن المفرد (التصور)¹، وقد خُصَّت الهمزة بأمورٍ وخصائصٍ لم تُعرف بها بقية الأدوات وهي:

- تحذف، سواء تقدمت على "أم" أو لم تتقدمها، ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

فو الله ما أدري وإن كنتُ دارياً * * * بسبعٍ رمين الحَجَرَ أم بَثْمَانِ؟

أراد الشاعر: أسبع؟، ولم يتقدم "أم" في قول الكميت الأسيدي

طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ * * * ولا لعباً مني وذو الشيبِ يلعبُ؟

ويقصد: أو ذو الشيب يلعب؟، استفهام على الإنكار الابطالي، أي: "لا يلعب ذو الشيب"، و تدخل الهمزة على الإثبات كما تدخل على النفي، نحو قوله تعالى: "ألَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ" الشرح 1.

- من خصائص الهمزة أنّ لها الصدارة أبداً، وذلك بتقدمها على حروف العطف والاستئناف، نحو: "أفلاً تَعْفُونَ؟" البقرة 44، "أولم يسيروا في الأرض" الروم 09، ونحو: "أئنم إذا ما وقع آمنتم به" يونس 05، إذ كان في الأصل تقدم حرف العطف على الهمزة، لأنها من الجملة المعطوفة، لكن راعوا الصدارة في الهمزة لأصالتها في استحقاق التصدير.

- تكون الهمزة للتصديق وللتصور، بينما "هل" للتصديق فقط، وبقية الأدوات للتصور، ومن الشواهد على ذلك قول عدي بن زيد:

أيها الشامتُ المعيرُ بالدهرِ *** أنتَ المبرأُ الموفورُ؟

و"التصديق": هو طلب السؤال عن شيء حدث وقوعه أم لا، فتكون الإجابة "نعم" للإثبات، و"لا" للنفي نحو: (أنجح زيد)؟، وقوله تعالى: "أأنتَ فعلتَ هذا بالهتينا يا إبراهيم" الأنبياء 62. فالتصديق إدراك نسبة الفعل بدقّة، لأنّ المتكلم مُتردّدٌ بين إثبات الشيء ونفيه. أمّا "التصور" هو إدراك المفرد، والاستفسار عن حدوث فعلٍ ما، ويتلو همزة التصوّر المسؤول عنه، وتقترب ب: "أم" المعادلة (المتصلة). وتكون الإجابة عن ذلك بتحديد الفعل، ومن قام به على وجه الدقة، لأنّ الحدث قد وقع، لكنّه لا يعرف كيفيته، نحو قولنا: (أزيد قائم أم عمرو)، وقول الشاعر:

حلم على جنّاتِ الشامِ أم عيدٌ * * * لا لهم همٌّ ولا التّسهيّدُ تسهيّدٌ¹

¹ - قطي الطاهر. بحوث في اللغة ص: 08

****هل:** وهو حرف وضع لطلب التصديق الإيجابي دون التصور، ودون التصديق السلبي، كما تختص بالاستقبال غالباً، لا تدخل على الشرط، ولا على "إن" ولا على "اسم بعده فعل الاختيار"، وتقع بعد العاطف لا قبله، وبعد "أم" كقوله تعالى: " هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ " الرعد 16، وقد يُراد بها النفي، فتدخل على الخبر " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ " الرحمن 60، وتأتي بمعنى قد: " هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ " الإنسان 2.01.

وما تقدم كله يدخل في الاستفهام المجازي ل: "هل"، ولا يحتاج إلى إجابة، بينما الاستفهام الحقيقي الذي وضع للتصديق يحتاج إلى إجابة، وفيه تسمى "هل" (بسيطة)، لأنه يُستفهم بها عن وجود شيء في نفسه والجواب يكون "نعم" للإثبات، و"لا" للنفي. وبذلك لا يجوز أن يستعمل معها أم "المعادلة"، وإذا استعملت تكون بمعنى "بل"، كقولنا: "هل نجح زيد أم عمرو؟"، فالسؤال عن عمرو لا عن زيد، فكان السؤال: "بل نجح عمرو"، قال تعالى: " أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ " الطور 39، أي: بل "أله البنات" ...³.

ج- أسماء الاستفهام:

أسماء الاستفهام إما "مبنية أو مُعرّبة"، وتستعمل للتصوّر فقط"، ويُحدد فعلُ التصور ويُوضّح بالإجابة حين يُعيّن المسؤول عنه، و "المبنية سبعة أسماء"، و "المعرّبة اسم واحد"، وهي:

****مَنْ:** اسم يستعمل للعاقل غالباً، ويستفسر به عن الجنس (العاقل)، كقوله تعالى: " مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ " يس 78، وقولنا: من سافر اليوم؟، ومن فتح إفريقيا؟، وقول حافظ إبراهيم:

مَنْ الْمُدَاوِي إِذَا مَا عَلَّةٌ عَرَضَتْ؟ * * * مَنْ الْمُدَافِعُ عَنِ عَرَضٍ وَعَنْ نَشَبٍ؟

وقد توصل "من" ب "إذا" وعندها تعامل ككتلة واحدة، أما اعتبار "من" استفهامية و "ذا" موصولة أو زائدة فقد اختلف اللغويون في ذلك، فمنهم من رأى زيادتها، ومنهم من رأى: "إنها موصولة".

****ما:** تستعمل لغير العاقل، ويُطلب بها السؤال عن معرفة حقيقة الشيء المستفهم عنه أو شرحه، فمن معرفة الحقيقة قولنا: "ما العسجد؟"، ومن معرفة شرح حاله أو صفته، قوله تعالى: " قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ... ما هي؟ البقرة 69/68⁴، ويجب حذف "ألف ما" الاستفهامية إذا جُرّت، وتبقى الفتحة دليلاً عليها

¹ - حسن جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء ، ص: 137 - 138

² - المرجع نفسه، ص: 139.

³ - المرجع نفسه، ص: 139.

⁴ - حسن جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء ، ص: 140.

وذلك نحو: "إلام؟"، "فيم؟"، "بم؟"، حيث يقول (سيبويه): "وأما قولهم: علامه، فيمه، وليمه، فلهاء في هذه الحروف أجود عند التوقف، لأنك حذف الألف من "ما"، فصار آخره كآخر: ازمه أغزه...".¹

****كم:** يأتي هذا الاسم للاستفهام وغيره، فهو عند (ابن هشام) على وجهين، "استفهامية بمعنى أي عدد؟ وخبرية بمعنى كثير...".²، ووجه الخلاف بينهما أن:

- الخبرية: تحتل التصديق والتكذيب، وذلك بخلاف الاستفهامية.
- لا يقتضي المتكلم في "الخبرية" جوابا، أما المتكلم بـ"الاستفهامية" فيقتضي جوابا، لأنها قائمة على الحوار بين السامع والمتكلم.

- تمييز "كم" الخبرية مفرد، أو مجموع، نحو: "كم قلم اشتريت"، و"كم أقلام اشتريت"، ولا يكون تمييز "الاستفهامية" إلا مفردا، وهي من أهم نقاط الفرق بين الخبرية والاستفهامية.

- تمييز "الخبرية" واجب الخفض (الجر)، وتمييز "الاستفهامية" منصوب.³

****كيف:** اسم استفهام يُستعمل للسؤال عن الحال، سواء وقع اسما صريحا يُخبر به، كقولنا: "كيف أنت؟"، و"كيف كنت؟"، أو وقع فضلة كقولنا: "كيف جاء زيد؟"، ومنه قوله تعالى: "فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ" النساء 41، وقول الفرزدق:

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة * * * وبالشام أخرى كيف يلتقيان؟

- قد تستعمل "كيف" في معنى الشرط، أو في أسلوب الشرط، فتقتضي فعلين مُتَّفَقِي اللَّفْظ والمعنى، غير

مجزومين نحو: "كيف تصنع اصنع"، ولا يجوز: "كيف تجلس أذهب".⁴

- وقد تقع "خبرا" قبل ما لا يُستغني: نحو: "كيف أنت"، و"كيف كنت"، "كيف ظننت زيدا". و"كيف أعلمته فرسك" لأن ثاني مفعولي ظن، وثالث مفعولان "أعلم" "خبران" في الأصل، و"حالا" قبل ما يستغني نحو: "كيف جاء زيد؟" أي "على أي حال جاء زيد؟"

****أين:** تُعدّ إحدى ظروف الاستفهام، والتي يُسأل بها عن مكان الحدث، نحو قوله تعالى: "يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ؟" القيامة 10، وفيها يقول (سيبويه): "أين يستفهم بها عن المكان"¹، وهو القول الذي أثبتته

1 - سيبويه أبو بشر، الكتاب، تح؛ محمد عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط1/1988، ج4، ص:164

2 - ابن هشام: مغني اللبيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المكتبة العصرية، صيدا، 2007، ج1 ص: 207.

3 - المرجع نفسه، ص: 209/208.

4 - المرجع السابق، ص: 230.

(أبو القاسم الزجاجي) حيث قال: "تكون استفهاما، كقولك: "أين أخوك"، "أين زيد"،² وتكون بمنزلة "حيث" كقولك: "أين أنزل؟" "أين أبيت".³

****أنى:** ظرف يُسأل به عن المكان أيضا، وكما ذكر (الزجاجي) أنه يجوز "أن يستفهم بها عن المكان والحال، فتأتي بمعنى "كيف وأين"، وقد يُجازى بها ويكون بمعنى "من أين"⁴. ومنه قوله تعالى: "يا مَرْيَمُ أَنْتِ لَكِ هَذَا" آل عمران 37، وقولنا: أتى تذهب؟ بمعنى "متى"، ومنه "أَنْتِ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا" البقرة 259 بمعنى "كيف".

****متى:** المشهور فيها أنها ظرف استفهام وشرط، والاستفهام فيها لتعيين الزمن ماضيا أو مستقبلا كقولنا: "متى سافر أحمد؟" "متى يعود؟"، وقال حافظ إبراهيم:

متى نراه وقد باتت خزائنه * * * كنزا من العلم لا كنزا من الذهب؟

ومن جهة أخرى ترد "متى" وتستعمل للشرط، كما في البيت الذي أورده (ابن هشام) في قول الشاعر:⁵

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا * * * متى أضع العمامة تعرفوني

****أيان:** ظرف بمعنى "الحين"، يطلب به تعيين زمان المستقبل فقط، كقولنا: "أيان تسافر؟" أي: في أيّ

وقت؟، وذكر (سيبويه) في "كتابه" أن: "أيان، ومتى، يستفهم بهما عن زمان المستقبل، ويبقى الفرق بينهما أن "متى" يستفهم بها عن الماضي والمستقبل، و"أيان" يستفهم بها عن المستقبل فقط، فقال: "أيان ك: متى".⁶

أما القسم الثاني من أسماء الاستفهام فهي الأسماء المعربة وهي اسم واحد، هو: "أي" يستعمل "بالتشديد" نحو قوله تعالى: "أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إيمَانًا" التوبة 124، وقد تُستعمل مخففة كقول الفرزدق:

تَنْظَرْتُ نَصْرًا وَالسَّمَائِينَ أَيُّهُمَا * * * عَلِيٍّ مِنَ الْغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهُ.⁷

وقد تُسبق بحرف جرٍّ، كما في قوله تعالى: "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" الرحمن 13، هذا من جهة "بنية الكلمة"، وفي الاستعمال يُستعمل بمعنى "أسماء الاستفهام المبنية" كلها تبعا لإضافتها إلى ما بعدها، بالإضافة

1- سيبويه، الكتاب، ج 1، ص: 220.

2- الزجاجي أبو القاسم، حروف المعاني، تحقيق: علي الحمد. مؤسسة الرسالة 1984، ص: 34

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه، ص: 61-

5- ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 366.

6- سيبويه، الكتاب، ج 04، ص: 232

7- حسن جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء، ص: 142

توضح في أيّ من معاني الاستفهام تُستعمل، كقولنا: "أيُّ الطلاب عندك؟" كأننا نسأل: "من من الطلاب عندك؟"، وقولنا: "أيّ يوم تسافر؟"، فكأننا نسأل: "متى تسافر؟"، وقوله تعالى: " أَيْكُم يَأْتِينِي بِعِزِّهَا " النمل 38، أي: "من منكم؟" ، ف"أيّ" الاستفهامية، تضاف إلى المعرفة، وإلى النكرة، وقد تُقطع عن الإضافة نحو: أيّ جاء؟ أيّا أكرمت؟¹.

2 - القسم الثاني: الاستفهام المجازي:

مع أنّ الاستفهام في الأصل طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، "فقد يخرج الاستفهام إلى غير ما وُضع له، ويكون ذلك من خلال الأداة التي تصدره، حين تخرج عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى على سبيل المجاز، وثُفهم من خلال سياق الكلام وقرائن الأحوال، ليؤدّي الاستفهام ظاهرة جمالية وبلاغية، لا تعرف في الأسلوب الحقيقي الذي يسأل به المتكلم عن شيء معروف ومشهور، أو عن معنى يُفهم من السياق، ويتوجه فيه المتكلم إلى نفسه قبل أن يتوجه به إلى الآخرين"². ومن هذه المعاني: "النفى، التعجب التقرير، التوبيخ، التعظيم، التحقير". وهذه المعاني كثيرة ومطروحة بشكل أوسع في كتب البلاغة. يحاول الباحث تطبيقها في الجزء التطبيقي من خلال أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2/ أسلوب النداء:

1- النداء في أصل اللغة: "الصوت"، وهو المشتق من الندى، وهو: بُعد الصوت، والنداء، النداء: الصوت، وقد ناداه ونادى به، وناداه مُناداةً ونداءً: أي صاح به. والنداء ممدود: الدعاء، بأرفع الأصوات وتنادوا: أي نادوا بعضهم بعضا، ورجل نديّ الصوت: أي بعيدُه³، والنداء بكسر النون أفصح، قال تعالى: " وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً " البقرة 171 ،

أما اصطلاحا فهو: طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص⁴، أو " هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب "أدعو" ملفوظ به أو مُقدّر، والمراد ب"الإقبال" ما يشمل الإقبال الحقيقي والمجازي، المقصود به الإجابة كما

¹ - المرجع نفسه ، ص: 142

² - المرجع نفسه ، ص: 143.

³ - ابن منظور. لسان العرب. مادة ندي

⁴ - الزركشي برهان الدين، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط. 2/ 1972 ج 2 ، ص : 133-

في نحو: "ياالله" ¹، ونجده عند (سيبويه) الذي يقول عنه: "اعلم أنّ النداء كلّ اسمٍ مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، و"المفرد رُفِعَ" وهو في موضع اسم منصوب...².

وفي اصطلاح **البلاغيين**: "هو طلب الإقبال حسا أو معنى بحرف نائب مناب أَدْعُو" أو هو طلب إقبال المدعو على الدّاعي بأحد حروف مخصوصة تقوم مقام فعل النداء"³.

ومنه نخلص إلى أنّ تعريف النداء بين النحويين والبلاغيين كانت تابعة لمنطلقاتهم النظرية، من نظرية وظيفية إلى نظرية إعرابية، فعُرف النداء انطلاقا من موقعه الإعرابي كما هو عند (سيبويه)، إلا أنّ التعاريف جميعها متّفقة على معنى الدعوة، والطلب، والإقبال والاستحضار، مع إشارة هذه التعاريف إلى حذف الفعل وإنابة حرف النداء منابه.

2: أدوات النداء:

كما كان الاتفاق حاصلًا بين البلاغيين في تعريف النداء، اتّفقوا أيضا على أدواته، وكيفية استعمالها في الخطاب الندائي، وهي عندهم ثماني أوات: (أ، أي، آ، يا، هيا، أيا، وا، آي) ، فتوزيع الصوت الكافي في هذه الأدوات صالح في طبعه لتقسيمها إلى قسمين: **نداء القريب**: وخصّوه ب"الهمزة وأي" (أ، أي)، وباقي

الأدوات **لنداء البعيد**، وقد أشار (سيبويه) إلى استعمال حروف النداء للقريب مرة، وللبعيد مرة أخرى.⁴

****الهمزة**: حرف نداء يستعمل لنداء القريب المصغى إليك، الذي لا يحتاج إلى مدّ الصوت في ندائه كما في قول امرئ القيس:

أ فاطمُ مهلاً بعضَ هذا التَّدَلُّلِ * * * وإن كنتِ قد أزمعتِ صرّمي فأجملِي.

****يا**: وهي أصل النداء، وأهمّ أدواته، وأكثرها استخداما، وهذا يعني أنها تستعمل لنداء القريب والبعيد وفي الاستغاثة و الندبة لامتداد الصوت ورفعها بهما⁵. و ذهبت طائفة من النّحاة إلى أنّ الأصل في الأداة "يا" أن

1 - الصبان محمد بن علي ، حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية بن مالك ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ج3 ص:133.

2 - سيبويه، الكتاب، ج2، ص: 182

3- حسن جمعة..جمالية الخبر و الإنشاء ، ص: 181

4- حسن جمعة..جمالية الخبر و الإنشاء ، ص: 181

5- حسن جمعة ، جمالية الخبر و الإنشاء ص: 181:

تُستعمل في نداء البعيد حقيقة أو حُكما، وأنّ استعمالها في نداء القريب الفطن إنما هو من المجاز الذي يراد به التأكيد، وهي أكثر أدوات النداء استعمالا في القرآن الكريم.¹

ويقول (ابن يعيش) في سبب استعمالها لنداء "البعيد والقريب"، لأنّها تنتهي بالألف الذي يساعد على تنبيه المدّ في الصوت، فيقول: "... وإنما كان ذلك من قبل أنّ البعيدَ والمتراخي والنائمَ والمستثقلَ والساهي يُقتصر في دعائهم إلى رفع الصوت ، وهذه الأحرف الثلاثة التي هي: (يا)، (أيا)، (هيا)، أو اخرهن ألفات، والألف ملازمة للمدّ، فاستعملت في دعائهم لإمكان امتداد الصوت و رفعه بها.² وقد يُنادى بها القريب توكيدا كما في قول امرئ القيس:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَيْطُ بِنَا مَعًا * * * عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ.

**** أيا و هيا :** حرفان للنداء، يستعملان للمنادى البعيد، مسافة أو حكما، وقد أجمع النحاة على أنّهما موضوعتان لمدّ الصّوت في نداء البعيد، وإذا أُريد نداءُ المخاطب الأبعد استعمل له (هيا)، وللاّبعد منه يُستعمل الأداة "أيا"، والسبب في هذا "أنّ الاهتزاز الصوتي في (الهاء مع يا). أقل منه مع (الهمزة مع يا).³

**** الهمزة آ:** حرف لنداء البعيد، وهو مسموع، لم يذكره (سيبويه) وإنما ذكره غيره من النحاة.⁴

**** أي:** بالفتح والسكون، ذهب (سيبويه) إلى أنّها لنداء البعيد والقريب، وقال (ابن هشام) أنّها حروف

لنداء البعيد أو القريب أو المتوسط. على خلاف في ذلك، قال الشاعر:⁵

أَلَمْ تَسْمَعِي أَيَّ عَبْدٍ فِي رَوْثِ الضُّحَى * * * بُكَاءَ حَمَامَاتٍ لَهْنٌ هَدِيرٌ.

وقد تكون حرف تفسير "عندي عسجد أي: ذهب"، "غضنفر أي: أسد".⁶

**** وا:** أداة تستعمل في الندبة ، ولا تستعمل في غيرها لمن نُدب، وهو المتفجع عليه أو المتوجع منه، نحو "واولداه" و "وا رأساه"، وفيها يقول (سيبويه): "والندبة يلزمها (يا) و (وا) لأنّهم يخلطون ويدعون ما قد فات وبعُد عنهم، مع ذلك أنّ الندبة كأثّم يترنّمون فيها، فمن ثمّ ألزموها المدّ، وألحقوا آخر الاسم المدّ مبالغة في

1 - الزمخشري جار الله أبو القاسم، الكشاف في حقائق التنزيل ، مطبعة البوق، مصر 1281/ هـ ، ج 1، ص 224:

2 - ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د، ط، ج 8/ص: 118

3- حسن جمعة ،جمالية الخبر و الإنشاء، ص 185

4 - ابن هشام ، مغني اللبيب ، ص: 27

5- المرجع السابق ، ص: 90 .

6- المرجع نفسه ، ص: 90.

الترّم¹. وقد لا يكتفون بما فيها من مدّ، فتلحق الألف آخر الاسم المندوب زيادة في المدّ، وقد جمعها (ابن مالك)² في قوله:

وللمنادى الناء أو كالتاء "يا" * * * و"أي" و"أ"، كذا "أيا" ثم "هيا".

و"الهمزة للداني و"وا" لمن ندب * * * أو "يا" وغير "وا" لدى اللبس اجتنب.

ومن الجدير ذكره أنّ أدوات النداء قد تُحذف في حالات ويُمنع حذفها أحيانا³. وقد يخرج النداء إلى معاني أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني: "التحسر، التوجع، الاختصاص، الندية الزجر... وغيرها من المعاني التي نصّ على بيانها البلاغيون..

3- أحكام المنادى: معلوم أنّ المنادى هو المطلوب إقباله، سواء أكان بعيدا أم قريبا، والمنادى في العربية ليس واحدا، وإنما يأتي على أشكال هي:

أ- **المنادى المفرد:** وهو إما أن يكون "معرفة" (علما أو مُعرّفا ب"ال")، أو "نكرة مقصودة" أو "نكرة غير ومقصودة".

* **المنادى المفرد العلم:** والمقصود به ألا يكون "مضافا" ولا "شبيها بالمضاف"، فإن كان "مفردا معرفة" بُني على ما يُرفع به، كما في قوله تعالى: "يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً" مريم 27. مبنية على الضم في محل نصب على النداء، وفي ذلك يقول (ابن مالك):

وابن "المُعرّف" المنادى "المفرد" * * * على الذي في رفعه قد عُهدا⁴.

* **المنادى النكرة المقصودة:** ويقصد بالنكرة المقصودة أن نقصد إنسانا أو شيئا معيناً في النداء، وتناديه بصيغة النكرة، كأن ينادي أحداً على رجل: يا "رجلُ أقبَل"، فتُبنى النكرة المقصودة على الضم كـ"العلم المفرد" لأنّها معرفة بالمعنى، ونكرة في اللفظ.

¹ - سيويه، الكتاب، ج 2 / ص: 231

² - ابن مالك محمد بن عبد الله الأندلسي، ألفية بن مالك، المكتبة الشعبية بيروت، 2011 ص: 38.

³ - ابن عقيل بماء الدين. شرح بن عقيل على ألفية بن مالك. دار إحياء التراث القاهرة ط02. 1980 ج2، ص: 255

⁴ - ابن مالك، ألفية بن مالك، ص: 39.

* **المنادى النكرة غير المقصودة:** هو اسم نكرة غير مُعَيَّن، كقولنا: "يا غافلاً والموتُ يطلبك"، و"يا سارقاً والله يراقبك"، فلا نعني إنساناً بعينه، بل أنّ الكلام عامٌّ لا يُقصد به شخصٌ معيَّنٌ، حتى وإن كان وقع خلاف بين النحويين لأنّ "نداء غير المعَيَّن غير جائز"، أمّا (ابن مالك) فأقرّ بوجوب نصبه في قوله:

والمفرد المنكور. و المضافا * * * انصب ، عادما خلافا.¹

ب- **المنادى المضاف:** فيه يكون المنادى مضافا، سواء الإضافة "محضة" كقولنا: يا "أمير المؤمنين"، أو إضافة "غير محضة" كإضافة الصفة لمعمولها كقولنا: "يا "حسن الوجه"، وفيه يكون المنادى واجب النصب...².

ج- **المنادى الشبيه بالمضاف:** والمراد به: "كلّ منادى جاء بعده معمول يُتَمَّ معناه، سواء كان هذا المعمول "مرفوعا بالمنادى": (يا كريماً خلقه)، أو "منصوبا به" نحو (يا طالعا الجبل)، والحكم: هو وجوب النصب بالفتحة لأن المنادى في باب المضاف".³

يتّضح لنا ممّا سبق أنّ النداء الحقيقي (القريب أو البعيد) إنّما هو طلب إقبال المخاطب لما وضعت له أدوات النداء على وجهها الأصلي، ... لكنها قد تخرج عن ذلك كلّها فينادى بها القريب أو المتوسط أو البعيد الأبعد لأمرٍ بلاغيٍّ مجازيٍّ، وبهذا لا يتوقّف أسلوب النداء عند الحدود التعريفية التي اشتمل عليها من قبل، فهناك توظيف متنوّع يحوّل التركيب اللّغوي التّحوي والدّلالي عن بنيته المباشرة تحويلات إيجائية تُستوحى من السياق والقرائن الدّالة عليه، ومن معانيها: "الإغراء الاستغاثية"، "الندبة"، "التعجب الاختصاص"، "والتحسر"....⁴

3/2- أسلوب الأمر: إنّ معنى الأمر في اللغة معروف، و"هو نقيض النهي، لأنّ الأمر طلب لإيقاع الفعل، والنهي طلب ترك إيقاعه"⁵، وجاء في (لسان العرب): "إنّ الأمر في اللغة هو نقيض النهي، و"الأمر" لغة مفرد لكلمة الأمور، يقال: أمرٌ فلانٌ مُستقيماً، والأمر مستقيمة، والأمر: الحادثة".⁶

أمّا التعريف الاصطلاحي عند النحويين: "فهو طلب إيجاد الفعل، أو قول القائل لمن دونه: (افعل)"⁷، بينما عرّفه (السكاكي): "بأنّه طلب فعلٍ على وجه الاستعلاء والإلزام"¹، و"هو لازم الاستقبال، لأنه يطلب به ما لم

¹ - المرجع السابق، ص، ن.

² - عباس حسن. النحو الوافي، دار المعارف، بمصر، ط3، د، ت، ج4، ص: 31

³ - المرجع نفسه ج 4، ص: 32/

⁴ - حسن جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء، ص: 191

⁵ - الأوسي قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين، ص: 82

⁶ - ابن منظور، لسان العرب، مادة: أمر .

⁷ - الأوسي قيس إسماعيل. أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين، ص: 82-

يكن حاصلًا، ويراد حصوله".²، أمّا "البلاغيون" فقد وضعوا حدًا للأمر بأثّه: "صيغة تستدعي أو قول يُنبي عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء، فقولنا: "صيغة تستدعي" أو "قول يُنبي"، ولم نقل: "افعل" و"لتفعل" كما يقول المتكلمون والأصوليون لتدخل جميع الأقوال الدالة على استدعاء الفعل نحو قولنا: (نزال)، (صه)، فإنّهما دالان على الاستدعاء من غير صيغة افعل...."³.

و(سيبويه) في "كتابه" قد أفرد بابا خاصا للأمر والنهي بعنوان: "باب الأمر والنهي" أحاط فيه بأدقّ الأمور المتعلقة بأسلوب الأمر، موضحا أنّ الأمر سياق فعلي لا يكون إلا بفعل، ذاكرا صيغته المختلفة وتراكيبه المتنوعة، مُستفرداً الشواهد من القرآن الكريم، وفصيح كلام العرب، متحدثا عن خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى.⁴

2- صيغ الأمر:

لأسلوب الأمر صيغٌ تؤدي معناه، وتفضي إليه، سواء كانت تلك الصيغ حقيقة أم مجازية، وهي: الأمر بصيغة (افعل)، الأمر بصيغة (ليفعل)، الأمر بصيغة (أسماء الأفعال)، الأمر بصيغة (المصدر النائب عن فعل).
أ- الأمر بصيغة (افعل): يُسمّى التّحاهُ صيغة (افعل) فعل الأمر، وعلامته التي يُعرف بها عندهم مركبة من مجموع أشياء، وهي: دلالته على الطلب، وقبوله ياء المخاطبة، ونون التوكيد.⁵

والمراد بصيغة (افعل): "هو كل لفظ يشتق على غرار "افعل" للدلالة على طلب الحدث الذي تشتق منه هذه الصيغة، فيشمل غير الثلاثي مثل كلمة "استقم" فإنّها على وزن (استفل)، ومنه كلمة (انتظر) فإنّها مصوغة على غرار (افعل)، ولكنها على وزن (افتعل)، ومثل كلمة (أقم) فإنّها ليست على وزن (افعل)، ولكنها على غرارها في الاشتقاق"، ومنه قوله تعالى: "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ" مريم 12، وقوله: "فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ"، "وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَاأُحْدُوا بِأَحْسَنِهَا" الأعراف 145، وقوله: " وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ " البقرة 43، وقوله: "يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ" آل عمران 43، وكذا منه قول "مروان بن الحكم" مخاطبا "الفرزدق":

"وَدَعِ الْمَدِينَةَ إِثْمًا مَرهُوبَةً * * * و"اعمد" ملكة أو لبيت المقدس.

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم. ص: 318

² السيوطي جلال الدين، همع الهوامع، تح: عبد العالي سالم و عبد السلام هارون. دار البحوث العلمية الكويت 1/ ص: 16

³ - الأوسي قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين، ص: 83

⁴ - المرجع نفسه، ص: 84/83

⁵ - الأوسي قيس إسماعيل. أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين ص: 113

"القي" الصحيفة يا فرزدق إثمًا * * * نكراء مثل صحيفة المتلمس .

ب- المضارع المقرون بلام الأمر: هذه اللام تستعمل في أمر الغائب، ولام الأمر يطلب بها الفعل المضارع الدالة عليه، فتدخل على الفعل لتؤذن أنه مطلوب للمتكلم، "ولام الأمر هو لام يطلب به الفعل"¹، والأصل فيها أن تستعمل في الأمر عند انتفاء الخطاب، لأنّ أمر غير المخاطب لا يكون إلا بإدخال "اللام"، وصيغة "ليفعل" في أمر غير المخاطب بمنزلة (افعل) في أمر المخاطب² ومنه قال تعالى: "لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ" الطلاق 07، ودخول هذه اللام يكثر في الفعل الغائب، وأنّ دخوله على فعل المتكلم قليل، ولم تدخل على الفعل المتكلم إلا في آية واحدة من القرآن، في قوله تعالى: "وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ" العنكبوت 12.³

وهذه "اللام" من الأدوات العاملة الجازمة للفعل عند النحاة، ف(سيبويه) يقول في باب: "ما يعمل في الأفعال فيجزمها" وذلك: "لم"، "لما"، و"اللام" التي في الأمر، وذلك قولك: (ليفعل)، و"لا" في النهي، وذلك قولك (لا تفعل)، وإنما هي بمنزلة لم،... لأنهم يعدّون الجزم حالة إعرابية يختص بها الفعل المضارع،.. واعلم أنّ حروف الجزم لا تجزم إلا الأفعال، ولا يكون الجزم إلا في هذه الأفعال المضارعة، كما أنّ الجزم لا يكون إلا في الأسماء.، كما يقول (ابن هشام): "... وأما "اللام" العاملة للجزم فهي اللام الموضوعية للطلب،... ولا فرق في اقتضاء "اللام" الطلبية للجزم، بين كون الطلب أمرا نحو "لينفق ذو سعة"، أو "دعاء" نحو: "ليقبض علينا ربك"، أو "التماسا"، كقولك لمن يساويك "ليفعل فلان كذا" وفيها يقول أبو تمام:

كذا فليجَلِّ الحَظْبُ وليفدَح الأمر * * * فليسَ لعينٍ لم يقبض ماؤها عذُرُ.

فالفعل: (ليجَلِّ، ليفدح) مجزومان بلام الأمر.

ج- الأمر بصيغة المصدر النائب عن فعله: هي صيغة الأمر التي يستعمل فيها المصدر منصوبا على الأمر، دالا على حدث غير مُقترن بزمن، مُتضمنا حروف فعله لفظا، نحو قوله تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا " الإسراء 23، فلفظة "إحسانا" نابت عن فعل الأمر (أحسن)، وكذا ناب (صبرا) عن الفعل (اصبر) في قول قطري بن الفجاءة:

فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا * * * فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ.

¹ - الأوسي قيس إسماعيل. أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين ص: 146

² - المرجع نفسه، ص: 146.

³ - المرجع نفسه، ص: 146.

والمصدر هو الاسم الدال على الحدث الجاري على الفعل ك"الضرب" و"الإكرام"، وإنما يعمل بشروط ثمانية.....¹.

وهذا التعريف وفقا لما عرّفه (ابن هشام)، أمّا (سيبويه) فيقول "فإنما جاء تحذيري زيدا"، لأنّ المصدر يتصرف مع الفعل، فيصير "حذرك" في موضع "احذر"²، فظاهر كلام "سيبويه" أن المصدر في هذه الحال قام مقام الفعل في معناه، وهو عامل فيما بعده، ويُسْتعمل المصدر منصوبا على الأمر، نحو قوله تعالى: "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب" محمد "04"³، أصله ف "اضربوا الرقاب ضربا"، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه.⁴، وقد يرد المصدر المستعمل في معنى الأمر مرفوعا، لكنّه دون النصب في الكثرة والجودة، وأورد سيبويه في ذلك مثال قول الشاعر:

يَشْكُو إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى * * * صَبْرَ جَمِيلٍ فَكَيْلًا نَا مُبْتَلَى.

فالنصب أكثر وأجود لأنّه يأمره"⁵، ومنه قوله تعالى: "... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...". يوسف 18. مرفوعان لأنّ (جميل) صفة للصبر، و"لو كان (الصبر) وحده لنصبه، لأنّ المصدر إذا كان وحده ينصب ويؤدي معنى الأمر، وإذا كان موصوفا يُرفع، ولا يؤدي معنى الأمر".⁶

د- الأمر بصيغة أسماء الأفعال:

التعريف الاصطلاحي لأسماء الأفعال هو: "ألفاظ تقوم مقام الأفعال في الدلالة على معناها، وفي عملها"⁷ والذي حمل النحاة على القول بأنّ هذه الكلمات وأمثالها ليست بأفعال صريحة، مع تأديتها معاني الأفعال وعملها أمرٌ لفظيٌّ، وهي أنّ صيغها مخالفة لصيغ الأفعال، وأنّها لا تتصرف تصرّفها، فهي تخالف الأفعال في كونها لا تتصل بها نون التوكيد، وتكون بلفظٍ واحدٍ في "المفرد" "المتنق" "والجمع المؤنث والمذكر"، فلا تتصل بها

¹ ابن هشام ، شرح قطر الندى و بل الصدى / تح:محمد محي الدين عبد الحميد ، دار رحاب الجزائر ، ص:284/285

² سيبويه.الكتاب ، ج1/ ص: 252

³ الأوسي قيس إسماعيل . أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص: 157.

⁴ ابن الأثير.المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر .تحقيق أحمد الحوفي. مصر:1960.ج2/ ص: 301

⁵ - الأوسي قيس إسماعيل . أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين،ص:161

⁶ - المرجع نفسه، ص:162.

⁷ - ابن عقيل .شرح ابن عقيل: ج2/ ص: 237.

الضمائر البارزة ولا يجوزُ فيها تقديمُ معمولاتها عليها، ولا تستعمل إلا مع المخاطب، يضاف إلى ذلك كون بعضها ظرفاً، وبعضها جارٍ ومجرور¹، وقد قسّم النحويون أسماء الأفعال على ثلاثة أزمنة هي:

. اسم فعل ماضٍ: نحو (شنان) بمعنى (افترق)، و(هيئات) بمعنى (بُعُد).

. اسم فعل مضارع: ورد منه (أف) بمعنى (أضجر)، و(وي) بمعنى (أتعجب).

. اسم فعل أمر: وهو الغالب فيها، فورد فيه: (صه) بمعنى (أسكت)، و(مه) بمعنى (أكفف)، (إليك) بمعنى

(ابتعد)، (دونك) بمعنى (خذ)، (أمامك)، (حي) بمعنى (أقبل)، (رويد) بمعنى (أمهل)، (حيهل) بمعنى (استعجل)².

والملاحظ أنّ ما يطلقون عليه (اسم فعل الأمر) يضمُّ أبنيةً مختلفةً، فيها قال (ابن الخشاب) في كتابه:

"المُرْتَجِل"، وفي هذه الكلم المسمى بها الأفعال، أحكام كثيرة من أحكام الأفعال، منها أنّ فيها: "الموضوع"

و"المنقول"، و"المشتق"، كما في الأفعال، فالموضوع: (صه، مه)، والمنقول ك: (عليك، دونك، وإليك) والمشتق ك:

(ترك، نزال)³، أمّا البلاغيون فقد تابعوا النحويين في إطلاق تسمية أسماء الأفعال على هذه الأبنية المختلفة

والمتنوعة كلّها⁴، ويُقسّم اسمُ فعل الأمر إلى ثلاثة أقسام:

***أسماء منقولة**: وهي ألفاظ نُقلت من الجار والمجرور، أو الظرف أو المصدر، وتغيّر بتغيّر الدلالة والإعراب، كقولنا

"عليك نفسك"، بمعنى "ألزمها"، و قول الشاعر:

عليك نفسك هدبها فمن ملكت * * * زمامه النفس عاش الدهر مذموماً

أي "ألزمها"، ومنه قوله تعالى: "يا أيّها الذين آمنوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" المائدة

105، وقولنا: "إليك عني": أي: "تنحّ وابتعد"، ومن أمثلة ما نُقل عن الظرف قولنا: "دونك الكتاب" بمعنى

"خذه"، "مكانك" أي "أُثبت"، ومن أمثلة ما نُقل عن المصدر: قولنا: "رويدك": "تمهل"، "وبله الشر": "أتركه"،

كما ينقل اسم الفعل من كلمات تفيد التنبيه كما في (ها) كقولنا: "ها الكتاب": بمعنى "خذه"⁵.

***أسماء معدولة**: هي أسماء أفعال عُدلت عن فعل الأمر، وما كان فيها على وزن (فَعَال) دالاً على الأمر

ك"نزال" و"حذار"، وفيها يرى الدكتور (مهدي المخزومي): "أنّ صيغة (فَعَال) تأتي عوضاً من صيغة "افعل"

¹ - الأوسي قيس إسماعيل. أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين، ص: 167

² - المرجع نفسه، ص: 169

³ - المرجع نفسه، ص: 170، (وينظر: ابن الخشاب. المرتجل. تحقيق علي حيدر. دمشق: 1972، ص: 251).

⁴ - السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 38

⁵ - حسن جمعة، جماليات الخبر و الإنشاء، ص: 107

فيقول "إن هذا البناء (فعال) طلب ك: (افعل) يدلّ على طلب إحداث فعل فورا، كما يدل عليه (أفعل) وإِنَّهُ يُعَدُّل من صيغة الفعل الساكن الأول الذي تزداد في أوله همزة وصل".¹

* أسماء مرتجلة: وضعت في أصلها كذلك منها: "أمين" بمعنى "أستجب"، "صه" بمعنى: "أسكت"، "بله" بمعنى "دع واترك"، "ايه" بمعنى: "ازدد"، "حيّ" بمعنى: "أقبل".²

وأسلوب الأمر يظل معناه ثابتا كما وضع في الأصل اللغوي، إلا أنّ اللّغة فيه تنزاح إلى صيغ جديدة، فلا يقتضي الإلزام بتنفيذ الطلب المتضمن في الجملة على وجه الإيجاب، وإنّما يُستخرج المعنى من القرائن الدالة في السياق، فيكون الأمر مجازيا لا يشترط منزلة "الاستعلاء" بين المتكلم والمخاطب، أو الأمر والمأمور وبذلك كثرت أغراضه وتعددت بدءا من: (الدعاء، الالتماس، التهديد، الإنذار، التعجيز...)³.

4/2- أسلوب النهي:

يقع النهي بعد الأمر في الطلب ليتفق معه من جهة "الاستعلاء" و"ارتباطه بالمخاطب" و"إرادة المتكلم" الفاعل للمعنى على معنى النهي، فالأمر أو الناهي لا يوجّه الأمر أو النهي إلى نفسه إلا على جهة الجواز، ويختلف عنه بالصيغة، إذ للأمر صيغ أربعة، ويشتمل الأمر على توافر إرادة الأمر، بينما يحتوي النهي على كراهية منهيه.

- جاء في لسان العرب: "النهي خلاف الأمر، نَهَاهُ، يَنْهَاهُ، نَهْيًا، فَانْتَهَى وَتَنَاهَى بِمَعْنَى: كَفَّ"⁴

والنهي لغة: المنع، يقال: "نَهَيْتُ الرَّجُلَ عَنِ الْأَمْرِ، أَنْتَهَاهُ نَهْيًا.."⁵، وقال (الراغب الأصفهاني): "النهي هو الرَّجْزُ عَنِ الشَّيْءِ... قال تعالى: أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى... العلق 10-09، فالنهي إذن "طلب الكفّ عن فعل شيء ما من المخاطب إلى جهة الحقيقة أو الجواز، أو على وجه الاستعلاء والإلزام".

أمّا اصطلاحا: يقول "سيبويه" في كتابه "أنّ النهي نهي الأمر: قال: لا تضرب" نفي لقوله أضرب"⁶، ويقول (ابن السراج): إذا قلت: "قم" إنما تأمره بأن يكون منه قيام، فإذا نهيته فقلت: "لا تقم" فقد أردت منه نفي ذلك، فكما أنّ الأمر يراد به الإيجاب، فكذلك النهي يراد به النفي.."⁷.

1 - المخزومي مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، بيروت، ط1964/01، ص: 206

2 - حسن جمعة، جماليات الخبر و الإنشاء، ص: 107-

3 - المرجع نفسه: ص: 109 إلى 114

4 - ابن منظور - لسان العرب - مادة (نهي)

5 - ابن دريد، جوهرة اللغة، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، د، ط، ج3، ص: 183

6 - سيبويه، الكتاب، ج1/ ص 136

7 - ابن السراج أبو بكر محمد، الأصول في النحو، تح الحسين الفتلي مطبعة النعمان، النجف، 1973، ج2، ص: 163.

كما نجد تعريف "النهي" عند (ابن الشجري) بقوله: "هو المنع من الفعل بقول مخصوص مع علو الرتبة وصيغته: "لا تفعل"، و"لا يفعل فلان".¹، وجاء في التعريفات (للجرجاني): "أنّ النهي: "قول القائل لمن دونه: "لا تفعل"² ، وقد عرّفه (العلوي) في "الطراز": "هو عبارة عن قول يُنبئ عن المنع من الفعل على وجه الاستعلاء كقوله: "لا تفعل"³.

2-صيغة النهي: (لا تفعل) :

وللنهي صيغة واحدة وهو "المضارع المقرون ب"لا الناهية"⁴، نحو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) "النور 27" ، و"لا الناهية": هي التي يطلب بها ترك الفعل، والنحاة يجمعون على أنّ "لا الناهية" تختص بالدخول على الفعل المضارع فتقتضي جزمه، يقول (سيبويه) في باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها... وذلك: "لم، لما، لام الامر... ولا في النهي ، وذلك قوله: "لا تفعل" فإتّما هي بمنزلة "لم"..... ، فيقول (السكاكي): "للنهي حرف واحد هو "لا الجازم في قولك: لا تفعل"⁵.

ويرى الدكتور (قيس الأوسي): "أنّ جزم الفعل المضارع هو ليس عمل "لا" الناهية، لغرض معنويّ وإتّما هو قد التزم فيها كما التزم في صيغة الأمر: "افعل، ليفعل" علامة على التشديد في الطلب..⁶

ولعلّ هذا الرأي فيه تأكيد على ما أُلْمَح إليه النحاة، إذ ذهب (أبو سعيد السيرافي) إلى أنّ: "لام الأمر" إنّما جُزِمَتْ، لأنّ الأمر للمخاطب موقوف الآخر، نحو "اذهب"، فجعل لفظ "المعرب" كلفظ "المبني" لأنّه مثله في المعنى... وحُمِلت "لا" في النهي من حيث كانت ضدا لها...⁷

وقد ذهب أكثر النحويين إلى أنّ "لا" التي تفيد النهي تستعمل مع الفعل المخاطب نحو قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...الممتحنة01، ومن استعمالها مع فعل الغائب، قوله تعالى: "لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ" آل عمران 28، وتأتي قليلة الاستعمال مع المتكلم

1 - ابن الشجري ضياء الدين ، الأمالي الشجرية، دار المعرفة، بيروت د.ط، ج 1، ص: 271.

2 - الجرجاني الشريف علي بن محمد ، التعريفات ، تح: عبد الرحمان عميرة ، عالم الكتب، بيروت ، ط1، 1987 ، ص 1.

3 - العلوي يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن أسرار البلاغة ، وعلوم حقائق الإعجاز ، ص: 284

4 - عتيق عبد العزيز ، في البلاغة العربية، البيان البديع المعاني، دار النهضة العربية ، للطباعة بيروت ص : 79

5 - الأوسي قيس إسماعيل ، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص: 472.

6 - المرجع نفسه، ص: 473.

7 - المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

نحو: لا أرينك هنا¹ وهو مما أقيم منه "السبب مقام المسبب" والتقدير: "أي لا تكن ههنا حتى لا أراك" ومما جاء منه في الشعر قول جرير:

يَاتِيْمٌ، تِيْمٌ عُدِي لَا أبا لَكُمْ *** لَا يَلْقَيْنَكُمْ فِي سَوْأَةِ عُمَر

3- النهي بلفظ الخبر: وقد يرد النهي بلفظ الخبر مجازا، وإذا خرج إليه الخبر فقد يرد الكلام خبرا في اللفظ، وهو إنشاء في المعنى، الغرض منه النهي عن الفعل، وقد ورد في كلام (ابن الشجري) قوله بعد أن ذكر صيغة النهي "لا" الجازمة: "وقد يرد النهي بغير هذه الصيغة وذلك نحو قوله تعالى " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ .. النساء 23 ومنه قوله تعالى " مَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " آل عمران 161 يقول: لا تغلوا"².

ويرى (الزمخشري): أن النهي بلفظ الخبر أبلغ من صريح النهي، حيث يقول في تفسيره لقوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ " البقرة 83 ، قال "لا تعبدون" إخبار في معنى النهي، كما يقول: (تذهب إلى فلان تقول له هذا) "تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنه كأنه سُورِعَ إلى الامتثال والانتهاء، فهو يخبر عنه، وتنصره قراءة عبد الله وأبي "لا تعبدوا"³.

والبلاغيون يعللون الأسباب لاستعمال الخبر في موضع الطلب، ومن هذه الأسباب: حمل المخاطب على المذكور أبلغ حملٍ بالطفٍ وجهه، قال تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ " الآية، في موضع لا تعبدوا، وقوله تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ " البقرة 84 في موضع " لا تَسْفِكُوا"⁴.

4- النهي بأسلوب بعض أفعال الأمر: وقد ترد هذه الأفعال بأسلوب الأمر، ومعناها "طلب الكف عن الفعل والامتناع"، وهذه أفعال أمر، ولكن دلالتها تدل على معنى "النهي" مثل: "اترك، كُف، اجتنب، دع ذر، انته..."). وهذه الأفعال صيغتها كالنهي في "لا تفعل" في المعنى، وفي هذا يقول (الراغب الأصفهاني) في صيغة النهي: وهو "من حيث المعنى لا فرق أن يكون بالقول أو بغيره، وما كان بالقول فلا فرق بين أن يكون بلفظه (افعل)، نحو "اجتنب كذا" أو بلفظة "لا تفعل"⁵، وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

1- ابن هشام الأنصاري، معنى اللبيب، ج1 ص: 246

2- ابن الشجري، الأمالي الشجرية، مرجع سابق ج/4 ص: 271

3- الأوسي قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص: 483

4- المرجع السابق، ص 484.

5- الأصفهاني الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص: 507.

" المائدة 90 ، ففي الآية نهي الله سبحانه وتعالى عن هذه الأعمال لأنها من أعمال الشيطان مستعملا في طلبه فعل الأمر الدال على الامتناع وطلب الكفّ.

5-صيغة النهي بين الحقيقة والمجاز:

اشترط البلاغيون "الاستعلاء" في صيغة الأمر لدلالة الأمر على وجوب الفعل، وكذلك فعلوا مع صيغة النهي "لا تفعل" بغرض تسميتها "نهيًا" لتستعمل على سبيل الترك والاستعلاء، فعرفوه بأنه: "هو طلب الترك استعلاء فيشمل التحريم والكراهية" يقول (السكاكي) في هذا "والنهي محذو به حذو الأمر في أنّ أصل استعمال "لا تفعل" أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادق ذلك أفاد "الوجوب" وإلا أفاد "طلب الترك" فحسب...¹

ويرى "ابن فارس": أنّ النهي لا يختلف عن الأمر في دلالة على الوجوب يقول: "فإن قال قائل: فما حال الأمر في وجوبه وغير وجوبه؟ قيل له: "أما العرب فليس يُحفظ عنهم في ذلك شيء، غير أنّ العادة جارية: "من أمر خادمةً يسقيه ماءً، فلم يفعل، إنّ خادمه عاصٍ، وأنّ الأمر مَعْصِيٌّ، وكذلك، إذا نهي خادمه عن الكلام فتكلّم، لا فرق عندهم في ذلك بين الأمر والنهي"².

فالشروط المعدّة لإجراء النهي على أصله هي: "شرط الاستعلاء" و"إلزام المخاطب به"، وإذا اختل أحد الشرطين اللازمين لإجراء النهي على أصله خرج إلى أغراض تواصلية فرضها السياق وقرائن الأحوال ليُشكّل القسم الثاني من أقسام النهي والمسمى "النهي المجازي"، والذي يكون النهي فيه طلب الكفّ عن شيء لا على سبيل "الاستعلاء" بل على سبيل "المجاز"، ممن هو أعلى مكانةً من المتكلم، أو ممن هو أقل شأنًا منه لأمرٍ بلاغيّ .

وقد عرض "السكاكي" أكثر معانيه التي يخرج إليها في كتابه: (مفتاح العلوم) ومن جاء بعده من البلاغيين الذين توسعوا في أسلوب النهي ، وقلّبوا وجوهه ، فكشفوا عن معانٍ دلالية كثيرة، فأصبح ذا حيوية فعّالة بما فيه من غنى في أساليبه الجمالية وأداءاتها البلاغية والتي فيها (الدعاء، الالتماس، النصيح، والإرشاد، التأديب والتهديد،... وغيرها من الأغراض) .

1 - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص: 429.

2 - ابن فارس ، الصاحي في فقه اللغة ، ص: 157.

هذه هي البلاغة النبوية

” هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع وهي من الأحكام كأنها مصنوعة، ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة. ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه فهي وإن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله، وإن يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، مُحكّمة الفصول، حتى ليس منها عُرْوَةٌ مَفْصُولَةٌ، محذوفة الفصول حتى ليس فيها كلمة مفصولة، وكأنها هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم.

إن خرجت في الموعظة قلت: أئين من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة قلت: صورة بشرية من الروح في منزع يلين فينفز بالدموع، ويشتد فينزو بالدماء، وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض، أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء..¹

المبحث الثاني : البلاغة النبوية بين أسباب التكوين وبلاغة التمكين .

01 . الحديث النبوي الشريف بين المفهوم والأهمية:

إنّ ما هو معروف لدى الكثير من المهتمين بالعلوم العربية من جهة، وعلوم الدين من جهة أخرى، أنّ القرآن الكريم وكذا علومه كانت هي الأسبق إلى التدوين والتأليف، خوفا من الضياع، وسعيا لفهم مسائل الدين وقضاياها، ثم جاءت بعدها مرحلة حفظ الحديث وتدوينه على رأس المائة الأولى للهجرة، ليعكف بعدها العلماء على دراسة هذين المصدرين المهمين من مصادر التشريع الإسلامي، لأنّ كلاً منها مكمل للآخر، فالقرآن هو كلام الله المتعبد بتلاوته، وأنزلت فيه قوانين الحياة وأحكام تشريعها، والحديث الشريف هو كلام النبي صلى الله

¹ - الراجعي مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت 2009 - ج2، ص: 235.

عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن، فكان جُلّ كلامه بل كل حياته خدمة وتفسيرا لمراد الله في كتابه عز وجل: " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ " النحل 44 .

أ- تعريف الحديث لغة: الحديث في اللغة: هو "الجديد من الأشياء"، والجمع "أحاديث" "كقطع و أقاطيع"¹ والجديد "نقيض القديم"، كأنه لوحظ فيه مقابلة القرآن، إذ يرى (أبو هلال العسكري): "أنّ الحديث في الأصل هو ما تُخبر به عن نفسك من غير أن تُسندّه إلى غيرك، وسمّي حديثاً لأنّه لا تقدم له، وإنّما هو شيءٌ حدث لك فحدثت به"² .

وتتفق معظم المعاجم في العربية على معنى "الجِد" في الحديث، كقول (ابن فارس): "(الحاء، الدال، الثاء) أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن، يقال: "حدث أمر بعد أن لم يكن ... والحديث عن هذا، لأنّه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء"³ .

وقد عرّفه (ابن منظور) بأنّه: "إطلاق الحديث على الكلام يُعدُّ فرعاً من الأصل الذي هو "نقيض القديم"⁴ . وجاء في كليات (أبي البقاء العسكري): "الحديث هو اسم من التحديث، وهو "الإخبار"، ثم سُمّي به كلّ قول أو فعل أو تقرير نُسب إلى الرسول "ص"، وقد استعمل القرآن الكريم مصطلح الحديث بهذا المعنى أيّ للدلالة على الإخبار(الكلام) تخصيصاً من المعنى العام في قوله تعالى: " وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى " (طه 09) .⁵

ب- الحديث اصطلاحاً:

قبل الوقوف عند تعريف الحديث، حريٌّ بنا أن نقف عند ما بيّنه المنشغلون بهذا الحقل في كلامهم عن "السنة والحديث"، فإذا أُطلق لفظُ السنة في الشرع فإنّما يُراد به: "ما أمر به الرسول "ص" ونهى عنه، قولاً وفعلاً"، ولهذا يقال في أدلة الشرع: "الكتاب والسنة"، أي "القرآن والحديث"، لكنّ معنى السنة مختلفٌ في اصطلاح المشرّعين، حسب اختلاف اختصاصاتهم وأغراضهم، فهي عند الأصوليين غيرُها عند المحدثين والفقهاء، ويظهر مدلول معناها من خلال أبحاثهم"⁶ .

¹ - الخطيب محمد عجاج، الوجيز في علوم الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1989 ص: 25

² - العسكري أبو هلال، الفروق في اللغة، مكتبة القدس، القاهرة، ص: 28

³ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، القاهرة، ط 01، ج2، ص: 36، مادة حدث.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، مادة "حدث".

⁵ - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين -الكليات- مكتبة البوق، ط 2، 1281 هـ، ص: 152

⁶ - الخطيب محمد عجاج، الوجيز في علوم الحديث، ص: 17

****فعلماء (الحديث) بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم... فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال، سواء أثبت المنقول حكماً شرعياً أم لا.**

****علماء (الأصول) كتبوا عن الرسول "ص" .. فاعتنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.**

****علماء (الفقه) بحثوا عن الرسول "ص" ... الذي تدل أفعاله على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد، هل هو :من باب الفرض أو الواجب أو المندوب أو المباح أو المكروه أو الحرام أو غير ذلك...؟¹**

فالحديث في "الاصطلاح"، وباعتبار السنة ترادف الحديث: "يُراد به كل ما أثر على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها..، ولكنه إذا أُطلق لفظ الحديث انصرف في الغالب إلى ما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد النبوة من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، فعلى هذا: السنة أعم من الحديث."

وإذا أُطلق لفظ الحديث عند الأصوليين أريد به السنة القولية، لأنَّ السنة عندهم أعم من الحديث، وهي تشمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعيّ.

و"الخبر" عند المحدثين مرادف للحديث:، فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع، فيشمل ما جاء

عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين...²

ويُعرف الحديث بأنه: "هو كل ما أثر عن الرسول "ص" من قبل وبعد البعثة، فغالبا ما يُروى عن الرسول "ص" بعد النبوة من قول و فعل وتقرير، فهو السنة القولية عن الرسول "ص"³، وخلاصة القول: "إذا أُطلق لفظ الحديث أريد به ما أُضيف إلى النبي "ص" وقد يراد به ما أُضيف إلى صحابيّ أو تابعيّ، ولكنه غالبا ما يفيد في مثل هذه الحال، فالمرفوع منه هو المنسوب لفظه للنبي "ص"، والموقوف ما أُسند للصحابيّ من قول وفعلٍ وتقريرٍ، والمقطوع ما اسند إلى التابعيّ."⁴

ويقول (تقي الدين بن تيمية): "الحديث النبوي وهو عند الإطلاق ينصرف إلى ما حدث به عنه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة، من قوله وفعله وإقراره، فإنَّ سنته تُثبت من هذه الوجوه الثلاثة، فما قاله: إن كان خبرا ووجب تصديقه به، وإن كان تشريعا إيجابا أو تحريما أو إباحة ووجب إتباعه فيه، فإنَّ الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت

1 -المرجع نفسه،ص: 18

2 - المرجع نفسه، ص: 26

3 -الخطيب محمد عجاج، أصول الحديث علومه و مصطلحاته، دار الفكر للطباعة والنشر، ط4، 1981،ص: 26

4 -المرجع السابق، ص: 26

على أنّهم معصومون فيما يُخبرون به عن الله عز وجل، فلا يكون خبرهم إلاّ حقاً، وهذا معنى التّبوة، وهو يتضمّن أنّ الله يُنبئه بالغيب، وأنّه يُنبئ الناس بالغيب، والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات الله.¹ ولعلّ مكانة هذا العلم الشريف "علم الحديث النبوي" والذي ينقسم إلى: علم الحديث "رواية": ويشتمل على نقل ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة، وعلم الحديث "دراية": وهو المراد عند الإطلاق: علم يعرف به حال الراوي والمروي من حيث ذلك، وغايته معرفة ما يُقبل وما يُرد من ذلك²، فمكانة هذا العلم غنية عن الذكر، كيف لا وهو وحي من الله على لسان خاتم رسله وأنبيائه لهداية البشرية إلى طريق الحق والعدل، وإنها وحي من الحق على لسان رسول الحق " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ "النجم03.

وبعد عرض معنى الحديث في اللغة والاصطلاح حُرِيّ بنا وخدمة للبحث في إطار علاقة الدراسة بالحديث النبوي الشريف أن نتساءل:

- ما الأسباب التي كانت وراء هذه الفصاحة والبلاغة التي امتاز بها الرسول صلى الله عليه وسلم؟.
- كيف أتى الأدباء والفصحاء من أبناء العربية على فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم وبلاغته؟
- كيف انعكس اهتمام البلاغيين العرب بالبلاغة النبوية من خلال مؤلفاتهم بصفة عامة؟

02/ أسباب بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم:

تحتلّ البلاغة النبويّة الذروة العليا من البيان في الأدب النبوي، فقد قال (يونس بن حبيب الضبي)، إمام نحاة البصرة في عصره (ت 182هـ) "... ما جاءنا من أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن الرسول "ص " ³ ولكنّ هذه البلاغة تبقى في حدود البيان الإنساني أو بلاغة البشر، ولا تصل كما نرى طبيعة الحال درجة البيان القرآني الذي بلغ حدّ الإعجاز. وقد سُئِلَ (الباقلائي) : "هل كلام النبي معجز؟؟. فأجاب بقوله: أنّ هناك فرقا بين القرآن وكلام النبي، وإن كان النبي أفصح العرب، فالفرق بين القرآن وكلامه عليه الصلاة والسلام مثل الفرق بين كلام الله وكلام البشر...."⁴.

1 - القاسمي محمد جمال الدين ، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، 1332 هـ، ص: 62

2 - الخطيب محمد عجاج ، الوجيز في علوم الحديث ، ص: 07.

3 - الجاحظ أبو عثمان ، البيان والتبيين، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، 1990، ج: 2، ص: 18

4 - الباقلائي أبو بكر ، إعجاز القرآن تحقيق السيد صقر، دار المعارف، ط5، د- ت- ص: 291

كان ذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي نشأ في أمة صناعتها البيان، والفصاحة أكبر همهم، والكلام سيّد عملهم، ولقد حمل أعباء الرسالة العظيمة لينذر الناس جميعاً، من هنا لا بدّ من الإعداد المناسب لأداء هذه الأمانة، ولا بد من توفير الأسباب وتهيئة الظروف التي تساعد على أداء هذه المهمة العظيمة الحسيمة وهي هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فلأجل ذلك كانت هناك عوامل وأسباب أثّرت في بلاغته وفصاحته صلى الله عليه وسلم منها:

أ- النشأة والبيئة:

هذان العاملان كان لهما الأثر البالغ والكبير في بلاغته صلى الله عليه وسلم، فاكتماب المنطق واللغة يرجع للطبيعة والمخالطة والمحاكاة، فالنبي صلى الله عليه وسلم نشأ وتقلّب في أفصح القبائل وأخلصها منطقاً وأعذبها بياناً، فكان مولده في "بني هاشم"، وأخواله في "بني زهرة"، ورضاعه في "بني سعد"، ومنشؤه في "قريش"، ومُتزوّجه في "بني أسد"، ومهاجرته إلى "بني عمر"، وهم الأوس والخزرج من الأنصار، لم يخرج عن هؤلاء في النشأة واللغة، ولقد كان في قريش وبني سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث "أنا أفصح العرب، بيّد أيّ من قريشٍ ونشأت في بني سعدٍ من بكرٍ..."¹

وهو قول أرسله في العرب جميعاً، والفصاحة أكبر أمرهم والكلام سيّد عملهم، فما دخلتهم له حمية، ولا تعاضهم، ولا ردّوه، ولا غصّوا منه، ولا وجدوا إلى نقضه سبيلاً، ولا أصابوا للتهمة عليه طريقاً، ولو كان فيهم أفصح منه لعارضوه به.... ثم ليجعلوا من ذلك سبباً لنقض دعوته والإنكار عليه، غير أنّهم عرفوا فيه الفصاحة على أنّهم وجوهها، وأشرف مذاهبها، ورأوا له في أسبأها ما ليس لهم، ولا يتعلّقون به ولا يُطيقونه...².

لكن.. هل النشأة وحدها كافية إلى أن يصل إلى أعلى درجات الفصاحة، ويتربع على قمة البيان البشري؟؟؟، لأنّ هذا الجانب لا محالة فيه من يشاركه فيه من الفصحاء والبلغاء... لكن لا يصل أحدهم إلى مستوى من الفصاحة البلاغة النبوية، لذلك لا بدّ من أسباب أخرى لبلاغته صلى الله عليه وسلم غير النشأة واللغة، ساهمت في إعلاء نشأتها، ورفع ذكرها إلى هذا المستوى من البيان: تتمثل في:

ب- الفطرة النقية، والإعداد الرباني "الاصطفاء":

إنّ الجمع بين هذين العاملين له من الأهمية ماله في بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنّ الفطرة النقية والإعداد الرباني يُعدّ مدخلاً في رسالته صلى الله عليه وسلم، فبناؤه على عامل التاريخ في حياته صلى الله عليه وسلم

¹ - الرافي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت 2008، ص: 231

² - الرافي مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت، 2009، ج2، ص: 240.

وسلم نشير إلى أنّ الاصطفاء أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَٰلِدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ"...

لتأتي مظاهر هذا الاصطفاء في بادية بني سعد... حين أخذت الحبيب صلى الله عليه وسلم "حليمة السعدية"... ورأت في حياتها وفي قوتها من البركة والخير والسعة ما لم تر من قبل... ووقوع حادثة "شق الصدر" للرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أنس رضي الله عنه: أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه، فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب واستخرج منه علقة، فقال: "هذا حظ الشيطان منك" ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده إلى مكانه... وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - أي ظهره - فقالوا: إنّ محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون...¹

وقد وقعت حادثة "شق الصدر في السنة الرابعة أو الخامسة من مولده"²، فهذا الحديث وأمثاله مما يجب فيه التسليم، ولا يُتعرّض له بالتأويل عن طريق المجاز والاتساع... فقد ذكر (الطبي) في (مشكاة المصابيح) قول جبريل " هذا حظ الشيطان منك" لأنه مُتّصل بما نحن بصددده تمام الاتصال، فيقول: "العلقة في الإنسان أصل المفسد، ولها قال جبريل بعدما أخرجها" هذا حظ الشيطان منك"، فعصمه من آفته وطعمه، كما أسلم له شيطانه على يده، فقدّر الله في سابقة لطفه أن يخرج حظ الشيطان منه، فجعله قُدسياً، طاهر الأصل والعنصر مُنور القلب، مقدّس الجسم، مُستعداً لقبول الوحي والفيض الإلهي، ولا تتطرق إليه هواجس النفس...³

وفي الجانب التاريخي دائماً، أورد (المباركفوري) ما يدعم عناية الله ورعايته لنبيه صلى الله عليه وسلم ممثلاً في حياته "ص" في كنف جده العطوف بعد وفاة الأم: "إذ كان "عبد المطلب" جد النبي صلى الله عليه وسلم يشعر بتميّز النبي عن سائر الناس... إذ كان يُوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه حتى يخرج إليه، ولا يجلس عليه أحد من بنيّة إجلالاً له، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفّر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخّروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: "دعوا ابني هذا، فوالله إنّ له لشأناً، ثم يجلس معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع"⁴.

1 - الإمام مسلم بن الحجاج القشيري - صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، باب الإسرائ، ج1، 1989، ص: 92، (ينظر

المبارك فوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث، د، ط، ص: 48

2 - المباركفوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ص: 48

3 - الحمزاوي أبو العلاء، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، مكتبة الرشد، 1428هـ / 2007م، ص: 24

4 - المباركفوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ص: 49، ابن هشام، السيرة النبوية، دار الحلبي، 1955، ج1، ص/168

هذا التمييز والاصطفاء والفضيلة النقية قد لاحظها أبو طالب "، والذي نهض بحقّ "ابن أخيه" على أكمل وجه بعد وفاة "الجد الكافل"، لاسيما حين قالت قريش: "يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلّم فاستسقي، فخرج أبو طالب ومعه غلام، كأته شمس دجن، تجلّت عنه سحابة قثماء، فأخذ أبو طالب الرسول "ص" فالصق ظهره بالكعبة، ولأذ بجبهة الغلام، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هنا وهناك، وأغدق واغدوق، وانفجر الوادي، وأخضب النادي والبادي، والى هذا أشار أبو طالب حين قال:

وابيضُ يُستسقي الغمامُ بوجهه*** تَمَّالُ اليتامى عصمةً للأرامل.

ليتجلى الإعداد الرباني و الذي يعكس أنّ القدر قد أحاطه بالحفظ، إذ عندما تحرك نوازع النفس استطلاع بعض متع الدنيا، وعندما يرضى بإتباع بعض التقاليد غير المحمودّة، تدخّل هذه العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها. قال رسول الله ص: "ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كلّ ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني الله برسالته.... قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة: "لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة، وأسمر بها كما يسمر الشباب"، فقال الغلام: "افعل"، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عرّفا، فقلت: "ما هذا؟" فقالوا: عرس فلان بفلانة، فجلستُ اسمع "فضرب الله على أذني فممت، فما أيقظني إلا حرّ الشمس، فعدتُ إلى صاحبي فسألني، فأخبرته"، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة وأصابني مثل أول ليلة.... ثم ما هممت بسوء...¹.

ليتجلى مظهر آخر في العناية الإلهية في بناء الكعبة، إذ روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: "لما بنيت الكعبة، ذهب الرسول ص وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي ص "اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، فخرّ إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال "إزاري، إزاري، فشُدّ عليه إزاره...." وفي رواية: "فما رُؤيت له عورة بعد ذلك"².

لتأتي محطة أخرى بارزة في الرعاية الإلهية، وهي فترة نزول الوحي لما فيها من استعداد نفسي، فلقد حُبّب إليه الخلاء والعزلة، وكان اختياره "ص" لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له، وليُعده لما ينتظره من الأمر العظيم.³

1 - المباركفوري صفى الرحمن، الرحيق المختوم، ص: 53

2 - المباركفوري، الرحيق المختوم، ص: 54

3 - المرجع نفسه، ص: 55

فهذا التعبد قبل النبوة من صفاء الفطرة ونقاؤها، ومن التأمل والتفكير في الكون، والانقطاع عن مألوفات البشر من هذه الخلوة، له أكبر الأثر في خشوع القلب، وصفاء الذهن واستنارة القلب بنور الغيب....¹.

ليأتي حديث السيدة "خديجة" رضي الله عنها، والتي لاحظت ملامح الاصطفاء من الله تعالى، فلاحظت الفطرة النقية والعناية الإلهية فلخصتها في قولها: "إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحْمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُقْرِي الضَّيْفَ..."².

إنها محطات مثيرة في حياة من أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، في شكل شواهد ومحطات تاريخية يتجلى من خلالها صفاء الفطرة النبوية ونقاؤها، ليتجلى من خلال تلك العناية الإلهية كيف ساهمت في الإعداد الرباني، والاصطفاء للنبي "ص"، فانعكس ذلك كله في بلاغته عليه الصلاة والسلام.

ج- نور القرآن وهدية:

هو العامل الآخر الأكثر أهمية، مُتِمِّمٌ ومُكَمِّلٌ لفصاحته صلى الله عليه وسلم وبلاغته، لا سيما وأن الله اختار محمداً "ص" من بين آلاف الفصحاء، ليعجزهم بفصاحة القرآن رَغَمَ أُمَّيَّتِهِ، فوَكَّلَ إليه أن يُفَسِّرَ كتابه عز وجل، وسنن وحيه: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (النحل 44)، "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (الجمعة 03)، وغيرها من الآيات الدالة على عمل الرسول "ص" في الإبلاغ والتبيين والهداية والتوجيه.... فكانت معاني الرسول صلى الله عليه وسلم في التبليغ والإرشاد ربانية، وكانت ألفاظه معرضاً رائعاً لمعانيه، مما انعكس في بيانه. وكان له أعظم الأثر... ليسلك بعدها الرسول "ص" مسلك القرآن في بيانه، في بيان أمور الدين، فاعتمد طريقة ضرب المثل "مثلاً" لما لها من أثر في توضيح المعقول بالمحسوس، وتقريب الأمور وتوضيحها وترسيخها في الأذهان سواء كانت لما يحبه الله من "إنفاق في سبيله"، أو ضرباً لخصال الشر المنبوذة كالنفاق والبخل ومجالسة جلساء سوء....³

لنخلص -اختصاراً- إلى أن البلاغة النبوية في أعلي طبقات البلاغة الإنسانية، وذلك أنها تقع وصلاً بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء.. وأن شئت قلت: بلاغة المرسلين، يقول "عباس محمود العقاد": "كان محمد صلى الله عليه وسلم فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، كان بليغاً مُبَلِّغاً على أسس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية، وكان بلسانه وبفؤاده من المرسلين بل قدوة المرسلين..."⁴

1 - الحمزاوي أبو العلاء، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، ص: 26

2 - المباركفوري، الرحيق المختوم، ص: 56

3 - الحمزاوي أبو العلاء، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، ص: 28/27 بتصريف

4 - العقاد عباس محمود، عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، دار الكتاب العربي، ط 1971/1، ص: 119

إنّ مجموع الصفات السالفة الذكر كان لها الأثر في البلاغة النبوية ، بل سبب من أسباب فصاحته صلى الله عليه وسلم بوجه خاص ، يقول (الرافعي) : "وإذا رجعت النظر في تلك الصفات الكريمة، واعتبرتها بآثارها ومعانيها، رأيت كيف يكون الأساس الذي تُبنى عليه فراسة الكمال في نوع الإنسان ، من دلالة الظاهر على الباطن ، وتحصيل الحقيقة النفسية التي هي بطبيعتها روح الإنسان في أعماله، أو أثر هذه الروح أو بقية هذا الأثر..."¹

ثم قال: " فإذا تأملتها مُتَّسِقَةً ومثَّلتها قائمة في جملة النفس ، وأنعمت على تأمل صورها الكلامية التي تبعث الكلام وترتبه، وتنظمه وتعطيه الأسلوب وتحمّله بالرأي، وترينه بالمعنى، فإنك ستجد من ذلك أبلغ ما أنت واجده من الأساليب العصبية في هذه اللغة، وأشدّها وأحكمها، مما لا يضطرب به الضعف، ولا تُزِيلُهُ الحكمة، ولا تخدُّهُ الرؤية، ولا يُبَايِنُهُ الصواب، بل يخرج رصيناً غير مُتَهافت، مُتَّسِقاً غير مُتَّفَاوِت، لا يَغْلِبُ على النفس التي خرج منها ، بل تَغْلِبُ عليه، ولا تسترسلُ به المخيلة، بل يضبطهُ العقلُ..."²

لقد كانت هذه الفصاحة إذن هيئةً من هيئات الخلق والتكوين، أعدّها بها صلى الله عليه وسلم - فيما أعدّه الله- ليكون رسولا مُبلِغاً، فإذا أضفنا إلى هذه الصفات ما قالته السيدة "عائشة" رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما كان يسرد كسر دكم هذا ، ولكنه كان يتكلم بكلام لين فصل، يحفظه من جلس إليه" ، وفي رواية: " كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عدّهُ العادّ لأحصاه" ، أدركنا مبلغ تلك الهبة ومدى تمكّنها من الطبع، وصدور النبي صلى الله عليه وسلم عنها في جميع المواقف والأحوال...³ .

لأجل ذلك، و من أجل ذلك كلّه تحتل بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم أعلى درجات البيان، فهي من أبرز مظاهر عظمته، وأجل دلائل نبوته، فهو صاحب اللسان المبين والمنطق المستقيم، والحكمة البالغة والكلمة الصادقة والمعجزة الخالدة، زكى الله تعالى لسانه: "وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى" (النجم 4،3). وقال هو عن نفسه " أوتيت جوامع الكلم" ، ومن رواية أبي هريرة رضي الله عنه: " أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: َبُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ..."⁴ ، وكما قال هو: " أنا أفصح العرب، بيد أنّي من قريش ، واسترضعت في بني سعد..." فلم يكن هذا افتخارا منه صلى الله عليه وسلم، وإنّما كان تقريراً لحقيقة ثابتة...

1 -الرافعي مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب، مرجع سابق، ج2، ص: 243

2 -المرجع نفسه، ص:244.

3 -رزور عدنان ، البلاغة النبوية بين الجاحظ و الرافعي والعقاد ، مجلة مركز البحوث والسياسة ، ع5 /1991 ص: 256

4 - محمد بن اسماعيل البخاري صحيح البخاري، تح :مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة و النشر، 1992 حديث رقم

2815، كتاب الجهاد، باب قول النبي ص : "نصرت بالرعب... ج3، ص: 1087

كيف لا يكون أفصح العرب وهو خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، فعلى قلبه نزل القرآن العظيم... وقد رآه رب العالمين... ونشأ وترعرع بين عرب فصحاء مُعربين.

3- سمات البلاغة النبوية:

كثيرة هي سمات وصفات البلاغة النبوية... فقد يقف الأديب أو الكاتب عند سمة واحدة من هذه السمات، ويشير إلى سائرهما، أو إلى طرف آخر فيها، وربما تداخل القول في هذه السمات أو الملامح عنده، أو عند كُتّاب آخرين... تلك هي السمات التي سجلتها أقلام كل من (الجاحظ والرافعي والعقاد)... لا سيما وأنّ الجمع بينهم يشكل التقاطع بين القدماء والمحدثين:

أ/ الجاحظ:

"ما جاءنا من أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، كما أشرنا سالفًا "إنّها كلمة إمام النحاة في البصرة في عصره "يونس بن حبيب"، هذه العبارة نقلها الجاحظ دلالة واستشهادًا في معرض حديثه عن "فنون الكلام" عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان واحد من الذين تبارزوا في وصف فصاحته وبلاغته في كتابه (البيان والتبيين): اذ يقول في هذا الفن من كلام النبي صلى الله عليه وسلم: "هو الكلام الذي قلّ عددُ حروفه، وكثرت معانيه وتجلّى عن الصنعة، وتنزّه عن التكلف... فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب... واستعمل المبسوط في موضع البسيط، والمقصور في موضع القصر... وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلّا عن ميراث حكمه، ولم يتكلم إلّا بكلام قد خُفّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد، وسيرّ بالتوفيق...".¹

وهو الكلام الذي ألقى الله عليه الهمة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حُسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولم يقيم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يُبذُّ الحُطْبَ الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلّا بما يعرفه الخصم، ولا يَحْتَجّ إلّا بالصدق... لا يهمز ولا يلمز... لا يبطئ ولا يعجل.. لا يسهب ولا يحصر"².... "ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعمُّ نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنيًا، ولا أبين فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم"³

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ج 2، ص: 18/17

² - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، ص: 18.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

إنَّ المتمعَّن في كلام الجاحظ في وصفه الجامع الدقيق لكلامه "ص" يلحظ اتّصاف الفن النبوي بأكثر من صفة من صفات البلاغة النبوية (فصاحة الاداء النبوي) منها: "صفة الرسول صلى الله عليه وسلم" "المبلغ" "اخلاقيات البلاغ النبوي"، "حُجج النبوة" (...).، ليجد أنّ "الجاحظ" ركّز على صفتين أساسيتين أولهما: "قلة الحروف والكلمات وكثرة المعاني" وهي السّمة المعبر عنها بـ "جوامع الكلم"، والثانية: "تنزه البلاغة النبوية عن الصنعة والتكلف"¹.

إنَّ ما رسمه "الجاحظ" في هذا الوصف باعتباره قد عدَّ هذه الصفات "فنا" لأنّه يرى أنّ البلاغة النبوية إذا حلت عن الصفة والتكلف، وجاءت مع ذلك "بجوامع الكلم أو بالكلمات القليلة" تحمل الكثير من المعاني فذلك هو الفنّ الذي يميّز البيان النبوي، وتلك هي سمة السّمات في هذا البيان، وآية الآيات...²

ب- / مصطفى صادق الرافعي:

بالأسلوب المتميز والمعهود للعقاد تحدّث عن سمات البلاغة النبوية من ناحيتي "اللغة والبيان"، أو من جهة: "الصناعتين اللغوية والبيانية" على حدّ تعبيره هو، هذا الحديث يمكن عدّه مدخلا إلى نقطة أو سمة ثالثة تضاف إلى ما ذكره "الجاحظ" سلفا، هذه السّمة هي "الإبلاغ والحكمة": كصفة أساس من صفات البلاغة النبوية أو الرئيسية، ففي حديثه عن السمة الأولى: "الصناعة اللغوية" يقول: "إنك إذا نظرت إلى الكلام النبوي رأيته مُسدّد اللَّفظ، مُحكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه ولفظ وضربه في التأليف والتنسيق، ثم لا ترى فيه حرفا مُضطربا، ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتمّ منها أداءً للمعنى، وتأتي لسره في الاستعمال"³.

وإذا نظرت إليه في جهة "الصناعة البيانية" رأيته: "حسن المعرض، بيّن الجملة، واضح التفصيل، ظاهر الحدود، جيّد الرصف، مُتمكّن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكرها، ولا ترى اضطرابا ولا خطأ، ولا استعانة من عجز، ولا توسعا من ضيق ولا ضعفا في وجه من الوجوه..."⁴

فالكلام النبويّ الذي هذه صفته ونسق بلاغته والذي كان موضوعه أو ميدانه "حكمة" لا تُداينها حكمة لأنها حكمة النبوة وتبصير الوحي وتأديب الله، كما يقول "الرافعي": "وقد سلمت له هذه الجهات الثلاث:

¹ - المرجع نفسه، ج2، ص18، 19 (ينظر: عدنان زرزور، سمات البلاغة النبوية، ص: 261/260).

² - زرزور عدنان، سمات البلاغة النبوية، ص: 262

³ - الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج2، ص: 271

⁴ - المرجع نفسه، ص: 271

اللغة والبيان والحكمة مرة واحدة، ثم جاءت على أتمّها وأكملها، بحيث لم تدخل واحدة فيها الضيم على أختيها بوجه من الوجوه..."

إنّ البلاغة النبوية سلمت لها هذه الجهات الثلاث في وقت واحد، في إشارة الرافي عن منه إلى أنّ اللغة والبيان ربما لم يستقيما أو لم يستقم أحدهما على أقلّ تقدير، ولعلّه البيان... لمن أراد من الكتاب وأصحاب البيان أن يُلزم نفسه "بالحكمة" النبوية أو بمضامين البيان النبوي، أو بعنوانين موضوعاته على أقلّ تقدير، في الوقت الذي الذي بلغ النبي صلى الله عليه وسلم بيانه هذا المحلّ الأسمى الذي لا يُضاهي في أدب العرب¹.

إنّ السّمة البلاغية التي تحدث عنها "الرافي" من خلال هذه الجهات الثلاث هي سمة "الكمال" أو "سمة التوازن" الذي بلغ حد الكمال والإبداع، و التي تُضَاف إلى السّمتين اللتين أوردهما "المحافظ" من قبل، خاصة "التنزه عن الصنعة والتكلف"، في الوقت الذي تحدّث فيه "الرافي" في ختام جزئه الذي عقده للبلاغة النبوية: "أنّ نسق البلاغة النبوية مبنيّ على ثلاث ميزات هي: الخلوص، والقصد والإيجاز والاختصار، والاستيفاء.

1-الخلوص: يكون في اللغة والأسلوب، وأنّ التّبي منفردٌ فيها جميعاً، لأنّه لم يكن في العرب ولن يكون فيمن بعدهم ابد الدهر من ينفذ في اللغة وإسراها وضِعاً وتركيباً، ويستعبد اللفظ الحُرّ، ويُحيط بالعتيق من الكلام ويبلغ في ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه "ص"، ولا نعرف في الناس من يتهيأ له الأسلوب الجامع المجتمع على توثق السرد وكمال الملائمة، كما تراه في الكلام النبوي².

2-القصد والإيجاز والاختصار: على ما طبيعة المعنى في ألفاظه، ومن طبيعة الألفاظ في معانيها ومن طبيعة النفس في حظّها من الكلام وجهته (اللفظية والمعنوية)، فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية، حتّى كأنّ الكلام لا يعدو فيها حركة النفس و كأنّ الجملة تُخلَق في منطقته صلى الله عليه وسلم خلُقاً سوياً، أو هي تُنزع من نفسه انتزاعاً...³.

3 - الاستيفاء: الذي يخرج به الكلام مبسوط المعنى، بأجزائه ليس فيها خداج، ولا إحالة ولا اضطراب حتّى كأنّ الألفاظ القليلة التي رُكبت تركيباً على وجهٍ تقتضيه طبيعة المعنى في نفسه، وطبيعته في النفس، فمتى وعاما السامع واستوعبها القارئ، تمثّل المعنى وأتمّه في نفسه، وفي حسب ذلك التركيب، فوقع إليه تاماً مبسوطاً الأجزاء

¹ - عدنان زرزور، سمات البلاغة النبوية، ص: 266

² - الرافي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 281

³ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

،وأصاب هو من الكلام معنى جُمُومًا لا ينقطع به ولا يَكْبُو دون الغاية، كأنما هذا الكلام قد انقلب في نفسه إحساسا لنظر معنوي...¹ .

لنخلص إلى أنّ البلاغة النبوية عند "الرافعي" جاءت بعد اجتماع هذه الثلاثة في كلامه ،وبناء بعضها على بعض هو السبب عن الرافعي في: "سلامة هذا الكلام العظيم من التعقيد والعَيِّ والخطل والانتشار وسلمت وجوهه من الاستعانة بما لا حقيقة له من أصول البلاغة،" كالمجاز " البعيد الذي يغوص إلى الأعماق الخيالية ،و"ضروب الإحالة"، و"فساد الوضع المعنوي وفنون الصنعة"، وما إليها مما هو فاشٍ في كلام البلغاء يُعِينُ جفاءً البداوة على بعضها، ورَفَّةُ الحضارة على بعضه وهو في الجهتين باب واحد² .

ج- عباس محمود العقاد:

يرى "العقاد" أنّ السّمة الغالبة على أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم هي سمة "الإبلاغ" قبل كلّ سمةٍ أخرى ،بل هي السّمة الجامعة التي لا سمة غيرها ،لأنّها أصلٌ شاملٌ لما تفرّق من سمات هي منها بمثابة الفروع ..³ وقد استدل "العقاد" على هذه السمة من خلال اللازمة التي ردها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته الطويلة في حجة الوداع، " ألا هل بلغت"، "اللهم اشهد" فيقول: وكلام النبي المحفوظ بين أيدينا إمّا معاهدات ورسائل كُتبت في حينها، وإمّا خطب و أدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة كتبت بعد حينها، ورُوعِيَتْ الدقة في المضاهاة بين رواياتها جهد المستطاع، والإبلاغ هو السمة المشتركة في أفانين هذا الكلام جميعا ،حتى ما جرى منه مجرى "القصص"، أو مجرى الأوامر إلى المرؤوسين، أو مجرى الدعاء الذي يلقنه المسلم ليدعو الله على مثاله...⁴ ، وقد فسّر العقاد هذه السمة في الأدب النبوي من خلال جملة النقاط التالية:

*خلو الكلام النبوي من الكلفة والغموض والإغراب" فمحمد العربي القرشي صلى الله عليه وسلم الناشئ في بني سعد، العالم بلهجات القبائل حتى ما تفوته لهجة قبيلة نائية في أطراف الجزيرة، لم يكن في كلامه كلّ غريبا يجهله السامع أو يحتاج تبيانه إلى مراجعة... لا يريد أن يُقيم بينه وبين السامع حاجزا من اللفظ الغريب أو المعنى الغريب..⁵

1 - الرافعي، تاريخ آداب العرب ، ص: 282

2 - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

3 - العقاد عباس محمود ، عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، المكتبة العصرية بيروت، د،ط، 1969 ،ص: 105

4 - المرجع السابق ،ص: 110

5 - المرجع نفسه ، ص: 110.

*خلو الكلام النبوي كذلك من الحشو والتكرار والزيادة...فما جاء من التكرار في كلامه للفظ بعينه أو جملة بذاتها...فهو من سمات البلاغ على سبيل التوكيد والتحقيق.

*اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات ،وهو المعبر عنه في الحديث النبوي بـ"جوامع الكلم" ،والتي أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم "...وأعطيْتُ جوامع الكلم" ...في سياق ما انفرد به أو ما أعطيه عليه الصلاة والسلام دون سائر من تقدمه من الأنبياء والمرسلين.

وخلاصة الحديث عن بلاغته صلى الله عليه وسلم نجزم فيها أنّ سمة الإِبلاغ هي التي طبعت كلام النبي صلى الله عليه وسلم " بطابع العصرية" وأخرجته من حدود الزمان، لأنّ رسالته ليست لزمان دون زمان... لذلك ترى كلامه صلى الله عليه وسلم يخرج من حدود الزمان فكل عصر واحد فيه ما يقال له ، وهو بذلك ثبوتاً لا تنقضي، وهو حيّ بالحياة ذاتها ..¹.

لتأخذ البلاغة النبوية طريقها نحو التأليف والكتابة فظهرت كتب بأقلام عربية خالصة تناولت هذا الفن بلاغياً فكانت:"المجازات النبوية": للشريف الرضي،،"الفائق في غريب الحديث": للزمخشري ،"عمدة القاري في شرح صحيح البخاري": للعيني،"إعجاز القرآن والبلاغة النبوية": مصطفى صادق الرافعي ،"الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية":كمال عز الدين ، " بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم": محمد حسن العماري ، "البيان النبوي" : محمد رجب البيومي "التصوير الفني في الحديث": محمد بن لطف الصباغ" من بلاغة الحديث النبوي الشريف" : عبد الفتاح لاشين

¹ - زرزور عدنان ، سمات البلاغة النبوية، ص : 267

التداولية.....

التداولية ليست علما لغويا محضا ،علما يكتفي بوصفه وتفسير البنى اللغوية ،بل هي علم جديد للتواصل الإنساني ، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ، ويتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي ،ومن هنا تسميتها : "علم الاستعمال اللغوي" ¹.....

المبحث الثالث: التداولية بين النشأة و المفهوم:

كثيرا ما يُمثّل التّواصل الإنساني بؤرةً للكثير من المعارف التقنية والإنسانية، فتسهيلا لعملية الاتّصال توالت الأبحاث في المجال التّقني متجاوزة حدود ما توصلت إليه أجهزة الاتصال المختلفة في شتى الميادين، أمّا المعارف الإنسانية فقد كانت من اهتمام "علم الاجتماع" ،حين اهتمّ هذا الأخير بالأدوار التفاعلية بين أفراد المجتمع في وقت اهتمّ فيه "علم النفس" بتحليل سيكولوجيا المتخاطبين، محلّلا في دراساته المعمّقة زلّات اللسان، وقلّبات القلم.

¹ - صحراوي مسعود ،التداولية عند العلماء العرب ،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت ،ط01 /2005.ص:أ .

إنّ هذا الاهتمام الإنساني بالتواصل والاتّصال جعل الكثير من الدّارسين يُجمعون على أنّ الإنسان كائنٌ تواصلِيٌّ، ممّا يحتّم وجودَ أطراف تُسهّل عملية التّواصل دون إهمال لأهميّة اللّغة في عملية تحقيق التّفاعّل، لاسيما وأنّها تمثّل ملكا مشتركا بين جموع البشر، ممّا جعلها تشكّل عنصرَ بحثٍ في كثير من المعارف الإنسانية من جهة، وتتخذ لنفسها فضاءً علميا مُستقلا من جهة أخرى.

وبذلك عرف مطلع القرن العشرين تحوُّلاً هاماً في تاريخ الفكر الإنساني اللّساني الحديث، وتحديدًا مع ما قدّمه اللساني "دوسوسير"، في محاضراته الشهيرة، حيث غدت تأسيسًا لمرحلة جديدة مُغايرة لتصورات الدارسين السابقين، لاسيما ما قدّمه علماء النحو التقليدي العام من قبل، لدى الهنود، اليونان، الرومان، العرب، ودراسات الباحثين في القرون الوسطى وعصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، تضاف إلى ذلك بحوث اللسانيات التاريخية والمقارنة التي برزت في القرن التاسع عشر، وبخاصة أعمال "فرانز بوب"، و النحاة الشبان، وغيرهم.¹

وبذلك عدّ (دوسوسير) من خلال محاضراته "اللسانيات" درسا جديدا له مقوماته التي تميّزه عن البحوث السابقة، وله مقولاته التي يستند إليها، بعدّه علماء مستقلا ضمن حقول المعرفة الأخرى، فشكّل بذلك تكرارا لقضايا حُفّلت بها كتب المحدثين ودراساتهم، فلا يكاد يخلو كتاب في الدّراسات الحديثة اللسانية من تناول محاضرات دوسوسيرّ بالعرض والتأويل والنقد والتحليل.²

في وقت تجدر الإشارة فيه إلى أنّ تمييز دوسوسير "بين الجانب الاجتماعي في اللغة (اللسان)، والجانب الفردي (الكلام) يُعدّ منطلقا جيدا لتتبع مسار ظهور التداولية فيما "بعد البنوية"، لأنّه بتمييزه الجانب الاجتماعي عن الجانب الفردي وحدود كلّ منهما يكون قد حصر المفاهيم المشتركة بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة، وهي القوانين العامة (النظام)، التي يؤدي فيها التواصل، "فيكون الخطاب ناجحا ما احترامها ومخفقا ما خالفها، ذلك أنّ اللّغة في جانبها الاجتماعي تحكمها قوانين الظواهر الاجتماعية جميعا، فلا يُدعها الأفراد ولا يخالفونها ولا يُجوّرونها، كما أنّها تظهر بالتدرّج، وتتغير أو تُختفي بالتدرّج".³

وبذلك تعدّ "اللسانيات التداولية" أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على مساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، إذ بعدما كانت اللسانيات تُقصر أبعادها على الجانبين "البنوي والتوليدي"، فتتهتم بدراسة

¹ - بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 13.

² - المرجع نفسه ، ص:14

³ - بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية، ص: 14

مستويات اللغة وإجراءاتها الداخلية (جانب بنيوي) وكذا وصف وتفسير النظام اللغوي ودراسة الملكة اللسانية المتحركة فيه (جانب توليدي) في إطار ما يصطلح عليه "بلسانيات الوضع"، جاءت اللسانيات التداولية لتعالج في مقابل ذلك ما يسمى: "لسانيات الاستعمال"¹، فكانت عناية اللسانيات التداولية في سبيل دراستها للغة بأقطاب العملية التواصلية، فتهتمّ بالمتكلم ومقاصده بعده مُحركًا لعملية التواصل، وتُرَاعِي حَالَ السامع أثناء الخطاب، كما تهتمّ بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، ضمانًا لتحقيق التواصل من جهة، ولتستغلّها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى.

فالتداولية إذن "علم تواصلية جديد" يعالج الكثير من ظواهر اللغة ويُفسّرُها، ويساهم في حل مشاكل التواصل ومَعَوّقاته، لاسيما وهو المجال الرحب الذي يستمد معارفه من مشارب مختلفة، "كعلم الاجتماع" و"علم النفس المعرفي"، و"اللسانيات" و"الانثروبولوجيا" و"الفلسفة التحليلية"².

وبذلك تستند التداولية إلى كثير من المكاسب المعرفية الإنسانية المختلفة، ممّا أكسبها طابع التّوسّع والتّثراء في معالجتها المختلفة، وجعلها تتخذ لنفسها مكانة مهمة بين البحوث المختلفة، فهي بذلك ليست علمًا لغويًا محضًا بالمعنى التقليدي،. علما يكفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة لكنّها "علمٌ جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال"، ويدمج من ثمّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره"، وعليه فإنّ الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنّها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضمّ مستويات متداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحرّكة في الإنتاج، والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال"³.

فالتداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة، منها الفلسفة التحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها "علم النفس المعرفي" ممثلًا في نظرية الملائمة la théorie de pertinence على الخصوص، ومنها علوم التواصل ومنها اللسانيات بطبيعة الحال"⁴.

لنخلص إلى أنّ التداولية عند معظم الدارسين هي "ايجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثمّ جديرة بأن تُسمّى: "علم الاستعمال اللغوي"¹.

1 - بوقرة نعمان ، اللسانيات ، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط1، 2009، ص 160.

2- المرجع نفسه، ص : 163:.

3- صحراوي مسعود ،التداولية عند العلماء العرب ،ص:16.

4- صحراوي مسعود ،التداولية عند العلماء العرب، ص:16.

لقد أصبحت التداولية من أكثر المناهج اللسانية القادرة على التحليل اللغوي، بتجاوزها الشكل والصورة وصولاً إلى المضمون أو المعنى، بل وصلت إلى أبعد من الاهتمام بالمعنى المجرد، فدرست "علاقة اللغة بالاستعمال"، وخير دليل على انفرادها بتلك القدرة، الملفوظ الآتي: "لقد زادوا في قيمة الضرائب"²، فإذا أردنا مثلاً تحليل هذا الملفوظ "بنيويًا"، فإنّ هذا الاتجاه سيكتفي بإبراز شبكة العلاقات التي تربط بين وحدات الملفوظ، دون إعطاء أية قاعدة من شأنها تفسير الضمير الذي أسند إليه الفعل "زاد"، ولا هي قادرة أيضاً على تعيين المرجع الذي "يحيل إليه" في الواقع الخارجي، أما إذا أردنا تحليل الملفوظ السابق "تداولياً"، فإننا نجد عدة آليات قادرة على تفسير الضمير وتعيين مرجعه الخارجي، فالضمير في الفعل زاد في ظل هذه النظرية يعود على السلطات المخول لها القيام بتلك الزيادة، وهي مصلحة الضرائب، وهذه الأخيرة مستمدة من الواقع الخارجي....³

فدون أن نُقلّل من جهود "البنويين" وما أعطوه للدرس اللغوي، نُجزم في القول بأنّ "التداولية تجاوزت ما وراء البنية وصولاً إلى علاقة اللغة بالاستعمال"، مما جعل من التداولية موضوعاً جديراً بالدراسة والاهتمام غير أنّ ما عرفته من اتساع واحتوائها لعدة نظريات "كنظرية الأفعال الكلامية"، "الافتراض المسبق"، "الإحالة"، "الوظائف التداولية" جعل كلاً منها يمكن أن يكون موضوعاً للبحث، ولكن قبل الخوض في أيّ منها يجدر بنا أن نُعرّج على "ماهية" هذا العلم، واسمه وعوامل ظهوره، وتطوره، والمواضيع التي خصّها بالدراسة، لأنّه في ظل هذا التطور تحاول "المقاربة التداولية" الإجابة على مجموعة من الأسئلة مثل: ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم إذن؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن الجملة؟

كيف نتكلم بشيء ونريد شيئاً آخر؟⁴

1- مفهوم التداولية لغة واصطلاحاً:

يُعدّ مفهوم التداولية من أهم المفاهيم الحديثة التي شدّت انتباه الدارسين لاسيما في العقود الثلاثة الأخيرة، فتضاربت الآراء حول تحديد هذا المصطلح بسبب اختلاف المذاهب ووجهات النظر فيه، ذلك أنّها مبحث لساني، ونظرية لما يكتمل بناؤها بعد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنّ مفهوم التداولية "تتقافه مصادر معرفية

¹ - المرجع نفسه، ص: 17.

² - المرجع نفسه، ص: 29.

³ - المرجع نفسه، ص: 29...

⁴ - فرانسواز ارمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986، ص: 07.

عديدة، فغدت ملتقى لمصادر أفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها¹، إذ لكل ميدان من ميادين التداولية مصدر انبثق منه، فنظرية "أفعال الكلام" انبثقت من تيار الفلسفة التحليلية، و"نظرية المحادثة" نابعة من فلسفة (بول غرايس)، كما أنّ "نظرية الملائمة" وُلدت من رحم علم النفس المعرفي²..²، كما أنّها تتداخل مع كثير من العلوم الأخرى، مما يجعل كل باحث يتطرق في تعريفها من مجال تخصصه.

ولا تتسع حدودها بهذا الشكل أقرّ العديد من الدارسين عدم وضوح معالمها، ذلك ما نجده في تصريح "فرونسواز أرمينيكو" هي: "درس جديد وغزير إلا أنّه لا يملك حدودا واضحة... تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية"³، وهي تشغل اهتمام المناطقة والسيمائيين والفلاسفة والسوسولوجيين والسيكولوجيين، والبلاغيين وعلماء التواصل، واللسانيين... وبذلك "فهني على مستوى التحليل لا يمكن أن نُصنّفها في أيّ من المستويات، ولا تدرس جانبا محددًا في اللغة، بل تستوعبها جميعا، وليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تجريدية"⁴.

فارتبطت التداولية إذن بكثير من العلوم كالفلسفة واللسانيات والاتصال وعلم الاجتماع وعلم النفس ونتيجة لتداخلها بكثير من العلوم، فقد عرضت لها كثير من الترجمات في اللغة العربية المقابلة للمصطلح (Pragmatique) فقيل: "البراغماتية، البراغماتيك، البراجماتيك، وقيل التداولية، المقامية، الوظيفية السياقية النفعية..."⁵، وأفضل هذه الترجمات "التداولية" إذ هي تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب، أي التفاعل القائم

بينهما في استعمال اللغة⁶.

أ- المفهوم المعجمي للتداولية: لقد أجمعت جل المعاجم العربية على أن الجذر اللغوي لمصطلح التداولية هو الفعل الثلاثي "ذَوَلَ" فقد وردت في (مقاييس اللغة) على أصلين: "أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة: إن دال القوم: إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم، إذ صار من بعضهم إلى بعض، والدولة والدولة لغتان، ويقال بل

1- بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية، ص: 63.

2- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، ص: 17.

3- فرنسواز ارمينكو ، المقاربة التداولية، ص: 07.

4- نخلة محمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 10.

5- بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية، ص: 65.

1- نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 52.

الدولة في المال، والدولة في الحرب، وإنما سُمِّيَا بذلك من قياس الباب، لأنّه أمرٌ يتداولونه" فيتحوّل من هذا إلى ذلك ومن ذلك إلى هذا"¹.

وقد ورد في معجم: (أساس البلاغة): دَوَّل: دالَّتْ له الدَّوْلَة، دالَّتْ الأيام بكذا ... وأدَّى اللهُ بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه، ... وأدبِلَ المؤمنون على المشركين يوم يدر، وأدبِلَ المشركون على المؤمنين يوم أحد... والله يداول الأيام بين الناس: مرّة لهم ومرّة عليهم، وتداولوا الشيء بينهم، والمأشبي يداول بين قدميه يراوح بينهما"². وجاء في (لسان العرب) : "تداولنا الأمر، أخذناه بالدَّوْل، وقالوا: دَوَالِيكَ: أي مُدَاوَلَةٌ على الأمر... ودالتِ الأيّامُ أي: دَارَتْ... والله يُداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، فعمل هذا مرّة وهذا مرّة"³، "ويقال داول الله الأيام بين الناس بمعنى أدارها وصرفها كما في قوله تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس" آل عمران 140. أي نُدبِلُ عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة، لما لنا في ذلك من الحكمة كما أشار (ابن كثير): يأتي الألم والفرح تارة عليكم فيكون الأعداء غالبين، وتارة تكون لكم الغلبة، لكنّ النصر الأخير للمؤمنين"⁴.

فمدار اللفظة لغة هو "التناقل والتحول" بدلالة الصيغة الصرفية "تداول" الدالة على تعدّد حال الشيء كما ينتقل الحال من هذا إلى ذلك أو الغلبة في الحرب من هؤلاء إلى هؤلاء، فالملحوظ على معاجم العربية أنّها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجزر. "دول" على معاني "التحول والتبدل والانتقال"، سواء من مكان إلى آخر أو من حال إلى أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتغيّر، وتلك حال اللغة مُتَحَوِّلة من حال لدى المتكلم إلى حال آخر لدى السامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح التداولية أكثر ثبوتا بمهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى: النفعية، السياقية، وغيرها"⁵.

فبانتهاء اللّغة من حال إلى حال، من المتكلم إلى السامع يسمح لنا بتحقيق التّواصل اللّغوي، لذلك حتم مفهوم التحول و التناقل وجود أكثر من حال ينتقل بينهما الشيء، فذلك أيضا حال اللغة باعتبارها نوعا من

¹ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ص: 314

² - الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت 1998، ج1، ص 303.

³ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت.، . مادة: دول.

⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ضبطه وخرجه آياته محمود عبد الكريم، دار صبيح، بيروت، ط4، 2007، ج1، ص : 415.

⁵ بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية، ص: 148.

المساجلة بين طرفي العملية التواصلية، أو نوعا من الاشتراك في تحقيق الفعل، فيقول (طه عبد الرحمان): "إن الفعل "تداول" في قولنا: "تداول الناس كذا بينهم؛ يفيد معنى: تناقله الناس وأدأروه بينهم" حيث جعله بذلك مرادفا للفعل "دار" الذي من معانيه نقل الشيء وجريانه نحو قولهم: دار على الألسن بمعنى: جرى عليها"¹.
ومن المعروف أيضا أنّ مفهوم النقل والدوران مستعملان في إطار إنطاق اللغة الملفوظة، كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة فيقال: "نقل الكلام عن قائله بمعنى رواه عنهم"، ويقال: "دار على الألسن بمعنى جرى عليها"، فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى "التواصل"، وفي استخدامهما التحريبي على معنى الحركة بين الفاعلين... فيكون التداول جامعا بين اثنين هما: "التواصل والتفاعل"، "فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل"².

ومن شواهد استخدام هذا المصطلح في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الحشر: "مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ..." الحشر 07، وبيان معنى (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ) أي: كي لا يكون ذلك الشيء دولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم. يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه. وهذا مرة في سبيل أبواب البر، وسبل الخير"³. وقد ذكر صاحب "الكشاف" في معنى قوله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ" آل عمران 140، "نداولها: نصرفها بين الناس، نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، يقال داوت بينهم الشيء فتداولوه....."⁴، كقول الشاعر:

فيومًا علينا ويومًا لنا *** ويومًا نساءً ويومًا نسرًا⁵.

فالملاحظ في هذا المجال أنّ لفظة التداولية ومشتقاتها استعملت في هذه الآيات بمعنى: "تغيّر حال القوم من حال إلى حال"، أو "انتقال الملك من قوم إلى قوم"، أو "التعاقب أو التناوب على أمر ما". وكل هذه المعاني نلمس من خلالها عدم الثبوت والاستقرار والتحول، كما هو الأمر بالنسبة للغة؛ حيث تنتقل من المتكلم إلى السامع في سياق ما، يمكن أن يفهم أو يؤول إلى عدة معاني، وبذلك يكون المعنى غير ثابت ومتحول وغير مستقر بين باثته ومُتلقيه.

¹ - طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1993، ص: 243-244.

² - المرجع نفسه، ص: 244

³ - بوجادي خليفة، في للسانيات التداولية، ص: 149.

⁴ - الزخشري جار الله، الكشاف عن حقائق التنزيل، مطبعة البوق مصر، 1281هـ. ص: 150.

⁵ - المرجع السابق، ص: 150.

ب- المفهوم الاصطلاحي للتداولية:

لقد كانت سنة 1938 بمثابة الميلاد الأول لمصطلح التداولية على يد الفيلسوف (شارل موريس) الذي ورّع دراسته للرموز اللغوية حسب المخطط التالي: **الجانب النحوي "Syntax"**: يعني بعلاقة الرموز اللغوية بعضها ببعض، **الجانب الدلالي "Sémontics"**: ويعني به الرموز اللغوية وعلاقتها بالأشياء التي تدل عليها، **والجانب البرغماتي "Pragmatic"**: ويعني بعلاقة الرموز اللغوية بالمتلقي وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال هذه الرموز وتوظيفها¹، فما يهمننا بدرجة أكبر من هذا التعريف هو "الشقّ الثالث منه، لكن قبل الخوض في تعريفه نُشير إلى أنّ التداولية هي الترجمة العربية للمصطلحين الأجنبيين (Pragmatics) والفرنسي (Pragmatique) على التوالي، وليس ترجمة للمصطلح الفرنسي (la pragmatisme)، لأنّ هذا الأخير يعني "الفلسفة النفعية الذرائعية"، بينما يعني الأول هذا الاتجاه التواصلية الجديد².

و"يرجع أصل كلمة (Pragmatique) إلى الكلمة اللاتينية (Pragma) ومعناها "الفعّل"، ثم أصبحت الكلمة بفضل "اللاحقة" تطلق على كل ما هو عملي أو واقعي"³.

ولعل محاولة الوقوف على تعريف موحد للتداولية يُعدّ من الصعوبة بما كان، نظرا لتنوّع خلفياتها الفكرية والثقافية، فتعدّدت التعريفات بحسب تخصصات أصحابها ومجالات اهتمامهم، ومن أبرزها ما قدمه (فرانسيس جاك) "تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطائية وتواصلية واجتماعية معاً"⁴، فالتداولية تتجاوز الدراسة البنيوية (.السكونية). للغة، إلى دراستها في سياق استعمالها، ومراعاة كلّ ما يحيط بها من أحوال، وما تخضع له من مقاصد المتكلمين، ولذلك:

*برزت جهود جادة في هذا المجال على الرّغم من قتلها، من أهمها جهود الباحث (طه عبد الرحمان) والذي يرجع له الفضل في ترجمة المصطلح الأجنبي Pragmatique "بالتداوليات" فيقول: "وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيقا لأنه يوفّي المطلوب حقّه باعتبار دلالاته على معنيين: "الاستعمال، التفاعل معاً"، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدّارسين الذين أخذوا يُدرّجونه في أبحاثهم"⁵.

¹ - شاهر الحسن، علم الدلالة السيميائية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان، ط1، 2001، ص: 157.

² - صحراوي مسعود، التداولية عند علماء العرب، ص: 15.

³ - سعودي نوري أبوزيد، في تداولية الخطاب الأدبي - المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص: 18.

⁴ - فرنسواز ارمينكو، المقاربة التداولية، ص: 12.

⁵ - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص: 27.

ومن هذا المنطلق يعرف (طه عبد الرحمان) التداولية بقوله: "التداول عندنا متى تعلّق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخصائصهم، كما أنّ المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا و زمانيا لحصول التواصل والتفاعل فالمقصود بـ: "مجال التداول" في التجربة التراثية هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث"¹. ،فالتداول من خلال هذا المعنى جاء بمعنى التواصل والتفاعل.

وفي سنة 1985 ظهر مؤلف الباحث المغربي (أحمد التوكّل) حول الوظائف التداولية بعنوان: "الوظائف التداولية في اللغة العربية"، إذ عُدَّ مؤلّفه إنجازا تداوليا نحويا، أسهم في إثراء هذا الاتجاه الدراسي الذي حصر مصادر التفكير التداولي اللغوي العربي عند العرب في علم النحو والبلاغة وأصوله وتفسيره، وكل هذه العلوم تؤوّل إلى المبادئ الوظيفية إذ يرى: "إن إنتاج اللغويين العرب يشكل مرحلة من أهم مراحل تطور المقاربات الوظيفية في الفكر اللساني"².

وعرفها الباحث (جيلالي دلاش) بكونها: "تخصص لسانس يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يُعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث"³، ثمّ يردف كلامه بإجمال تعريف التداولية في قوله: "هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية"⁴، لأنّها في إطار عنايتها بدراسة اللغة أثناء الاستعمال تهتم بعناصر التخاطب والتحاور، فتراعي قصد المتكلم ونواياه، وحال السامع ووظيفته، وتبحث في شروط نجاعة الرسالة، وسلامة الحوار بين المتخاطبين، وكل ما يحيط بهم فالتداولية إذن تعنى بكل ما يتصل بالعمل التخاطبي بحثا عن المعنى وضمانا للتواصل.

فالتداولية في أبسط تعريفها: "دراسة اللغة في أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب"، تقوم على مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب، للوصول إلى المعنى وأحداث الأثر المناسب بحسب قصد صاحبه وتبحث في الشروط اللازمة لضمان نجاعة الخطاب وملاءمته الموقف التواصلية الذي يوجد فيه المتلقّظ بالخطاب والسامع له.

¹ طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي، بيروت لبنان، ط2، 2005، ص: 244.

² المتوكّل أحمد ، اللسانيات الوظيفية -مدخل نظري منشورات عكاظ ، الرباط، 1987، ص: 9.

³ جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، د،م،ج، 1992، ص: 1.

⁴ الرجوع نفسه ، الصفحة ذاتها.

أما الدكتور (صحراوي مسعود) فيقول: "بأنّ التداولية ليست علما لغويا محضا ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره"¹.

ولعلّ التّمعن في التعريفات السابقة يوصلنا لا محالة إلى أنّها تجتمع كلّها في أنّ (التداولية) تعني: "دراسة اللغة في الاستعمال"، وهذا يدل دلالة واضحة على وجود "متكلم ، مُستمع، وقناة تواصل"، وهي مكونات سياق الكلام إن لم نقل بعض مكوناته، لذلك نجد جُلّ الباحثين قد أدركوا الأهمية الكبرى للسياق وأولوه الدور الأساسي في تعريف التداولية فقول: "التداولية هي دراسة "جوانب السياق" "Aspects of context" ولعلّ أوجز تعريف لها من علاقتها بالسياق هو: "دراسة اللغة في الاستعمال Un use ، أو في التواصل in interaction".²

ومعنى هذا أنّ التداولية تهتم بدراسة المعنى الكامن في تداول الكلمات بين متكلم ومُتلقي في سياقٍ مُحدّدٍ وليس المعنى الكامن في الكلمات وحدها أو المرتبط بأحد مكونات الرسالة اللغوية، أو بمعنى آخر: إنّ الدراسة التداولية لا تكتفي بالوصف والتفسير عند حدود البنية اللغوية أو المستوى الشكلي لها، بل تتجاوز ذلك إلى مستويات أعمق، وأكثر استيعابا للظاهرة اللغوية بكلّ أبعادها التواصلية، ذلك أنّها تدرس اللغة وعلاقتها بمستعملها والمؤولين لها من جهة، كما تهتمّ بالبحث في شروط نجاح هذه العلامات اللغوية في سياقاتها المختلفة مما يجعل منها نظرية استعمال من جهة أخرى.

2- التداولية بين النشأة و التطور :

تعدّ التداولية اتجاها جديدا في دراسة اللغة، يبحث عن حلّ لعديد من المشاكل اللغوية، لاسيما وهي التي تشكّل محاولة جادة للإجابة عن جملة من الأسئلة تفرض نفسها على الباحث والباحث العلمي عامة، متوسّلة في سبيل ذلك عديدا من العلوم الإنسانية والاجتماعية وهي أسئلة من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول حين نتكلم؟ من يتكلم؟ ومع من يتكلم؟ من يتكلّم ولأجل من؟ ماذا يجب علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى العربي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟³.

¹ - صحراوي مسعود ، التداولية عند علماء العربية، ص: 16.

² - نخلة أحمد محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 12.

¹ - فرانسواز ارمينكو ، المقاربة التداولية، ص: 11

ولم تصبح التداولية مجالاً يُعتدّ به في الدرس اللساني إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن طوّرها فلاسفة اللغة الثلاثة: (جون أوستين J. Austin ، (بول غرايس PoulGrise) و (جون سيرل J.Sirl) والذين هدفت دراستهم إلى إيجاد طريقة لتوصيل معنى اللغة الإنسانية، من خلال إبلاغ مُرسلٍ رسالةً إلى مُستقبلٍ يُفسرها، فكان عملهم من صميم البحث التداولي¹، لذلك بات من المتفق عليه: "أنّ اللسانيات التداولية لها أصولٌ فلسفيةٌ انبثقت منها، حيث تُعدّ الفلسفة التحليلية المصدر الأول لظهور المفاهيم التداولية وهي الأفعال الكلامية"²، فكانت بداية تطور اللسانيات التداولية "بنظرية أفعال الكلام" التي ظهرت مع "جون أوستين" وتطورت على يد "جون سيرل"، وبعض فلاسفة اللغة من بعده، لتظهر بعدها جملةً من المفاهيم والنظريات التي تُشكّل مجتمعة ما يعرف بـ"اللسانيات التداولية" (أفعال الكلام، الاستلزام التخاطبي الإشاريات.....).

وقد تبلورت أفعال الكلام على يد (سيرل)، الذي أعاد تقسيم الأفعال اللغوية وميّز بين أقسامها، كما كانت (جرايس Graise) مساهمة في تطور ذلك من خلال بحثه في "الاستلزام الحواري" الذي يكون دأراً حول فكرة: "كيف يكون مُمكننا أن يقول المتكلم شيئاً ويقصد شيئاً آخر؟ وكيف يمكن أن يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟ وذلك من خلال محاضراته التي كان يلقيها في جامعة "هارفارد" عام 1967، مُنطلقاً في ذلك من نقطة مفادها أنّ النَّاس في حواراتهم قد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون"³، واضعاً بذلك حدوداً بين ما يُقال "What is said"، وما يُقصد "what is meant"، أو ما يطلق عليه المعنى الصريح والمعنى الضمني من خلال مبدأ "التعاون" هذا الأخير الذي تحكمه أربع قواعد أساسية هي :

01: قاعدة الكمية : "مساهمتك في الحديث بالقدر الذي يتطلبه ذلك الحديث دون زيادة أو نقصان.

02: قاعدة الكيفية : لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

03: قاعدة المناسبة : الكلام مناسب للمقام الذي قيل فيه.

04: قاعدة الهيئة : مساهمة في الحديث، موجزة، منتظمة خالية من الغموض و التلاعب بالألفاظ.

3-التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى:

¹ - نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 9- 10.

² - صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص: 17.

⁴ - نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 33.

إنّ اهتمام التداولية بدراسة اللغة جعلها تلتقي مع مجموعة من العلوم والتخصّصات الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة، من بينها "علم النفس"، "وعلم الاجتماع"، "السيمائية"، "الفلسفة"، وهذا ما نجده عند فرونسواز ارمينيكو: "ونكاد نرى جيّدا على العكس من ذلك إلى أيّ حد تكون التداولية مفترق طرق غنية لتداخل اختصاصات اللسانيين، المناطقية، و السميائيين، الفلاسفة، السيكولوجيين والسوسولوجيين، فنظام التقاطعات هو نظام الالتقاءات. و للافتراقات "1.

أ - التداولية وعلاقتها بالبنوية **Structuralisme**:

كثيرا ما تهتم التداولية بدراسات الكلام، وهو الجانب الدّي أبعد اللساني الشهير (دوسوسير) من مجال دراسته حين وضع "ثنائيته الشهيرة" (لغة/ كلام)، حين اعتبر اللغة نظاما مُغلّقا تتم دراسته بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية، فهو بذلك يُلغي كلّ الخصائص الفردية التي تطبع ذلك النظام أثناء الأداء، و اللّغة تختلف عن الكلام في أنّها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة²، ومعنى هذا أنّ اللسانيات البنوية تهتم أساسا بدراسة نظام اللّغة دون الاعتداد بنوايا المتكلم، ولا بسياق الكلام، ويذهب كذلك إلى عدّ اللّغة ظاهرة اجتماعية³.

فما يمكن قوله في هذا المجال: أنّ الكلام ليس معزولا عن اللغة إلا افتراضا لأنّه لا يمكن للّغة أن تتحقق إلاّ في مستوى الكلام، حيث تُطبع بخصائص من يؤديها مهما حاول تجنّب ذلك، فالكلام إذن مظهرٌ من مظاهر تحقّق اللّغة واقعا، ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، و التداخل واضحٌ بينهما⁴، فكل منهما بحاجة إلى الآخر وما يجعلهما مختلفين إنّما هو منهج الدراسة، "فالبنوية" تهتم بوصف اللغة باعتبارها مجموعة من القوانين المنتظمة بمعزل عن كل ما يحيط بها، أمّا "التداولية" فتهتم بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال مرّكزة على دور اللغة في عملية التبليغ بهدف تحقيق التواصل، ومن ثمة التأثير على متلقّي الخطاب.

ب - التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة:

تعدّ كل من "الدلالة" و "التداولية" علمين مترابطين لأنّهما يشتركان في اهتمامهما بدراسة المعنى في اللغة إلاّ أنّهما يختلفان في العناية بجوانبه، فالدلالة: تدرس المعنى وفقا للوضع بمعزل عن السياق وبعيدا عن المقامات

1 - فرانسواز ارمينيكو ، المقاربة التداولية، ص: 11.

2 - فرديناند دوسوسير ،علم اللغة العام، ترجمة يونيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة و النشر، العراق 1988، ص:30.

3 - مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، د،م،ج، الجزائر، ط01/ 2008، ص:123.

4 - بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، ص:123.

التخاطبية، أما "التداولية": فتهتم بدراسة المعنى وفقا لاستعماله، مراعيةً في ذلك ظُروف المتكلمين ومقاصدهم والسياق المناسب لها.¹

إنَّ اشتراك كلٍّ من "الدلالة والتداولية" في موضوع دراسة المعنى يُضفي كثيرا من الغموض حيال تحليل المعنى الذي تُؤدِّيه اللغات، لأنَّ هناك من الدارسين من يجعل التداولية امتدادا للدرس الدلالي على نحو ما يذهب إليه "لاترافارس".²

ومن هنا يتَّضح التداخل والتكامل بين العلمين، "فالتداولية تبدأ من حيث تنتهي الدلالة"، حيث تقوم الدلالة بتفسير الملفوظات وتحديد معانيها الحرفية في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، لكن دون الاهتمام بمقاصد المتكلمين، ثم تأتي التداولية لتربط مقاصد المتكلمين بالمقام المناسب، مراعيةً في ذلك شروط نجاح أو إخفاق العبارات الكلامية في إطار السياق الذي ترد فيه، فهي على عكس الدلالة تدرس العلاقات بين النص والسياق، مُهتمةً في الوقت نفسه بالترابط بين بنية النص وعناصر الموقف الاتصالي الذي يرتبط به على نحو منهجي".³

ج- التداولية وعلاقتها بالأسلوبية:

تتقاطع كل من "التداولية" و"الأسلوبية" في بعض الجوانب، نحو اهتمامها باللغة إلا أنَّ كلاهما تختلف عن الأخرى من حيث منهج الدراسة، فإذا كانت التداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء استعمالها مع مراعاة قواعد هذا الاستعمال التي توجد في أذهاننا والتي تسمح لنا بتأدية المعنى المطلوب كالقواعد الاجتماعية والعلمية والأسلوبية⁴، ومراعاة السياق الذي ترد فيه إلى جانب الاهتمام ب"القوى الانجازية المتضمنة في الأفعال الكلامية"، وشروط تحقق "الفعل بالقول"، فإنَّ الأسلوبية تُلغي كلَّ الأبعاد التي تخرج عن نطاق البعد اللساني للنص الأدبي، فهي وإن أقرت بوجود جوانب ثقافية واجتماعية ونفسية تؤثر في إنتاج النص الأدبي إلا أنَّها لا تأخذها بعين الاعتبار أثناء دراستها للنص، فالأسلوبية تقف عند حدود جمالية العبارة وهي بذلك تنظر إلى النص الأدبي من خلال حصره بين ثنائية: (النمط، الانزياح)، الاستعمال المعياري، الاستعمال الأدبي، اللغة العادية، ومن هنا نخلص إلى أنَّ التداولية تدرس اللغة أثناء استعمالها، أمَّا الأسلوبية فتدرس الجوانب الجمالية للغة ك"الانزياح" مثلا.

1- محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب، دار الكتب الجديد، بيروت، 2004، ص:13.

2- بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، ص:128.

3- فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بجيري، دار القاهرة مصر، ط1/ 2001، ص: 116.

4- جحفة عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، المغرب 1999، ص:28.

د - التداولية وعلاقتها بالبلاغة:

تدرس البلاغة كلّ ما يرتبط باستعمال اللّغة وممارستها أثناء عملية التواصل بقصد تبليغ رسالة ما، مراعية مقتضى الحال (لكل مقام مقال)، وقد عرّفها (أبو هلال العسكري) من الناحية اللغوية يقول: "البلاغة من قولهم: بلَغْتُ العَايَةَ إِذَا أَنْتَهَيْتُ إِلَيْهَا، وَبَلَّغْتُهَا غَيْرِي، فَسُمِّيَتِ الْبَلَاغَةُ بِلَاغَةً لِأَنَّهَا تُنْهِي الْمَعْنَى إِلَى قَلْبِ السَّمَاعِ فِيفَهُمْ، وَالْبَلَاغُ أَيْضًا هُوَ التَّبْلِيغُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "هَذَا بِلَاغٌ لِلنَّاسِ" إِبْرَاهِيمَ 52، أَي تَبْلِيغٌ".¹

ولا يخرج معناها اصطلاحاً عن التبليغ والانتهاؤ" إلى قلب السامع: "البلاغة كل ما تبليغ به المعنى قلب السامع، فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن".²

فالبلاغة إذن تقوم على مبدأ "التبليغ" و"التأثير" أثناء عملية التواصل، ومن هنا يصبح التداخل واضحاً بين العلمين، إذ أنهما يشتركان في اهتمامهما بدراسة اللغة بوصفها أداة تبليغ وتأثير وتواصل بين المتكلمين ويساند هذا الرأي (ليتش Leitch) في قوله: "إن البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يُخلان إشكالية علاقتهما، مُستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإنّ البلاغة والتداولية البراغمية تتفقان في اعتمادهما على اللّغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقّي".³

هـ- التداولية وعلاقتها بالنحو الوظيفي:

يُعدّ النحو الوظيفي أهمّ رافد للدرس التداولي، بل هناك من الدارسين من جعل "التداولية امتداداً للوظيفة"⁴، من منطلق أنّ خصائص البنيات اللغوية تُحدّد انطلاقاً من ظروف استعمالها.

ولا يخفى على أيّ باحث في مجال التداولية أو النحو الوظيفي ما قدمه الدكتور (أحمد المتوكل) من بحوث في هذا المجال من خلال رسوخ قدمه في التراث اللغوي العربي، وحسن استيعابه للنظريات اللغوية الحديثة مكّنت من إغناء الدراسات النحوية العربية بمصطلحات حديثة، تكاملت في إطار نظرية رُشّحت أكثر من غيرها لتكون رؤية معاصرة للنظرية النحوية القديمة، ومُكمّلة لأُسُس البحث في هذا المجال".⁵

1 - العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد الجاوي، المكتبة العصرية، 1986، ص: 06.

2 - الرجوع نفسه، ص: 10.

3 - حفناوي بعلي، التداولية البراغمية الجديدة، مجلة اللغة و الأدب جامعة الجزائر، عدد 17 / 2006، ص: 66.

4 - المتوكل أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر و التوزيع، المغرب، ط 1 / 1985، ص: 08.

5 - بعبطيش يحي، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب متتوري قسنطينة، 2006، ص: 77.

وهذا النحو الذي أسسه "سيمون ديك" وطوّره "أحمد المتوكل" بالشرح والتفسير كما سبق الذكر ، يجمع بين المقولات النحوية، وبين ما عرضته نظرية أفعال الكلام¹ ، ولذلك يمكن القول أنّ النحو الوظيفي بمثابة نظرية واسعة تكامل فيها النحو ،واللسانيات ،و التداولية.

و- التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب *l'analyse du discours*:

يُعَدُّ تحليل الخطاب أحد مستويات الدرس اللغوي الحديث الذي يهتم بدراسة النصوص سواء أكانت محكية أم مكتوبة، فبعد أن كانت أنظار الباحثين حتى منتصف السبعينيات من القرن 20، مُوجَّهة نحو دراسة الجملة وفقا لمستوياتها "الصوتية الصرفية والنحوية الدلالية"، والبحث في ما إذا كانت هذه المستويات منسجمة أم لا. أصبح كل الاهتمام مُنصَّبًا على تحليل النص، وهذا لمجموعة من الأسباب منها: أن الجملة قد تكون مستقيمة مع قواعد النحو والصرف، فتُقبل فقط إذا وردت في سياقها المناسب، وترفض إذا استعملت في خارج سياقها، فمثلا عبارة: "أهنتك بهذه المناسبة السعيدة" تُقبل إذا وردت في سياق "تهنئة شخص ما" على نجاحه وتفوقه ،أو بمناسبة زواجه، وتُرفض إذا قيلت مثلا لشخص: فَقَدَ عزيزا، أو فَشِلَ في اختبارٍ ما، وما جعلها غيرَ مقبولة هو "السياق الخطأ" الذي وردت فيه، والمرفوض اجتماعيا هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإنّ عملية التواصل لا تتم بمجرد التلفظ بجمل أو عبارات مستقلة أو منفصلة عن بعضها، ومن هنا حاول تحليل الخطاب تجاوز الجملة ليشمل النص بمختلف أنواعه (شفويا كان أم مكتوبا)، فُعِرِفَ بأنّ: التحليل اللغوي للخطاب سواء أكان محكيا أم مكتوبا، ويهدف إلى دراسة البنية اللغوية على مستوى يتعدّى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل "الحوار" أو النص مهما كان حجمه، ويهتمّ هذا الميدان بدراسة اللّغة في سياقها. فهو يقوم على "دراسة الاستعمال الفعلي للّغة من خلال متكلمين فاعلين في مقامات فعلية"².

ومن هنا يتّضح "التداخل" بين تحليل الخطاب والتداولية، وتبدو العلاقة وثيقة بينهما، فكل منهما يهتم "بدراسة النصوص وتحليلها من خلال الاهتمام بالمتكلمين (المخاطب) و(المخاطب) ومقاصدهم، والسياق الذي يرد فيه الحوار (الخطاب) والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية"³.

ز - التداولية وعلاقتها باللسانيات النفسية والاجتماعية:

¹ - المتوكل أحمد ، الوظائف التداولية ، ص:09

² - بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية ، ص: 134.

³ - نخلة أحمد محمود ، أفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص:11.

"قد يدخل أحدُ الغرفةَ فيقول: "الجو حار" فيهِمُ أحدُ الجالسين فيها بفتح النافذة"، إنَّ استجابة هذا الفرد تستند إلى سرعة البديهة وقوة الذاكرة، وبعض جوانب الطبع. فعلى الرغم أنَّ المتكلم لم يطلب من سامعه فتح النافذة، إلا أنَّ هذا الأخير فهم قصد المتكلم، كلَّ هذا يندرج فيما يسمى "بملكة التبليغ" الناتجة عن الموقف الكلامي، وهذا التواصل بين الطرفين وفهم مقاصد بعضهم يعدُّ "بُعدا تداوليا"، لذلك فالتداولية تعتمد في درسها على مقولات اللسانيات النفسية، وهو ما يعرف "بمبدأ التعاون" فيراد الخطاب بالكَم المطلوب، والكيف المناسب نابغ من شخصية الفرد، وهو "بُعْدُ نفسي تداولي".

أما عن علاقتها" باللسانيات الاجتماعية "يمكن أن نُورخ لها بظهور المدرسة الاجتماعية اللسانية بزعامة " (فيرث **Firth**) ،الذي تأثر بنزعة "دوركايم" الاجتماعية للغة، هذه المدرسة التي نشأت كرد فعل على اللسانيات البنوية التي أبعدت المكوّن الاجتماعي عند التحليل اللغوي، وجدت صداما ضمن ما يسمى "باللسانيات التداولية"، فلكي تعمد إلى تحليل اللفظ ضمن "السيرورة الاجتماعية" لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار الاهتمامات المنطقية والفلسفية فضلا عن مفهوم البراغماتية، فإذا سمعنا مثلا عبارة "الطقس حارٌ" من غير معرفتنا طبيعة الظروف التي قيلت فيها، فإننا نفهم لا محالة أنها مختلفة عن عبارة "الطقس ممطر" غير أنَّه من المحتمل أن يلجأ أحد السامعين لهذه العبارة إلى فتح النافذة أو تشغيل المكيف الهوائي، فقيمة هذه العبارة والتي دفعتنا إلى القيام بهذا العمل تسمى "براغماتية"، ولهذا لا يمكن أن نعتدّ بالبُعد التداولي دون البعد الاجتماعي رغم كون الأول حديث العهد، إلا أنَّه يُعدُّ أحدَ المعارف التي تناولت الخطاب.¹

¹ -بيار أشار ،سوسيلوجيا اللغة ، ترجمة :عبد الوهاب تزو ،منشورات عويدات ،بيروت لبنان ،1955، ص:90/89.

الفصل الثاني

السياق التّدَاوِي و أثره في عملية

التواصل .

مباحث الفصل:

أ- المبحث الأول:

السياق بين اللغة والاصطلاح.

ب- المبحث الثاني :

ملامح السياق في التراث العربي والغربي.

ج- المبحث الثالث :

تداولية السياق من خلال الحديث النبوي الشريف .



الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

توطئة:

تُعَدُّ إشكالية تحديد المعنى من بين أهمّ المواضيع التي خاض فيها الدارسون اللغويون، هذا ما جعلهم يبحثون في الكشف عن الآليات التي بإمكانهم استعمالها للوصول إلى الفهم الجيد للمعنى الذي يحمله أيُّ نصٍّ أدبيٍّ، فكانت انطلاقتهم الأولى من "المعجم" و أقرّوا على أنّ القواميس كافيةٌ لتحديد معاني المدلولات، إلّا أنّها لم تستطع أن تحصر جميع السياقات التي تقع فيها كلّ كلمة .

لذلك كانت الحاجة أكيدةً إلى ظهور "نظريات جديدة" تؤكد أنّ "السياق" الدور الهام في منح الكلمة مفهومها الخاص، لأنّ دلالتها تحتاج إلى تحديد مجموع السياقات التي ترد فيها، كون نظام اللغة متشابك العلاقات في وحداته من جهة، و مفتوحا على التحديد و التغيير في بنيته المعجمية و التركيبية من جهة أخرى.

لذلك انصبّ اهتمام الدّارسين قديما وحديثا بآثار "تفاعل اللغة" مع الظروف و العادات في المجتمع وكيفيات استعمالها داخل النظام الاجتماعي حيث يحدّد التفاعل بين المرسل و المتلقّي، فكان نصيب "التداولية" أن اهتمت و اعتنت بالكيفية التي تتحقّق بها اللغة عند الاستعمال و عند التخاطب، لا سيما و هي التي جاءت لتهتمّ بمقاصد المتكلّم و البحث في أغوار و معاني الكلام ، محاولةً منها اكتشاف الأغراض التي يريدّها المرسلُ من خلال رسالته، و ذلك حين تتعدى الدلالة المعنى الحرفي إلى المعنى المستتر، فيكشفُ السامع مقاصد المتكلم الذي يعني من كلامه أكثر مما تقوله كلماته.

و لكي تكون نتيجة الحديث ذات مقاصد و ذات منفعةٍ و خادمة لعملية التبليغ، و تكون ذات قوّة خطابية تسمح ببناء علاقة متينة للتواصل بين المرسل و المرسل إليه، جاءت التداولية لتعنى بالكيفية التي تستعمل بها اللغة عند الحديث، و تهتم بالسياق الكلامي و الموقف، و تعنى بالمتكلمين و طرائق حديثهم و بكلّ ما من شأنه أن يزيد عملية الاتصال وضوحًا، و هي التي تهتم بمعالجة ثلاثة معطيات توجّه عملية التبادل الكلامي هي:

المتكلم ← السياق ← الاستعمال العادي للكلام.

فكانت عناية التداولية بالاستعمال العادي للغة من خلال العناصر الثلاثة، فاهتمت بالمتكلم و السامع باعتباره مشاركاً في فعل الكلام و الحديث التواصلي، و تهتمّ بظروف الكلام و مقام الحال، و كلّ ما له صلة بالكلام من عوامل خارجية، أو تناسّب حالٍ من الأحوال أو تنافره للحدث الكلامي، كما اهتمّت بالسياقات اللغوية للمتكلمين حسب الواقع اللغوي، فتبحثُ في الكيفية الخطابية، وتستنتجُ مقاصد المخاطب، إذن فهي "دراسة

الفصل الثاني.....السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

اللغة في الاستعمال".¹

لذلك كان تركيز التداولية على السياق من خلال تبين دوره البارز في العملية التواصلية، فبتغيّره يمكن أن يتغيّر القول و المفهوم، و يكون بذلك موافقا للسياق الجديد، فلكلّ سياقٍ قولٌ معيّن، و هذه الأقوال متوقفة على العوامل الخاصة بالمتكلمين و العوامل الخارجة عنهم، لأنّ القول و ليدُ قصدٍ معيّن يستمد وجوده من شخصية المتكلم و مستمعه أو مستمعيه، و يحصل ذلك في الوسط (المكان) أو اللحظة (الزمان) اللذين يحصل فيهما.....².

و لما كانت التداولية مُركّزة على دراسة العلاقات التي تنشأ بين اللغة و السياق، و المتكلم و السامع و الظروف الزمانية و المكانية، و بذلك تراعي مقاصد المتكلم و ظروفه و كيفية وصول الكلام إلى السامعين و ظروفهم المحيطة بهم - باعتبار أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لضوابط و عوامل اجتماعية - منها علاقة المتكلم بالسامع من حيث المكانة، الجنس، العمر، العرق، الدين، فضلا عن طبيعة موضوع الحديث، و ما إذا كان موضوع الحديث رسمياً أو غير رسميٍّ، و القيم الاجتماعية، و نوع الخطاب، فإنّها قد عملت على أن تستمد من علم اللغة الاجتماعي الحديث بُعداً جديداً من خلال زاوية واسعة هي "السياق المقامي" أو السياق الاجتماعي الذي تستعمل فيه اللغة، و ما يصاحب هذا السياق من عوامل خارجية، و ظروف المتكلم و المخاطب، و الغرض،... و غيرها.

فبذلك درست كيفية فهم الناس و إنتاجهم لفعل تواصلٍ أو فعل كلاميٍّ في إطار موقف كلاميٍّ ملموسٍ و مُوحدٍ، على حدّ تعبير "فان ديك" بعد أن وصفها بأنها علمٌ تساهم بشكل فعّال في التفاعل الاجتماعي و التواصل انطلاقاً من كون المنطوقات اللغوية تهدف إلى الإسهام في الاتصال و التفاعل الاجتماعي..³، لأنّها تدرس كلّ جوانب المعنى التي تحملها النظريات الدلالية حين تتطلّع و تتجاوب مع تفاعل السامع و المتكلم وتواطئهما لحدوث عملية الاتصال بكلّ نجاح، فهي بذلك دراسة جوانب السياق التي تشقّر شكلياً في تراكيب اللغة، و هي عندئذٍ جزءٌ من مقدرة المستعمل....⁴.

و لاعتبار السياق من أهمّ الأعمدة التي تقوم عليها التداولية و سيميائيات التواصل، فإنّ أيّ فهمٍ لخطاب

1 - الإبراهيمي حولة طالب ، مبادئ في اللسانيات، دار القصبّة للنشر، الجزائر، ط1، 2000، ص: 185

2 - نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 14.

3 - المرجع نفسه ، ص: 09.

4 - فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص: 49.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

لغويّ ٍ معين لا يمكن تحقيقه إلا إذا قمنا بتقصّي الأوضاع الاجتماعية و النفسية و التاريخية التي ولّدت لنا خطابا مؤثّنا، مختلف المعارف و التجارب الإنسانية على حدّ تعبير (جون دي بوا) "هو مجمل الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و استعمال اللغة ... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل و المتلقي، والوضعية الثقافية و النفسية و التجارب و المعلومات الشائعة بينهما....¹ .

و إذا كان منهج نظرية "النظرية السياقية" يعدّ من المناهج الأكثر موضوعية و مقارنة للدلالة، فهذا ما يجعلنا نُثبت أنّ الاهتمام و البحث والتنظير لمصطلح السياق « Le Contexte » كان وليد علم الدلالة اللغويّ² « La Sémantique Linguistique » الذي يُعتبر علماً حديثاً بمقارنته مع العلوم اللغوية الأخرى...، و قد كان اهتمامه بالمعنى الشيء الذي أفضى به إلى اهتمامه "بالسياق" كأداة إجرائية تلعب دوراً هاماً في تحديد المعنى، لأنّ السياق في حقيقته يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدتها المتكلم، لأجل ذلك نجد المهتمين بعلم الدلالة اتفقوا على أنّ للكلمة معنى قاعدياً (Le sens de base، و معنى سياقياً « sens Contextuel ».³

و بما أنّ مفهوم السياق "Contexte" تطوّر، إذ لم يعد يقتصر على الجانب اللغوي في إيضاح دلالة الصيغة، و إنّما وُجدت جوانب أخرى قد تنحسم معها الدلالة المقصودة للكلمة، "كالوضع و المقام" الذي يحدث فيه التواصل أو الحالة الفسيولوجية النفسية للمتكلم التي تصاحبه أثناء الحديث، علينا أن نتساءل: ما تعريف السياق في اللغة و الاصطلاح؟، وفي المعاجم العربية؟، و ما مدى تعامل المناهج الحديثة كاللسانيات و تحليل الخطاب مع هذا المصطلح؟، و ما أثر هذا المصطلح في التراث العربي من خلال جهود البلاغيين و النحويين و كذا علماء الأصول و غيرها....

01-تعريف السياق لغة و اصطلاحاً:

لقد أولى العلماء العرب على اختلاف توجهاتهم السياق أهمية بالغة لما يترتب عليه من توجيه للمعنى إلا أنّ هذا المصطلح "يعدّ من المصطلحات التي لم يتمّ تحديد ماهيتها في فنون اللغة العربية قديماً، فلا تكاد نجد تعريفاً صريحاً بماهيته، لأنّ كل ما في الأمر أنّ علماء اللغة العربية يستدلّون به ويشيرون إلى دلالاته أثناء

¹-Jean de bois : Dictionnaire de linguistique, librairie Larousse, 1973. P 120-121.

²- أيت أوشان علي ، السياق و النص الشعري، من البنية إلى القراءة ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط1/2000، ص15

³ -المرجع نفسه: ص 15.

استدلّاهم من غير أن يُحدّدوا معناه النظري تحديدا صريحا.....¹

أ-السياق في المعاجم العربية القديمة و الحديثة:

يعدّ المفهوم اللغوي للألفاظ الركن الأصيل في تحديد المعنى الاصطلاحي و توضيحه، بل إنّه لا يتضح إلّا من خلاله، لذا كان اهتمام القواميس بمختلف مشارها بتعريف كلمة "السياق" بأشكال مختلفة، فأنحصر تعريفهم له في إطاره اللغوي الضيق بعيدا عن التعريف الحديث الذي ساقته المناهج الحديثة و تخصصاتها المختلفة كاللسانيات و حتى التداولية، لأنّها تراعي في تعريفه نوعًا من الوعي النظريّ و المنهجيّ.

و من المعاني اللغوية عند العرب ما أورده "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب"، حين أدرج تعريف السياق تحت مادة لغوية "سَوْقَ" فيقول: ساقَ الإِبِلَ و غيرها، يَسَوْقُهَا سَوْقًا و سِياقًا، و هو سَائِقٌ و سَوَاقٌ (...). و ساقَ إِلَيْهَا المَهْرَ و الصَّدَاقَ سِياقًا و أساقَهُ (...). و ساقَ فلانٌ إلى امرأته: أي أعطّاها مَهْرَها، السِّيَاقُ: المَهْرُ (...). و ساقَ بنفسه سِياقًا: نزعَ بها عند الموت، و يقال: فلانٌ في السِّيَاقِ أي في النَّزَعِ (أثناء الموت) والسِّيَاقُ: "نزع الروح".²

و بذلك أعطى ابن منظور لمادة "السياق" معاني ثلاث انحصرت في: "قاد": إذا ساق الإبل، "أعطى": بمعنى منح زوجته المهر، "نزع": بمعنى قبضت روحه عند الاحتضار.

و ذهب (ابن فارس) إلى أنّ "السين، و الواو و القاف"، أصل واحد، و هو حَدُّ الشّيء، يُقال: ساقَهُ يَسَوْقُهُ سَوْقًا و السِّيَقَةُ: ما استيقَ من الدّواب، و يقال سُمْتُ إلى امرأتي صدَاقَها و أسقته... و السَّوْقُ مُشْتَقَّةٌ من هذا لما يُساق إليها من كلّ شيء، و الجمع أسواق، و السّاق للإنسان و غيره و الجمع سوق، و إنّما سُمّيت بذلك لأنّ الماشي يَنساقُ عليها".³

إلا أنّ "الزنجشيري" في معجمه: "أساس البلاغة" نجده قد وقف عند دلالة أخرى للفظة السِّيَاق حين أخرجها من معناها الحقيقي و وظّفها توظيفًا مجازيًا، مراعيًا في ذلك ضرورة الربط بين لفظة السِّيَاق و الحديث (الاستعمال)، فيقول في مادة: "سوق" أن "سوق، ساقَ النَّعَمَ فَانْساقَتْ، و من الجاز: ساقَ اللهُ إِلَيْهِ خَيْرًا، و ساقَ إِلَيْها المَهْرَ (...). و ساقَ الرِّيحُ السَّحابَ، و هو يَسَوْقُ الحَدِيثَ أَحْسَنَ سِياقٍ، و إِلَيْكَ يُساقُ الحَدِيثُ" و هذا الكلام مساقفه إلى كذا، و جئتُكَ بالحديث على شوقِهِ: أي على سرِّدِهِ".⁴ و بذلك جمع "الزنجشيري" رغم

1 - الزنكي نجم الدين كريم ، نظرية السياق، دراسة أصولية، دار الكتب العلمية، 2006، ص: 35.

2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة "سوق".

3 - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ص: 117.

4 - الزنجشيري جار الله أبو القاسم ، أساس البلاغة ، ص: 225.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

تفطنه للمعنى اللغوي لكلمة "السياق" بين معانيها في المعاجم العربية و قواميسها، و بين المعنى المجازي ، في وقت رأى فيه "ابن دريد" في "جمهرته" أنّ السّوق: مصدر سُقْتُ الإِبِلَ والبِعير ، أَسُوْقُهَا سَوَقًا" و هي كذلك عند "الجوهري" إذ يرى أنّ السياق "نزع الروح" يقال: رأيت فلانا يَسُوْقُ: أي يُنَزِعُ عند الموت".¹ .

و في معنى السّياق: يسوقه سوقا ورد قوله تعالى: " وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ" (ق 21)، فجاء في التفسير: سَائِقٌ يَسُوْقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، و شَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بما عملت، فالسائق من الملائكة، و الشهيد هو الإنسان نفسه".²، وبناء على ما ورد من تعريفات لكلمة السياق، نجزم في الحديث أنّ:

* السياق لغة من الجذر اللغوي "سوق" و الكلمة مصدر: ساق يسوق سوقا و ساقا: و المعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث و هو التابع.

* قد يرد السياق في اللغة بمعنى: المنح و العطاء، أو بمعنى النزع عند الاحتضار.

* المعاني اللغوية التي تدلّ على التابع و التوالي بمعناها تحقيق السبب و التركيب في الكلام، لذلك سمّي السياق بهذه الزاوية (سياق النص)، أمّا التّوالي للأحداث المصاحب للأداء اللغوي، و كانت ذات علاقة بالاتصال، فيُسمّى (سياق الموقف).

هكذا يتبين من خلال المادة اللغوية التي قدمتها المعاجم اللغوية أنّ السياق يشير إلى ثلاث دلالات هي:

* **الحدث:** و هو "سوق الإبل"، و هو المعنى الحسّي الأصلي للكلمة، ثم انتقل عن طريق المجاز إلى الدلالة على المسوق و هو "المهر"، لأنّ أصل الصداق عند العرب الإبل، و هي التي تُساق، فاستعمل ذلك في الدرهم و الدينار و غيرها.

* **الدلالة على "نزع الروح"** لحدوث ذلك حال الموت، لأنّ سَاقَ بِنَفْسِهِ سَيَاقًا: نزع بها عند الموت، فتقول

العرب: رأيت فلان يسوق سوقا، أي ينزع نزعاً عند الموت، فيقال: فلان في السياق أي: في النزع، و السياق نزع الروح، و أصله سَوَاقٌ، فقلبت الواو ياء بكسر السين، و هما مصدران من ساق يسوق".³ . لذلك دلّت كلمة السياق على الظرف أو الحال الذي يحدث فيها الحدث لعلاقته الزمنية، فقد أطلق على حال الموت (سياق الموت).¹

1 - ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة: سوق.

2 - ابن كثير: تفسير ابن كثير، ضبطه وخرّج آياته محمود عبد الكريم الدمشقي، دار صبح، بيروت، ط4/ 2007، ج4، ص 219.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة سوق.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

- و ليس بعيدا عن المعجمين الأوليين، نجد "معجم الوسيط" رغم اعتباره المعجم العربي الذي حاول التجديد و التغيير في الأسس التي اعتمدها الدراسات المعجمية العربية السابقة، فقد عرّف السياق على: "أنّه المهْر و سياق الكلام: تَتَابُعُهُ، و أسلوبه الذي يجري عليه، و السِّياق: النَّزْعُ، يقال: هو في السِّياق، الاحتِضار.²

(و هو القاموس العربي الذي ادّعى واضعوه تجديد و تغيير الأسس التي اعتمدها الدراسات المعجمية العربية خاصة ما يتعلق بتجاوز البيئة الزمنية و المكانية التي قيّدت القواميس العربية طيلة قرون عدة، إلا أنّه لم يقدّم شيئا جديدا بخصوص لفظ "السياق" كمصطلح، فما ورد فيه من إشارات، لا تخرج في عمومها عمّا ورد في "لسان العرب" "لابن منظور".³

- و في حديث المعاجم العربية عن معنى السياق يطالعا (محمد علي الخولي) في: "معجم علم اللغة النظري" بقوله: "السياق Contexte: البيئة اللغوية المحيطة بالفونيم و المورفيم، أو الكلمة أو الجملة و النظرية السياقية: «Contextuel» Meaning: هي تفسير معنى الكلمة حسب السياق الذي تقع فيه".⁴

و خلاصة معنى السياق في المعاجم اللغوية العربية مختصة كانت أو غير مختصة أن ما ورد فيها في تعريف المصطلح يقصد به "السياق اللغوي" فقط.

ب- السياق في المعاجم الغربية:

إنّ مصطلح السياق في المعاجم الغربية قد تمّ تناوله بنوع من التعمق في تحديد ماهيته و معناه، فأحاطوا بجميع الجوانب التي تكوّنه، سواء كانت هذه المعاجم عامة أو متخصصة، كما نجد في معجم "روبير الصغير" و هو الذي حاول واضعاه أن يُحددا السياق اعتمادا على تعريفين:

*التعريف الأول: مجموع نص "يحيط بعنصر لغوي (كلمة، جملة، جزء من ملفوظ) و يتعلق بمعناها و قيمتها.

*التعريف الثاني: مجموع الظروف التي في إطارها يندرج فعل ما، فهناك السياق السيكلوجي للتصرف السياق السياسي، العائلي...".⁵

كما جاء في قاموس: (petit Larousse) لفظ Contexte أي السياق: و هو اسم لاتيني مذكّر ورد "Contexere" و معناه مجموع النص الذي يسبق أو يلي جملة أو مجموعة من كلمات أو كلمة".¹

1 - عوض حيدر فريد، سياق الحال في الدرس الدلالي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998، ص: 8.

2 - المعجم الوسيط: تأليف مجموعة من المؤلفين (مجمع اللغة العربية)، القاهرة، ط4، 1425هـ - 2004م. مادة ساق .

3 - آيت أوشين علي، السياق و النص الشعري، من البنية إلى القراءة، ص: 30

4 - الخولي محمد علي، معجم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1982، ص: 57.

5 - آيت أوشين علي، السياق و النص الشعري، ص: 31.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

أما (ميكرو روبير) "Microrobot" : "فيشرح السياق على أنه مجموع النص الذي يحيط بعنصر لغوي من أجل فهم أفضل.²، أما المعاجم العريقة المتخصصة، فقد أولت الاهتمام البالغ بمعنى السياق من خلال أشهر المعاجم اللسانية و السيميائية، كما نجده عند:

1 قاموس السيميائيات لـ(غريماس و كورتيس):

تشير المعاجم المتخصصة في علوم اللغة و اللسانيات إلى مفهوم محدد للسياق، كما نجد ذلك في "قاموس السيميائيات" لغريماس و كورتيس"، إذ عرّفاه بأنّه: "مجموع النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معينة، و تعلق بها الدلالة (La signification)، حيث يمكن أن يكون صريحا (explicite) أو لسانيا، و يمكن أن يكون ضمنيا (Implicite)، و يتميز في هذه الحالة بأنّه سياق خارجي لساني (extra linguistique) أو مقامي (situational)، و قد ذكر الباحثان في نفس السياق أنّ "جاكسون" في حديثه عن الوظائف التواصلية وضع السياق كعنصر من أهمّ العناصر التي تُشكّل النشاط اللغوي و ماثلة بالمرجع "إنها الوظيفة المرجعية للغة"، و التي تُعتبر ضرورية في توضيح الإرسالية، سواء كان السياق منطوقا أو قابلا للنطق.³

2. قاموس اللسانيات لـ: جون دي بوا:

يحدد قاموس "جون دي بوا" معنى السياق بأنّه: المحيط « l'environnement » أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة متحددة، و يسمى "بالسياق الشفوي"، و يعرف كذلك على أنه: "مجموع الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات القائمة بين السلوك الاجتماعي و استعمال اللغة (السلوك اللساني) (.....) و غالبا ما تحدد هذه العلاقات "بالسياق الاجتماعي" لاستعمال اللغة و هي مجموع المعطيات المشتركة بين المرسل و المتلقي، و الوضعية الثقافية و النفسية و التجارب و المعلومات الشائعة بينهما".⁴ ما نلاحظه من خلال تعريف "جون دي بوا" أنّه ركّز كثيرا على العناصر خارج لسانية في تحديده "للسياق" ألا و هي الشروط الاجتماعية التي يتحقق فيها الخطاب بين المرسل و المتلقي في زمان و مكان معينين، و هذا ما

¹-Petit Larousse : en colleurs, édition paris, 1984, p 295

²-Micro Robert : imprime en France par prod and graphique, Ed, paris 1982, p 220.

³-Voir : J Grimas, J Courts : sémiotique, Dictionnaire saisonné de la théorie du language, p 67.

⁴-J. Dubois, Dictionnaire de linguistique, Larousse, paris 1993, 120-121

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

تذهب إليه "النظرية التداولية" اليوم، حيث تُعْتَبَرُ نظرية استعماله تدرس اللغة في استعمال الناطقين بها و"نظرية تخاطبيه" تعالج شروط التبليغ و التواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء استعمال اللغة.

3. القاموس اللساني: "جورج مونان"

في هذا القاموس ميّز "جورج مونان" بين السياق اللغوي و سياق الحال الذي يعني التجربة غير اللغوية المعيشة، فركز كثيرا على السياق اللساني، حيث يقول: " إن السّياق هو علامة شكلية موجودة في المحيط اللساني (L'entourage linguistique) الحق، و يعتبر السياق على أنّه ترجمة بواسطة أساليب محضّة لسانية، والتي تشارك في المقام لفهم الرسالة، و قد بين ذلك بالمثال الآتي:

- في حالة ما إذا وضعنا "قلما" فوق طاولة ، و قلنا لأحد: (قدّمه لي)، في حين تكتب العكس: (أعط لي القلم الذي فوق الطاولة)، "حين نجرد الحالة من سياقها، فإنّ السياق يعيّن المعنى الذي تمنحه الكلمات". فنفهم الحالة الثانية بتدخل السياق اللساني الذي يفكّ الغموض الموجود.¹

في المثال إشارة إلى العلاقة بين السياق و المقام؛ فهي علاقة تكامل، حيث أنّ المقام يسمح بإزالة الإبهام عن الجملة، كما أنّ المقام يجعل المعلومات المعطاة بواسطته لا تكون بحاجة إلى أن يعبّر عنها بواسطة اللغة، و هي الفكرة التي شرحها جيدا "جورج مونان" من خلال مثاله السابق (أعطني القلم الذي فوق الطاولة)، فالعبارة الأخيرة يمكن أن يستغني عنها استغناء بما يُرى و يُعلم في حال الخطاب، و هو أمر كثيرا ما نبتّه له علماء النحو العربي" في باب حذف الصفة، كما نجدّه عند "ابن جني" في "الخصائص" حين اشترط لحذفها أن يدلّ عليها دليل من اللفظ أو من الحال، و إلّا لم يُجْزَ حذفها.

4. القاموس الموسوعي: ل ديكر و ترودوروف:

ورد في القاموس الموسوعي لعلوم اللغة لكل من "ديكر و ترودوروف" ذلك التوسع و الإحاطة الكاملة بلفظة السياق، خاصة حين ربط الباحثان مصطلح السياق ب"مقام الخطاب"، و الذي هو عبارة عن مجموع الملابس التي يتحدّد في إطارها"فعل التلفظ "l'acte d'énonciation" سواء كان مكتوبا أو شفهيًا

¹- Voir G Mounin, Dictionnaire de la linguistique, 4ème Edition- PUF France, 2004, p 83

الفصل الثاني.....السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

أي يجب أن يعنى بالمحيط المادي و الاجتماعي الذي يأخذ فيه هذا الفعل مكانه، إذ هو الصورة المتبادلة بين المتخاطبين، و في القاموس فضّل "ديكرو" ربط مصطلح السياق بما هو محض، أي بالوحدات الصوتية والمعجمية التي تسبق أو تلحق الملفوظ خاصة.¹

و ترجع أهمية المقام عند "ديكرو" باعتباره يكون ضروريا لتحديد مرجع التعابير المستخدمة كالإشارات " Les "déictique" : "أنا، أنت، هنا، الآن..."

* الاختيار بين التأويلات المختلفة للملفوظ الغامض، لأنّ كثيرا من أفعال التلغظ لا يمكن تأويلها إذا كنا فقط نعرف الملفوظ المستعمل، و نجهد كلّ شيء عن المقام، هذا المقام الذي يحدد مرجع التعابير المستعملة و يمنحنا الاختيار بين التأويلات المختلفة للملفوظ غامض....² .

* الخاصية العادية أو غير العادية للملفوظ، حيث يمكن للملفوظ ما أن يكون عاديا في مقامات معينة، و متغيرا في أخرى، و بذلك يأخذ قيمته الخاصة، وفيه يُلحّ "ديكرو" على المقام باعتباره عنصرا مهما في تحديد المعنى كما يلحّ على عدم اغفال مختلف الأنماط المقامية التي يستعمل فيها الملفوظ.....³.

5 . قاموس: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ل: "مانقو- نو":

في هذا القاموس عرّف صاحبه السياق من خلال عملية "تحليل الخطاب" لا سيما و هي العملية التي تربط الملفوظات بسياقها، و ذلك حين أقرّ بصعوبة الاتفاق حول طبيعة مركبات السياق، بالإضافة إلى المشاركين المكان، الزمان، الهدف (الموضوع thème)، موضوع و نوع الخطاب "les genres de discours" كما لا يمكن أن نهمّل معارف المشاركين حول العالم، و معارفهم المحترمة لبعضهم البعض، و المعرفة الخلفية للمخطط الثقافي للمجتمع أين يتمظهر الخطاب، لأنّ الضرورة تحتم أن يكون المشاركون في الخطاب محاطين بجانب زماني "Spatio-temporel" هدفهم بذلك المشاركة في التلغظ بطريقة ثابتة عن طريق توجيهات لغوية « instruction Langagieres » مُعرّفة بأنواع الخطاب....⁴

1 - آيت أوشين علي، النص و السياق اللغوي، من البنية إلى القراءة، ص 33.

2 - المرجع نفسه: ص 33.

3-Voir : O. Ducrot. T. Todorov : Dictionnaire encyclopédique de sciences du langage, p 422 .

4-Voir : D. Mang uneau : les termes clés de l'analyse du désertus, France, 1996. P

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

من هذا التعريف نستشف ما أراده "مانقو نو" حين طرح إشكالية مركبات السياق التي تتناول مناهج تحليل النصوص، كل حسب الميادين و الآليات التي يعتمدها كما نجد في اللسانيات، و تحليل الخطاب و كذا السيميائيات و التداولية و غيرها، و مما سبق في التعارف العربية و الغربية لمصطلح السياق نلاحظ ما يلي:

* المعنى المشترك لكلمة "السياق" في مختلف المعاجم وهو التتابع و السير و المحارة و الانقياد و الملائمة والنزع و أنّ المعنى الأصلي مرتبط بالمعنى المجازي، فكما تساق النوق و الأغنام في قطيع واحد، كذلك تساق الكلمات في جمل، و هذا هو وجه الشبه بين السياق بمعناه الحسي و السياق بمعناه اللغوي.

* قد يفهم من بعض التعارف في بعض المعاجم أنها شرحت السياق بمعنى "الأسلوب".¹

* المعاجم الغربية شرحت السياق كمصطلح، و عرفت معناه في اللسانيات، لا سيما ما لاحظناه في المعاجم المختصة.

* في قول العرب: سياق العبارة، أو سياق الموضوع، أو سياق الحديث، العرب تعني بها نظم الكلمة في الجملة، و هذا ما لمسناه في معجم "لسان العرب" في معالجته لمادة "تسوق" حيث برزت فيه معاني السرد والسلسلة و الإيراد، كما في قوله تعالى: " وَسَيْقَ الَّذِينَ أَنْقَرُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ". الزمر 73 " وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا ". مريم 86 و جيء الشيء على التتابع (شيء أثر شيء آخر) تقول العرب: تساق الشيطان: أي تسايروا و تقارنا، و التقدم: تقدم من بين يدي شيء: ساق إلى امرأته الصداق، إذا قدمه من أجل النكاح... النزع و الانتزاع كما في الروح و غيرها....".

ج-التعريف الاصطلاحي للسياق:

كثيرا ما يرتبط السياق بالمعنى ارتباطا وثيقا، يجعلنا نضطرّ لإرجاع لفظة ما متعددة الدلالات إلى سياقها الذي وردت فيه، لتتمكّن من فهم و ضبط معناها الحقيقي، لا سيما و أنّ السياق هو ذلك التركيب الذي ترد فيه الكلمة، و يُسهّم في تحديد المعنى المقصود لها، خاصة حين تنتظم المعاني في سلك الألفاظ و تتابعها لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال، لذلك لم تكن "اللسانيات النصية" وحدها من اهتم بالسياق، بل كان محور اهتمام اللسانيات بصفة عامة، وهي التي امتدت لتشمل كلّ

1 - خليل عبد المنعم ، السياق بين القدماء و المحدثين، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، 2007، ص: 28.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

الظروف التي تحيط بالنصّ، مما يتصل بالمرسل و المستقبل، و المقام ككل، إضافة إلى ما يسبق أو يلحق الوحدة اللغوية من وحدات أخرى تتحكم في وظيفتها و معناها.

لذلك كان الاهتمام بعنصر السياق باعتباره مهما و ضروريا في الدرس اللغوي حين يسمح بدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و الكلامي في استعمال اللغة نظرا لأهميته البالغة في عملية الاتصال و التواصل، و يتكون مصطلح "Contexte" من مقطعين هما: Texte و Cont، حيث استعمل المصطلح الأول بمعنى الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم بعد ذلك أصبح يستعمل بمعنى "النص" أي تلك المجموعات من الكلمات المتراسة مكتوبة أو مسموعة، إضافة إلى معنى جديد متمثل في ما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية و غير لغوية...¹ .

فالسياق يتكون من لفظة: "Con" و التي تعني المشاركة، أي وجود أشياء مشتركة تقوم بتوضيح النص وهي فكرة تتضمن أمورا أخرى تحيط بالنص كالبنية المحيطة التي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص والحل²، لذلك فإنّ فهم النص و تفسيره لا يتأتى إلا بالرجوع إلى السياق باعتباره يلعب دورا كبيرا في جلاء معنى النص و إبرازه، بيد أنّه قد يلتبس مصطلح السياق بمصطلح "المقام"، و هذا الالتباس ممتد بين زمنين وثقافتين، فقد شاع "المقام" عند العرب قديما في دراساتهم البلاغية، في حين استعمل كثير من المحدثين خصوصا الغربيين مصطلح "السياق" ..

ويعدّ مصطلح "السياق" من المصطلحات العصبية على التحديد الدقيق في الدراسات اللغوية الحديثة و السبب في ذلك راجع إلى أنّ المصطلح قد يشيع بين الدارسين إلى درجة الابتدال، فيتوهم البعض أنّ هذا المصطلح واضح و مفهوم، فإذا ما حاولوا تحديد المعنى الذي ظنوا أنّهم يفهمونه بدا الأمر عسيرا غاية العسرة و غامضا أشدّ الغموض، و من تلك المصطلحات اللغوية العصبية على التحديد بشكل متفق عليه بين الدارسين مصطلح الكلمة، مصطلح الجملة، و مصطلح (السياق)...³.

و لعلّ هذه الصعوبة هي التي جعلت الذين كتبوا في هذا الموضوع يغضّون الطرف عن تعريف السياق و ينتقلون إلى تبين أهميته في دراسة المعنى و إظهار وظائفه و عناصره، و الحديث عن سياق الحال، وفيه يقول (حبلى محمد): "إذا كنّا نشعر بالصعوبة الواضحة في تجلية المقصود بالسياق بوصفه مصطلحا، فإنّ مرجع هذه الصعوبة . في نظري . هي محاولة العثور على تعريفٍ للمصطلح من ذلك النوع الجامع المانع كما يقول المنطقة،

¹ - كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، القاهرة، ط3، 1421هـ، 2001 / ص: 251.

² - الفقي صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، دار الحكمة، دت، د، ط، ج1، ص: 108. .

³ - حبلى محمد يوسف ، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1991، ص: 28.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

فسوف أوّلِي وجهي شطر ناحية أخرى لعلّها أجدى من تجلّية المقصود بالسياق من محاولة البحث عن مثل هذا التعريف العصبيّ، أعني بذلك صرف الجهد في التعرف على خصائص السياق، و فهم عناصره و بيان دوره في تحديد المعنى...¹

لكن على الرغم من هذه الصعوبة، نجد من علماء العربية من حاول وضع تعريفٍ اصطلاحيّ لمصطلح السياق، كما نجد في "معجم اللغة النظري" الذي عرّف صاحبه السياق: "بأنّه مجموع الوحدات اللسانية التي تحيط بعنصر مُعيّن داخل سلسلة الخطاب و تؤثر فيه".²، فيترتب على هذا التعرف أنّ هناك سياقين يتحكمان في توجيه دلالة النصوص، و لا يشترط أن يجتمعا في كلّ نصّ يراد توجيه دلالته و هما: (سياق لغوي) و (سياق مقامي) يضم جميع الظروف و الوقائع التي تحيط بالنصّ عند شرحه من أجل تحديد معناه.

* أما في معجم المصطلحات الأدبية ل (إبراهيم فتحي)، فقد ورد تعريف السياق على أنّه: "بناءً نصّيّ كاملٌ من فقرات مترابطة، في علاقته بأيّ جزءٍ من أجزائه، أو تلك التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة و دائما ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيقة الترابط بحيث يُلقى الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على معنى و غاية الفقرة بأكملها....."³.

و هو تعريف يسمح بالقول: "أنّ السياق هو جوهر المعنى المقصود في أيّ بناء نصي أو كلامي"، فهو لا يلقي الضوء على الكلمة و الجملة، و إنّما على النص المكتوب و الكلام المجمل من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض، في أيّ سياقٍ من السياقات المختلفة.

د- السياق عند الغربيين المحدثين:

إيماننا منا بالدور الذي يلعبه السياق و يؤديه كآلية من آليات توضيح المعنى و تقويم الدلالة، بل كشرط أساس في فهم الخطاب، نجد أنّه يجب الإشارة إلى جهود علماء الدرس اللغوي الحديث، منهم: (فيرث) من خلال "نظرية السياق" كأحد أشهر نظريات علم الدلالة في فهم المعنى.

01 - "جون فيرث" و النظرية السياقية:

لقد قامت هذه النظرية على مفهوم السياق الذي حدّده أصحابه في أنّه: الوحدات التي تسبق أو تعقب وحدة معينة أو مجموعة الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين الظواهر اللغوية

1 - المرجع السابق، ص: 28.

2 - الخولي محمد علي، معجم علم اللغة النظري، ص: 57.

3 - إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار شرقيات للنشر و التوزيع، ط1، القاهرة، 2000، ص: 245.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

و الاجتماعية، و تُعرف بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي أو سياق الحال « Contexte de situation»¹، لذلك تعدّ هذه النظرية الحجر الأساس في المدرسة اللغوية الاجتماعية التي أسسها "فيرث" (1890م-1960م) في بريطانيا، أحد رواد المنهج اللساني و القطب المؤسس للمدرسة الاجتماعية الإنجليزية أو "مدرسة لندن"، و التي وسّع فيها نظريته اللغوية بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى، لذلك عُرفت هذه المدرسة "بالمناهج السياقي" الذي وضع تأكيدا كثيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة.² و بذلك أكد أنّ اللغة تدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها، لأنّها مزيج من عوامل العادة و العرف و التقليد و عناصر الماضي و الإبداع، كلّ ذلك يشكّل لغة المستقبل، فعندما تتكلم فإنّك تُصهر كلّ هذه العوامل في خَلْقٍ فعليٍّ ملفوظٍ، و نتاج لغتك هو أسلوبك، و في هذا الارتباط حقل واسع للبحث في الأسلوبية.

* و بذلك صرح رائد هذه النظرية أنّ المعنى لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، بمعنى أنّ الكلمة المفردة لا معنى لها، إلّا إذا وصفت في سياق جملة، فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، و أنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها أو تحديدها إلّا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها، و بذلك ركّزوا على السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة من خلال ارتباطها بكلمات أخرى، لأنّ معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات، و المواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوي....³.

* لقد اشتهرت هذه النظرية لما تضمنته من أفكار لغوية حيث تعرّضت للمعنى و مشكلاته و ذلك من خلال إطار منهجيّ مبنيّ على أمرين اثنين:

1. **السياق اللغوي:** أو تحليل النص وفق مستوياته اللغوية و الإفادة من القرائن اللغوية المتوفرة.

2. **السياق الحالي:** أو ما يُعرف "بالمقامي" أو "سياق الموقف".

وبذلك ارتبط مصطلح "المعنى السياقي" مع مصطلح "المقام"، فالمعنى السياقي: ما يوضّحه سياق الحال و الذي استعمله "فيرث" حين أخذ بعين الاعتبار الأقوال و الأشخاص و الأفعال.⁴، و المعنى المقامي معنى يفهم من الموقف الخارجي الذي قيل فيه الخطاب، أو من القرائن الخارجية التي تصحب اللفظ من الموقف الاجتماعي الذي قيل فيه النص، فالمقام هو العالم الخارجي الذي أنتج فيه النص، و يدخل في تحديد دلالاته و المراد به،

¹-Jean Dubois : Dictionnaire de linguistique, p 120-121.

² -أحمد مختار عمر ، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط4، سنة 1993، ص: 68.

³ -أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، 1419هـ، ص: 295.

⁴ -أبو الفرج محمد أحمد ، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، ط96، ص: 15.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

فقد نعجز عن فهم المراد إذا اجْتُثَّ النَّصُّ من سياقه الخارجي، و سوء التعبير من عدم النظر في القرائن الخارجية مثل المكان، الزمان، الأفراد المشاركين في الحدث، و المناسبة التي قيل فيها،وقناة التواصل و غيرها...، و على هذا آمنت هذه النظرية أنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية، بمعنى وضعها في سياقات مختلفة.¹ .

* لقد انبرى "فيرث" في ضوء دراسة المعنى يبحث عن جملة الطرق الدقيقة التي تمكّن من المعنى و تُوصل لفحوى النص، خاصة حين رأى أنّ المعنى هو مجموعة الخصائص للكلمة التي لا استقلالية لها، و لا ذاتية لدلالاتها فهي: "ليست بذات معنى مستقل قائم بذاته، و أنّ وجودها و معناها شيء نسبيّ، يمكن ملاحظة كلّ منهما في سياق غيرها من الكلمات و المعاني، أو عن طريق التقابل بينهما، و لهذا فإنّ ما تدل عليه الكلمة ينحصر في وظيفتها التي لا تعرف إلا بمعرفة وظائف غيرها من الكلمات...."².

* يرى "فيرث" أنّ تحقق المعنى مرتبط بنتائج تحليل العناصر اللغوية الواقعة في سياق معين، بعضها البعض بعد تحديد الحدث الكلامي إلى عناصره المكونانية وفق مستوياته اللغوية، و في هذا الصدد يقول: " أقترح تقسيم المعنى إلى سلاسل من الوظائف الجزئية، و سوف تُعرف كلّ وظيفة بحسب استعمالها شكلا أو عنصرا في لغة معينة من خلال علاقتهما بنصّ ما، و يمكن القول بأنّ المعنى عبارة عن علاقات سياقية معقدة، و علم الأصوات و القواعد و المعاجم و الدلالة، كلّ واحد من هذه الأقسام يأخذ أجزاءه في النص المناسب المعقد..."³

و لأنّ اللغة بطبيعتها نظام معقد متشعب الجوانب، فإنّه ليس في الوسع دراستها دفعة واحدة و لا مفرّ من التركيز... على هذه الجوانب على مراحلٍ متعددةٍ بواسطة استخدام مداخل مختلفة يطلق عليها اسم مستويات التحليل اللغوي.⁴ و التي هي

. **المستوى الصوتي:** و هو ذلك النمط من الدراسة لأصوات اللغة باعتبارها البنية الأساسية للغة، و المظهر المادي لها، و قد أوجد الفكر الإنساني المعاصر منوالين لتناول الظاهرة الصوتية، و هي " علم الأصوات اللغوي" "Phonetics"، و "علم الأصوات الوظيفي" (Phonology)، فالأوّل يتناول الأصوات اللغوية

1 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، 68.

2 - حلمي خليل، الكلمة (دراسة لغوية معجمية)، دار المعرفة الجامعية، ط2، 1998، ص: 95.

3 - زوين علي، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 86، ص: 174.

4 - عزت علي، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب و تحليل الخطاب، (د،ط)، القاهرة، 1996م، ص: 11-12

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

كوحديات صوتية مجردة منعزلة عن السياق الصوتي الذي ترد فيه، و لا يقتصر ميدان هذا العلم في أصوات لغة بعينها بقدر ما يُعنى بالصوت اللغويّ في عمومه، أي بالمسائل العامة و الخصائص المشتركة في جميع اللغات. أما "علم الأصوات الوظيفي" فهو يضع الوظيفة قبل المادة، فيدرس وظائف الأصوات في لغة معينة محددا العناصر المكونة لنظامها اللغوي، و طرق تناسقها في أشكال بعينها، (المقاطع الصوتية، النبر، التنغيم)، فيكون الصوت في سياقه محور الدراسة و الاهتمام لأنه " لا توجد في اللغات أصوات منعزلة إلا بنوع من التجريد إذ أنّها في كلّ لغة تكون نظاما مترابطا، و لكن معنى ذلك أيضا أنّها لا تستعمل على إنفراد، فلا يتكلم إلا بمركبات من الأصوات اللغوية، فأقلّ جملة و أقلّ كلمة تفترض سلسلة من الحركات النطقية المعقدة و قد تركبت فيما بينها."¹، و من هنا تتجلى أهمية الدرس الوظيفي للصوت.

و لعلّ اهتمام "فيرث" بالجوانب الصوتية للألفاظ في السلسلة الكلامية مرده إلى دور تلك الملامح أو المصاحبات الصوتية للكلام في تحديد المعنى لا سيما "النبر و التنغيم" و الوقف، أما النبر "Stress" فهو وضوح سمعي أو بروز نسبي لفونيم أو مقطع في الامتداد الخطي للأصوات الملفوظة نتيجة الضغط أو الارتكاز²، فمن خلاله يتحدد معنى الجملة: كالاستفهام أو الاستخبار أو الاستهزاء و غيرها، أما التنغيم "Intonation"، فهو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق...³، أو هو درجة ارتفاع الصوت أو انخفاضه عن مستوى الجملة أو العبارة.⁴، فجملة بسيطة "السلام عليكم" يتعدّد معناها بتعدد طرق تنغيمها، فقد تدل بتنغيم معين على "التحية" و بتنغيم آخر تدل على التهكم و السخرية، وبتنغيم آخر توحى بغضب المتكلم أو رضاه، فالكلمة الواحدة أو الجملة قد تقال بنغمات متعددة، فيتغير معناها النحويّ و الدلاليّ مع كل نغمة، بين استفهام و توكيد، و تقرير لمعان مثل: الفرح، الحزن، الشك، التحقير... حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي نشأت عنه المعاني المتباينة.⁵

2. المستوى الصرفي: و يسمى المستوى "المورفولوجي"، و هو الذي يمثل الحلقة الوسطى بين المستويين الصوتي و التركيبي الذي تُنظم فيه الكلمات، و يدرس التغيرات التي تقع على صيغ الكلمات، و ما يضاف إليها من سوابق، "Prefixes" و لواحق "Suffixes" و حشو "Infixe" تؤثر في المعنى و تؤدي إلى

1 - فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدوخلي و محمد القصاص، (د.ط)، القاهرة، 1950، ص: 83.

2 - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، د، ط 1959، ص: 70.

3 - تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط 3/ 1998، ص: 226.

4 - كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص: 164.

5 - مذكور عاطف، علم اللغة بين التراث و المعاصرة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، د، ط 1987، ص: 164.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

تغيّره: في مثل قوله: يضرب، ضارب، ضربت، مضروب...¹.

و يعدّ "المورفيم" أساس التحليل الصرفي، و الذي يُعرف بأنه: "أصغر وحدة لغوية مجردة ذات معنى دلالي أو نحوي في الكلمة أو الجملة..."²، و يعبر عن معاني حرفية كالفاعلية و الاسمية و الفعلية و الجنس و العدد.

و بذلك اتخذ "فيرث" فن التحليل الصرفي للملفوظ اللساني "مرحلة من مراحل البحث عن المعنى الذي يمثل كلاً مركباً من مجموعة وظائف لغوية من بين عناصره "الوظيفة الصرفية"، و إذا كانت النهاية القصوى لتشكل الأصوات لغة تتمثل في تشكيلها صيغاً، فإنّ تشكل الصيغ كلمات دالة سيُفضي -لا محالة- إلى النحو نظاماً به تنظم الكلمات جملاً.....³.

3 المستوى التركيبي: يمثل هذا المستوى الحلقة الثالثة المتوالية في التحليل عند المدرسة السياقية، لا سيما و هو الذي يبحث في العلاقات القائمة بين المورفيمات داخل الجملة، و طريقة بنائها و صلتها بعضها ببعض و كذا التغيّرات الطارئة على عناصرها من تغييرٍ يصيبها كالتقديم أو التأخير أو حذف أو زيادة...، لذلك وظف "فيرث" في مدرسته مصطلح "التركيب" باعتباره يمثّل العلاقات التبادلية بين العناصر اللغوية في نصّ أو جزءٍ منه على مستويات من بينها: المستوى النحوي الذي يكون مبنياً على فصائل نحوية "كالأداة و الاسم و الفعل، الظرف... الخ"، مميزاً في دراسته للمعنى بين علاقيتين: العلاقة التركيبية (المحور التركيبي) و علاقات المحور الاستبدالي.

4 المستوى الدلالي: سعياً من "فيرث" لتعميق أصول نظريته السياقية من جهة، و في إطار التلاحم الوثيق بين مختلف مستويات التحليل اللغوي و تفاعلها فيما بينها، مع التأكيد على استحالة استخراج الدلالات من تحليل مستوى بعينه.⁴ يُضَمَّنُ فيرث عناصر نظريته السياقية "المستوى الدلالي"، و هو أسمى مستويات اللغة لأنّه الغاية التي تنتهي عندها و إليها الدراسات اللغوية، و لأنّ التفاهم و التواصل أسمى غايات اللغة.⁵

و في هذا المستوى يندرج المستوى المعجمي، و الذي أجمع جلّ اللسانيين على جعله جزءاً من المستوى الدلالي باعتباره المجال الذي يدرس المعنى المقالي، و الذي يتأسس بدوره وفق معنيين: "معنى معجمي": قائم على علاقات عرفية اعتبارية بين المفردات و معانيها، و "معنى وظيفي": قائم على وظائف الصوتيات و الصرف و

1 - عمارة خليل أحمد، في نحو اللغة و تراكيبيها (منهج و تطبيق)، دار المعرفة، جدة، ط 1 / 1984، ص: 26

2 - التوبجي محمد، راجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 / 1993م، ص: 635.

3 - منذر عياشي، اللسانيات و الدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب ط 1 / 1996، ص: 54.

4 - بحيري سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط 1 / 1997 ص: 26.

5 - سمارة محمد، اللغة العربية، نظامها و أدبها، مطابع الدستورية، عمان، 1989، ص: 28.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

النحو... لأنّ الحقائق التي نصل إليها بواسطة التحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنسبة إلى المعنى الدلالي...¹، و الذي يقوم على المعنيين "المقامي و المقالي".

و بناءً على ما قدّمه "فيرث" للمدرسة الانجليزية في تحديد المعنى و من أجل هذه الغاية، يرى أنّه يستوجب للوصول إليها المرور بالمراحل التالية:

* تحديد النص قيد الدراسة وفق المستويات اللغوية المعروفة (الصوتي، الصرفي، النحوي، المعجمي الدلالي).

* تحديد سياق الحال أو المجريات أثناء الكلام الفعلي، و مثال ذلك كلّ في عملية التحليل كلمة "ولد" حين

تؤخذ في تركيب ما، فيتحدد معناها بمجموع هذه العلاقات و الوظائف اللغوية نحو:

. كلمة "ولد": مورفيم حرّ، يتكون من فونيمات صامتة و صائتة، مرتبة بشكل مخصوص يحدد معناها و

يعنيه، وكلّ تغيير في هذه الفونيمات أو تبديل أحدها يحدث معنى مختلفا و جديدا نحو: (دلو-وَلَد ، وَجَد -وَلَد)

. كلمة "ولد" لها معنى صرفيّ، يُعين بتعدّد سياقاته الصرفية المستعملة، فقد يؤتى بها في الكلام مفردة أو مثني أو

جمع تكسير "ولد، ولدان، أولاد...، لا سيما و أنّ المعنى الصرفيّ يمثل جزءا من المعنى الكلي للكلمة.

. كلمة "ولد" قد تأتي فاعلا، مفعولا به، مضافا إليه... و هو ما يحدده المعنى النحوي الذي يتعدد بتعدد الموقع

الإعرابي للكلمة، مساهما هو الآخر في تحديد معناها الجزئي من معناها العام...

. كلمة "ولد" لها معنى اجتماعي يحدده الاستعمال كالبيئة الاجتماعية و ظروفه المحيطة به.

. كلمة "ولد": لها المعنى المعجمي الذي يختلف بطبيعة الحال عن المعنى المعجمي لغيرها من الكلمات نحو: "بلد"

في حالة استبدالنا كلمة (ولد) بكلمة (بلد) في الجملة: "ولد نحيل"؛ فتتكون لدينا جملة غير مستقيمة دلاليا، هي

(بلد نحيل)، و هذا الإجراء سماه "فيرث" احتمال الوقوع: (Co-Occurance)، و يقابله مصطلح التلازم

(Collocation) الذي يقصد به تلازم وقوع كلام آخر مع آخر دون غيره نحو: "الشمس و النور"، "الليل-

الظلام".²

¹ -تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبنائها، ص: 341.

² -زوين علي، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث: ص: 174.

وخلاصة القول :

إذا كانت هذه النظرية قد آمنت أنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة.¹، فإنّ ما تهدف إليه هذه النظرية هو:

* معرفة الأساليب المختلفة للمنطوقات ، وتصنيفها حسب المواقف الصحيحة، بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها.

* وصف الاستعمال الفعلي لنطق معنى في موقفه الخاص باعتباره شيئا فريدا.

* معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التركيبات النحوية.

* إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم و سائر المشتركين في الكلام.

* وجوب تحديد بنية الكلام، لأنّ هذا التحديد يضمن عدم الخلط بين لغة و أخرى.

* يجب تحليل الكلام إلى عناصره و وحداته الداخلية المكوّنة له، و الكشف عما بينها من علاقات داخلية كي

نصل إلى المعنى، و هي أهداف كلّها توجي إلى الاهتمام الذي كان عليه "فيرث" في إحلال القول محله، ضمن

السياق "الاجتماعي" و من ثمّ الخروج من تعميماتٍ حول أنماط المعاني التي تعززها سياقات اجتماعية محددة

وبذلك أنتج منها مقلّنا لوصف هذه السياقات يشبه إلى حدّ كبير المناهج الوصفية الأكثر حداثة...²

02. السياق عند "أولمان ستيفن" :

إذا كان المعنى عند "فيرث" كلّ مرّكبٍ من مجموعة من الوظائف اللغوية فضلا عن سياق الحال "غير اللغوي"

و يشمل الجانب اللغوي الوظيفة الصوتية ثمّ الصرفية و النحوية و المعجمية، و يشمل سياق الحال عناصر كثيرة

تتصل بالمتكلم و المخاطب و الظروف الملابسية و البيئة...³، فإنّ "ستيفن أولمان" و الذي ركّز على الفرق بين

اللغة و الكلام، فاللغة ثابتةٌ مُستقرة و الكلام عابر سريع الزوال، و اللغة تُفرض علينا من الخارج في حين أنّ

الكلام نشاط معتمد مقصود، كما أنّ اللغة اجتماعية، و الكلام فردي...⁴، يشير إلى أنّ نظرية السياق إذا

طبّقت بحكمة، تمثّل الحجر الأساس في علم المعنى، و قد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج

الباهرة في هذا الشأن، فقد قدّمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات، فكلّ كلماتنا تقريبا تحتاج

على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء كان هذا السياق لفظيا، أم غير لفظي،

1 - أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 68

2 - المرجع السابق، ص: 69.

3 - طاهر سليمان حمودة: دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة، الإسكندرية، 1983م، ص: 21.

4 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشهاب، ط01، 1986، ص: 32.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

فالحقائق الإضافية المستمدة من السياق تحدد الصورة الأسلوبية للكلمة، كما تعدّ ضرورية في تفسير "المشترك اللفظي"¹.

كما يشير "أولمان": "لقد وصّفت لنا نظرية السياق مقاييسَ لشرح الكلمات و توضيحها عن طريق التمسك بما أسماه أستاذنا "فيرت" (ترتيب الحقائق في سلسلة السياقات، أي سياقات كل واحد منها ينضوي تحت سياق آخر، و لكل واحدٍ منهما وظيفة لنفسه، و هو عضو في سياق أكبر، و في كلّ السياقات الأخرى، و له مكانه الخاص فيما يمكن أن نُسّميه سياق الثقافة) ، و الحقّ أنّ هذا المنهج طموح إلى درجة لا نستطيع معها في كثير من الأحيان إلاّ تحقيق جانبٍ واحدٍ منه فقط ، لكنّه مع ذلك يعدنا بمعايير تمكّنا من الحكم على النتائج الحقيقية حكما صحيحا....².

و بذلك يعدّ "أولمان" خمسة من وظائف السياق نلخصها في ما يلي:³
. السياق وحده كفيل بتوضيح ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تحمل على أنّها تعبير موضوعي أم تعبير انفعالي عاطفي، و يمثل لذلك لكلمة "جذر" في مقطوعة شعرية.

. السياق وحده أداة تعيين حدود و مجالات الكلمة في أيّ موقف معين، ككلمة "إنجليزي" التي يتسع مجال استعمالها باعتبارها مصطلحا لغويا عاما أكثر منه مصطلح قوميا في مقابل: (أيرلندي - اسكتلندي).

. السياق وحده يوجه دلالات الكلمات ذوات المعاني المركزية الثابتة، فالسياق يبين ما إذا كان المقصود من كلمة (قريب): "قربة رحم" ، أو "قرب مسافة".

. السياق وحده هو القادر على تحديد معنى واحد من بين معاني الكلمة خارج التركيب، مثل الفعل (أدرك) الواقع فيه الفعل، يتأكد المقصود مثل: (لحق به)، (عاصره)، (رأى)، (بلغ)....

. السياق وحده يكشف المقصود من الكلمات المتفقة النطق مثل "See, Sea" و هو ما يُسمّى بـ"المشترك اللفظي" ، و الذي كثيرا ما يتلاشى غموضه بفضل "صمام الأمان" و هو السياق.

و قد عدّ "أولمان" المنهج السياقي خطوة تمهيدية للمنهج التحليلي، و صرّح بأنّ "المعجمي" يجب -أولا- أن يلاحظ كلّ كلمة في سياقها، كما ترد في الحديث أو النص المكتوب، بمعنى يجب أن تدرس في واقع عمليّ (أي

1 - المرجع نفسه: ص: 66-67.

2 - المرجع نفسه : ص: 67.

3 - المرجع نفسه. ص: 68، 69

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

في الكلام) ثم نستخلص من هذه الأحداث الواقعية العامل المشترك العام، و نسجله على أنه المعنى للكلمة...¹ ، و تطرح نظرية السياق منهجا عمليا في دراسة المعنى له ثلاثة أركان رئيسية هي:

الأول: وجوب اعتماد كلّ تحليل لغوي على ما "يسمى بالمقام أو سياق الحال"، أو "المجرى"، وهو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية و هذه العناصر هي:

- الكلام الفعلي نفسه.

- شخصية المتكلم و السامع و تكوينهما الثقافي، و شخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم و السامع- إن وجودوا-، و بيان مدى علاقتهم بالسلوك اللغوي، و هل يقتصر دورهم على الشهود أم على أنهم شاركوا في الكلام و النصوص التي تصدر عنهم.

- الأشياء و الموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام و موقفه.

- أثر الكلام الفعلي في المشتركين، كالإقناع و الألم أو الإغراء أو الضحك و غيرها.

- العوامل و الظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة، و بالسلوك اللغوي، لمن يشارك في الموقف الكلامي كمكان الكلام و زمانه، و الوضع العام إن كان له دخل.

الثاني: وجوب تحديد بنية الكلام المدروس و صيغته لكي تضمن عدم الخلط بين لغة و أخرى، أو لهجة وأخرى، أو بين مستوى كلامي و مستوى كلامي آخر، لأنّ من شأن هذا الخلط أن يؤدي إلى نتائج مضطربة غير دقيقة، و من ثمّ تحديد البيئة الاجتماعية و الثقافية التي تحتضن اللغة المراد دراستها، لوجود الصلة الوثيقة بين اللغة و الثقافة المحيطة بها، و هو ما يمكن أن يسمى "بالسياق الثقافي"، و هو أمر مهم بالنسبة إلى الفصل بين المستويات الكلامية كلغة المثقفين و لغة العوام، و لغة الشعر، و لغة النشر.

الثالث: وجوب النظر إلى الكلام اللغوي على مراحل، لأنّه مُكوّن من أحداث لغوية مركبة و معقدة و تحليلية على هذا المنهج أيسر و أسلم، إذ تقود كلّ مرحلة إلى التي تليها في سهولة و يسر، و هذه المراحل هي فروع علم اللغة، و النتائج التي تصل إليها هذه الفروع هي مجموع خواص الكلام المدروس، و هذه الفروع وثيقة الصلة فيما بينها، و غايتها إجلاء المعنى اللغوي، فالعنى اللغوي له وسائله الصوتية ثم الصرفية و النحوية و المعجمية و الوظيفة الدلالية لسياق الحال، و لا بدّ للوصول إلى المعنى من الربط بين النتائج التي تنتهي إليها هذه التحليلات جميعا ربطا يدخل في اعتباره سائر عناصر (سياق الحال).²

¹ - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 72.

² - طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، ص: 214-217.

و خلاصة القول :

إنّ أهمية نظرية السياق تشمل في عنايتها بالشقّ الاجتماعي للمعنى، و هو ما يسمى (بسياق الحال)، لأنّ إجلاء المعنى على المستويات اللغوية (الصوتية و الصرفية و النحوية و المعجمية) لا يعطينا إلا معنى (المقال) أو (المعنى الحرّي)، و هو معنى فارغ من محتواه الاجتماعي، منعزل عن القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى، لذلك كان من الضروري العناية به ، و من ثمّ فإنّ المعنى الدلالي يشمل جانبيين أولهما يتمثّل في (المقال) و الآخر في (المقام) أو (سياق الحال).

هـ- السياق عند المحدثين العرب:

- إذا كان علماء العربية و أصوليوها من القدماء قد انتهوا إلى جملة من الحقائق المتّصلة بقوام الحديث عن السياق و ما يتعلق به. فإنّ المحدثين منهم قد تولّد اهتمامهم بدراسة السياق بتأثير واضح من نظرية "فيرث السياقية"، لأنهم تلقوا العلم على يديه بشكل مباشر أو غير مباشر، و من أمثلة هؤلاء: الدكتور (تمام حسان) والدكتور (كمال بشر)، و الدكتور (محمد السعران) ، و غيرهم. و يظهر ذلك بجلاء في مؤلفاتهم العلمية. لذلك ارتبط الدرس اللغوي الحديث منذ بدايته بأسماء تتلمذوا على يد "فيرث" و أخذوا عنه أصول الدراسات اللسانية العلمية الحديثة، و نهلوا من فكره، ثم نقلوا ذلك إلى العربية و الدرس العربي، فما يكشفه كتاب (علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي) للدكتور: "محمد السعران" باعتباره رافدا مهما من روافد الدرس اللغوي، أطلّع من خلاله القارئ العربي على علم عربيّ جديد هو "علم اللغة"، حيث حوى هذا الكتاب مسيرة الدرس اللغوي العربي حتى فترة الأربعينات من القرن الماضي، مُلخّصا فيه مختلف المدارس و المناهج اللغوية الغربية بشكل يستطيع معه المطّلع عليه أخذ صورة عامة و شيقّة عن التطور اللغوي الحاصل في اللغويات في الركن الغربي. فمن خلال كتابه عرّج على "نظرية السياق" عند تعرّضه للمدرسة الانجليزية الاجتماعية أو "مدرسة فيرث"، فأبدى ذلك الولاء و الإشادة بالرأي و الجهود المبذولة في مسألة السياق ،فسبقه دائما بلفظة "أستاذ"، كما أشار إلى ذلك الدكتور "حلمي خليل" حين صدّر كتاب "السعران" بقوله "... و هنا يتّضح انخيازه الكامل إلى المدرسة الاجتماعية الانجليزية التي يترجمها أستاذه فيرث"....¹.

¹ - السعران محمد ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط 2 / 1997، ص: 12.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

و من الأمثلة التي ضربها "السعران" تؤكد استعماله للسياق اللغوي كما في المدرسة الإنجليزية، من خلال ما ذكره عن كلمة: "أول" في الآية الكريمة: " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ... " آل عمران 99 " فرأى أنّ "البيت" في الآية معلوم أنّه الكعبة المشرفة، لكنّ السؤال في "أول" لذا يجعل السائل يتساءل:

- هل أنّ الكعبة هي أول ما بُني على ظهر الأرض (مذهب المفسرين).

- هل أنّ الكعبة هي أول بيت وُضع لعبادة الله وحده (مذهب المدققين من المفسرين).

و ما يجعل هذا التساؤل هي "آيات بيّنات" في شكل قرائن لغوية "تضمّنت أخبارا من عند الله تعالى، أمر من خلالها إبراهيم و ابنه عليهما السلام ببناء الكعبة، و كان قبلهما خلق كثير...."¹.

ليحتلّ السياق جانبا مهمّا في أعمال اللغوي الشهير "تمام حسان" لا سيما و هو الذي أقرّ في إحدى أشهر مؤلفاته: "اللغة العربية معناها و مبناها" "أنّه قد أنتهج هذا المنحى الذي يُعدّ أحد إسهامات الدراسات اللغوية الحديثة، و أنّه سعى إلى تطبيقه على اللغة من خلال كتابه ذلك...."²، و قد تجلّى ذلك في بحثه إياه - أي السياق- و توظيفه له أداة كأداة ذات سلطة كبيرة في استخراج المعنى، و الحثّ على انتهاج هذا المنوال اللغوي لمن ابتغى الدلالة و رام الوصول إليها.

و أمام هذه الجهود تتراءى نظرة "تمام حسان" إلى المعنى باعتباره: "الهدف المركزي الذي تُصوّب إليه الدراسات من كل جانب..."³، حين رأى له أنواعا ثلاثة تصبّ كلّها في المعنى بطريقة منهجية، أحدهما "المعنى الوظيفي"، و هو وظيفة الجزئي التحليلي في النظام أو في السياق على حدّ سواء، و ثانيهما: "المعنى المعجمي" للكلمة، و كلاهما متعدد و محتمل خارج السياق، و واحد فقط في السياق و الثالث: "المعنى الاجتماعي" أو ما يعرف "بمعنى المقام"⁴.

فهو يرى أنّ المعنيين "الوظيفي و المعجمي" في مجموعهما يؤلفان معنى واحدا هو "المعنى المقالي"؛ أمّا الأوّل (الوظيفي) فهو حصيلة المعنى الصوتي و الصرفي و النحوي، في حين أنّ الآخر (المعجمي) و يسمّى أيضا المعنى المفرد، إذ معنى الكلمة في المعجم هو:..معنى متعدد و محتمل،... و من ثم يفتقر إلى قرينة السياق التي تحدده..."⁵.

1 - المرجع السابق ، ص: 217.

2 - تمام حسان ، اللغة بين المعيارية و الوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2001، ص: 117.

3 - تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها، ص: 28-29.

4 - المرجع نفسه ، ص: 29

5 - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية و أسلوبية ، عالم الكتب، ط 2 / 2000 ، ص: 370.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

كما نظر من جهة أخرى إلى المعجم بوصفه قائمة من الكلمات لا نظام لها، و يشكل في نفس الوقت جزءا مهما من اللغة لإمداده إياها بمادة عملها، بما هو مختزن في ذاكرة المجتمع من مفردات، و يُرجع علة تعدد معنى الكلمة في المعجم و احتمالاه: ... إلى صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق، و ثبوت ذلك لها سبق استعمالها في نصوص عربية قديمة و حديثة، و من صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق يأتي تعدد معناها و احتمالاه في حالة الأفراد... ، و يضرب لذلك مثلا من خلال تسييق كلمتي (صاحب) و (ضرب)، إمّا عن طريق ضمّها مع المضاف إليه، مثل: "صاحب البيت=مالكه" ، و صاحبي=صديقي، و صاحب المصلحة=المنتفع، و إمّا بإدخال اللفظة في تركيب أو جملة عامة مثل: "ضرب زيدَ عمرًا": بمعنى "عاقب"، "ضرب الله مثلا": بمعنى: "ذكر"، ضرب له موعدا أي: "وعده".¹

ما نستخلصه من جهود "تمام حسان" اللغوية في حديثه عن "السياق" أنّه أجاد فعلا البحث فيه خدمة للعربية تطبيقا و تنظيرا، متأثرا بواضع نظرية السياق "فيرث" من خلال تصوّره للمعنى و أساليب الوصول إليه عبر استخدام الطرق التحليلية التي تُقدّمها فروع الدراسات اللغوية المختلفة و الصوتيات، الصرف، النحو (أدوات تحليل المعنى الوظيفي)، ثم نظرتة للمعجم لتشكّل كلاً مع القرائن المقالية المصاحبة للمعنى المقالي "المعنى الكلّي"، أو ما يعرف "بالمعنى الدلالي".

وترامنا مع جهود "تمام حسان" في هذا المجال نجد الدكتور: (كمال بشر) كذلك واحدا من الذين أبدوا ولعهم بالمدرسة الاجتماعية بقيادة "فيرث"، خاصة حين أعلنها صراحة متبينا آراءها قائلا: "... و نحن من جانبنا لا يسعنا إلا أن نتبع هذه المدرسة، لأنّ في مناهجها ما يكفل لنا الوصول إلى نتائج صحيحة خالية من الاضطراب و الخلط..."²، مما يجعله يفتح باب دحض ما في المناهج الأخرى العقلية و النفسية و السلوكية لأنّها في نظره تؤدي إلى الخلط في مراحل البحث عن المعنى، هذا الأخير لا تتراعى معاملة إلا من خلال ما سارت عليه المدرسة التي يرأسها الأستاذ "فيرث"، و التي ترى أنّ المعنى اللغوي هو مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للحدث المدروس، وهذه الخصائص لا تُدرس دفعة واحدة، بل لا بدّ من تناولها على مراحل أو مستويات مختلفة، و المعنى بهذا المفهوم شيء مُعقد ذو أجزاء أو عناصر مختلفة، و وظيفة فروع علم اللغة مجتمعة بيان هذه العناصر و تحليلها...³.

1 - تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها، ص: 323-324.

2 - ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة، ص: 31.

3 - المرجع السابق ، ص: 81. (هامش).

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

وقد باتت جليا دعوة "كمال بشر" إلى تطبيق و ممارسة هذا النمط من الدراسة القائم على تحليل المستويات اللغوية للتركيب أو المنطوق مع الأخذ بعين الاعتبار ما أسماه (المسرح اللغوي) (Linguistic – Théâtre) بما فيه من الملامح الصوتية الموجهة أو النطق و ألوانه، الذي يساهم بقدر كبير في تعيين الدلالة في النصّ المنطوق....¹

و خلاصة هذا المبحث اعتراف بأنّ جهود اللغويين العرب كانت في عمومها دراسات نظرية لانعدام عنصر التطبيق و التمثيل في دراسات "محمود السعران" ، كما هو ظاهر في عنوانه "مقدمة للقارئ فقط" ، كما غلب الطابع النظري عند "كمال بشر" ، لكن بسط النظرية كان بوضوح مدعّمًا بالشواهد و الأمثلة مُتخذًا من العربية مثالًا للتطبيق، فرأيناه عند "تمام حسان" ، لا سيما و هو الذي بنى نظريته في هذا الكتاب (اللغة العربية معناها و مبناهما) متأثرًا بالنظرية السياقية منهجا و تطبيقًا.

2- أنواع السياق:

كثيرا ما ركّزت المدرسة الاجتماعية على دور السياق في تحديد المعنى، لأنّ الكلمة يتحدد معناها من خلال السياق الذي ترد فيه، حيث أنّ للكلمة عدّة استعمالات سياقية، و كلّ سياق يظهر أو يحدّد أحد هذه المعاني أو وجها منها، كما يقول الفيلسوف الألماني: "فيتغنشتين" معنى الكلمة يكمن في استعمالها في اللغة" و يقول أيضا: "لا تسئل عن المعنى، و لكن سل عن الاستعمال"²، لأنّ تعدد أنواع الكلمة الواحدة يرجع إلى تعدد المواضيع التي ترد فيها، و الذي يؤدي بدوره إلى أنواع عديدة من السياقات، لا سيما - كما عرفنا- أنّ معنى الكلمة هو استعمالها في السياق، و أنّ المعنى "لا ينكشف إلّا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة، فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، و أنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحريرها إلّا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها."³

لذلك تعتمد اللّغة على السياق في ضبط معانيها و إزالة الغموض عنها، فالسياق هو الذي يحدد ما إذا كان المقصود هو المعنى الأصلي أو المجازي، و ذلك عن طريق اعتماده على مجموعة من الظروف الحسية و النفسية المحيطة بالنص، و كذا المحيط الاجتماعي، لأنّ السياق يعتمد على معرفته بالعادات و التقاليد و الحياة الروحية و الدينية و الاجتماعية بصفة عامة في تحديد المعنى، و كذلك على معرفة أسباب النزول

¹ - كمال بشر ، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط2 / 1971 ، ص: 65.

² - Wittgenstein : semantics : theories of meaning in generative grammar p : 19

³ - تمام حسان ، الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي ، عالم الكتب القاهرة ، ط1 / 2000، ص: 68.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

غيرها من الظروف التاريخية و الجغرافية و الثقافية الأخرى، و من هنا نلاحظ أن قرنية السياق تمتد على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة و تنتهي بهذه القرائن المختلفة¹.

و تتنوع السياقات بتنوع الظروف المحيطة بإنتاج نص ما، سواء أكانت الظروف داخلية أم خارجية لأنّ دراسة معاني الكلمات تتطلب عند أصحاب نظرية السياق تحليلا للسياقات و المواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي².

و لذلك اقترح "Ammer" تقسيما للسياق ذا أربع شعب³، كما يراها هو: "لغوي" و "عاطفي" و "اجتماعي"، و "سياق موقف"، و يمكن تقسيم السياق إلى قسمين كبيرين، كما اقترحه اللغويون هما :

سياق لغوي ————— سياق غير لغوي

أ- السّياق اللّغوي: (Contexte linguistique)، (Linguistic Context):

هذا النوع من السياق يعدّ حصيلة استعمال اللغة داخل نظام الجملة، عندما تُساوى مع كلمات أخرى مما يُكسبها معنى خاصا محددا، فالمعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدّمه "المعجم"، لأنّ هذا الأخير متعدّد و متحوّل، في حين أنّ المعنى الذي يُقدّمه "السياق اللغوي" هو معنى معين له حدود واضحة، و سمات محدّدة غير قابلة للتعدّد أو الاشتراك أو التعميم...⁴

فالسّياق اللغوي إذن: "هو الاعتماد على الوحدات الدلالية و تجاورها في تركيب ما، بحيث لا يحدد معنى وحدة دلالية معينة ما لم ينظر إلى ما صاحبها في التركيب، لأنّ الكلمات تدخل في تركيب ما تشكّل نسيجا لغويا يعتمد كلّ جزء فيه على الآخر، فهو يتعلّق بالنظر إلى بنية النص، و مهمته توضيح أبعاد الدلالة الغامضة في اللفظ، و كلّ ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة، و ما يحتويه من قرائن تساعدنا على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، و هي تسبح في نطاق التركيب"⁵، لذلك وجب العودة إلى نظام اللغة (الصوتية و الصرفية و النحوية و التركيبية و الدلالية) للوقوف على ذات الكلمة وأهميتها، و من أمثلة ذلك:

* عندما ترد كلمة "عين" في العربية: و هي من "المشترك اللفظي" في سياقات لغوية متعددة، يتبيّن للدارس ما

1 - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية و أسلوبيّة للنص القرآني، عالم الكتب ، ط2/2000 ، ص: 220.

2 - أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات، ، ص: 295.

3 - أحمد مختار عمر ، علم الدلالة، ص: 69.

4 - عون نسيم ، الألسنية، محاضرات في علم الدلالة، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2005، ص: 159. وأحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص: 295.

5 - عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2002، ص: 542-543.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

تحمله من معانٍ مختلفةٍ باختلاف كلِّ سياقٍ ترد فيه، فكل سياق آت ترد فيه كلمة "عين" يقدِّم معنى واحداً تتجه إليه الأفهام و تترك ما سواه، فنقول مثلاً:

- عين الطفل ← العين هنا هي الباصرة.
- عين جارية في الجبل ← العين هنا هي عين الماء.
- هذا عين على العدو ← العين هنا بمعنى الجاسوس.
- الرجل عين من الأعيان: ← العين هنا السيد في قومه.

كما أنّ لفظة (Good) في "اللغة الانجليزية" تقع في سياقات لغوية متنوعة، فإذا وردت وصفاً:

- أشخاص: رجل، امرأة، ولد (دلّت على الناحية الخلقية).
 - طبيب، معلم، مهني،.....(دلّت على التفوق في العمل و الأداء الممتاز).
 - مصادر و محسوسات: ملح، دقيق، هواء، ماء،.. دلّت على النقاء والصفاء و الخلوّ من الغش.¹
- فمن المؤكّد أنّ ما ذُكر لا ينطبق على أمثلة محدّدة و كلمات نادرة، إنّما ينطبق على غالبية المفردات حين ترد في السياق، و يرجع هذا إلى أنّ طبيعة المعنى في المعجم تختلف عن طبيعته في السياق، علماً أنّ السياق اللغوي يوضح كثيراً من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياساً لبيان "الترادف" أو "الاشتراك اللفظي"، أو "العموم، أو الخصوص" و غيرها....

مما سبق نستنتج أنّ السياق اللغوي تُراعي فيه القيمة الدلالية المستوحاة من عناصر لغوية، فالكلمة يتحدد معناها من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى في النّظم من خلال جملة أو فقرة أو غيرها. و يضرب "كريم زكي حسام الدين" مثالا آخر لذلك من خلال الفعل "أكل" و معانيه المتعددة من خلال سياقات قرآنية مختلفة في قوله تعالى:

- " وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ... "الفرقان" 07- الأكل: بمعنى التغذية.
- " وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ... " يوسف " 13- الأكل: بمعنى الافتراس.
- " هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَنذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ " الأعراف 07- الأكل: بمعنى الرعي.
- " أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا... " الحجرات " 12- الأكل: بمعنى الغيبة.
- إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا... "النساء" 10- الأكل: بمعنى الاختلاس.
- حَتَّى يَأْتِيَْنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ " آل عمران " 183 - الأكل: بمعنى الاحتراق.¹

¹ - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 297.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

ليبقى السياق اللغوي مرتبطا بكلّ ما يتعلق بالنظر في بنية النص، لتوضيح أبعاده الدلالية الغامضة في اللفظ عن طريق نظم اللغة، و يشمل هذا النوع من السياق على "مكونات أساسية" هي:

أ - المستوى الصوتي :

يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه، لأنّ مهمته الوظيفية تظهر في تأثيره الدلالي داخل السياق، و هو المكان الذي تؤدي الفونيمات أدوارها الوظيفية الدلالية للكلمات.

ب- المستوى الصرفي :

لا تكتسب المورفيمات دلالة أو قيمة إلاّ إذا كانت ضمن سياق تركيب معين، حيث ترتبط بصيغة ما: كحرف المضارعة (ي) + خرج = يخرج.

ج - المستوى النحوي :

يتكون من شبكة من العلاقات القواعدية التي تتحكّم في بناء الوحدات اللغوية داخل نصّ ما، كالإعراب الذي يمثل قرينة بيانية يساهم في توضيح المعنى.

د - المستوى المعجمي :

مجموعة من الوحدات اللغوية التي تحمل معنى ما، و تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى في صورة

تركيبٍ نحويّ صحيحٍ، لإنتاج المعنى السياقي العام لهذا التركيب.

ب- السّياق غير اللّغوي: (Contexte de situation)، (Context of Situation):

و يُسمّى أيضا "بسياق الحال"، و يتمثّل في الظروف و الملابسات و المواقف التي يتمّ فيها الحدث اللغوي وتتصل به، و هو ما أطلق عليه الدكتور: "كمال بشر" اسم: "المسرح اللغوي"، كما سمّاه "فيرث" سياق الحال، و يعرفه: "بأنّه جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي، و من هذه العناصر شخصية المتكلم و السامع و تكوينيهما الثقافي، و شخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم و السامع -إن وجدوا- و بيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، و العوامل و الظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة و السلوك اللغوي، و العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة و السلوك اللغوي ممن يُشارك في الموقف الكلامي، كحالة الوضع السياسي، المكان، الكلام،....²، فهو بذلك يركز على الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي بجمع عناصره انطلاقا من:

1 - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 297.

2 - السعران محمد، علم اللغة، مقدمة إلى القارئ العربي، ص: 338.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

(المرسل ← الوسط ← المرسل إليه) يجمع مواصفاتها و تفصيلاتها ،فالكلام " لا ينطق بمعزل عن إطاره الخارجي" ، لذلك تقول العرب: "لكل مقام مقال" ، و كان البلاغيون أكثر القوم احتفاء و اهتماما بهذا المنظور، لذلك يجب فهم كلّ القرائن التي تحيط بدائرة النص في تحديد أبعاده الدلالية.¹، و ينقسم هذا النوع من السياق إلى:

أ. السياق العاطفي: (Contexte emotionel)، (Emotional Context):

إذا كانت الكلمة بصفة عامة تؤثر في متلقيها، و توقظ فيه شحنة من المشاعر و الأحاسيس، فإنّ السياق العاطفي يقوم بتحديد طبيعة استعمال الكلمة في دلالاتها الموضوعية التي تفيد العموم، و دلالاتها العاطفية.² التي تفيد الخصوص، فيحدّد درجة القوّة و الضّعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا³، ممّا يتطلّب قرائن بيانية تؤكّد عمق أو سطحية هذا اللون من الانفعال.⁴، كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية و العاطفية كأنّ تُنطق و كأنّها تمثّل معناها تمثيلا حقيقيا، و لا يخفى "ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية".⁵

فمثلا عند التعبير عن أمرٍ فيه غضب و شدة انفعال، فإنّنا ننتقي الكلمات ذات الشحنة القوية و المعبرة إلى درجة أنّ المتكلم نفسه لا يقصد استعمال هذه الكلمات مثل ألفاظ "القتل، الذبح..."، إلى غير ذلك لذلك يقول (ستيفن أولمان): "إنّ السياق وحده هو الذي يوضّح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنّها تعبير موضوعي صرف، أو أنّها تُفصد بها التعبير عن العواطف و الانفعالات".⁶

إنّ تأدية اللّغة وظيفيّة عاطفيّة فضلا عن وظيفتها بنقل الأفكار و التعبير عن الحقائق و القضايا الموضوعية يتأتى من استثمار طاقات السياق، فالكلمات هي نفسها تستعمل في تأدية الوظيفتين، لكنّ السياق المختلف هو الذي يجعل المعنى هنا عاطفيا و هناك سياقيا، و قد علّق "ابن جني" عن بعض الكلمات بأنّ أهل النسيب

1- عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة، ص: 543.

2- أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات، ص: 296-297.

3- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 70.

4- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص: 549.

5- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 297.

6- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 63.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

و الرقة و ذوي الأهواء يقيّدون من هذه الألفاظ ما يقيده منها غيرهم، و بيّن كيف تكون الكلمة في موضع ما عاطفية و في غيره ليست كذلك".¹

و من أمثلة ذلك من حيث طبيعة استعمال الكلمة في دلالاتها الموضوعية و دلالاتها العاطفية الخاصة، كلمتا: "جهاد، نضال" كلمتان مترادفتان إلا أنّهما مختلفان عند حدود استعمالهما، لأنّ كل مُستعمل له انتماء فكري ينحاز له فكريا و عاطفيا، رغم اشتراك الكلمتين في عموم الموضوع، إلا أنّ لكلّ كلمة خصوصيتها و جمهورها، فالإسلامي يوظف كلمة "جهاد"، و العلماني يوظف كلمة "نضال".

و من حيث درجة القوة و الضعف: فالكلمات ذات الشحنات التعبيرية القوية ترد حين يكون الحديث عند أمر فيه غضب و شدة، فتُوظف ألفاظ ذات شحنة قوية، فالذين "يتعاركون"، "يتقاتلون" أو "يتداجون" بعضهم بعضا، فاستعمالها لا يقصد معناها الحقيقي، و إنّما محمّلة لما في داخل المتكلم من غضب و انفعال، أو انشراح و سرور.....".

أما من حيث طريقة الأداء الصوتي، فيظهر الدور الفعّال للسياق العاطفي في شحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية و العاطفية، حيث تُنطق الكلمة و هي تمثّل معناها تمثيلا حقيقيا مع ما يصاحبها من إشارات الكلام من هذا القبيل: "النبر"، "الإيقاع" و "التنغيم" و اختيار الكلمات و نظام ترتيبها و مواقعها"....، كلّها مجتمعة أو متفرقة قد تظفر بإحداث التأثير و تنويع التعبير عن الانفعال"².

ب: سياق الموقف : (sitinational contexte): يدلّ هذا النوع من السياق على العلاقات الزمنية و المكانية التي تجري في الكلام"³، أو هو على حدّ تعبير "عبد القادر عبد الجليل": "مجموعة الظروف التي تحيط بالحديث الكلامي ابتداء من المرسل، والوسط، و من المرسل إليه بمواصفاتهم و تفصيلاتهم المتناهية في الصغر..."⁴، لذلك -ومن أجل فهم نصّ ما- يجب معرفة كلّ القرائن و الظروف التي تحيط به باعتبارها تساعد بشكل كبير في إزالة اللبس و الغموض عن النصّ .

1 - المرجع السابق، ص: 70.

2 - عون نسيم، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، ص: 160.

3 - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 298.

4 - عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص: 543.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

ولأنّ ما يُؤديه السياق للمعنى من تحديد ومناسبة ظرفية يتطلب من الباحث عامة الإمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها، وبذلك يُمهدّ عادةً للآثار الأدبية بدراسة البيئة الزمنية والمكانية والملابسات الشخصية، لما لها من أهمية في معرفة المعنى المقصود من تلك الأثناء".¹

إنّ مراعاة الموقف تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأدّباً، بل قد يضطر المتكلم إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى " التلميح دون التصريح" وأنّ ما يُؤديه المقام للمعنى من تحديد ومناسبة ظرفية يتطلب الإمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري فيها الكلام، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في قضية التحكيم المشهورة في قول الخوارج: "لا حكم إلا لله"، فكم كان هذا القول براقاً وحادّياً، لكنّ ردّ الإمام علي "كرم الله وجهه" حول هذه المقولة والشعار عكس الظاهر فكان قوله: "كلمة حق يراد بها باطل"²، لأنّ الإمام علي "كرم الله وجهه" أراد بذلك أنّ هتاف الخوارج كلام ديني صحيح لكن المقام هو "إلزام سياسي".

ومثال آخر ما ورد على لسان "الأحنف بن قيس" حين سأله "معاوية بن أبي سفيان" عن رأيه في أخذ البيعة بولاية العهد ليزيد أبنه، مع أنّه لم يكن محمود السيرة في الناس، فقال الأحنف مقولته الشهيرة: "أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت"³، فكانت كنيته أبلغ من التصريح وأقدر على أداء المعنى من التوضيح.

فسياق الموقف إذن: "يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة"، فاستعمال كلمة "يرحم" في مقام تسميت العاطس بقولنا "يرحمك الله"، وفي مقام "الترحم بعد الموت": "الله يرحمك" فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، و الثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دلّ على هذا "سياق الموقف".

وبالتالي لا بُدّ للدارس اللغوي أن يتفاعل مع المقام المتكوّن من العناصر الآتية، و التي تمثّل عناصر أساسية في سياق الموقف وهي:

. الكلام الفعلي: أي ما دار بين المتكلمين خلال الموقف الكلامي.

. طبيعة المتحدثين: يعني من هم هؤلاء المتحدثون الذين دار بينهم الحديث؟ ومعرفة كل واحد منهم هل هو

مسؤول يحدث أحد موظفيه؟، أم أب يكلم ابنه...؟، لأن علاقة المتكلم بالسامع تقتضي نوعاً من الحديث المؤطر والمقيّد بتلك العلاقة .

1 - أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات، ص: 298.

2 - المرجع نفسه ، ص: 298.

3 - المرجع نفسه ، ص: 298.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

. طبيعة المتحدثين : يعني من هم هؤلاء المتحدثون الذين دار بينهم الحديث ؟، ومعرفة كل واحد منهم هل هو مسؤول يُحدّث أحدَ موظفيه؟ ، أم أبٌ يُكَلِّم ابنه،... ، لأنّ علاقة المتكلم بالسامع تقتضي نوعا من الحديث المؤطر، و المقيد بتلك العلاقة .

. طبيعة الأشياء المتحدث عنها: يعني بذلك: عم يدور الكلام؟ ولماذا؟.

. الأفعال المصاحبة للكلام: فيجب أن ترى الشخص ،أو يُوصف لك ، كيف كان يتكلم..؟ ، هل كان يبدو من ملامحه الغضب أو المرح أو الرضا أو الضجر أو المزاح ؟ ، أي لا بدّ من أن نرى المتغيرات المصاحبة للكلام على وجه المتكلم .

. زمن الكلام: مثلا : أعند الفجر ؟ أعند العشاء؟ في أي وقت كان وقت الكلام؟، لأنّه لا يمكن الاستغناء عن عنصرَي الزمان والمكان اللذين ورد فيهما الحدث اللغوي من أجل الوصول إلى المعنى المبتغى.

هذه العناصر هي التي جعلت من الدكتور "تمام حسان" يُقرّر بأسبقيّة العرب الذين عرفوا سياق الموقف قبل ألف سنة أو ما فوقها، إلّا أنّ كتبهم لم تُرَقّ إلى مستوى الدعاية على المستوى العلمي مقارنة مع الدراسات الغربية الحديثة بسبب نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات¹.

ج السياق الثقافي: (Cultural Context)، (Contexte Cultural):

يُعرّف هذا النوع من السياق على أنّه "المجال أو الإطار الاجتماعي أو الثقافي الذي ينتمي إليه الكلام، إذ يسهم السياق الثقافي في تحديد المحيط الذي تتواجد فيه الوحدات المستعملة، وغالبا ما يكون المحيط اجتماعيا."²، فللسياق الثقافي أهمية بارزة، إذ يقتضي على القارئ لكلّ نص أن يُلمّ به، لأنّ الدلالة المعجمية تكون مُضِلَّة له، إذا لم يتوسع بالبحث عن المعاني الأخرى و التي يستمدّها من السياق الثقافي.

لذلك ينفرد هذا النوع من السياق بدور مستقل عن سياق الموقف الذي يقصد به عادة "المقام" من خلال المعطيات الاجتماعية، لكن هذا لا ينفي دخول السياق الثقافي ضمن معطيات المقام عموما، و يظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد.³، و من أمثلة هذا السياق ما يتعلق:

أ. ظهور السياق الثقافي من ناحية استعمال كلمات معينة على مستوى لغوي محدد:

يختلف استعمال اللغة و اختيار المفردات بالنسبة للأشخاص باختلاف طبقاتهم الاجتماعية، فالمتكلم الغربي

1 - تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 372، و أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص: 298.

2 - عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية، ص: 224.

3 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 73.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

المعاصر يعبر على "امرأته" بقوله: "زوجة، أو مدام". بينما أصحاب الطبقة الراقية يستخدمون لفظة "العقيلة" بدلا من الزوجة، و يستعمل الرجل العادي كلمة "مرءة"، على حين يستخدم الرجل المتدين كلمة (حرمة أو حريم) 1. فالكل يختار ما يناسبه من المفردات اللغوية بحسب طبقته الاجتماعية، و درجته الثقافية، فيساهم السياق الثقافي في تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة أو المفردة التي تستخدم استخدامها عاما.

ب. يُحدّد السياق الثقافي الدلالة المقصودة من الكلمة التي تُستخدم استخدامها عاما: فاستعمال كلمة "الصرف" لدى دارسي العربية يعني مباشرة أنّ المقصود هو "علم الصرف الذي تعرف به أحوال الكلمة العربية من اشتقاق و تغيير و زياد، و نحوها..."، على حين أنّ "دارسي الهندسة" يحدّدون دلالة الصرف عندهم أنّها مصطلح آخر هو "الري"، و هكذا يتحدث هؤلاء عن "الريّ" و "الصرف" دون أن يشعروا بأيّ التباس أمام استخدام دارسي العربية الذين يتحدثون عن "النحو و الصرف"، أما كلمة "الصرف" في قطاع المال و التجارة فإنّ لها دلالةً أخرى تشير إلى تحويل العملة النقدية من الجمود و الكمون في الحساب المصرفي مثلا، إلى التداول الفعليّ أو تحويل العملة من فئة إلى فئة، أو من نقد إلى آخر.

ج. ارتباط الكلمة بثقافة معينة لتكون علامةً لانتماء عرقي أو ديني أو سياسي: فُتستعمل مثلا : كلمة "فتح" للدلالة على حرب و كسب الأرض، لا يساوق بحال من الأحوال استخدام كلمة "احتلال" أو "غزو مسلح" لأنّ كلمة فتح لها "دلالة ثقافية تاريخية ايجابية"، كما أنّ استخدام كلمة "مجاهد" لا يتطابق دائما مع المناضل المقاتل، الفدائي... لأنّ لكل كلمة من هذه الكلمات ظلال ثقافية ذات ارتباط بالتاريخ أو الدين أو السياسية. و خلاصة القول في أنواع السياق نسجّل :

- من خلال معرفتنا لأنواع السياق المختلفة يتضح أنّ المعنى هو ما يفهم من السياق سواء كان لغويا أو عاطفيا أو ثقافيا، و كذلك من خلال سياق الموقف، فكل هذه الأنواع تساعد على تدارك و فهم معاني النّص المختلفة.

- السياق غير اللغوي يضمّ سياقاتٍ متنوعةً (العاطفي، الثقافي، الموقف)، لكلّ واحد منها دورٌ يُسهم في تحديد المعنى، فدرجة الانفعال في الحديث قوة أو ضعفا تؤثر في تحديد المعنى، من الدلالة على الغضب، الفرح الحزن، و غيرها، يُساهم المحيط الثقافي لكلمة ما في تحديد المعنى. فكلمة "جذر" تختلف عند الفلاح في دلالاتها منه عند اللغوي، و هي في مجال الرياضيات بمعنى ثالث، و دون بعيد عن الموقف الذي يقع فيه الحدث الكلامي لما له من اعتبار في تحديد الدلالة، فعبرة "السلام عليكم" تحية إسلامية قد تتحول إلى المقاطعة حين يحتدم النقاش بين

1- عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة، ص: 551.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

شخصين و ييأس أحدهما من إقناع صاحبه، فيذهب غاضبا و يقول "السلام عليكم" فالمقام يصرف معناها من كونها تحية إسلامية إلى دلالة المقاطعة.¹

- لقد تفتّن القدامى إلى فكرة السياق بنوعيه " اللغوي و غير اللغوي"، فنظرية" النظم عند الجرجاني " خير شاهد على معرفتهم بالسياق اللغوي إذ يقول "عبد القاهر": "إعلم أنّ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، و تحفظ الرسوم التي رسمت لها، فلا تخل بشيء منها..²، فما نلاحظه هو مدى الاهتمام بصحة الكلام، وصحة الكلام -لاشك- مرتبطة بصحة المعاني الناتجة عن فكرة "الموقعية"... و هذا سياق لغوي.

- لنجد "الزخشي" يولي اهتماما واضحا و كثيرا بالسياق اللغوي في تفسيره "الكشاف" خاصة في ناحية الإعراب، حيث يقدم أكثر من وجه للآية، و لكل وجه معنى معين، كالذي قدّمه من وجوه إعرابية في قوله تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ" البقرة 02.³

- ليقى اهتمام القدامى بالسياق غير اللغوي (سياق الموقف) واضحا عند البلاغيين ، لا سيما حين عرّفوا البلاغة بأنّها "مطابقة" الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"، ليرد في أكثر من موقف "لكل مقام مقال"... وهذا ما نقف عنده في المطلب الموالي من هذا الفصل بصورة من التوضيح و التمثيل.

* ارتباط السياق الثقافي بالترجمة:

يعدّ السياق الثقافي ركيزة أساسية في عملية الترجمة خاصة، إذ لا يمكن الاستغناء عنه بل يجب على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي للنص المترجم، إذ يتطلب مقتضيات الفهم الصحيح و الدقة العلمية أن يُلمّ المترجم بالسياق الثقافي للنص المترجم، لكي ينقل مضمونه إلى اللغة الأخرى، و يقارب الصواب في ترجمة محتواه، لأنّ الترجمة صعبة للغاية، لا سيما إذا تعلّق الأمر بالنص المقدس أو بالنص الأدبي أو بالنص الفلسفي ويتيه المترجم إذا اعتمد على الترجمة الحرفية في اللّغة، و لا يصل إلى المعنى المنشود إلا بالاعتماد على السياق الثقافي، و عليه "فاللّغة استعمال" و المعنى يبقى غامضا بعيدا عن السياقات المختلفة، و لكن ما إن يُسيّق الكلام حتى يتفطر المعنى منه، و يتميّز السياق الثقافي للنص بالديناميكية المحركة لتعدد المعنى، فليس السياق الثقافي مجرد ألفاظ ساكنة، و إنّما متوالية لا نهائية من المعاني، لأنّه يتصل بثقافات أخرى...⁴

¹ - تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها، ص: 345.

² - الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانقي، القاهرة، ط05/ 2004 ص: 81.

³ - الزخشي جار الله أبو القاسم ، الكشاف، ج1/ ص: 108.

⁴ - عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص و سؤال الثقافة، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، ط1، عمان1999، ص: 3

03- ملامح السياق في التّراث العربي القديم:

إذا كان مفهوم السياق قد حظي بعناية هامة في بحوث و دراسات علماء اللغة الغربيين، فإننا نجد الاهتمام نفسه بهذا المفهوم بالنسبة لعلماء العربية خاصة منهم الأقدمون، سواء كانوا باحثين في خصائص العربية (كالجرجاني) (ابن جني) (الجاحظ)، و غيرهم، أو علماء أصول الفقه في مباحثهم المتعلقة بعلم الأصول بأقسامه المختلفة من (أحكام شرعية و أدلة شرعية، و طرق استدلال، أحكام اجتهاد....)، و كان هدفهم الأساسي في ذلك هو ضمان الفهم الصحيح و البيّن لمحتوى القرآن الكريم، و استنباط الأحكام الشرعية الصحيحة منه، على نحو ما نجده من جهود (أبي حامد الغزالي)، (الشافعي)، (الآمدي)، و غيرهم....

لذلك كان منطلق العرب في دراستهم للسياق قائمًا في أحيان كثيرة على تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، فقسّموا إلى "لفظية" و "غير لفظية"، و إلى "وضعية" و "غير وضعية"، و دلائل أخرى تقوم على "المطابقة و التضامن و الالتزام..." و غيرها أخرى "طبيعية و عقلية..."، لذلك، و منذ القدم أشار العلماء العرب إلى أهمية السياق أو المقام، و تطلّبه مقالًا خاصًا، و مخصوصًا يتلاءم معه رافعين في ذلك عبارتهم الموجزة "لكل مقام مقال"، فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما¹، لذلك ركّز النّحاة على اللغة المنطوقة فتعرضوا للعلاقة بين المتكلم و ما أراد من معنى، و المخاطب و ما فهمه في الرسالة، و الأحوال المحيطة بالحدث الكلامي، لأنّ من منظورهم "الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه"، و ربّما اتّخذ المدلول و اختلف المعنى طبقًا للسياق الذي قيلت فيه العبارة، أو طبقًا لأحوال المتكلمين، و الزمان و المكان الذي قيلت فيه². لأنّهم أدركوا أنّ: الذي يُعيّن قيمة الكلمة في كلّ الحالات إنّما هو "السياق"، إذ أنّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جوٍّ يحدّد معناها مؤقتًا، و "السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرّغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدلّ عليها..."³.

أ- ملامح السياق عند اللّغويين:

إذا كان اللغويون الغربيون قد عدّوا نظرية السياق هي الحجر الأساس في المدرسة اللغوية الاجتماعية التي أسّسها "فيرث"، و التي وسّعت فيها نظريته اللغوية بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى، فعرفت هذه المدرسة "بالمناهج السياقي" الذي وضع تأكيدًا كثيرًا على الوظيفة الاجتماعية للغة، و نصّ على أنّ اللغة تُدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها، لأنّها مزيج من عوامل العادة و العرف و التقليد و عناصر الماضي

1 - محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، مكتبة الخانقي، القاهرة، ط 1/ 1983، ص: 98.

2- المرجع نفسه، ص: 33.

3- فندريس، اللغة، ترجمة الدواخلي و القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ص: 231.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

والإبداع، و كل ذلك يشكّل لغة المستقبل، و عندما تتكلم فإنّك تُصهر كلّ هذه العوامل في خلقي فعليّ ملفوظ، و نتاج لغتك و شخصيتك هو أسلوبك، فإنّ اللغويين المحدثين العرب قد تولّد اهتمامهم بدراسة السياق بتأثير واضح من نظرية "فيرث" ، لتشمل دراساتهم عناصر السياق اللغوي المكوّنة للحدث اللغوي عندهم ما يلي:

* الوحدات الصوتية و الصرفية و الكلمات التي يتحقق بها التركيب و السبك.

* طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب.

* طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل، أو ما يطلق عليه "التطريز الصوتي" و ظواهر هذا الأداء المصاحبة

المتمثلة في "النبر و التنعيم، الفاصلة الصوتية، الوقف".¹

ب. ملامح السياق عند النحاة:

تكاد تجمع الروايات التاريخية على ارتباط نشأة النحو العربي بظاهرة "اللحن" الذي أخذ يفشو بعد أن بدأ انحصار السليقة العربية السليمة على الألسنة، فتوجّهت جهود النحاة الأوائل لتنصبّ على تعليم القواعد تعليمها و تلقينها، حتى يسهل التمكن من اللّغة العربية، فيقل اللحن و يسترد هذا اللسان رونقه و صفاءه فظهرت دراسات دلالية في المرحلة الأولى اهتمت بالحديث عن المعنى المحصور في " المعنى الوظيفي النحوي الصرفي": "أنه معنى الأبواب النحوية كالفاعل، و نائبه و المفعول، و الحال و التمييز، و المضاف إليه و المستثنى و المبتدأ، و الخبر...."، و هذه المعاني تحرسها قرائن صوتية كالعلامة الإعرابية و نغمة الكلام، أو صرفية "كالبنية الصرفية و المطابقة و الربط و الأداة"، أو تركيبية "كالتضام، و الرتبة". و معنى هذا أنّ الأبواب النحوية وظائف تكشف عنها القرائن، أو عبارة أخرى معان وظيفية للقرائن المستمدة من الأصوات و الصرف، و المماثلة في التركيب و السياق...².

¹ - النبر: هو الضغط على مقطع معين من مقاطع الكلمة، فيعطى لهذا المقطع المنبور قدرا من التميز أو الوضوح السمعي، و الذي يحمل بدوره قيمة دلالية كالانفعال أو الاهتمام أو التأكيد... الخ.

- التنعيم: هو لون من التلوين الصوتي، الذي يكسو به المتحدث نطقه للكلمات أو الجمل أو العبارات فتبدو هابطة النغمة أو عالية أو متوسطة أو طويلة أو قصيرة لينة أو خشنة... مما يؤثر تأثيرا مباشرا على معنى الوحدة المصحوبة بنغمة

- الوقف: قطع الصوت آخر الكلمة زمنا ما، أو هو قطع الكلمة عما بعدها، و هو ظاهرة صوتية تساهم في توجيه المعنى على مستوى التركيب (.حبلص محمد، أثر الوقف على الدلالة التركيبية، دار الثقافة العربية، 1993، ص: 16/15

² - تمام حسان، الأصول، دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي، ص: 291.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

في وقت يرى فيه جلُّ الدارسين أنّ النحو العربي منذ نشأته الأولى اهتم بالمعنى، بدليل أو أثر نحوي يمثل جهود المرحلة الأولى، و يعدّ مظهرًا من مظاهر اهتمام اللغويين بالسياق لبيان مجرى الكلام هو: "الكتاب لسيبويه" خاصة حين يتحدث عن الجانب الاستعمالي في اللغة، فاللغة عند "سيبويه" لم تنفك عن ملابسات استعمالها، و مقاييس اللغة عنده مستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي، كما تُستمد من معطيات السياق الاجتماعي الذي يكشف الاستعمال اللغوي".¹

فما ذكره "سيبويه" في هذا التعريف مرّده إلى البيئة، بدليل أنّ الجملة الواحدة عنده قد تكون صوابًا مرة وخطأ مرة أخرى، لاختلاف السياق الذي قيلت فيه، و ما ذكره في باب "الاستقامة" يقدّم النموذج الأمثل على استناده "للسياق"، و بتعبير "سيبويه" يكون الكلام الواحد مُحالًا و حسنًا بحسب ما يرد فيه، لأنّ الكلام المستقيم الكذب تركيبٌ انتظمت عناصره وفق نسقٍ لغويٍّ و قواعدٍ مقبول يحافظ فيه على الرتب و المحلات و آثار الإعراب، غير أنّ اللحن يمكن أن يأتيه من جهة دلالة ملفوظة في علاقته بالاعتقاد و الواقع، إذ هو إمّا صادق و إمّا كاذب...²

- في وقت يركّز فيه "سيبويه" على "قرنية المقام" باعتبارها هي التي سوّغت قبول الكلام و استحسانه عنده كما أنّ دور القرينة اللفظية كان له أثرٌ في إظهار المعنى الذي يريده المتكلم، و عبارته في بيان الأصل الذي يجري عليه التقديم و التأخير مشهورة، فقد قال: "...كأنهم إنّما يعدون الذي بيانه أهمُّ لهم، و هم بيانه أعنى و إن كان جميعًا يهّمّاهم و يعنياهم"³.

و بذلك كانت "نظرية سيبويه" للغة أكثر رحابةً و غنىً، لأنّه درس الطبيعة الاجتماعية للنشاط اللغوي و أثرها في البنية الداخلية للغة، فدرس التعابير العربية المختلفة في حالة تفاعلاتها الحيوية التخاطبية، كما نوع في موضوعات المحادثة، التي تظهر جلية واضحة في أبواب كثيرة في "كتابه" خاصة التي يعقدها في "النعته و البدل" و غيرها من التراكيب.

- ثم نجد "سيبويه" يُعيد الحدث الكلامي إلى مسرحه و ظروفه، و ما عليه المتكلم ليصل من خلال ذلك كلّه إلى ما عناه بواسطة التحليل، فتراه يقول عن جملة "زيدا"، و ذلك أن ترى رجلاً يريد أن يوقع فعلاً، أو رأيته في حال رجل قد أوقع فعلاً... فتقول: "زيدا"، تريد، اضرب زيدا، أو يضرب زيدا"⁴، و أحيانًا يعالج تراكيب لغوية

¹ - الموسى نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التنظير اللغوي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 198 ص: 92.

² - مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد 1، 2004، ص: 245

³ سيبويه أبو بشر، الكتاب، ج1، ص: 34.

⁴ - المرجع نفسه: ج1، ص: 257.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

خارجة عن الأصل المتعارف عليه، فيجد لها من سياق المتكلم أو الموقف الكلامي مُسوِّغا لهذا الخروج، فمن المعروف أنّ الاسم لا يظهر بعد الإضمار، فلا يجوز أن تقول لرجل من إخوانك "أنا عبد الله منطلقا إلى حاجتك" لأنّه إنّما أراد أن يخبرك بالانطلاق، و لم يقل "هو و لا أنا"، حتى استغيت أنت عن التسمية، لأنّ هو، و أنا، علامتان للمُضمَر، و إنّما يُضمَر إذا علم أنك عرفت من يعني".¹، لكن "سيبويه" يذكر أنّ سياق حال المتكلم يُسوِّغ هذا الخروج في بعض الأحيان، كما يقول: "أني عبد الله، مصعرا نفسه لربّه"²، أو أنّ الموقف الكلامي و ظروفه يقتضيان هذا الخروج، و ذلك أنّ رجلا: لو كان خلف حائط أو موضع تجهله فيه، فقلت: "من أنت؟ فقال: "أنا عبد الله منطلقا في حاجتك كان حسنا..."³، بل إنّهُ يتكلم عن اختلاف العبارة في الكلام على وقف حال المخاطب من الإقبال و الانصراف، فإذا قصدت إلى خطاب رجل، و هو غير مقبل عليه و غير منتبه إليك، فقلت: "يا فلان أنت تفعل..، فتبدأ بالنداء حتى يقبل عليك، أمّا إذا كان مقبلا عليك بوجهه، منصتا لك، فتترك: "يا فلان" حين قلت: "أنت تفعل"... استغناء بإقباله عليك..."⁴

لقد أولى سيبويه كلا من "السياق اللغوي" و "سياق الحال" اهتماما كبيرا، خاصة حين عمد إلى بيان بعض عناصر السياق اللغوي و سياق الحال عنده، مع بيان أثر هذين السّياقين في باقي التراكيب من حيث الذكر و الحذف، و التقديم و التأخير، و الحكم بصفة التركيب أو إحالته، فاستعان بالسياق اللغوي بكثرة في بيان أحد العناصر المحذوفة في التركيب و بذلك استغني عن تكرار "كل" في قول الشاعر:

أَكَلُ امْرِئٍ نَحْسِينَ أَمْرًا وَ نَارٍ تُوقَدُ بِاللَّيْلِ نَارًا

يجرّ "نار" على أنّها "مضاف إليه" لمضاف "محذوف"، فالتقدير "و كلّ نار" و ذلك لذكره إيّاه في أوّل الكلام ولقلة التباسه على المخاطب"⁵، فقد اعتمد على عنصر لغويّ ذُكر في جملة سابقة بدلالاته على العنصر المحذوف في الجملة الثانية (كلّ)، و جعل ذكر العنصر الأوّل سببًا في عدم التباس المعنى على المخاطب، و من ذلك قوله تعالى: "بَلْ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ حَنِينًا". (البقرة 135) أي، "بل يتبع ملّة إبراهيم حنيفا"، كأن قيل

لهم: "اتبعوا"، حين قيل لهم: "كونوا هودا أو نصارى".¹

1- المرجع نفسه: ج2، ص: 81.

2- المرجع نفسه: ج2، ص: 81.

3- المرجع نفسه: ج2، ص: 81.

4- المرجع نفسه: ج1، ص: 244

5- المرجع نفسه: ج1، ص: 66.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

* و إذا كان من السياق اللغوي النظرُ إلى طريقة ترتيب العناصر اللغوية داخل التركيب، و ما يترتب على ذلك من دلالاتٍ، فقد أولى "سيبويه" هذا الترتيب عناية كبيرة و اهتماما واسعا، و يُفهم من كلامه أنّ التقديم على ضربين: ضرب يكون المقدم فيه على نية التأخير و ذلك إذا أبقيت المقدم على حكمه الإعرابي الذي كان عليه قبل التقديم، كتقديم "المفعول به" على "الفاعل" في نحو قولك " (ضرب عمرًا زيدًا)، و تقديم الخبر على المبتدأ في نحو (منطلقًا زيدًا)، و ضرب آخر لا يكون على نية التأخير، و إنما ينتقل المقدم من حكم إلى حكم، و من باب إلى آخر، و مثال ذلك: أنّ صفة النكرة إذا تقدّمت على الموصوف تحولت إلى الحال و ذلك قولك: (هذا قائمًا رجلًا)، و من ثمّ يقبح أن تقول (قائم زيدًا) إذا لم تجعل الخبر (و هو قائم) على نية التأخير، لأنّ حدّ الجملة الاسمية أن يتقدم ما هو بالابتداء أولى، و هو "المعرفة"....²

فيقول "سيبويه" في قولك (ضرب عبد الله زيدًا) فإنّ قدّمت المفعول و أخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأصل، و ذلك قولك: (ضرب زيدًا عبد الله)، لأنّه: إنّ ما أردت به مؤخرًا ما أردت به مُقدّمًا و لم تُرد أن تُشغل الفعل بأوّل منه، و إن كان مؤخرًا في اللفظ، فمن ثمّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مُقدّمًا وهو عربي جيّد كثير، كأنهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم و هم بيانه أغنى، و إن كانا جميعًا يهتمانهم ويعنيانهم".³

فهو في هذا النص يعتمد على دلالة العلامة الإعرابية في بيانها "للفاعل و المفعول"، حتى مع التقديم والتأخير فقد لاحظ أنّ المعنى النحوي "لزيد و عبد الله" غير مختلف في كلتا الجملتين، و هذا يتضح في قوله (جرى اللفظ كما جرى في الأول)، أي رفعت (عبدُ الله) مع التأخير و نصبت المفعول (زيدًا) مع التقديم وهذه العلامة الإعرابية من عناصر السياق اللغوي الدالة على "الفاعل و المفعول" في مثل هذه الجمل التي خالفت الرتبة الأصلية.

ثمّ يربط سيبويه هذا التقديم بإرادة المتكلم - أو العرب - لأنّك إنّما أردت "بالفاعل المؤخر" ما أردت به مقدما، و لم ترد أن تُشغل الفعل بالمفعول و إن كان الفاعل مؤخرًا في اللفظ، و هذا التقديم عربي جيّد، بل كثير، لأنّ العرب تُقدّم الذي بيانه أهمّ و أغنى لهم، و بذلك اكتسبوا ضربًا من التوسّع في الكلام.

و يتّضح مما سبق أنّ تسلسل العناصر اللغوية داخل التركيب و ما يطرأ عليه من تقديم أحد العنصرين على الآخر لا يُسوّغه فقط "السياق اللغوي"، و إنّما يرجع ذلك أحيانًا إلى "سياق الحال و العوامل الخارجية التي تحيط بالحدث اللغوي"، كالمتكلم و موقفه من العنصرين و تقديمه لما يراه محل العناية و الاهتمام، و هو ما تفسره

¹ - المرجع نفسه: ج1، ص: 271.

² - المرجع نفسه: ج2، ص: 122-123.

³ - المرجع نفسه: ج1، ص: 34.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

عبارة الشهيرة: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم، و هم بيانه أعنى، و إن كانا جميعا يهمانهم و يعنياهم".

وكما اهتمّ "سيبويه" بجمع عناصر السياق اللغوي، كان اهتمامه كذلك واضحاً بعناصر "السياق غير اللغوي"، أو (الحال) كما يسميه هو، (سمى سيبويه هذا الضرب من السياق: (ما يُرى من الحال) أو (ما فيه من الحال) يقصد (سياق الحال).¹، كالمتكلم و المخاطب و العلاقة بينهما و موضوع الكلام، و أثر الكلام و الحركة الجسمية المصاحبة للحدث الكلامي، و غيره من العناصر غير اللغوية المصاحبة للكلام المنطوق.

فمن أمثلة اهتمامه ببيان العلاقة بين المتكلم و المخاطب و ما ينتظره المخاطب من المتكلم، إذ قال: (كان زيد)، فإنّ المخاطب "إنّما ينتظر الخبر"، و إذا قال المتكلم (كان حليماً)، فإنّما ينتظر - أي المخاطب - أن تعرفه صاحب الصفة...².

و يحمل "سيبويه" كلام المجيب على كلام المستفهم، فللمسؤول أن يُورد الجواب على منهاج الاستفهام فإذا قال الرجل: "من رأيت؟" ،و "أَيُّهم رأيت؟ فتقول: "زيداً رأيت...". ، و مثال ذلك قولك: "أرأيت زيداً؟"، فتقول: "لا و لكن عمراً مررت به...".، فإن قال: "من رأيت؟" ،و "أَيُّهم رأيت؟ فأجبت: قلت: "زيداً رأيت...". فإنّما تحمل الاسم على يحمل السائل.³، بل إنّه في موضع آخر يبين أنّ الجواب من المخاطب يكون على قدر ما فهمه في مسألة السائل، فهو يجيب على ما عنده من معنى، فإذا قال المجيب: "مررت برجلين مسلمٍ و كافرٍ"، وجعل (مسلمٍ و كافرٍ) بدلاً، فكأنه أجاب من قال: "بأي ضربٍ مررت؟" و إن شاء رفع كأنه أجاب من قال: "فما هما؟" فالكلام على هذا و إن لم يلفظ به المخاطب، لأنّه إنّما يجري كلامه - أي جوابه - على قدر مسألتك عنده لو سألته...⁴.

و من باب الإنصاف قول علمائنا الأوائل من أهل اللغة، نجد أنفسنا نُقرّ حقيقة ما ذهب إليه أستاذ "سيبويه" (الخليل بن أحمد الفراهيدي) (ت 175هـ) من خلال ما أقرّ به "تلميذه سيبويه" بأنّ الخليل من أوائل النحاة الذين اعتمدوا على "السياق اللغوي" في دراسته للتراكيب النحوية، حيث يعتبر من الرواد الذين اهتموا بعناصر سياق الموقف المتمثلة في المتكلم و المخاطب، و العلاقة بينهما، و علم المخاطب بالمعنى إلى غير

1 - المرجع نفسه ، ج 1، ص: 272.

2 - المرجع نفسه: ج 1، ص: 48.

3 - المرجع نفسه: ج 1، ص: 93-94.

4 - المرجع نفسه: ج 1، ص: 431.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

ذلك مما يرتبط بالمقام، ومن أمثلة اعتماد " الخليل " على السياق اللغوي ما نسبه إلى تلميذه في معرض تحليله لقول الشاعر:

إِذَا تَغَيَّيَ الْحَمَامُ الْوُزُقَ هَيَّجَنِي وَ لَوْ تَغَرَّبْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّار

قال " الخليل رحمه الله ": لما قال " هيجني " عرف أنه قد كان ناسيا، ثم تذكّر لتذكرة الحمام و تهيجه، فألقى ذلك الذي قد عرف منه على (أم عمّار)، كأنه قال: " هيجني فذكرني أمّ عمار"، و معنى كلام الخليل أنّ الشاعر إنما نصب (أمّ عمار) بفعلٍ دلّ عليه "السياق اللغوي أو سياق الموقف"، و ذلك عند توجيه النصب في قولك: "انتبه خيرا لك"، فيقول: نصبته لأنك قد عرفت أنك إذا قلت له: (انتبه) أنك تحمله على أمرٍ آخر فلذلك انتصب و حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه في الكلام، و لعلم المخاطب أنه محمول على أمرٍ حين قال له: "انتبه"، فصار بدلا من قوله: "انتبه خيرا لك"، أو " ادخل فيما هو خيرٌ لك".¹

و هكذا يتضح بجلاء اعتماد "الخليل" على شقّي السياق في بيان ما عرض لمبنى التركيب و بيان دلالته، أمّا السياق اللغوي فقد أتضح من نصبه (خيرا) بفعل محذوف مضمور دلّ عليه ما قبله و هو: (انتبه)، و أمّا سياق الموقف فنجدّه ممثلا في علم التخاطب بغرض المتكلم و موضوع الكلام، و تعليله حذف الفعل بكثرة استعمالهم لهذا التركيب، و هي: أي علة كثيرة الاستعمال من العلل الدلالية إذ تؤدي إلى علم المخاطب بالمعنى و وضوح الدلالة لديه.

فاعتمد على إرادة المتكلم، في توجيه ما انتصب على (التعظيم و المدح) في نحو قولك: (الحمد لله أهل الحمد)، و زعم " الخليل " أنّ نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدّث الناس، و لا من تخاطب بأمر جهلوه ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعلته ثناء و تعظيما...²

كما اعتنى "الخليل" بالعلاقة بين المتكلم و المخاطب، و ذلك عند الحديث عن أنّ "قد" جوابٌ لمن قال: لما يفعل، فيقول في الجواب: "قد فعل"، و زعم " الخليل " أنّ هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر، فالمخاطب في حاجة

إلى تأكيد الجواب، و هنا لا بد من أن يراعي المتكلم حال المخاطب فيستخدم "قد" التي تفيد التأكيد مع الفعل الماضي.¹

¹ - المرجع نفسه، ج 1، ص: 283-284

² - المرجع نفسه: ج 2، ص: 65.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

و قد سأل الخليل سيوييه عن قوله تعالى: " حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا " الزمر 73. و عن قوله تعالى: " وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ " الأنعام 27. فقال الخليل: إنَّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم المخبر لأيّ شيء وُضع هذا الكلام...²

و اعتمادا على ما سبق فإنَّ الأمثلة الواردة عن الخليل و غيرها كثير لا تدع مجالاً للشكّ في أنّ الخليل اعتمد اعتمادا واضحا على السياق اللغوي و غير اللغوي في تعقيده النحوي، و بيان معنى التراكيب ودلالاتها و هي الخطوات التي استفاد منها النحاة بعده في استخدام السياق بشقّيه في بيان دلالة التراكيب في جميع أعمالهم النحوية.

* بعد كلّ من "الفراهيدي" و "سيوييه"، تطالعنا شخصية لغوية كانت لها نظرات صائبة في مجال التحليل اللغوي و هو (ابن جني) (392هـ)، فبقراءة متأنية في "خصائصه" و بالتحديد في الجزء الذي عقده بعنوان: "باب في أن العرب أرادت من العلل و الأغراض فأنسبناه إليها و حملناه عليها"³، سيظهر لنا أنّ "أبا الفتح" كان رائدا في مجال التحليل السياقي، فقد اهتم بسياق الحال و تحليل الحدث الكلامي، صوتيا و صرفيا و نحويا من أجل الكشف عن الدلالة اللغوية، فتكلّم عن العلاقة بين الحذف و سياق المشاهدة، أو الحال المتصل بالطريقة التي ينطق بها المتكلم كلامه، فقال: (و قد حذفت الصفة و دلت الحال عليها) و يقصد بالحال (سياق الحال، مناسبة الكلام)⁴، و ذلك فيما حكاه صاحب الكتاب "سيوييه" من قولهم: "سير عليه ليل" وهم يريدون: "ليلٌ طويلٌ"، و كأنّ هذا إنّما حذفت الصفة فيه لما حلّ من الحال على موضعها، و ذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح و التطريح و التفخيم و التعظيم، أو ما يقوم مقام قوله: "طويل أو نحو ذلك" و أنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملتّه، و ذلك أن تكون في مدح إنسان و الثناء عليه، فتقول "كان والله رجلاً" فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة و تتمكن من تمطيط اللام و إطالة الصوت بها و (عليها) "أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك، و كذلك تقول: "سألناه فوجدناه إنسانا" وتمكّن الصوت "بإنسان" و تفخمه فنستغني بذلك عن وصفه بقولك: "إنسانا سمحا و جوادا أو نحو ذلك" وكذلك إن ذمته و وصفته بالضيق

¹ - المرجع نفسه: ج 4، ص: 223.

² - المرجع نفسه، ج 3، ص: 19.

³ - ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط4، 1999، ج 1، ص: 237.

⁴ - ياقوت أحمد سليمان، علم اللغة التقابلي، دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2002، ص: 49.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

قلت: "سألناه و كان إنسانا!، و تُرَوِّي وجهك و تُقَطِّبه فيُغني ذلك عن قولك: "إنسانا لثيما أو بخيلا أو نحو ذلك...."¹

فما نلاحظه من خلال ما سبق يكشف بصورة واضحة عن التفات (ابن جني) إلى قضية علاقة الدلالات الصوتية من "نبر و تنغيم" و تمطيط لبعض الأصوات في النطق و أثرها في تعزيز المعنى، و التعويض عن الحذف الذي يطرأ على الجملة، مع ما يرافق ذلك من إيجاءات في الوجه، فمدّ الصوت أثناء النطق لكلمة (الله) في جملة (كان و الله رجلا) تقوم مقام وصفه بالفاضل أو الكريم، و كذا الحال إذا أراد المتكلم ذمّه، فإنّه قد يلجأ إلى إحداث حركات في وجهه من إزواء للعيون و تقطيب للجبين، فيفهم المتلقّي مراد المتكلّم من شتمٍ أو سبٍّ أو ما أشبه ذلك.

كما نجد "ابن جني" في موضع آخر يهتمّ بأثر القرائن الحالية في فهم المعنى، بل عدّها أقوى من النقل بالسمع دون المشاهدة، فحال المتكلم و حركة يديه و وجهه و هيئته كل ذلك يؤدي لبيان المراد و يتضح ذلك من خلال تعقيبه على بيت "نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي" من الطويل قوله:

تقول - و صكّت وجهها بيمينها - أبعلي هذا بالرحى المتعاس.

فهو يقول مُعلِّقاً على البيت: فلو قال حاكيا عنها: "أبعلي هذا بالرحى المتعاس" من غير أن يذكر "صكّ الوجه" - لأعلمنا بذلك أنّها كانت متعجبةً منكراً، لكنّه لما حكى الحال فقال: - و صكت وجهها - علم بذلك قوّة إنكارها، و تعاضم الصورة لها، هذا مع أنّك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، و لعظم تلك الحال في نفس تلك المرأة أبين، و قد قيل: "ليس المخبرُ كالمعّين"، و لو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: "و صكّت وجهها"، لم نعرف به حقيقة تعاضم الأمر لها...² ويؤكد كلامه قائلاً: أفلا ترى إلى اعتباره و اهتمامه بمشاهدة الوجوه و جعلها دليلاً على ما في النفوس وعلى ذلك قالوا "ربّ إشارة أبلغ من عبارة"³.

إنّ المتأمل في كلام "ابن جني" السابق يجد أنّه يشدّد على أثر "المشاهدة و الأحوال" في إيضاح المعنى، كما أنّ دور الإشارات الجسمية كبير في عملية التواصل بين المخاطبين، و هي دعوة صريحة إلى التفاتة و اهتمامه "بالسياق غير اللغوي" أو السياق الخارج عن النص أو ما يعرف "بسياق الموقف"، لأنّ ما دلّ عليه الحال يغني عن المقال، فيصير في حكم الملفوظ به، كما نصّ ذلك في قوله في باب "أنّ المحذوف إذا دلّت الدلالة عليه كان

¹ - ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 370.

² - المرجع نفسه: ج1، ص: 245-246

³ - المرجع نفسه: ص: 247

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

في حكم الملفوظ به".¹ فهو يقول: "من ذلك أن ترى رجلاً قد سدّد سهمًا نحو الغرض، ثم أرسله فتسمع صوتًا فتقول: "القرطاس و الله"، أي: "أصاب القرطاس"، ف"أصاب" الآن في حكم الملفوظ به البتة، وإن لم يوجد في اللفظ، غير أنّ دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به، وكذلك قوله "الرجل مُهَوِّب سيف في يده: "زيداً": أي "اضرب زيداً"، فصارت شهادة الحال بالفعل بدلا من اللفظ به".²

لتبقى إشارات "ابن جني" في كتابه "الخصائص" دليلاً واضحاً و قوياً يبعث الباحثين على سعيه و وعيه بأهمية السياق الاجتماعي في الكشف عن المعنى و الاحتكام به.

و في الأخير، و بعد عرض جهود بعض اللغويين على سبيل المثال لا الحصر، و اهتمامهم المبكّر بالسياق بنوعيه يمكن أن نخلص إلى نتائج أهمها:

* إنّ علماء اللغة قديماً و حديثاً أدركوا هذه الوظيفة المهمة للسياق، من منطلق وعيهم و إدراكهم لفكرة السياق و دلالاتها على المعاني الحقيقية للكلام قد تناولها الفكر الإنساني منذ أمد طويل: (كأفلاطون و أرسطو)، و اللذان أقرّا ضرورة الاهتمام بمراعاة مقتضى الحال في الخطابة، كما نجد في كتاب "فيدروس لأفلاطون" و إشارة أرسطو إلى أنّ الفكرة أو الغاية هي إيجاد اللّغة التي يقتضيها الموقف و يتلاءم معها، كما أشار إلى ذلك في كتابه "فن الشعر".³، لذلك لم يكن علماء العربية بعيدين عن إدراك وظيفة السياق و دلالاته، و الدعوة إلى وجوب الاهتمام به.

* إنّ النّحاة الأوائل و على رأسهم "الخليل و سيبويه"، اعتمدوا على السياق بشقيه في "التععيد النحوي" و يبدو ذلك جلياً واضحاً في اعتمادهم على السياق اللغويّ في بيان مبنى التركيب و دلالاته، و عن طريق السياق "أجازوا" حذف أحد عناصر الجملة و طريقة تركيب هذه العناصر اللغوية داخل التركيب، و من ثم كانت الاستعانة بطرق الأداء اللغوي المصاحبة للنطق بالعبارة: كالوقف، النبر، التنغيم...".

* يعدّ "كتاب سيبويه" أولى المحاولات اللغوية التي وصلتنا في التراث النحوي، كما أنّه يمثل قمّة الدراسات النحوية التي سبقته، خاصة عند توظيف مصطلح "الحال" الذي استخدمه قديماً و يقرب حديثاً من مصطلح "سياق الحال"، و هو المصطلح الذي يرجع إلى أستاذه "الخليل"، و الذي أثبت كتابُ تلميذه اعتماده الواضح على السياق اللغوي و سياق الحال في دراسة التراكيب النحوية.

1 - المرجع نفسه: ج1، ص: 284.

2 - المرجع نفسه: ج1، ص: 284-285.

3 - حلمي خليل، الكلمة، دراسة لغوية و معجمية، ص: 212.

ج- ملامح السياق عند البلاغيين:

- إنّ الحديث عن اهتمام البلاغيين بالسياق بنوعية يتجلى من خلال ما أولوه من عناية و اهتمام بمفهوم المقام، فقد ناقشوا هذه الفكرة من خلال مقولتهم الشهيرة: "لكل مقام مقال"، أو بعبارتهم الأخرى: لكل كلمة مع ما فيها مقام...¹، إذ أنّ المقام لديهم له دورٌ كبيرٌ في المعنى، و أصبح مقياسُ الكلام في باب الحسن و القبول، بحسب مناسبة الكلام لما يليق به، و هذا ما يُعرف عندهم: "بمقتضى الحال"، فالمقام: هو مقتضى الحال الذي يجعل المتكلم يخاطب سامعه بما يحتاجه، و حسب حاله مع مراعاة الفائدة في الخطاب.²

و قد أشار الباحث "تمام حسان" إلى تعرّض البلاغيين العرب للسياق بنوعيه و تحليلهم له في إطار معالجتهم لفكرة "لكل مقام مقال"، فوجد أنّهم سباقون في ذلك للدرس الأوروبي بزمن كبير يقول: "و قد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم لأنّ الاعتراف بفكرتي المقام و المقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن من الكشوف التي جاءت بنتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"³، و هو ما أسهم في إثراء البلاغة العربية بمظاهر لسانية و غير لسانية تُدرس من خلالها اللغة أثناء الاستعمال، مما جعلها تتقاطع الدرس اللغوي "التداولي" في مباحث عديدة لعدد من العلماء المعاصرين، و اعترفوا بوشائج القرب بين "البلاغة العربية" و "اللسانيات التداولية" نحو (صلاح فضل) الذي يقول: "و يأتي مفهوم التداولية ليغطي بطريقة منهجية مُنظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة (مقتضى الحال). و هي التي أتمت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية "لكلّ مقام مقال"⁴.

لذلك كان الكلام على مقتضى الحال من أعمدة البحث البلاغي على مرّ العصور، بل عدّه البلاغيون الملحظ الأهم في تعريفاتهم المختلفة للبلاغة، فيقول الدكتور: "نهاد الموسى": "إنّ أبرز الملامح في النظر البلاغي أنّه قام على اشتراط موافقة الكلام لمقتضى الحال، و استشعر المقولة الشهيرة: (لكل مقام مقال) و رصد على وجه التفصيل ما يكون من تأثير السياق - سياق الحال خاصة - و هي حال المتكلم و المخاطب و سائر ما يتألف منه المقام، و رصد ما يكون من تأثير ذلك في تشكيل الكلام و تأليفه على هيئات في القول متنوع وفقا لتنوع المقامات"⁵.

1 - القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص: 43.

2 - ساسي عمار، المدخل إلى النحو و البلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عالم الكتب، الأردن، د، ط، 2007، ص: 179.

3 - تمام حسان، العربية معناها و ميناها، ص: 337.

4 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 2004، ص: 26.

5 - الموسى نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التنظير اللغوي الحديث، ص: 92.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

و يقول الدكتور "كمال بشر" : مُعلِّقا و شارحًا لمعنى البلاغة : "لكلّ كلمة مع صاحبها مقام" كلام عن الاهتمام بالصحة الداخلية للنص المعبر عنه (بالمعنى) التي تفيد وجوب مراعاة السبك بين وحدات النص، و هو ما يشار إليه "بالسياق اللغوي"¹، بل إننا نقول إنّه يحتوي على عناصر السياق كلّها، و هذا يتضح من خلال قول الإمام "السكاكي" عند تحليلاته لأحوال الإسناد الخبري و أغراضه حيث يقول : "أمّا الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه، فهي : " إذا كان السامع مستحضرا له، عارفا منك القصد إليه عند ذكر المسند، و الترك راجعٌ إمّا لضيق المقام (السياق الخارجي)، و إمّا للاحتراز على العبث بناء على الظاهر (السياق الداخلي) و إمّا لتخييل أنّ في تركه تعويلا على شهادة العقل، و في ذكره تعويلٌ على شهادة اللفظ من حيث الظاهر وكم بين الشهادتين (حال المتلقي)، و إمّا لإيهام أنّ تركه تطهير للسان عنه ، أو تطهير له عن لسانك، و إمّا للقصد إلى عدم التصريح ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مست إليه الحاجة (حال المبدع)..."².

لقد كانت العناية كبيرة بظاهرة السياق عند "أبي يعقوب السكاكي" (ت 626هـ). في كتابه (مفتاح العلوم) : لاسيما و هو الذي جعل فكرة "مقتضى الحال" مؤطّرة لعمله في كثير من مباحث "مفتاحه"، فجعل منها أساسا لمعرفة قصد المتكلم من خطابه، و تحديدا له سواء في -إجراء الخطاب على أصل الاستعمال فيعتبر المتكلم عن قصده بحسب مقتضى الظاهر أو في تجاوز ذلك لمعان أخرى تجرى في الكلام لا على مقتضى الظاهر ، و المقام هو الذي يضمن سلامة المعنى و يحقّق الفائدة لدي السامع ، لذلك عد الباحث "عبد الملك مرتاض" : مصطلح "مقتضى الحال" عند السكاكي يكافئ دلاليا في اللسانيات الحديثة مصطلح : "تداولية اللغة" ، إذ يقول " ونلاحظ أنّ مفهوم السياق البلاغي تتنازعه نزعتان اثنتان إحداهما : " المرجع " و إحداهما الأخرى "تداولية اللغة" أو ما في حكمه أو ما يطلق عليه السكاكي "مقتضى الحال"³.

ففكرة "مقتضى الحال أو المقام أو السياق عموما" ، بما يضمّه من صفات للمتكلم و عاداته و مقاصده و إشاراتة الجسميّة ، وكذا السامع و صفاته ومستواه و الزمان والمكان... ذات "أبعاد تداولية" بارزة تظهر من خلال إسهامها في تحديد الدلالة "للفعل الكلامي الإنجازي المباشر" و "غير المباشر" ، و هو ما أكدّه "جون أوستين" بقوله : "إنّ مسألة الأغراض و المقاصد في التلفظ بالعبارة وما يحتفّ بها من سياق قرائن الأحوال

1 - بشر كمال ، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، ط3، 1979، ص:99.

2 - السكاكي ، مفتاح العلوم، ص:256-257.

3 - مرتاض عبد الملك ، نظرية البلاغة، دار القدس العربي، الجزائر، ط2، 2010، ص:166.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

هي مسألة لها خطرهما و شأنها¹.

فعلى المتكلم أثناء تعبيره عن قصده مراعاة قرائن الأحوال ومقامات الكلام، و إصدار كلامه بحسب المقتضى كي يضمن لقصده الوصول، و تحقيق الفائدة لدى السامع، لأنّ السامع يستند للمقام و قرائن الأحوال في كشف المعنى المقصود من الكلام، و ذلك في عملية عكسية يقوم بها، يكون للسياق فيها دورٌ فعال في توجيهه لمقاصد المتكلم من خطابه .

ولعلّ العناية الكبرى "بفكرة مقتضى الحال" أو "المقام" تظهر جليةً واضحةً عند "السكاكي" حين ربط الصياغة اللغوية (صرفية، نحوية) بالسياق و المقام، مما جعل مقياس الكلام عنده في "باب الحسن والقبول" بحسب مناسبة الكلام لما يليق به (مقتضى الحال) " فإذا كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسُن الكلام تجريدُه من مؤكّدات الحكم، و إن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسُن الكلام تحلّيه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضِعْفًا و قُوَّةً، و إذا كان مقتضى الحال طيِّ ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، و إنّما كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسُن الكلام وُرُودُهُ عاريا عن ذكره، و إذا كان المقتضى إثباته مخصّصا بشيءٍ من التخصيصات، فحسن الكلام نقله على الوجوه المناسبة من الاختيارات المقدم ذكرها.²

فما نلاحظه على حديث "السكاكي" هو إقراره بحقيقة تعدد مقتضيات نظم الكلام و تنوعها، إذ إنّ المتكلم ليس حرا تماما في إنتاجه لجملة و خطاباته، حيث يخضع إلى مقام السامع وما يدور به من أحوال حتى يُحقّق الفائدة المرجوة من وراء تلفظه بالخطاب، مستعينا بما تقدّمه له البلاغة من تراكيب بليغة، و تصورات فنية تساعده على نقل مقاصده في مختلف الظروف و الأحوال، و على أساس ذلك يكون حسنُ الكلام، فتحذف عناصر من الجملة إن اقتضى المقام الاختصار، و تثبت عناصر أخرى في مقام آخر، و منه تظهر "قوة البليغ" الذي ينبغي عليه أن يُتقن التّصرف في المقامات و الأحوال، و يكون مُتوسّعا في العربية و وجوه استعمالاتها في المقامات المختلفة فيعرف ما يصلح في كل مقام من المقامات، و ذلك ما يعكسه أسلوبه في صياغاته اللغوية المختلفة.

وباعتبارات السياق بنوعية المقالي و المقامي، و استنادا لهما ترى المتلقي ينطلق في الكشف عن مقصد المتلفظ بالخطاب، حيث تُشكّل أدوات النص اللغوي و خواصه التركيبية إضافة إلى ما يكشف النصّ من أحوال قرائن

¹ - جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، د ط، 1991، ص: 65.

² - السكاكي، مفتاح العلوم : ص: 256-257

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

مساعدة في كشف المقاصد و الأغراض التواصلية للكلام، فإذا : "كان كلّ متكلمّ باللغة إنّما يهدف بكلامه إلى غرضٍ ما، و ينحو في كلامه نحو مقصدٍ ما، فإنّ كلامه يحمل غرضه و مقصده في ثناياه يصبح الدور الأساسي للمتلقّي هنا أن يقوم بعملية في اتجاه معاكس خائضا في نصّ الكلام ليصل إلى مراد المتكلم"¹.

فالمتلقّي يستند إلى معطيات السياق و المقام في بحثه عن قصد القائل (المتكلم) بخاصة إذا كانت "القوة اللزومية" مُتّسعةً، بحيث تتجاوز معاني المفردات التي يتركب منها القول معجميا و دلاليا"².

إنّ ما ذهب إليه "السكاكي" في حديثه عن مقتضى الحال مردّه إلى ما تتسم به هذه الفكرة من مرونة، بحيث لا تُقيّد المتلفظ بالخطاب بقوالب و أنماط معينة، و إنّما تفتح له مجال الاختيار للتعبير عن مقاصده فيؤوّلُ من التراكيب و خواصها ما يراه مناسباً لما يكتنف الكلام من ظروف و أحوال، و تنعكس بعض جوانبه فيما عبّر عنه "السكاكي" بالخروج عن مقتضى "الظاهر"، أو الخروج على خلاف مقتضى الظاهر و مثال ذلك ما أورده في دراسته لظاهرة "التقديم و التأخير"، و التي يرى من خالها الارتباط الوثيق بالسياق اللغوي من جهة، و مراعاة مقتضيات الأحوال من جهة أخرى، و أنّ هذا التقديم و التأخير يكشف عن قصد المتكلم و غرضه من خطابه، ففي قوله تعالى : (.لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: 143)، فأخّرت الصلة (صلة الشهادة) أولا ، و قُدِّمَت ثانيا، لأنّ الغرض في الأول إتيان شهادتهم على الأمم، و في الثاني اختصاصهم بكون الرسول صلى الله عليه و سلم شهيدا عليهم"³.

فهو -من خلال المثال- يشير بوضوح لارتباط التقديم و التأخير بالجانب الدلالي و "التداولي"، و ما يقتضيه من ارتباط ترتيب عناصر الجملة بهذه الطريقة بالمعنى المقصود ، استنادا للسياق العام الوارد فيه الآية الكريمة.

ليتضح اهتمامه بالسياق بصورة واضحة مُشيدا بدوره في تحديد قصد المتكلم و الإسهام في إفادة السامع معنى ما، تفسيره لآيتين كريمتين على وقف معطيات السياق يقول : و لله درّ أمر التنزيل و إحاطته على

¹ - الجبر خالد عبد الرؤوف ، معالجة المعنى في التراث الفكري - المجلة العربية للعلوم الإنسانية - مركز دراسة الخليج الجزيرة العربية، الكويت، العدد 90 / 2000 ، ص:114.

² - هوبل باديس ، السياق و مقتضى الحال في مفتاح العلوم، بحث في مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد : التاسع، 2013، ص:168.

³ - السكاكي، مفتاح العلوم ، ص:340.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

لطائف الاعتبارات في إيراد المعنى على أنحاء مختلفة بحسب مقتضيات الأحوال، ولا ترى شيئاً منها يُراعى في كلام البلغاء من وجه لطيف، إلا عليه مراعى فيه من اللطف وجوه، و أنا ألقى عليك من القرآن عدة أمثلة مما نحن فيه لنستضيء بها... قال عزّ من قائل في سورة القصص في قصة موسى عليه السلام : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى) القصص 20، فذكر المجرور (من أقصى) بعد الفاعل (رجلٌ) وهو موضعه، و قال في سورة "يس" في قصة رسل عيسى عليه السلام : (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) (يس 20). فقُدّم لما كان أهمّ، يبين ذلك أنّه حين أخذ في قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة أصحاب القرية الرسل وأهمّ أصروا على تكذيبهم، و انهمكوا في غوايتهم مستشرين على باطلهم، فكان مظنة أن يعلن السامع على مجرى العادة، تلك القرية قائلاً : "ما أنكدها تُرْبَةً، و ما أسوأها منبتاً"¹.

فالقارئ للآية الكريمة يلحظ أنّ القصد من تأخير الفاعل في الآية الثانية لفت السامع (متلقي الخطاب) إلى سوء معاملة أهل القرية للرسل و تكذيبهم لهم بإصرار، و بالتالي هو بيان سوء منبت أهل القرية و بُغضها فكان السياق اللغوي كاشفاً لذلك، و دالا على المعنى لتتحقق الفائدة لدى السامع، و هو الأمر الذي كثيراً ما تؤكّده "اللسانيات التداولية" على حد تعبير "أوستين"، في قوله : "إن ما نستعمله من ألفاظ يستغني أن نرجع في بيان معانيها و لغاية تأويلها إلى سياق الكلام، و يقتضي الحال الذي وقع فيه تبادل التخاطب اللساني أو وروده على وجه مخصوص"².

"فالسكاكي" إذن من بين علماء العربية الذين عالجوا دور السياق بنوعيه الداخلي و الخارجي في توضيح المعنى و تحقيق التواصل التام من خلال العلاقة التي يقيمها بين المتخاطبين في توضيح قصد المتلقّظ بالخطاب من جهة، و يضمن وصوله للمخاطب، و جنّيه للفائدة منه، و كذا دوره في توجيه الخطاب حيث لا يتضح قصد العبارة إلّا من خلاله..."³.

إنّ قضية اشتمال ظروف المخاطبين على كل ما يتصل بحياتهم الاجتماعية و الثقافية لم يُهمّلها السكاكي حين تحدث كذلك عن مناسبة الجمع بين بعض الألفاظ دون بعض، بالنظر إلى كونها تنتمي إلى حقل واحد يُعرف من خلال الخلفيات الاجتماعية و الثقافية للمخاطب، فيقول "و لصاحب علم المعاني فضل احتياج في هذا الفن إلى التنبيه لأنواع هذا الجامع و التيقّظ لها...، فمن أسباب تجمع بين "صومعة و قنديل و قران .."

¹ - المرجع السابق، ص: 344.

² - أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص: 120-121.

³ - لهوويل باديس، السياق و مقتضى الحال عند السكاكي، ص: 117.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

و من أسباب تجمع بين "دسكرة و إبريق و خلآن"¹.

ثم يضرب "السكاكي" لذلك مثلا من القرآن الكريم بقوله تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ*وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ*وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ*وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ الغاشية : 17-20، فمن لم يكن من الأعراب، أو يعرف ما يتعلّق بجياتهم و ما عليه معاشهم فإنّه سوف يستغرب لهذا الجمع بين الإبل و السماء و الجبال و الأرض، و ذلك "لبعد البعير عن خياله في مقام النظر، ثم لبُعدِهِ في خياله عن السماء و بُعد خلقه عن رفعها و كذا البواقي"².

لكن بالتّعرف على حياة العرب في مختلف توجهاتها الاجتماعية و بإدراك السياق الاجتماعي يزول عجبه من الجمع بين هذه الأشياء ، و ذلك إذا نظر إلى أنّ أهل الدير إذا كان مطعمهم و مشربهم و ملبسهم من المواشي فكانت عنايتهم مصروفة -لا محالة- إلى أكثرها نفعاً، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصّل إلاّ بأنّ ترعى و تشرب، كان حلّ مرمى غرضهم نزول المطر، و أهمّ مسارج النظر عندهم السماء، ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يؤويهم و إلى حصن يتحصّنون به، فلا مأوى إلاّ الجبال..³

لتبقى فكرة المقام و مراعاة حال المخاطبين و ظروف الخطاب محور أعمال البلاغيين، تراعى فيها مكاتبة كل فريق على قدر طبقتهم و قوّتهم في المنطق، و مقام ذلك ما فعله النبي عليه الصلاة و السلام فإنّه لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس كتب إليهم بما يمكن ترجمته .. فسَهّل الألفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية، و لما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخّم اللفظ لما عرف من فضل قوّتهم على فهمه و عاداتهم لسماع مثله...⁴.

لتبقى قضية اشتغال ظروف المخاطبين على كلّ ما يتصل بجياتهم الاجتماعية و الثقافية، مثار اهتمام البلاغيين، (فالجاحظ) قد أشار في "البيان و التبيين" و كذا "الحيوان" إلى إشارات تدخل كلّها في سياق الحال أو ما سماه البلاغيون "مقتضى الحال"، و يمكن أن نلخص ما ذهب إليه الجاحظ في نقاطٍ أساسية هي :

*في مراعاة "المتكلم" باعتباره عنصراً مهماً من عناصر السياق الثقافي، يقول الجاحظ : " و كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً و ساقطاً سوقياً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً، إلاّ أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً، فإنّ الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس ، كما يفهم السوقيّ رطانة السوقيّ، وكلام الناس

1- السكاكي ، مفتاح العلوم، ص:366.

2- المرجع السابق ، ص:366.

3- المرجع نفسه: ص:366

4- العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين، ص: 154-15.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

في طبقات، كما أنّ التّاس في أنفسهم طبقات"¹.

* في وجوب مراعاة العلاقة بين "الموقف المعين أو الموضوع و اللغة المستعملة" يقول الجاحظ: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين، و بين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلامًا، و لكلّ حالةٍ من ذلك مقامًا، حتى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و يقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"².

* في قضية حتمية استحضار كلّ العناصر المحيطة بالمعنى، و التي من شأنها أن تُوضّح العلاقة بين اللغة المستعملة و المقام الذي تُستعمل فيه، مُشيرًا إلى أنّ المعنى لديه "لا يشرف أن يكون معاني الخاصة، وكذلك ليس يتصنّع بأن يكون من معاني العامة، و إنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقامٍ من مقالٍ، و كذلك اللفظ العامي و الخاصّي، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك و بلاغة قلمك، و لطف مداخلك و اقتدارك على نفسك إلّا أن تُفهم العامة معاني الخاصة، و تكسوها الألفاظ الواسعة التي لا تلتطف عن الدهماء، و لا تجفو عن الأكفاء. فأنت البليغ التام..."³.

من خلال تلك النقاط الأساسية و المهمة في نظرية "الجاحظ اللساني نجده قد أثار إلى مجموعة من عناصر السياق الحال و التي لا يمكن الاستغناء عنها من أجل فهم المعنى و توجيهه و هي: "المتكلم و السامع و علاقتهما ببعضهما"، و أثر مقصد المتكلم في توجيه المعنى، مع وجوب مراعاة كل الظروف المحيطة بالموقف الكلامي، أي الأحداث المصاحبة للكلام من أجل توجيهه، و هي نقاط كثيرًا ما دعت إليها، بل سعت إلى تحقيقها نظرية السياق عند علماء اللغة المحدثين.

في الوقت نفسه الذي كان فيه اهتمام البلاغيين بسياق الحال و الحديث عن ظروف المتخاطبين، لم يُهمل بعضهم الآخر ما "السياق المقال" من دور في عملية التخاطب، سعيًا منهم لإدراك معنى و قيمة "الكلمة" المستعملة و تفاوت البلغاء في إنشائهم حسب مقدرتهم، و توفيقهم في إحكام النظم و استعمال وسائله في الدلالة على المعنى، ذلك ما نجده عند: (عبد القاهر الجرجاني) (ت 471هـ). في كتابيه "دلائل الإعجاز، و أسرار البلاغة"، خاصة عند حديثه عن "النظم" باعتبارها فكرة تقوم على وجوب توخي معاني النحو بين الكلم، و ربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي و التركيب الذي قيلت فيه، حيث يقول: "و جملة الأمر أنّ لا تُوجب (الفصاحة) للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي قيلت فيه، و لكننا نوحىها لا موصولة بغيرها و معلّقا

¹-الجاحظ، البيان و التبيين، ج 1، ص: 144

²-المرجع السابق، ج 1/ ص: 138-: 139

³-المرجع نفسه، ج 1، ص: 136

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في " لفظة "اشتعل في قوله تعالى: " وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا "" (مریم 04)أثما في أعلى رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، و لكن موصولا بها " الرأس " مُعْرَفًا "بالألف و اللام"، مقرونا إليها " الشيب " منكرًا منصوبا ...¹.

ليؤكّد ذلك في موضع آخر"فقد اتّضح إذن اتضاحا لا يدعُ للشك مجالا أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث أنّها ألفاظ مجردة، و لا من حيث هي كلم مفردة، و أنّ الألفاظ تكتب لها الفضيلة و خلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، مما يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروك و تؤنسك في موضع، ثم تراها تثقل عليك و توحشك في موضع آخر"².

فالنظم إذن عند " الجرجاني " عملية عقلية تظهر آثارها مع وجوب تنسيق الكلمات في تتابع مفضٍ إلى معنى بيّن قصده المتكلم، و إنّ هذا التتابع يشمل العبارة و الجملة و النص، و هو معنيّ بالسياق في علاقة الألفاظ بالمعاني أو المعاني بالألفاظ.

لتقترب فكرة النظم عند " الجرجاني " من فكرة ما أسماه المحدثون " بالسياق اللغوي"، على اعتبار أنّ السياق يعني: "بالأصوات و الكلمات و الجمل" عندما تتابع في حديث كلامي معين أو نص لغوي، كذلك النظم لا يختلف مفهومه كثيرا عن هذا، إذ يقصد به عند الجرجاني ترتيب الألفاظ و تعلق بعضها ببعض في نسق واحد إذ يقول موضحا هذه الفكرة: "و أعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشكّ، أنّه لا نظم في الكلم و لا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، و يُبنى بعضها على بعض، و تجعل هذا بسبب من تلك وهذا مالا يجهله عاقل و لا يخفي على أحدٍ من الناس..."³.

في الوقت نفسه فرّق بين دلالة اللفظة الناتجة عن الموضع اللغوي و والدلالة الناتجة عن السياق الذي ترد فيه، فيقول: "فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي اللفظة، و إذا استحقت المزية و الشرف و استحقت ذلك في ذاتها و على انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، و لكانت إما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا..."⁴.

أمّا في كتاب " أسرار البلاغة " ففيه التأكيد الصريح على أهمية القواعد المستنبطة من التراكيب : " كالتقديم و التأخير، و الحذف، و الذكر ... وغيرها ". لذلك تراه يقول في هذا الباب " والألفاظ لا تُفيد حتى تؤلف ضربًا

¹ - الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 402-403.

² - المرجع نفسه، دلائل الإعجاز، ص: 46.

³ - المرجع نفسه، دلائل الإعجاز، ص: 55.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 48.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

خاصًا من التأليف ، و يُعتمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب ، فلو أنك عمدت إلى بيت شعرٍ أو فصلٍ نثرٍ فعددت كلماته عددًا ، كيف جاء و اتفقت و أبطلت نضده و نظامه الذي عليه بُني، و فيه أُفْرِغ المعني و أُجْرِي، و غيَّرت الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد، و بنسقه أبان المراد، نحو أن تقول في بيت :

قَفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَ مَنْزِلٍ * بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

فتقول : "منزل قفا ذكرى من نبك حبيبي" أخرجه من كمال البيان إلى مجال الهذيان، نعم، و أسقطت نسبته من صاحبه و قطعت الرحم بينه و بين مُنشئه..¹.

لتبقى نظرية النظم أعمّ من السياق، لأنّ السياق مُعين على تكوين النظم ، و هي قرينه يُعلم منها معنى الكلام و غرضه، و النظم مفهوم شامل يستثمر معاني النحو و يختار المعنى النحوي المناسب لمقتضى الحال.

و خلاصة القول :

"إن اهتمام البلاغيين بفكرة المقام جعل المحدثين يثنون عليهم ، و يقدرّون لهم جهودهم، و في ذلك يقول الدكتور (تمام حسان) : .." و قد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم ، لأنّ الاعتراف بفكرتي المقام أو المقال بوصفهما أساسيين متميزين من أسس تحليل المعنى يعدُّ الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"².

04- السياق التداولي من خلال الحديث النبوي الشريف :

لما كان نظام اللغة متشابك العلاقات بين وحداته ، و مفتوحاً دوماً على التجدد و التغيير في بنياته المعجمية و التركيبية ، حتى غدا تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموع السياقات التي ترد فيها، ظهرت نظريات أكّدت أنّ للسياق دوراً هاماً في منح الكلمة مفهومها الخاص .

وإذا كان منهج النظرية السياقية يُعدّ من المناهج الأكثر موضوعية و مقاربة للدلالة ، فهذا ما يجعلنا لا نستغرب إذا ما أثبت أنّ الاهتمام و البحث و التنظير لمصطلح السياق "le contexte" كان وليد "علم الدلالة اللغوي" "la sémantique linguistique"، الذي يُعتبر علماً حديثاً لمقارنته في العلوم اللغوية الأخرى ، و قد كان اهتمامه بالمعنى ، الشيء الذي أفضى به إلى اهتمامه بالسياق كأداة إجرائية تلعب دوراً هاماً في تحديد المعنى ، ولأنّ السياق يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدتها الباطّ، و من أجل هذا نجد المهتمين بعلم الدلالة قد اهتموا و اتفقوا على أنّ للكلمة معنى

¹ - الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة، قرأه و علّق عليه : محمود محمد شاكر، دار المدني جدة (د ت)، ص: 4-5.

² - تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مناهها ، ص: 337.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

قاعديا le sens de base ،ومعنى سياقيا ¹ le sens contextuel .

وقد أدى مفهوم السياق تحت غطاء التطور الذي أصابه إلى ظهور جوانب أخرى قد تنحسم معها الدلالة المقصودة للكلمة بعد أن كان مقتصرًا على الجانب اللغوي في إيضاح دلالة الصيغة اللغوية ، كالموضع والمقام الذي يحدث فيه التواصل ، أو الملامح الفيزيولوجية النفسية للمتكلم التي تكون مصاحبة له في عملية التواصل.

لذلك يُعدّ السياق « contexte » أحد أهم المرتكزات التي تستند عليها اللسانيات التداولية في دراسة اللغة أثناء الكلام والاستعمال، فهو أداة إجرائية بدأ الاهتمام بها والتنظير لها منذ القدم ، ثم عمّق البحث فيه علماء اللسانيات الاجتماعية و اللسانيات التداولية، فأخذ مسارا أعمق في التحليل وبعدا أكبر تجاوز فيه الجانب اللغوي المحض، و اتسع ليشمل السياق الإيقاعي و النفسي و الثقافي، مما جعل علماء التداولية يقسمونها إلى درجات تتحدد على أساس دة تشغيلها له، و بخاصة تداولية الدرجة الثالثة (أفعال الكلام) والتي تشتغل على توظيف السياق بعمق في تحليلاتها²، بحيث يؤدي السياق دورا هاما في كشف مقاصد المتلفظ بالخطاب، و توضيح نواياه الظاهرة و الخفية من أجل إفادة السامع معنى يتوخاه من الخطاب، ثم إنّ للسياق مجالات معرفية متعددة تتوزع"عبر فضاءات معرفية كثيرة، منها ما هو مرتبط بالمتكلم و المتلقي و شروط الإنتاج اللغوي ، و الزمان و المكان .. و غيرها³.

من هذه الحقيقة ذهب "فان دايك" أحد علماء لسانيات الخطاب إلى " أنّ نظرية النظرية اللسانية تهتم بأنساق اللغة الطبيعية، أي تراكيبها المتحققة أو الممكنة التحقق ، و تطورها التاريخي و مختلف أنشطته الثقافية و وظيفتها المجتمعية و أسسها المعرفية"⁴.

و هذه الأنساق التي تحدّث عنها "فان دايك" هي عبارة عن قواعد متواضع عليها ، تُحدّد السلوك اللغوي كما يتجلى في استعمال أقوال لغوية في مقامات تواصلية معينة، إلى جانب المستوى النحوي الذي ذكره "فان دايك" أضاف مستوى آخر سماه "بمستوى فعل الكلام": "ذلك أنّ كل عبارة متلفظ بها ينبغي أن لا توصف فقط من جهة تركيبها الداخلي و المعنى المحدد لها، بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التام الإنجاز المؤدي إلى اتساع تلك العبارة"⁵، و هو بذلك يُعنى بالمستوى "التداولي" الذي يُهيئ شروطا حاسمة تجعل

¹ - آيت أوشان علي، السياق و النص الشعري، ص: 15.

² - المرجع السابق ، ص: 16.

³ - المرجع نفسه ، ص: 16-17

⁴ - فان دايك ، النص و السياق ، ترجمة عبد القادر قنيني- إفريقيا الشرق المغرب، 2000، ص: 17: .:

⁵ - المرجع نفسه، ص: 18.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

الأقوال مقبولة تداولياً، بمعنى أن يصير تركيبها مناسباً لمقتضى الحال بالنظر إلى سياقها التواصلية.

لذلك بات من الضروري حسب "فان ديك" وجوب دراسة النصوص من حيث وظائفها أيضاً، و من أجل ذلك يجب اعتماد "السياق التداولي" لتأويل النص كفعل كلامي أو كسلسلة من أفعال كلامية يقوم بها الشخص حين يتلفظ بجملة أو بعدة جمل في سياق ملائم لها، و فيما تتدخل التداولية لتحدد الشروط التي ينبغي أن تتوفر في الفعل الكلامي حتى يكون ملائماً لسياق معين باعتبار أنّ السياق التداولي يتألف من جميع العوامل النفسية و الاجتماعية، كالمعرفة التي يملكها مستعملو اللغة و رغباتهم و هواياتهم و مواقفهم و علاقتهم الاجتماعية¹.

ليأخذ السياق مسارا عميقا في البحث التداولي بمختلف اتجاهاته، و ذلك بالتركيز على العلاقات بين المدلولات التي تشكل معنى الخطاب. فهو أداة هامة تساعد على الحديث عن الأشياء بدقة تكاد متناهية بحيث يمكننا من دراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و الكلامي في استعمال اللغة، فلا يمكن الاستغناء عنه لأنه ببساطة سيؤدي بنا حتما إلى توتر قناة التواصل، خاصة و نحن نعلم أنّ المعنى الحرفي للملفوظات لا يؤدي إلى المقصود في غياب الملامح النطقية "كالتنغيم و النبر"، و غير النطقية "كحركات الرأس و اليد و ملامح الوجه" و غيرها.

و بنظرة سريعة متأنية في قاموس اللسانيات ل: "جون دو بوا" نقف أمام حقيقة السياق من منظور اللسانيات الحديثة على أنه: "المحيط" *l'envromement* "أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة محددة، و يسمى "السياق الشفوي"، كما عرّفه على أنه: "جملة الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات المشتركة بين المرسل و المتلقي، و الوضعية الثقافية و النفسية و التجارب و المعلومات الشائعة بينهما"².

فلاحظ من خلال التعريف أن "جون دوبوا"، قد ركز كثيرا على الشروط الاجتماعية التي يتحقق فيها الخطاب، بين المرسل و المتلقي في زمان و مكان معينين، و هذا ما نذهب إليه النظرية التداولية اليوم حيث تُعتبر "نظرية استعمالية" تدرس اللغة في استعمال الناطقين بها، و "نظرية تخاطبية" تعالج شروط التبليغ و التواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء استعمال اللغة"³.

1- آيت أوشان علي، السياق و النص الشعري، ص: 82.

²J.dubois, dictionnaire de linguistique larousse- paris- 1973-p120-121

³-بوبكري راضية حنيف، التداولية و تحليل الخطاب، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، العدد 399، دمشق، ص:

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

أما من منظور "تحليل الخطاب" فإننا نجد مفهوم السياق يتحدّد مثلا عند "براون وبول" من خلال كتاب "تحليل الخطاب" "analysis discours"، انطلاقا من جعلهما لقطبي التواصل المتكلم/الغائب، المستمع/القارئ في قلب عملية التواصل، إذ لا نتصوّر قيام عملية تواصل بدون الأطراف المساهمة فيها، بل لن يتسنى فهم و تأويل التعابير و الأقوال (الخطاب بصفة عامة) إلّا بوضعها في سياقها التواصليّ التداوليّ زمانا و مكانا و مشاركين و مقاما، هذا لإيمانها الراسخ بأنّ "المتكلمين/الكتاب" هم الذين يملكون المواضيع و الافتراضات المسبقة، و أنّ "المستمعين/القراء" هم الذين يؤولون و يقومون بالاستدلالات و بمعنى أعم أنّ الناس هم الذين يتواصلون لتحقيق مآرب و أعراض متعددة¹.

فهما بذلك و بناء على ما جاء في تعريفهما يُقرّان على أنّه ينبغي لمحلّل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب، والسياق لديهما يتكون من المتكلم/الكاتب، المجتمع/القارئ، الزمان والمكان لأنّه يؤدي دورا فعّالا في تأويل الخطاب، و غالبا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين، و بذلك يحصر السياق مجال التأويلات الممكنة، و يدعم التأويل المقصود....².

لذلك جاءت التداولية لتعطي أهمية كبيرة لعنصر السياق، حتى أنّه أضحي من بين أهم المفاهيم الأساسية التي تعتمد عليها في مختلف تحليلاتها للنصوص، حين تسعى إلى ضبط العملية التلقظية من حيث هي فعل تواصلي يتحقق في موقف سياقي، و في فضاء ثقافي اجتماعي. هذه التي تشكل محيط النص بشكله الواسع. لذلك فهو أداة إجرائية و فاعلية و أساسية في التحليل، حتى أضحت الخطابات الأكثر قبولا للفهم و التأويل هي مجموع الخطابات القابلة بأن توضع في سياقاتها العامة.

من هذا المنطلق، الذي أخذ من خلاله السياق مسارا أكثر بُعدا مع التداولية حين تجاوز الإطار اللغوي الخوض إلى السياق الاجتماعي و النفسي و الثقافي، ثارت التداولية ضد المناهج اللسانية السابقة التي كانت تهتم على الدراسات اللغوية في ق19/20، و تكمن أهميتها في أنّ معظم النظريات التي تندرج ضمنها تسعى كلّها إلى البحث عن العلاقة التواصلية التي تتحكم بين المتكلم و المتلقي وما بينهما، و السياق الكلامي الذي تم فيه عملية التواصل، و بذلك أبدى أصحاب المنهج التداولي رفضهم لتلك المناهج المعتمدة في تحليل النصوص الذي يتم بمعزل عن سياقاتها الخارجية³، كما دعوا إل ضرورة النظر إلى النص باعتباره نمطاً من أنماط الاستعمال

1 - خطابي محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص - المركز الثقافي العربي - المغرب 1991م، ط1، ص: 17.

2 - المرجع نفسه، ص: 17.

3 - ينظر قديما إلى النص على أنه بنية مغلقة لا يتم دراسته إلا منعزلا عن الظروف الاجتماعية (سلطة النص) و إمّا يدرس بوصفه وسيلة يلجأ إليها الكاتب للتعبير الذاتي عن مكنونات نفسه و عواطفه .. (سلطة المؤلف).

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

اللغوي يهدف إلى عقد تواصل بين طرفين أو أكثر، وتعني كلمة "تواصل" بمفهومها الحديث ضرورة وجود "باتّ" ، و مستقبل و رسالة، و"قناة اتّصال"، حيث يقوم الباتّ "بتسنين" الدلالة في الرسالة و يقوم "المستقبل" بفكّ "السنن"، ثم يستخلص الدلالة، و لا يتمّ المعنى الحقيقي للرسالة إلا إذا زُدت إلى سياقها الذي وردت فيه ، بناءً على ما يحيط بها من ظروف وملابسات إنشاء هذه الرسالة.

بناءً على ذلك نخلص إلى أنّ التحليل التداولي يستحضر بعمق السياق أثناء دراسته و تعامله مع النصوص الأدبية ، بعدّه أداة إجرائية يمكنها أن توسع من دائرة فهمها (أي النصوص) و إزالة اللبس عنها و تأويلها وإخراجها إلى أفق أوسع ، حتى لا تبقى في حدود خلق علاقة محددة مع الموضوع، أي لا بدّ من تجاوز ذلك لنصل إلى "الرغبة العميقة في استكناه كلّ الأطراف المساهمة في عملية الإبداع و التلقي"¹.

لهذا و من أجله جاءت التداولية كمنهج يهتمّ بمختلف الأسئلة الهامة في أيّ نصّ أدبيّ خاصة من جانبه السياقي و المتمثلة في: من هو المتكلم، و مع من في النص؟ من هو المتلقي في النص؟ ما هو زمان النص؟ ما هو مكان النص؟ ما هو موضوع النص؟ ما هو مصدر الإيضاح و الغرض؟، و كيف نتحدث بشيء و نفهم شيئاً آخر؟، في حين نريد قول شيء آخر . ما هي القوى الحجاجية التي يعتمد عليها المتحدث من أجل إقناع متلقيه؟. هذه الأسئلة و غيرها تعدّ من صميم التداولية للإجابة عنه، لاسيما أنّها تمثّل الوظيفة الأساسية للتداولية في تحديد السياق الضمني للسياق الذي تؤوّل فيه الجملة المشكلة من الثلاثية : "المرسل، المتلقي، و الوضعية التبليغية"، فهي بسعيها الحثيث إلى الإجابة عن هذه الأسئلة تشترط علينا بشكل أو بآخر ضرورة استظهار مقاصدنا و أفعال لغتنا مع التركيز أكثر على السياق الذي تتمّ فيه التبادلات التواصلية المختلفة، سعياً منها لتحقيق "البعد التداولي" لهدف اللغة التي يستخدمها المخاطبون في كلامهم.

ليبقى مفهوم السياق من النظرة التداولية كما عرّف عند فرانسواز أرمينكو² "هو الوضعية الملموسة التي توضع و تنطلق من خلالها مقاصد تخص المكان، الزمان، و هوية المتكلمين... الخ." ، وكل ما نحن في حاجة إليه من أجل فهم دلالة ما يقال، و من خلال هذا تظهر أهمية السياق الذي يؤدي عدم حضوره في عملية نقل المقاصد إلى عدم وضوحها و ظهور إبهامات كثيرة فيها.

1 - آيت أوشان علي ، السياق و النص الشعري، ص: 18.

2- فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص: 09.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

يبقى السياق أداة إجرائية ناجحة لكلّ المستويات التداولية و الدلالية في تحليل النصوص، و الوصول إلى محاصرة معناها من كل جانب، حيث يمكن المتلقي من فكّ مختلف الرموز الموجودة في هذه النصوص و التي تصبح من خلاله العملية التواصلية محددة المعالم، و واضحة الأقطاب من مرسلٍ و متلقٍ و زمانٍ و مكانٍ التلقي، أين يظهر ذلك التلاحم و التفاعل بين النص و متلقّيه، لأنّه كلّما توفر المتلقي على معلومات عن هذه المكونات (المتكلم، المتلقي للرسالة، الزمان، المكان، نوع الرسالة.. الخ) تكون له حظوظ قوية لفهم الرسالة وتأويلها، أي وضعها في سياق معيّن من أجل أن يكون لها معنى¹.

-تداولية السياق من خلال الحديث النبوي الشريف :

إنّ ممّا لا شك فيه أنّ الله تعالى فطر الناس على صفات متفاوتة، و إدراكات مُتباينة. فمنهم الذي يتأثر بالعاطفة و يستجيب للموعظة، و منهم العقلاني الذي يُناسبه الطرح العقلي، و منهم الذي يؤخذ بالترغيب و منهم الذي لا يتأثر بالترهيب، منهم المسلم المنصت، و منهم المجادل العنيد، منهم العالم و منهم الجاهل. فيهم القوي و فيهم الضعيف، و ممّا لا شكّ فيه أنّ مقتضى الحكمة أن تراعى هذه الطباع، و أن يهتم بكلّ صنف بما يناسبه في إطار الشرع الحنيف.

إنّ مراعاة أقوال الناس يتطلب من "الداعية" أن يُنوّع في خطابه و أسلوبه، و من الحكمة تنزيل الناس منازلهم اللاتقة بهم و مخاطبتهم بما يناسبهم، فإنّ ذلك أدعى إلى قبول الدين و الرغبة في إتباعه، و لا يكون ذلك إلا بمعرفة أحوالهم، لذلك كان "النبّي" ص "عناية بالغة بمعرفة أحوال المخاطبين، و كان الدافع إلى هذه العناية تحقيق الحكمة التي أمر الله عز و جل رسوله "ص" أن يسلكها في دعوته للحق " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... "النحل125، و لعلّ الحكمة تكون في الإصابة في الأقوال و الأفعال و وضع كلّ شيء في موضعه، لأنّ المرء كلما كان مراعيًا في مخاطباته لبلاغة الكلام و مقتضيات الأحوال كان أشدّ قولًا، و أكثر تأثيرًا، و أقوى إقناعًا، و أقدر على التواصل، و أقرب للقبول، و أبعد عن عثرات اللسان و سقطاته.

لذلك نلاحظ في خطاب الرسول "ص" لغيره مراعاةً للعوامل المؤثرة في شخصية المخاطب، و يبرز منها خاصة "الديانة"، فما يقال للمسلمين غير ما يقال لغير المسلمين، و ما يقال للمسلم الحديث العهد بالإسلام غير ما يقال للمسلم العريق في الإسلام،... ما يقال للمسلم في دار الإسلام غير ما يقال للمسلم في مجتمع غير

¹ - خطابي محمد ، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب) ، ص: 297 .

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

الإسلام، و ما يُقال للشباب غير ما يقال للشيخوخ، و ما يقال للنساء غير ما يقال للرجال.... و ما يقال للحكام غير ما يُقال للمحكومين¹، مع مراعاة كذلك بيئته التي عاش فيها، و اكتسب طباعها، و منزلته الاجتماعية، و صفاته السلوكية التي يتّصف بها.

أ . السياق مراعاة التدين:(الديانة): كثيرا ما يتأثر الخطاب بصفة المخاطب الدينية، سواء من ناحية اتجاه المخاطب نحو التدين أو عدمه، لأنّ الاتجاه نحو التدين له تأثير في شخصية المرء، و في تهذيب سلوكه، و حسن تعامله، و رقة قلبه، بخلاف الأقلّ تدينا فإنه يكون أقلّ شأنا في ذلك، أو من ناحية الديانة التي يدين بها، لأنّ لكلّ دين شرائع و رسوماً و أحوالاً و خصائص.

و من ذلك نلاحظ أنّ النبي "ص" يفرّق في تعامله بين شخص قد رسخ الإيمان في قلبه، و أقبل عليه بروحه و آخر لما يسلم، أو أنّه حديث عهد بالإسلام، فكان يُلّين القول للأعراب، و يشتدّ في القول على بعض أصحابه الأقرين، و من ذلك حديث أسامة رضي الله عنه قال: "بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحِرَّةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَرَمْنَا هُمْ، وَ لَحِقْتُ أَنَا وَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعْنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ "ص" ذَلِكَ قَالَ: يَا أُسَامَةُ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟؟؟، قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّدًا، وَ فِي رِوَايَةٍ قَالَ النَّبِيُّ "ص": أَفَلَا أَشْفَقْتُمْ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ قَالَ أُسَامَةُ: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى تَمَنَيْتُ أَيَّ لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ".²

و "في هذا اللّوم تعليم و إبلاغ في الموعظة حتى لا يقوم أحدٌ على مثل من تلقّظ بالتوحيد من جهة، و تكرر ذلك القول إنكار شديد و زجر وكيد، و إعراض عن قبول عذر أسامة"³، أما تمّي أسامة رضي الله عنه أنّه لم يسلم ذلك اليوم. دليل على قوة إسلامه، و إلّا كان يمكن أن يتمنى أنّه لم يسلم قط بعد هذا اللّوم الشديد، الذي جاء بخطاب مباشر له. لا كما يفعله الرسول "ص"، أحيانا حين يقع أحدُ الصحابة في الخطأ فيقول: "ما بال أقوام... و و نحو ذلك من صور الإبهام.

و مثال آخر: ما رواه جابر رضي الله عنه: أنّ مُعَاذًا كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَامْتَحَنَهُمْ، فَافْتَسَحَ

1 - القرضاوي يوسف ، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة:، دار الشروق ، ط1/2004 ، ص:17-18.

2 -صحيح البخاري ، حديث رقم:4021، كتاب المغازي ، باب بعث النبي الى الحرة ، ج4 ، ص:1555/1556.

3 - القرطبي أبو العباس، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، ط2/1420 هـ ، ج1، ص:296.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

بِسُورَةِ الْبَقْرَةِ، فَانْحَرَفَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ صَلَاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ: "إِنَّهُ مُنَافِقٌ"، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَآتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: "إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ فَقَرَأَ "الْبَقْرَةَ"،... فَجَوَزْتُ فَرَعَمَ "أَيُّ مُنَافِقٍ"، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ "ص" عَلَى مُعَاذٍ، يَا مُعَاذُ أَفَتَانُ أَنْتَ؟" أَوْ "أَفَاتِنُ؟" ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَلَوْلَا صَلَّيْتُ: "بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ"، وَالشَّمْسِ وَضِحَاهَا،" وَ "اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى" ¹، وَ لَعَلَّ تَوْجِيهَ الْخُطَابِ إِلَى مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ "تَقْدِيمِ الدَّاءِ" فِي مَقَامِ الْإِنْكَارِ، وَ اخْتِيَارِ صِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ مِثَالِ فِي الرَّوَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى وَزْنِ "فَعَالٍ"، وَ تَكَرُّرِ الْقَوْلِ "ثَلَاثَ مَرَاتٍ"، لَعَلَّهُ لِيُوقِعَ فِي نَفْسِ مُعَاذٍ عِظَمَ مَا ارْتَكَبَهُ، مَعَ أَمْنِ جَانِبِ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَنْ يَرْتَدَّ أَوْ يَتَرَدَّدَ، لَا سِيَّمَا وَ أَنَّه مِنْ خَاصَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَنَلْحِظُ مِنْ خِلَالِ الْحَدِيثَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ "ص" مِنْ يِعَاتِبُ وَ يَنْكُرُ بِأَسْلُوبِ "الِاسْتِفْهَامِ"، وَ لَعَلَّ ذَلِكَ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ حِدَّةِ الْإِنْكَارِ، كَمَا نَفْهَمُهُ مِنْ حَدِيثِ "ابْنِ حَجْرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي" ²، مِمَّا يَعْكَسُ حِرْصَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ مِرَاعَاتِهِ "مَسْتَوَى التَّدِينِ" لَدَى الْمُخَاطَبِينَ، أَمَا عَلَى مَسْتَوَى نَوْعِ الدِّيَانَةِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُخَاطَبُ الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى وَ الْمُشْرِكِينَ بِمَا يَلَاءَمُ أَحْوَالَهُمْ فِي دِيَانَاتِهِمْ.

* وَ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَخَلَ "خَيْبَرَ" غَازِيًا، وَ كَانَ أَهْلُهَا يَهُودًا، فَقَالَ لَمَّا رَأَاهُمْ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خُرِبَتْ خَيْبَرُ" ³. وَ "جُمْلَةُ التَّكْبِيرِ" الْمَكْرُورَةُ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ الْمَوْجُزَةِ الَّتِي تَقَدِّمُ فِيهَا لَفْظَ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ)، وَ جَاءَ فِيهَا لَفْظُ التَّكْبِيرِ عَلَى صِيغَةِ "أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ (أَفْعَل)" مُطْلَقَةً، غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ بِمُقَضَّلٍ عَلَيْهِ مَخْصُوصٌ تُشْعِرُ كُلَّهَا بِكَمَالِ التَّنْزِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَ تَأْكِيدِهِ.

وَ لِذَلِكَ أَشَارَ "ابْنُ حَجْرٍ" إِلَى هَذَا التَّلَاوُمِ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَ حَالِ الْيَهُودِ فَقَالَ: "وَ أَمَا التَّكْبِيرُ فَلَأَنَّهُ ذِكْرٌ مَأْتُورٌ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ مَهُولٍ، وَ عِنْدَ كُلِّ حَادِثٍ سُرُورٍ، شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَ "تَبَرُّةٌ" لِمَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ، لَا سِيَّمَا الْيَهُودَ قَبَّحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى". ⁴

وَ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى يُدْرِكُ الرَّسُولُ "ص" مَا عَلَيْهِ الْيَهُودُ مِنَ الْكُذْبِ وَ الْخُدَاعِ، فَيُظْهِرُ فِي خُطَابِهِ لَهُمْ، فَنَجِدُهُ يَتَدَرَّجُ فِي سَوَالِمِهِمْ وَ الْحَوَارِ مَعَهُمْ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا، فَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "لَمَّا فُتِحَتْ "خَيْبَرَ" أُهْدِيَتْ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اجْمَعُوا إِلَيَّ"

¹ - صحيح البخاري: حديث رقم: 673، كتاب الجماعة والإمامة، باب من شكوا إمامه إذا طول، ج 1 ص: 249.

² - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الحديث القاهرة، 2004، ج 2، ص: 197.

³ - صحيح البخاري، حديث رقم 364، كتاب الصلاة في الثياب، باب ما يذكر في الفخذ، ج 1، ص: 45.

⁴ - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج 2، ص: 438.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودٍ فَجَمَعُوا لَهُ، فَقَالَ: "إِنِّي لَسَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ: "مَنْ أَبُوكُمْ؟" قَالُوا: "فُلَانٌ، فَقَالَ: "كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ"، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ: "فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْ شَيْءٍ ۖ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ" قَالُوا: "نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنْ كَذَبْتَ عَرَفْنَا كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آبِنَا. فَقَالَ لَهُمْ: "مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟" قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخَلَّفُونَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْسَتْوْا فِيهَا وَ اللَّهُ لَا تَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا" ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْ شَيْءٍ ۖ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟" فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: "هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟" قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟" قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ"¹.

فترى الرسول "ص" يؤكد عن طريق "الاستفهام الاستفاحي" أن الذي يسألهم هو نفسه "إني سائلكم عن شيءٍ فهل أنتم صادقٍ عنه" و قد جاء التأكيد بصورة متنوعة منها: مجيء "إن"، تكرار فاعل الاستفهام مرة بضمير ظاهر اسم لأن "أبي"، و أخرى فاعلا لـ "سائلكم"، و ثالثا: مفعولا به "صادقي"، إضافة إلى مجيء "الجملة اسمية" و هي من "المؤكدات"، و لعل المقصود من هذا التأكيد: تذكيرهم بنبوته، و التعريض بتحذيرهم من الكذب عليه و خداعه، لأنهم يجحدون ذلك حسداً و استكباراً.

و من مكر اليهود و خبثهم ما حدثت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يهوداً أتوا النبي صلى عليه و سلم فقالوا: "السَّامُ عَلَيْكُمْ"². قالت عائشة ففهمتها، فقالت: "عليكم السَّام وَ لَعَنَكُمُ اللَّهُ، وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ"، فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كَلِّهِ، وَ إِيَّاكَ وَ الْغُنْفَ وَ الْفُحْشَ" فقالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: "أولم تسمعي ما قلت؟" قد قلت: وَعَلَيْكُمْ، رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِي"³. و في موقف آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "مرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ "ص": "وَ عَلَيْكَ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ "ص": "أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟، قَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ" قَالُوا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَقْتُلُهُ؟ قَالَ: "لا، إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَ عَلَيْكُمْ...".⁴

¹ - صحيح البخاري، حديث رقم 2298، كتاب الجزية، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين، ج3، ص: 1156.

² - السام: بمعنى الموت.

³ - صحيح البخاري، حديث رقم 5901، كتاب الاستئذان، باب، كيف الرد على أهل الذمة بالسلام، ج5، ص: 2308.

⁴ - صحيح البخاري، حديث رقم 5903، كتاب الاستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام، ج5، ص: 2309.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

فما نلاحظه في الحديثين أنّ اليهود لا يدعون كيدهم و مكرهم حتى في الألفاظ، يتلاعبون بما ليغيروا من دلالاتها الحسنة، إلى دلالات تتلاءم مع نفسياتهم الشريرة المعادية لأهل الإسلام، فكان التحريف للفظة "السلام" إلى لفظة معادية "السام" رغم ذلك البون الشاسع و الفرق العظيم في اللفظتين في المعنى حتى و إن تقاربتا نطقاً.

أمّا في خطابه للنصارى فنجد النبي "ص" يدعوهم إلى العبودية، و يؤكد لهم وحدانية الله و ألوهيته، و عدم الإشراف به ، و خطابه لهم فيه رقة لا تكون مع اليهود ، لما قاله تعالى عنهم: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى...المائدة:82.، فمن خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للنصارى الذي تظهر فيه تلك الخصائص : كتابه صلى الله عليه و سلم إلى هرقل وقومه و فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم ، من مُحَمَّد بنِ عَبْدِ اللهِ و رسوله إلى هرقل عظيم الروم، سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أمّا بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أَسْلِمُ تَسْلِمُ، وَاَسْلِمُ يُوْتِكُ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ،" يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "1.

فيظهر هذا الحديث رعاية الرسول "ص" ديان المخاطب من خلال: صيغة "السلام" المقيدة ب: "على من اتبع الهدى"، لأنّ المخاطب كافرٌ لا يُبتدأ بالسلام، و بذلك كانت براعة الاستهلال مُؤنسةً للمرسل إليه مُحفزةً على إتباع الهدى ، و محذرةً من التولي عنه.

. النداء بصيغة: "يا أهل الكتاب" ، و النصارى منهم أولوا الكتاب و أهله.

. تتمّة الحديث فيها اقتباس من القرآن الكريم " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ " تنطبق عن الوصف الذي أعطاه الله تعالى لهم في الآية السالفة الذكر(آل عمران:82-83).

. الدعوة إلى التأكيد على عبودية الله وحده و عدم الإشراف به لقوله تعالى: " و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله" لأنّ النصارى وصفهم الله تعالى: " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (التوبة:31).

ب - السياق ومراعاة البيئة:

كثيرا ما يكون للبيئة الأثر الواضح في تكوين شخصية المرء، لذلك راعى الرسول صلى الله عليه و سلم هذا العامل المؤثر سواء تعلق الأمر بالوسائل التعبيرية كالدعاء و غيرها، أو ما تعلق بالمفردات و الألفاظ و الأساليب

1 - صحيح البخاري، حديث رقم 07 ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف بدأ الوحي على رسول الله، ج1، ص:09.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

عموما، نظرا لما تتميز به بعض البيئات عن غيرها، و من هذا القبيل اختيار الرسول صلى الله عليه و سلم وسيلة "الدعاء" على كفّار مكة في "الحرم"، لما له من مكانة خاصة في نفوس العرب و أهل الجاهلية، بحكم أنّ الدعوة فيه لا تُردّ، لذلك تراهم يَعْظُمُ عندهم أنّ يُدعى عليهم فيه، فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي صلى عليه و سلم كان يُصَلِّي عند البيت، و أبو جهل و أصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فَلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ...؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي صلى عليه و سلم و وضعه على ظهره بين كتفيه، و أنا أنظر لا أُغني شيئا، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون، و يحيل بعضهم على بعض، و رسول الله صلى الله عليه و سلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع النبي صلى الله عليه و سلم رأسه، ثم قال: "اللهم عليك بقريش ثلاث مرات"، فشقّ عليهم إذ دعا عليهم، قال: "و كانوا يرون أنّ الدعوة في ذلك البلد مُستجابة، ثم سَمِيَ: اللهم عليك بأبي جهل، و عليك بعتبة بن ربيعة، و شيبه بن ربيعة، و الوليد بن عتبة، و أمية بن خلف، و عقبة بن أبي معيط" و عَدَّ السابِعَ فلم يحفظ، قال: فو الذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدّ الرسول صلى الله عليه و سلم صرعى في القلب، قلب بدر...¹ .

و في الحرب التي دارت رحاها بين المسلمين و المشركين في بداية الدعوة إلى الله التي كان من خلالها المشركون يعادون الرسول الله و يَسُبُّونَهُ هو و من معه من المسلمين، ارتأى رسول الله "ص" أن يختار أشدّ الكلام على المشركين وقعا و أنفذه ذكرا و سيرا بين العرب، لذلك دعا الشعراء المسلمين من الأنصار خاصة، لما صحّ عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لحسان بن ثابت الأنصاري: "أهْجُ قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ"، فقال له حسان بن ثابت مُبدِياً رغبته الشديدة في ذلك: "و الذي بعثك بالحق لأُفْرِنَنَّهُم بلساني قُرَيِّ الأَدِيمِ...."، لذلك قالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لحسان "إنّ روح القدس لا يزال يؤيّدك ما نافحت عن الله و رسوله، و قالت سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: "هَجَاهُمْ حَسَانٌ، فَشَفَى وَ اشْتَفَى".²

*ليظهر أثر البيئة و مراعاتها في التخاطب حين عمد الرسول صلى الله عليه و سلم إلى اختيار ألفاظ و تعبيرات

1 - صحيح البخاري، حديث رقم 273، كتاب الوضوء، باب إذا القي على ظهر المصلي قدر، ج 01، ص: 90.

2 - صحيح البخاري، حديث رقم 3041، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملكة، ج 3، ص: 1176.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

من البيئة التي يعيش فيها المخاطبون، مما جعل "البيان النبوي يستمد صورته من واقع البيئة التي يعايشها المخاطب، والعربيّ يُعاش البيئات الثلاث الصحراوية و البحرية و الحضريّة، فانتزع صور التشبيهات النبوية من واقع تلك البيئات لتكون أكثر واقعية و تأثيراً على نفسه و عقله و قلبه"¹ و من ذلك:

** قوله صلى الله عليه و سلم: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ و إِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، و بَيْنَهُمَا شُبُهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَ عِرْضِهِ، و مَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَ أَنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ"².

ففي الحديث تصوير لحدود العبد في الحلال و الحرام و ما بينهما من الشبهات بصورة الراعي مع الحمى كثيراً ما يميل إلى الرعي فيه، فيتجاوز حدود حماه، فينتهك محارمه، مثله كمثل الواقع في الشبهات حين يخترق محارم الله، و بذلك يقع في الحرام، فالغرض تشبيه تمثيلي، الغرض منه التحذير من الوقوع في الشبهات حيث شبه الرسول صلى الله عليه و سلم حال الذي لا يتحرز عن الشبهات فيقع في الحرام بحال الراعي الذي يرعى حول الحمى المحظور-حمى الملك- و لا يتعد عنه، فتغلبه غنمه، فتقع في ما حماه الملك فيتعرض للعقوبة"³، و هذا من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، حيث مثل- صلى الله عليه و سلم- الأمر المعنوي المدرك بالعقل بالأمر المشاهد الحس، و وجه الشبه هو عدم التحرز من الوقوع فيما يضر، و بذلك تحصل العقوبة"⁴.

لتتضح صورة حدود الله تعالى التي يجب مراعاتها و عدم تجاوزها حين صوّرها عليه الصلاة و السلام أمراً بالمعروف و نهيًا عن المنكر، لا سيما حين صوّر القائم على هذه الحدود و الواقع فيها بصورة قومٍ في سفينة في البحر جرى لهم، كما قال عليه الصلاة و السلام: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، و الْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، و بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، و لَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ و مَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، و إِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَ نَجَّوْا جَمِيعًا"⁵.

1- محمد محمد يوسف، معجم التشبيهات النبوية في صحيح البخاري، دار البيان-القاهرة: 1995، ص: 77.:

2- صحيح البخاري، حديث رقم 52، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ج1، ص: 28.

3- بسيوني عبد الفتاح، بلاغة تطبيقية، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، ط 2010/1، ص: 115.

4- المرجع نفسه، ص: 115.

5- صحيح البخاري، حديث رقم 2361، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة، ج2، ص: 882.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

ففي قول الرسول صلى الله عليه و سلم: "مثل القائم... كمثل قوم استهموا.... فيه تشبيهٌ تمثيليٌّ، لأنَّ وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد... و هذا النوع من التشبيه له تأثير عظيم على النفس، فإنَّه إذا وقع في الصدر بعث المعنى إلى النفس بوضوح و جلاء، مُؤيِّدًا بالبرهان ليقنع السامع، و إذا جاء بعد تمام المعاني كان البرهان الذي تثبت به الدعوى، و الحجَّة التي توجب الإذعان، مثل قول الشاعر:

لا يَنْزِلُ المجدُ إلَّا في منازلنا***** كالتوم ليس له مأوى سِوَى المقلِّ¹

03-السياق و مراعاة المكانة و المنزلة:

لا سيما و أنَّ المخاطب يشغل منزلة أو مكانة ما سواء كانت سياسية أم اجتماعية أم غيرها، فإنَّ ذلك يعكس لا محالة الأثر الذي ينبغي مراعاته أثناء التكلم معه و مخاطبته، هذا الجانب رعته العناية الإلهية حين نهي المولى عز و جل الصحابة في قوله: "لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا" النور: 63.

و رعته السنة النبوية في أحاديث المصطفى صلى الله عليه و سلم وَعَدَّتْهُ نُهْجًا نُهَجَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِي خُطَابَاتِهِ مِثْلَهُ مِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ "كموسى عليه السلام" حين أرسله الله إلى فرعون، فقد بيَّن الله تعالى حاله و كيف يخاطبه بما يناسب حاله "... اذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى "طه: 44.

فخاطب عليه الصلاة و السلام الملوك و الرؤساء بعد أن اختار أهم وسيلة تتناسب و تتلاءم معهم و هي "إرسال الرسائل"-الكتب-فقد خاطب هرقل في رسالته: "من محمد بن عبد الله و رسوله، إلى هرقل عظيم الروم..."²، فالرسول صلى الله عليه و سلم لم يقل إل هرقل فقط بل أتى بنوع من الملاحظة، فقال: "عظيم الروم"، أي الذين يعظمونه و يقدسونه، و قد أمر الله تعالى بالإلانة في القول لمن يدعى إلى الإسلام في قوله تعالى: "فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا" طه: 44. و غير ذلك...³، و جاء في "فتح الباري": "أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُخْلِ هذا الحديث من إكرامٍ لمصلحة التآلف"⁴.

لتظهر من جهة أخرى براعة الرسول "ص" في اختيار الألفاظ التي من شأنها أن تُؤثر في المخاطب و منزلته، لا سيما الاطمئنان على الملك في حالة إسلامهم، كما نجد في رسالته إلى هرقل، فتكررت مادة

1 - الصابوني محمد علي ، من كنوز السنة ، مكتبة رحاب، الجزائر، ط2 / 1986، ص: 29.

2 -صحيح البخاري، حديث رقم 07، كتاب بدء الوحي ، ج1، ص: 10.

3 - الإمام النووي، شرح صحيح مسلم ،-دار الفكر-بيروت، ط2 / 1392هـ . ج12/ص : 89 .

4 -العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1، ص: 37.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

"السلام" في الرسالة ما يقارب الست مرات: "بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمَ تَسْلِمًا، وَ أَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ...".

هذا التكرار في أصول مادة: "أسلم" تجعل من المخاطب يشعر بمعناه من أول الخطاب إلى آخره، بأن المقصود هو "الإسلام"، و أن لا خوف على ملكه إن صحَّ إسلامُهُ، و أن الشعورَ بالاطمئنان معناه طاعةُ النبي صلى الله عليه و سلم و إتباع دينه، لكن هرقل خاف على نفسه و عن ملكه خوفا من قومه، قال "ابن حجر": لو تفظن هرقل لقوله صلى الله عليه و سلم في الكتاب الذي أرسله إليه أسلم تسلم، و حمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة لَسَلِمَ . لو أسلِمَ . من كلِّ ما يخافُهُ ، لكنَّ التوفيق بيد الله تعالى..¹ .

من جهة أخرى راعى النبي صلى الله عليه و سلم "أسلوب الملائمة" في التعامل مع القوم خاصة الأشراف منهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ،بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم خيلا قِبَلَ نَجْدٍ، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له "ثَمَامَةُ بْنُ أَثَالِ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرِيضٌ بِسَارِيَةٍ مِنْ سُوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟" ، فقال: "عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ ، إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ تُقْتُلْ تُقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ" ، فَتَرَكَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدْوِ وَ كَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ، فَانْطَلِقْ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاعْتَزِلْ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ... ثُمَّ اعْتَمَرَ وَ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: "أَأَصَبَوْتَ؟" ، فَقَالَ: لَا وَ لَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، وَ لَا وَ اللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حَنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ "ص"².

فالحديث نموذج من ملاطفة القلوب لمن يُرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خَلْقٌ كثير، لذلك عمد الرسول "ص" إلى الخطاب بأسلوب "الاستفهام" متبوعا "بنداء": "ماذا عندك يا ثَمَامَةُ...؟" بغرض التلطف المهذب إلى إلانة القلوب إلى الإسلام.

و لعلّ من الأمثلة التي توحى فعلا بمراعاة الرسول صلى الله عليه و سلم لمنزلة مخاطبه توصيته "المعاذ بن جبل" رضي الله عنه، حين أرسله صلى الله عليه و سلم إلى اليمن واليًا و قاضيًا و داعيًا إلى دين الله تعالى.. إذ

¹ -العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1، ص: 37.

² -صحيح البخاري، حديث رقم 4114، كتاب المغازي ، باب حديث ثَمَامَةُ بن أَثَالِ...، ج4، ص: 1590.

قال لمعاذ: "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ..."¹.

فبيان النبي صلى الله عليه و سلم لمعاذ رضي الله عنه حال من يأتيهم ليدعوهم و يتولى أمرهم على بصيرة دليلٌ على هذه المراعاة "ستأتي قوما أهل كتاب" تمهيد و توطئة للوصية، ليستجمع همته عليها، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان².

4-السياق ومراعاة الجنس و العمر:

إنّ المتأمل في الخطاب النبوي يجده أنّه لم يكن حِكْرًا على الرجال دون النساء، بل خاطب الرسول صلى الله عليه و سلم الرجال و حصّ النساء بالحديث، كما خاطب الشباب و الأطفال، هذا ما يعكس رعاية صلى الله عليه و سلم المتعلقة بجنسهم من جهة و بالعمر و السن من جهة أخرى.

فكان عليه الصلاة و السلام حين يخاطب النساء فإنه يُنَادِيَهُنَّ وَ يَصْفُوهُنَّ بما يدلُّ على وصف الأنثى إذا كان الخطاب مُخْتَصًّا بهن في قوله: "يا معشر النساء... تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ"³. أو بصيغة: "يا نساء المسلمين": قوله صلى الله عليه و سلم: "يا نساءَ المُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا وَ لَوْ فَرَسَنَ شاةً"⁴. و حين طلب النساء من صلى الله عليه و سلم أن يجعل لهن يوما يُخَصِّصُهُنَّ بالحديث، فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهنَّ و أمرهنَّ، فكان فيما قاله لهن: "ما منكن من امرأةٍ تُقَدِّمُ ثلاثَةً من وَلَدِهَا لَمْ يَبْلُغُوا الْحَتَّ إِلَّا كَانُوا لها حِجَابًا مِنَ النَّارِ: فقالت امرأةٌ منهن يا رسول الله: و اثنين؟ فأعادها مرتين: ثم قال: " و اثنين"⁵.

فنداء المخاطب أو وصفه "معشر النساء"، "نساء المسلمين"، "امرأة". لأنّ النبي صلى الله عليه و سلم يُخَصُّ النساء بالحديث، و يواجههن بالخطاب، فقد جاء الحديث بندائين من باب الإضافة تخصيصا للمعنى بالنداء، "فالمعشر" في الحديث الأول مخصوص بالنساء، و في الحديث الثاني مخصوص بالمسلمات، و "النداء" عامة يخص النساء دون الرجال لكونهن المخاطبات، كما يعمّ النداء للمسلمات من حضرن و من لم يحضرن لحظة الخطاب النبوي في ذلك الوقت.

¹ - صحيح البخاري، حديث رقم 1425، كتاب الزكاة، باب، أخذ الصدقة من الأغنياء، ج2، ص: 544.

² - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري- ج3، ص: 358.

³ - صحيح البخاري، حديث رقم 298، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، ج1، ص: 116.

⁴ - صحيح البخاري، حيث رقم 2427، كتاب الهبة، باب فضل الهبة والتحرير عليها، ج2، ص: 906.

⁵ - صحيح البخاري، حديث رقم 102/101، كتاب العلم، باب، هل يجعل للنساء يوم في طلب العلم، ج1، ص: 50.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

أما من حيث ألفاظ المخاطبة الملائمة لطبيعة الأنتى الخاصة بحالها و الملائمة لها، فقد كان لها نصيب الرعاية من باب الاختصاص ، كالألفاظ "الحيض و النفاس" و غيرها كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجْنَا لَا نَرَى إِلَّا الْحَجَّ، فَلَمَّا كُنَّا بِسَرْفٍ حِضْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، قَالَ: "مَا يَبْكِيكَ؟" فَقُلْتُ: "وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَبِي لَمْ أَكُنْ خَرَجْتُ الْعَامَ، فَقَالَ: "مَا لِكَ أَنْفَسْتِ؟" و في رواية مالك؟" أَنْفَسْتِ؟" ، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَاقْضِي مَا يَقْضِي الْحَاجُّ غَيْرَ

أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهَرِي"¹ .

فجاء تعبير الرسول "ص" بالألفاظ: "النفاس" عدولا عن التعبير: "بالحيض" رغم كون اللفظ المعدول عنه هو المشهور في صيغ المخاطبة عند التعبير عن حالهن، كما وظف أسلوب الاستفهام بغرض "الاستفسار" للمرة الأولى: ما يبكيك؟ و بغرض التلطف و التقرير في المرة الثانية، ثم "خبر" بعد الاستفهام بغرض التسلية والتخفيف من مصابها "إن هذا أمر كتبه الله..." و كلها ألفاظ توحى بالدقة المتناهية في اختيارها لتتلاءم مع حال المرأة، مثلها مثل لفظة: بنات آدم "الموحية بصيغة "الجمع" الدالة على مشاركة جميع النساء بلا استثناء، لأن النفس البشرية كثيرا ما تتسلى و تتعزى حين ترى مصابها يوجد من يُشاركها فيه.

و لعلّ الأثر الواضح في تأثير "عُمَر" المخاطب في أساليب النبي صلى الله عليه و سلم و أحاديثه اهتمامه بالأطفال في خطابه، مما يعكس الأثر الواضح لهذه المرحلة العُمرية التي يعيشها الأطفال ذكورا و إناثا، و من ذلك ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه و سلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَ كَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: "أَبُو عُمَيْرٍ"، فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَاهُ قَالَ: "أَبَا عُمَيْرٍ، مَا يَفْعَلُ النَّغِيرُ؟" نَغْرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، وَ فِي رِوَايَةٍ: "يَا أَبَا عُمَيْرٍ"²، وَ فِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَهُ حَزِينًا فَقَالَ: مَا لِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ حَزِينًا فَقَالُوا: "مَاتَ نَعْرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: "أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّغِيرُ؟".

فمن هذا الحديث يتضح اهتمام النبي "ص" بحال مخاطبه و عمره من خلال استشعاره لحال الحزن الذي كان عليه الصغير، باعتباره الموت لديه شيئا محزنا من جهة، و أنّ الطائر لعبةً من حياته و جزءٌ فيها، فيحزن لفقدانها، فخطوب من خلال نظرتة هو للطائر، لا من خلال نظر الكبار احترامًا لمشاعره و أحاسيسه و مشاركةً له في عواطفه.

¹ - صحيح البخاري، حديث رقم 299، كتاب الحيض، باب نقض الحائض المناسك، ج1، ص: 116.

² - صحيح البخاري، حديث رقم 5851، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي، ج5، ص: 2291.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

أما من حيث جمال الأسلوب فيظهر أثر التصغير في قوله صلى الله عليه و سلم "عمير"، "نغير" اعتباراً للمخاطب (طفل صغير)، مُحققاً السجع بين الفواصل مُحدثاً تأثيراً في النفس لمخاطبته الوجدان و المشاعر أكثر من مخاطبة العقول.

في وقت تَكُون فيه أسلوبه صلى الله عليه و سلم من جملتين إنشائيتين ندائية: (أبا عمير) مع أداة محذوفة وأخرى استفهامية: "ما فعل النغير؟" و كلتا الجملتين موجزتان واضحتان لم يتعدَّ فيهما الألفاظ التي يفهمها الطفل لأنَّ الطفل في مثل هذا السن لا يستوعب كلَّ ما يقال له، و ثروته اللفظية محدودة.¹

و لعلَّ المرحلة الجديرة بالاهتمام و الرعاية نظراً لأهميتها كمرحلة أساسية في مراحل عمر الإنسان، هي مرحلة "الشباب" لما يتمتعون به من الطاقات المتقدِّمة، و الحماسة، والعاطفة الجياشة و الفؤاد الذكي و القوَّة الفتية، لذلك راعى الرسول "ص" أحوالهم بسبب التغيرات التي تلحق بها و خصهم بنصائح و توجيهات منها:

* ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "كُنَّا مع النبي صلى الله عليه و سلم شَبَابًا لا نجد شيئاً، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم "يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ من استطاعَ منكم البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنَ لِلْفَرْجِ، و من لم يستطعْ فعليه بالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ"². و قد خصَّ النبي صلى الله عليه و سلم الشباب بالخطاب لأنَّ الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيخوخة³.

و قد جاء الحديث بأسلوب إغرائيٍّ مَرَّحٍ من أسلوب النداء "يا معشر الشباب"، و بصيغة تركيبية مكونة من "جملة الشرط و جوابه" مقرونا بالفاء، لأنَّ الأصل في الشباب أن يشبع رغبته إذا امتلك الباءة... و أنَّ الزواج هو الذي يشبع هذه الرغبة لذلك عليه أن يعمل به و يبادر إليه.

* لقد حرص الرسول صلى الله عليه و سلم في جميع أحاديثه على مراعاة حال مخاطبه بناء على الحالات السالفة مع عدم إهماله لناحية التركيب (الأسلوب) بدءاً من انتقاء المفردة، إلى حال التركيب إلى جودة العبارة مع اختيار الوسيلة التي يُعبّر من خلالها عن هدفه و مقصده و التي تنوعت بين "الدعاء" و "الخطبة" و "الحوار" و "التوصية"... و غيرها من الوسائل التي تلائم حال مخاطبه، ليتضح بعدها "بلاغته" صلى الله عليه و سلم حيث جاءت ألفاظه كالعقد الذي انتقيت له أحسنُ الدُرر، ثم نُظِّمَتْ فيه أحسنَ نظمٍ، فكانت به الأحسن مجالاً و حُسناً، فقال الجاحظ: "لم يسمع الناس بكلام قطَّ أعم نفعاً، و لا أسهل مخرجاً، و لا أقصد لفظاً و لا أعدل وزناً و

1 - العامر نجيب، من أساليب الرسول صلى الله عليه و سلم في التربية، مكتبة البشري الإسلامية، ط1/ 1410هـ، ص98.

2 - صحيح البخاري، حديث رقم 4778، كتاب النكاح، باب من استطاع منكم الباءة، ج5، ص:1950.

3 - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج9، ص108.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

لا أجمل مذهبًا، و لا أكرم مطلبًا و لا أحسن موقعًا، و لا أسهل مخرجًا، و لا أفصح معنىً، و لا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه و سلم.¹

و قال "الرافعي" في وصف ألفاظه: "مُسَدَّد اللَّفْظ، مُحَكَّم الوَضْع، جَزَلُ التَّرْكِيب، مُتَنَاسِبُ الأَجْزَاءِ فِي تَأْلِيفِ الكَلِمَات، فَخَمَّ الجَمَلَةَ، وَاضَحَّ الصَّلَةَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَ مَعْنَاهُ، وَ اللَّفْظُ وَ ضَرْبُهُ فِي التَّأْلِيفِ وَ النِّسْقِ، ثُمَّ لَا تَرَى فِيهِ حَرْفًا مُضْطَرِبًا، وَ لَا لَفْظَةً مُسْتَدْعَاةً لِمَعْنَاهَا أَوْ مُسْتَكْرَهَةً عَلَيْهِ، وَ لَا كَلِمَةً غَيْرَهَا أَمَّ فِيهَا أَدَاءٌ لِمَعْنَى، وَ تَأْتِيًا لِسِرِّهِ فِي الِاسْتِعْمَالِ".²

و من أمثلة اختيار الألفاظ جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ. ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ: "اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَ فَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَ أَجَلَّتْ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَ رَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَ لَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ... فلما رددتها على النبي صلى الله عليه و سلم فقلت: اللَّهُمَّ... آمَنْتُ... قُلْتُ: "وَ رَسُولُكَ"، قَالَ: لَا، "وَ نَبِيِّكَ" الَّذِي أَرْسَلْتَ"³. فالرسول "ص" يُرشد البراء بن عازب إلى الالتزام بالألفاظ التي جاء بها الذكر لأنها بُنيت على ما يقتضيه السياق.

و لعلّ السبب في إنكار النبي صلى الله عليه و سلم تغيير اللفظ، أنّ لفظة "الرسول" يشمل كل رسول أرسله الله تعالى من البشر و الملائكة، فكان اختيار لفظة "النبوة" يعين الرسول البشري المقصود في الذكر ويُخَلِّصُ الكلام من اللبس.

كما يشهد على بلاغته صلى الله عليه و سلم في اختيار الألفاظ و دقتها كذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَقُولُونَ أَحَدَكُمْ خَبِثَتْ نَفْسِي وَ لَكِنْ يَقُولُ: لَقَسَتْ نَفْسِي"⁴، و"كره لفظ "خبث" لأنّ من معانيه الباطل في الاعتقاد، و الكذب في القول، و القبح في الفعل"⁵، و هو حديث يعكس اختيار اللفظ المعبر عن المعنى المقصود الملائم "للمقام"، لأنّ الخبث في كلام العرب المكروه، فإن كان من الكلام فهو الشتم، و إن كان في

¹ - الجاحظ، البيان و التبيين، ج2، ص:17

² - الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1410 هـ، ص:325.

³ - صحيح البخاري، حديث رقم 244، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على وضوء، ج1، ص:97.

⁴ - صحيح البخاري، حديث رقم 5825، كتاب الأدب، باب لا يقل خبثت نفسي، ج5، ص:285.

⁵ - المرجع نفسه، حاشية ج5، ص:285.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

الملل فهو الكفر، وإن كان في الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو الضار، و منه قيل لما يُرمى من منفي الحديد: الخبث".¹

و من حسن اختيار الألفاظ كذلك تعبيره "ص" بلفظة "أخ" أو إخوانكم" لما في اللفظة من معاني الملازمة والتآلف، و التي تفوق أخوة النسب، فهي تطلق على الصديق، على أخوة الإيمان، أخوة القومية و الإنسانية وغيرها، و ذلك ما نجد في خطبة سي هوازن حينما أراد النبي صلى الله عليه و سلم أن يردّ السّي على وفد هوازن بعد أن جاءوه مسلمين، فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أمّا بعد: "فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين ، و إنّي قد رأيت أن أُرَدّ إليهم سبّيهم فمن أحبّ منكم أن يُطَيّبَ بذلك فليُفعل، و من أحبّ منكم أن يُكُونَ عَلَى حَظٍّ هـ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوْ لِ مَا يَفِيءُ اللهُ عَلَيْنَا فَلْيُفْعَلْ" فقال الناس: قد طيّبنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم لهم². فكانت الاستجابة من الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن استشعروا في أنفسهم معنى "الأخوة" حين وصف الرسول صلى الله عليه و سلم الوفد بالإخوان أشعارا منه لهم بالقرب و الألفة و تذكيرا لهم بأعظم رابط تجمع بين الناس و هي رابطة الأخوة الإسلامية "إنّما المؤمنون إخوة" (الحجرات:10).

و في باب التعامل بالبيع و الشراء يورد رسول الله صلى الله عليه و سلم حديثا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم مرّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه³، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام"، فقال: "أصابته السماء يا رسول الله"، قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟، من غشّ فليس مني"³، فكان اختيار الرسول الله صلى الله عليه و سلم لمادة "غشّ" دون غيرها مما يشترك معها في المعنى كالتدليس و الخداع، لما في هذه المادة من دقة في التلاؤم مع مقام الخطاب و حال المخاطب، لأنّ الغشّ هو نقيض النصيح، و قد غشّ ه غشّا لم يحضه النصيحة، و أظهر له خلاف ما يُظهره، فهي مأخوذة من الغشش أي: المشرب الكدر، أو من الغشاش: و هو أول الظلمة و آخرها"⁴. و كلاهما فيه اختلاط فالغاشّ في بيعه يخلط الحسن بالسيئ، لكنه يبرز المحاسن و يخفي المساوئ.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة خبث.

² - صحيح البخاري، حديث رقم 2184، كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئا لوكيل ..، ج2، ص: 810.

³ - والصبرة من الطعام ما جمع بلا كيل ولا وزن ، بعضه فوق بعض.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب ، مادة: غشش.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

أما التدليس فهو إخفاء العيب، وهو من الدّلس، بمعنى الظلمة، جاء في "المقاييس" الدال و اللام والسين"، أصل يدل على ستر و ظلمة، فالدّلس دلس الظلام، و منها قولهم: لا يُدالس: أي لا يخادع، و منه التدليس في البيع هو أنّه يبيعه من غير إبانة عن عيبه، فكأنّه خادعه و أتاه به في الظلام"¹.

أما الخداع فهو تدبير فيما ما يضُرُّ الخصمَ خفية، حيث يختل الخداع من حيث لا يدري و يعلم، و فيه إظهار خلاف ما يخفي كما في الغشّ و التدليس.²

ليظهر اهتمام رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمخاطب في باب اختيار المفردات المناسبة لحاله في باب براعته صلى الله عليه و سلم في التأليف حين عرض تلك الألفاظ منتظمة مع غيرها في سياقات تحمل دلالاتٍ مختلفة، تنوعت فيها اللفظة بين المفرد و المثنى و الجمع، و بحيثها معرفة تارة، و نكرة تارة أخرى، مرة بصيغة المذكور، و أخرى بصيغة التأنيث، بتنوع في صيغ الأسماء المشتقة و غيرها من حالات المفردة في حديث الرسول صلى الله عليه و سلم، كلّها تهدف إلى غرض واحد يتماشى مبدئياً مع لهجة المخاطب، من باب مخاطبة كل قوم بلهجتهم من جهة، و تضيي على بلاغته صلى الله عليه و سلم ميزة خاصة جعلت من الدّارسين يعترفون ببلاغته و فصاحته صلى الله عليه و سلم من جهة أخرى، فقد كان صلى الله عليه و سلم أفصح العرب لساناً و أوضحهم بياناً، و أعذبهم نطقاً، و أمدّهم لفظاً، و أبينهم لهجة، و أقواهم حجة، و أعرفهم بموانع الخطاب، و أهداهم إلى طرق الصواب، تأييداً إلهياً و لطفاً سماوياً، و عناية ربانية، و رعاية روحانية"³.

خلاصة القول:

يتضح لنا من خلال هذا المعرض الموجز أن النبي صلى الله عليه و سلم كثيراً ما راعى في سبيل نجاح دعوته للمسلمين و غيرهم من المسلمين حال مخاطبه و العوامل المؤثرة فيهم بدءاً من: بدء الكلام بالتسليم، لين الكلام و طيبه، المبني على انتقاء الألفاظ و الجمل الحسنة عند مخاطبة الناس، مع اجتناب الكلام الفاحش و الألفاظ البذيئة السيئة.

كثيراً ما راعى في أسلوب العرض عليه الصلاة و السلام إضافة إلى المعاني و الأساليب البلاغية المختلفة و اختيار الوسائل و القوالب التعبيرية أمرين أساسيين: "العلم و العقل"، و بقدر النقص فيهما يكون النقص في أدب التخاطب، فحصول الأدبين معا هو الحكمة التي قال عنه الله تعالى: "يؤتي الحكمة من يشاء، و من يؤت

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط 1/ 1411هـ، ج 2، ص 296.

² - المرجع نفسه، ج 2/ص: 161.

³ - الرافي مصطفى صادق، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ص: 230.

الفصل الثاني..... السياق التداولي و أثره في عملية التواصل

الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا"، الآية ...، ولأنّ الغفلة في أدب التخاطب توثّر جفاء في الطبع و سوءا في الخلق و نقصا في المحبّة ، و هذه من أكبر العوامل التي راعاها الرسول صلى الله عليه و سلم في خطاباته ليحقّق نجاحا لدعوته، مراعيّا في ذلك ما أسماه التداوليون "سياق الحال و المقال" من جهة ، و يرسّي دعائم هذا الدين الذي أخرج به البشرية من جُور الأديان إلى عدل الإسلام من جهة أخرى.

الفصل الثالث

الأفعال الكلامية في الحديث النبوي

الشريف.



مباحث الفصل:

أ- المبحث الأول:

الأفعال الكلامية في التراث اللسانيّ العربيّ .

ب- المبحث الثاني:

أقسام الكلام عند القدماء ، و التمييز بين الخبر و الإنشاء.

ج- المبحث الثالث:

البعد التداوليّ لأفعال الكلام في الحديث النبويّ الشريف.

1- الأفعال اللغوية المباشرة و غير المباشرة .

2- الأفعال الكلامية في الحديث النبوي حسب تصوّر " سيرل " .

توطئة :

إنّ التّأظر إلى علم اللغة الحديث يجده يتّجه في دراسة اللغة- باعتبارها ظاهرةً اجتماعيةً تمثّل بُورَة التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة- اتجاهاين مختلفين، إذ يميل الأوّل إلى دراسة اللغة دراسةً شكليةً معزولةً عن كلّ سياق ومفصولة عنه سواء كان ثقافيا أو اجتماعيا، وذلك بالتركيز على دراسة النظام اللغوي وعلاقة عناصره بعضها ببعض، لأنّ اللغة من منظور دراستهم لا تُدرس بوصفها خطابا، بل بوصفها نظاماً مجرداً وينعكس ذلك في أعمال "دوسوسير"، وفي كلّ الاتجاهات التي اتّكأت على محاضراته ودراساته "كالنبوية" والنحو التوليدي التحويلي" وغيرها، أمّا الثاني فهو اتجاه اهتم بدراسة الاستعمال اللغوي، من خلال الضوابط التي تتحكّم في هذا الاستعمال والاستخدام، مع التركيز على دور المقام أو السياق غير اللغوي في التواصل الإنساني، فكان أن أعطى اهتماماً بالغاً بعناصر العملية التكلّمية التواصلية، بدءاً من "المتكلم والسامع" والعلاقة بينهما، غير بعيدين عمّا يرافق الكلام من حركات الجسم، وتغيّرات الوجه، وكذا من يشاركون في الاتّصال اللغوي، وكذا بنية الحدث، وقدرة السامع على فهم مقاصد المتكلم، مع التركيز على مدى استجابته لهذه المقاصد وما يتطلّبه التواصل من معانٍ مقامية، لينحصر هذا الاتجاه في أصحاب "اللسانيات التداولية والاجتماعية"¹.

لذلك جاءت التداولية من خلال عناصرها التحليلية رافضةً ما نادى به "دوسوسير" مُركّزةً على دراسة الحدث الكلامي أو نظرية "أفعال الكلام" باعتبارها أهمّ الجوانب الأربعة التي يقوم عليها البحث التداولي بدءاً من "الإشاريات"، و"الافتراض المسبق"، و"الاستلزام الحواري"، وكذا "الفعل الكلامي".

لذلك تُعدّ "نظرية الأفعال الكلامية" الركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي، وهي من أهم نظرياته وذلك باعتبار أنّ الفعل الكلامي عنصرٌ مهمٌّ في كثير من الأعمال التداولية، وبذلك أصبح نواة مركزية وفحواه "أنّ كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكليّ دلاليّ انجازيّ تأثيريّ، ويُعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسّل بأفعالٍ قولية إلى تحقيق أغراضٍ انجازيةٍ كالطلب، والوعد، والوعيد.....، وغايات تأثيرية تُخصّصُ زُدود فعل المتلقي "كالرفض والقبول"، ومن ثمّ فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى التأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسّساتيا، ومن ثمّ انجاز شيءٍ ما"².

فمن هذا المنطق يُجَدّد الدكتور "مسعود صحراوي"، بالاستناد على ما كتبه الفيلسوفان "ج- ل- أوستين"، وتلميذه "سيرل" أنّ الفعل الكلامي: "هو ذلك التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسّساتي الذي يُنجزه

1 - نخلة أحمد محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 57.

2 - صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام، ص: 40

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الإنسان بالكلام، ومن ثمّ فالفعل الكلامي عنده يُراد به ذلك الانجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثله: "الأمر والنهي، والوعد والسؤال، والتعيين والإقالة والتعزية....."، فهذه كلّها أفعال كلامية¹.

فالفعل الكلامي من هذا المنطلق هو انجاز ذو طابع اجتماعي يتحقّق في الواقع بمجرد التلفظ به بغرض تحقيق التواصل، وذلك من أجل صناعة مواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات، ومن ثمّ التأثير في المتلقي عن طريق حملِه على فعلٍ ما، أو تركه أو تقرير حكمٍ من الأحكام، أو تقديم وعد، أو السؤال عن أمر ما، أو إبرام عقد من العقود.....

ليبقى مفهوم الفعل الكلامي مفهوما نظريا حديث النشأة، لم يكن ليولد إلاّ في رحاب "الفلسفة التحليلية الغربية" التي مهّد لها الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه" (G.FREGE) في مؤلفه: "أسس علم الحساب"، والذي كان بمثابة انقلاب فلسفيّ جديد، أخذت قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط مفهومين تداوليين هامّين هما: "الإحالة و الاقتضاء"²، ليعمّق فيها البحث الفيلسوف النمساوي "لودفيغ فيتغنشتاين" مؤسساً لنفسه تياراً فلسفياً جديداً سمّاه: "فلسفة اللغة العادية"³، وبذلك احتضن نظرية الأفعال الكلامية هو وعدد مُعيّن من الباحثين الآخرين الذين آمنوا أنّ السبيل إلى فهم الإنسان لذاته ولعالمه هو "اللغة"، فنادوا بضرورة اتخاذها موضوعاً للدراسة في أيّ مشروع فلسفيّ يروم فهم الكون ومشكلاته، وقد تجلّى ذلك في أبحاث:

- آدموند هوسرل: زعيم تيار الظاهرية اللغوية (phénomologie du langage).

- رودولف كارناب: زعيم تيار الوضعائية المنطقية (positivisme logique).

- أوستين: في محاضراته: "كيف نصنع الأشياء بالكلمات" "how to do thinks with words"، وقد

ترجم إلى الفرنسية: 'quand dire c'est faire' تلميذه: سيرل : j. searle⁴.

ومع الإقرار بنشأة هذه النظرية في خضم جهود الفلاسفة الغربيين إلاّ أنّنا لانعدم لها أثراً في الموروث اللغويّ العربيّ، وتراثه اللسانيّ، وهو التساؤل الذي يطرح نفسه.

¹- المرجع السابق ، ص: 10

²- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ص: 20

³- المرجع نفسه ، ص: 20

⁴- المرجع نفسه ، ص: 21

- ما حظّ الأفعال الكلامية "من حيث الاهتمام" في التراث اللساني العربي؟ وكيف نظر هؤلاء العلماء إلى الأفعال الكلامية أثناء حديثهم عن الكلام، وما يترتب منه حين قسّموه إلى خبر و إنشاء؟؟
- وكيف تعدّى هذا التقسيم دائرة اللّغويين، ليشمل البحث دائرة الفقهاء والأصوليين؟، ثم كيف ساهم البحث اللغويّ العربيّ في بلورة الأفعال الكلامية من خلال جهود العلماء الفرنسيين أمثال "اوستين وسيرل"؟

01- الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي:

إنّ الأفعال الكلامية "كمصطلح" لم تكن تُدرّس في التراث اللساني العربي إلاّ ضمن مباحث "علم المعاني" لأنّ موضوع هذا الفرع اللغويّ في التراث هو: "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان.... ليحتز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الكلام ذكره..."¹ وتحديدًا ضمن نظرية "الخبر والإنشاء"، فهي تُعتبر عند العرب - من الجانب المعرفي- مكافئةً لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين....²

لذلك اشتغل في باب البحث فيها عديدٌ من علمائنا العرب ضمن مؤلفاتهم على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية، فاهتمّوا بها اهتماما كبيرا، وعقدوا لها فصولا وأبوابا، بعد أن عمّقوا البحث في أسسها ومبادئها وتسمياتها المختلفة، فكانت نظرية "الخبر والإنشاء" محلّ اهتمام الفلاسفة والمناطق، والفقهاء والأصوليين، خاصة حين درسوا المعاني الوظيفية وتحديد المقامات المختلفة التي ترد فيها تلك المعاني بغرض فهم النصّ القرآني، لتبلّغ ذروة الاهتمام عند النحاة والبلاغيين من أمثال "سيبويه" و"الجزجاني" و"السكاكي" فدرسوا الخبر والإنشاء، وحاولوا التمييز بينهما في أبواب "أقسام الكلام" وتركيبه، وما يتّصل به من الاستحسان وغيره....

وإذا كان "علم المعاني" من خصائصه تتّبع خواص التركيب في الكلام من حيث الإفادة سعيًا منه لتطبيق هذا الكلام وفق ما يقتضيه سياق الحال، فإنّ تلك الخاصية "خاصية التركيب" متعلّقة بما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له، لكونه صادرًا من "البليغ"، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازما له لما هو حينًا...³، وذلك أنّ الفهم هو ما يتبادر في ذهن السامع؛ كالقصد هو "الإخبار" عن حال "زيد" عند سماع عبارة مثلا: "زيد منطلق"، "زيد يأكل"، لذلك يقول "السكاكي": "وأعني بالفهم فهمُ ذي الفطرة السليمة، مثل ما يسبق على فهمك من تركيب: "إنّ زيدا منطلق" إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن

¹- صحراوي مسعود، التداولية عند علماء العرب، ص: 49

²- المرجع نفسه، ص: 49.

³- السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 247 - 248.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

يكون مقصودا به "نفي الشك"، أورد الإنكار، أو من تركيب: "زيد منطلق" من أنه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار، أو من نحو: "منطلق" بترك المسند إليه من أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها.....¹.

فالتركيب إذن يختلف معناه باختلاف المقام الذي يرد فيه علم المعاني، حيث يكون التركيز على التراكيب التي لها دلالات مفيدة سواء كانت دلالات حرفية أم دلالات ضمنية، وكلها تُفهم من المقام وبحسب مقصد المتكلم، وهذا ما تقوم عليه الدراسات الدلالية الحديثة: "القصد والإفادة".

02- أقسام الكلام عند القدماء (التمييز بين الخبر والإنشاء وآراء العلماء العرب فيه):

إنّ المتأمل في نظرية "الخبر والإنشاء" في التراث العربي يلحظ ذلك الاختلاف الواضح في التمييز بين الأسلوبين، لأنّ "البحث النظري" من حيث المفاهيم والمصطلح لم يُولد منذ يومه الأول مكتملا محدّد المعالم واضح القسمات، بل الواقع أنّه مرّ بمراحل قبل أن يستوي على سوقه، ويستقرّ على أسس واضحة المعالم بفضل انتقال تلك النظرية من آراء وملاحظات متفرقة إلى أصول ناضجة ومباحث مؤسّسة، لاسيما بعد اعتماد أدوات التحليل المنطقي والتداولي....²، وبذلك تعدّدت التقسيمات واختلفت وتضاربت الآراء وتنوعت بتنوع المراحل والعصور، ولعلّ وجه الاختلاف بالتحديد حاصل عند العلماء قديما حين قسّموا الكلام على أقسام كثيرة، عدّدها "السيوطي" فبلغ بها عشرة أقواها: ما عُرف "بالقسمة الثنائية"، أجمع المحققون على انحصاره في الخبر والإنشاء....³.

لنجد تقسيما آخر كان يضاهاه القسمة الثنائية قوة وانتشارا وهو "التقسيم الثلاثي" لأنّ رهطا من النحويين أخرجوا الطلب من الإنشاء، وتحرير هذا الأخير للدلالة على "ما اقتزن وجود معناه بوجود لفظه" ذلك ما نجده عند "ابن هشام" في "شذور الذهب" يقسّم الكلام إلى أضرب ثلاثة: "خبر وطلب وإنشاء" "فالأول هو الخبر"، والثاني إن تأخّر وجود معناه عن وجود لفظه، "فطلّب"، وإن اقتزنا لإنشاء، لكنّه ما لبث أن تبيّن له الخطأ الذي وقع فيه، فعدل عنه كلّ معدّل بقوله: "وقلت، وهو خبر وطلب وإنشاء، وأقول هذا التقسيم تبعث فيه بعضهم والتحقيق خلافه، وأنّ الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء فقط، وأنّ الطلب من أقسام الإنشاء،..... وأنّ مدلول

¹ - المرجع نفسه، ص: 248.

² - صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص: 58.

³ - السيوطي، همع الهوامع: تحقيق: عبد العالي سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ط2 / 1987، ج 1، ص: 34.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

"قم" حاصل عن التلفظ به لا يتأخر عنه، وإنما يتأخر عنه "الامتثال" وهو خارج عن مدلول اللفظ، ولما اختص هذا النوع بأنَّ إيجاد لفظه إيجاد معناه سمي إنشاء.....¹.

فمصطلح "الإنشاء" مثلا لم يُحْظَ بالرواج في مُصنِّفات الأوّلين، فكان قسيم الخبر لديهم هو "الطلب"، لذلك لا نجد للإنشاء ذكراً عند كثير من أرباب المعاني، وهو ما يفسّر عدم اتفاق العلماء العرب على مصطلح الإنشاء باعتباره أحد القسمين الأسلوبين الأساسيين، فلا نجد له ذكراً عند "الجرجاني"، ولا عند خلفه "أبي يعقوب السكاكي"، ولا عند الفلاسفة الذين ساهموا بقسطٍ وافرٍ في التقسيمات البلاغية، ولا سيما في موضوع "التمييز بين الخبر والإنشاء" كـ"الفارابي"، و"ابن سينا" مما يُشير إلى عدم شيوع هذا المصطلح في تلك الفترة خصوصا بين البلاغيين.....².

لذلك فقد عبّر عنه أغلبهم بمصطلح "الطلب"، عدا فئة قليلة هُديت إلى جعله "قسما للخبر" بدءاً من القرن الخامس الهجري "كنجم الدين الكاتبي" (ت 493 هـ) الذي استخدمه استخداما مُدقّقاً، ثم تجلّى في كتابات "محمد بن علي الجرجاني" (ت 729 هـ) فأشاعه بين الدارسين بقوله: "الإنشاء كلام لفظه سبب لنسبة غير مسبوق بنسبة أخرى.....³، ثم ما لبث أن استقر الإنشاء قسيما للخبر، ينهض ويقوم التعريف بينهما على أسس مختلفة تعلقّ بها الدارسون لما تعذر عليهم تعريفها تعريفا حدّيا، ولعلّ أكثرها دورانا في مصنفاهم الثلاثة التالية:

أ-المعيار الأول: الصدق والكذب:

يُعَدّ هذا المعيار محلّ إجماع بين العلماء العرب، وهو التمييز بحسب الشرط المبدئي المعروف، فالخبر: "هو ما يقابل الصدق والكذب، والإنشاء خلافه، وقد تعدّدت النصوص المأثورة عن علماء تلك المرحلة من عمر البلاغة العربية، وكثرت كثرةً بالغةً تدلّ على إجماعهم على ذلك"⁴، ذلك ما نجده عند "نجم الدين الكاتبي" الذي يقول في باب التمييز بين الخبر والإنشاء: "والكلام التام إن احتمل الصدق فهو الخبر والقضية، وإن لم يحتمل فهو الإنشاء....."⁵.

1 - ابن هشام الأنصاري ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، د،ت ،ص : 32 .

2- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ،ص : 54 .

3- الجرجاني الشريف محمد بن علي ، الإشارات والتنبهات في علم البلاغة ، تعليق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط 1، 2002 ، ص : 86.

4- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب- ص: 59/58.

5 - الكاتبي نجم الدين ، الرسالة الشمسية-القاهرة- مطبعة الحلبي ط 2 / 1957، ص : 42.

أما ابن سينا فيقسم الكلام إلى "خبر" و"طلب" على أساس هذا المعيار، ويرى أنّ الكلام لا يخرج عن هذين القسمين (الخبر والطلب)، وعليه فإنّ الخبر أو القضية هو الذي يصلح أن يُصدّق أو أن يُكذّب، وبعض ذلك (يقصد الكلام) ليس قضية ولا خبراً، وهو الذي لا يصلح لذلك، فالأول كقولك: "زيد كاتب"... والآخر كالتركيب الذي في "الدعاء والمسألة والأمر والنهي والنداء"..¹

ومما يجب ذكره في هذا السياق أنّ مفهوم الصدق والكذب - وإن كانا من أظهر المفاهيم التي رسخت في التقاليد اللغوية العربية-، فإنّه يظل مفهوماً مُلبساً، تردّد القدماء أنفسهم في ضبطه وبيان مراده، بين قائل: إنّهُ مطابقة حكم الخبر وعدم مطابقته للواقع، بل مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان أو خطأً أو عدم مطابقته، ذلك أنّ من اعتقد أمراً فأخبر به، ثم استبان خلافه لا يوصف بالكذب وإتّما يقال: "أخطأ"، في وقت قد يوصف هذا المعيار "بالنقض" لوجود أخبارٍ لا توصف إلاّ بالصدق وحده كالأخبار المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً، وأخرى لا توصف إلاّ بالكذب وحده كأخبار مُدّعي النبوة، وأخبار المنجّمين وغيرهم، وهو الذي بعث "بالجاحظ" مثلاً إلى إنكار أن يكون الخبر محصوراً في الضريين السابقين فأضاف قسماً ثالثاً لا يوسم الخبر فيه بالصدق أو الكذب على النحو التالي:

القسم الأول: الخبر الصادق: وهو الذي يطابق الحكم فيه الواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه .
القسم الثاني: الخبر الكاذب: وهو الذي لا يطابق فيه الحكم الواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه.
القسم الثالث: الخبر غير الصادق ولا الكاذب: وهو الذي يطابق فيه الحكم الواقع أو لا يُطابقه مع عدم اعتقاد المخبر له.²، إلاّ أنّ المعمول به في أوساط الدارسين هو انحصار الخير والأقوال الصادقة أو الكاذبة على أساس من مطابقة الحكم للواقع أو عدمه .

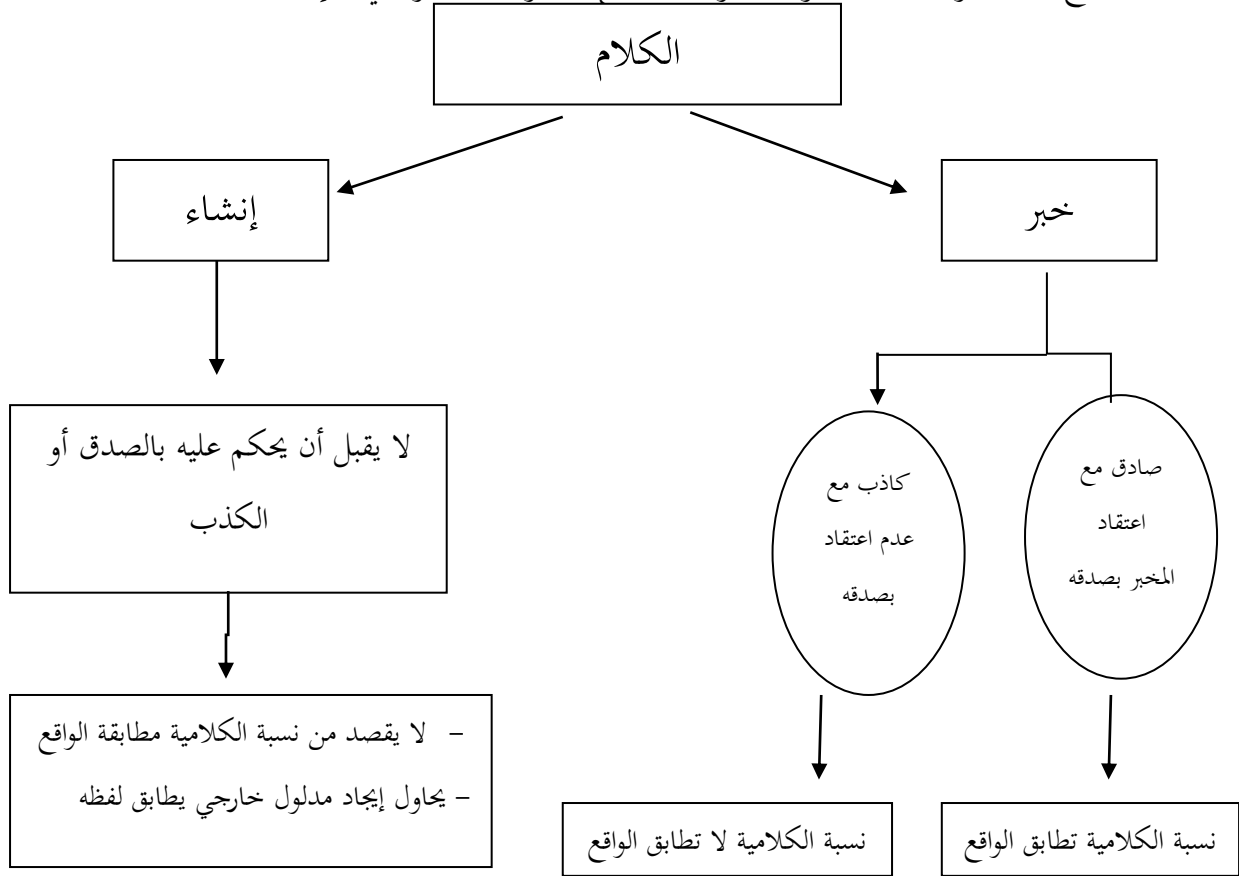
ب- المعيار الثاني: مطابقة نسبة الكلام النسبة الخارجية:

إذا كان الاتفاق حاصلًا في أنّ الخير هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، فقد أكّد العلماء والباحثون وجوب مراعاة قصد المتكلم واعتقاد المخبر، فإذا كانت نسبة الخبر الكلامية مطابقةً لنسبته الخارجية مع اعتقاد المخبر بمطابقتها "فالكلام صادق"، وإذا كانت نسبته الكلامية غير مطابقة لنسبته الخارجية مع عدم اعتقاد المخبر بمطابقتها "فالكلام كاذب"، لذلك نرى (الشريف الجرجاني) يذهب إلى وجوب أن يُعتدّ بالنسبة التي في الكلام

¹ - صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العربية - ص: 60

² - القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص: 19.

من حيث مطابقتها بنسبة أخرى، معرفا الإنشاء بأنه: "كلام لفظه سبب لنسب غير مسبوق بنسبة أخرى ..¹، وعليه لا يحتمل المطابقة ولا عدمها، لكون المطابقة في واقع الأمر نسبة، وكلّ نسبة توجب مُتَسَبِّبَيْن سابقين عليها، أمّا الخبر فإنّه "وإن كان لفظه سببا لنسبة هي صورة الكلام، لكنها مسبوقه بنسبة أخرى هي حكاية عنها، فإن تطابقا فالخبر صادق، وإلاّ فكاذب ..²، ولعلّه هو المعيار الذي ارتآه "الخطيب القزويني" في "إيضاحه": مُعَرَّفًا وموضحا الفرق بين الأسلوبين " ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء، لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، فالأول "الخبر" والثاني "الإنشاء".....³.



هذان المعياران أبرز ما اعتمد في سبيل تمحيص الخبر من الإنشاء، والجدير بالذكر أنّ النظريات اللغوية العربية ركّز أصحابها مع حرصهم الشديد على دراسة الخبر والطلب دون سائر المعاني الأخرى، والتي تدخل دائرة "الإنشاء غير الطلبي" لأنّ السابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان "الخبر والطلب" المنحصر بحكم الاستقرار في أبوابه المعروفة "كالاستفهام، والنداء، و الأمر، والنهي وغيرها، لذلك لقي "الجزء الذي يستدعي مطلوبها حصلا

¹-الخرجاني الشريف، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص: 86 .

²-المرجع نفسه، ن.ص

³-القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 17 .

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

في اعتقاد المتكلم وقت الطلب"، اهتماما بالغاً حتى استنفذ حظّه في الدراسة والتحليل، وذلك نظراً لما يتمتع به من تنوع وتلوّن خطابي من شأنه أن يُحدّد نشاط المتلقي ويثير شعوره ويجرّك انتباهه، فيعكس ذلك على المخاطب ليصير أكثر تجاوباً مع المتكلم، أمّا القسم الآخر " الذي لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب" ويتحقّق وجود معناه في الوقت الذي يتحقّق فيه وجود لفظه، فلم تتوقف مصادر البلاغة الأولى عنده إلا قليلاً، وعلى استحياء، لأنّ معظم أنواعه أخباراً في الأصل نُقلت إلى معنى الإنشاء....، لذلك نجد أنّ "الخليل بن أحمد" تناول تركيب التعجب مثلاً في عبارة: "ما أحسن عبد الله!" " بمنزلة "شيء أحسن عبد الله"، فهو تمثيل ولم يتكلّم به، يصير به التعجب في الأصل خبراً¹، و أفصح عنه "سعد الدين التفتازاني" (ت 971 هـ) بقوله: "فالإنشاء إن لم يكن طلباً كأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم..... ونحو ذلك فلا يُبحث عنها لقلة المباحث البيانية المتعلقة بها، ولأنّ أكثرها في الأصل أخباراً نقلت إلى معنى الإنشاء..."².

أمّا "الخبر" إضافة إلى أنّ الأصل فيه يلقي لأحد الغرضين:

01/ إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى ذلك الحكم "فائدة الخبر" وهو في الأصل يقوم على أساس أنّ من يُلقى إليه الخبر أو من نوجه إليه الكلام يجهل حكمه أي مضمونه، ويُراد إعلامه أو تعريفه به، فسماه البلاغيون "فائدة الخبر" لأنّه يتمثّل في جمع الأخبار التي يبغى المتكلم من ورائها تعريف مَنْ مخاطبه بشيءٍ أو أشياءٍ يجهلها.

كما في الخبر التاريخي عن معاوية بن أبي سفيان "أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح، واستكتبه النبي صلى الله عليه وسلم، واستعمله عمرُ على الشام أربع سنين من خلافته، وأمره عثمان مدّة خلافته نحو اثني عشر سنة وتغلّب على الشام محارباً لعليّ أربع سنين، فكان أميراً ومالكا نحو أربعين سنة:، فمثل هذا الخبر قُصد به إفادة من يلقي إليه بمضمونه، وذلك لما اشتمل عليه من حقائق تاريخية عن أوّل الخلفاء الأمويين معاوية بن أبي سفيان، من حيث إسلامه، واستكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم له، مدة ولايته وملكه على الشام... فالغرض من الخبر هو "فائدة الخبر".

02 أمّا الغرض الثاني من الخبر فهو ما سماه البلاغيون: "لازم الفائدة" وهو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه أنّه - أي المتكلم - عالمٌ بحكم الخبر أي مضمونه، نحو قولك: "إنّك لتكظم الغيظ، وتحلم عند الغضب،

¹ - سيبويه، الكتاب، ج 01/ص: 72.

² - التفتازاني سعد الدين، المختصر على تلخيص المفتاح، الباني الحلبي، مصر، د ت، ج 02 ص: 236.

وتعفو عند المقدرة، وتصفح عند الزلة، وتستجيب لنداء المستغيث بك "...". وقول "المتني" مخاطبا "سيف الدولة" مثنياً على شجاعته:

تَدُوسُ بِكَ الحَيْلُ الوُكُورَ على الذرى *** وقد كَثُرَتْ حول الوُكُورِ المَطَاعِمُ

فالمثال الأول لا يقصد به أن يفيد مخاطبه شيئاً مما تضمنه الكلام من الأحكام التي أسندها إليه من "كظم الغيظ، والحلم ساعة الغضب، والعفو مع المقدرة، الاستجابة لنداء المستغيث لأن ذلك يعلمه المخاطب عن نفسه قبل أن يعلمه المتكلم، وإنما كان الغرض أن يبين له - أي المتكلم - أنه عالم لما تضمنه هذا الكلام، ومثله من الكلام نجده عند "المتني" في مخاطبة "سيف الدولة" فهو لا يقصد أنه وهو يجارب الروم ويتابعهم ويطارد فلولهم بجيشه في قمم الجبال حيث وكور جوارح الطير، فقتلهم وصنع من جثثهم وليمة متناثرة حول أوكارها، وإنما أراد المتني أن يُبين لسيف الدولة أنه عالم بمضمون الخبر الذي أورده في بيته، ولا يقصد أن يفيد مخاطبه علما بمضمون البيت، لأن سيف الدولة لا يجمله، بل يعلمه قبل علم المتني به.

فالخير سواء كان الغرض منه "فائدة الخبر" أو "لازم الفائدة" لا يأتي على ضرب واحد من القول، وإنما ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطب عند إلقاء الخبر، ذلك بأن ينقله إليه في صورة من الكلام تلائم هذه الحالة بغير زيادة أو نقصان، لذلك جعل البلاغيون المتلقي للخبر بين ثلاثة مراكز بحسب قوة دلالة وضعفها، فإما أن يكون خالي الذهن - أي لا يعلم عن الخبر شيئاً - أو متردداً في تصديقه، أو منكراً له، بناء على ذلك قسّموا الخبر على ضروب هي¹:

أ. الخبر الابتدائي: هو النوع الذي يناسب خالي الذهن، فلا يحتاج إلى شيء من المؤكدات، إذ يلقي إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد، يقول عنه "السكاكي": "... فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن مما يُلقى إليه، ليحضر طرفها عنده، وينتفش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر، ثبوتاً أو انتفاءً، كفى في ذلك الانتقاش حكمه، ويتمكن لمصادفته إياه خالياً، فتستغني الجملة عن مؤكدات الحكم، ويسمى هذا النوع من الخبر ابتدائياً"²، ومن أمثلة ذلك قول المتني في أبيات:

وكلُّ امرئٍ يُولي الجميلَ مُحبَّبٌ **** وكلُّ مكانٍ يُنبِتُ العزَّ طيبٌ

لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى **** حتى يُراقَ على جوانبه الدّمُ

1 - السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 258.

2 - المرجع السابق، ص: 258.

فالمستني يلقي الخبر في هذه الأمثلة إلى مخاطبٍ خالي الذهن من حكمه، أي مضمونه، فجاء به خالياً من أدوات التوكيد، وهذا هو الخبر "الابتدائي".

– **الخبر الطلبي:** فيه يكون المخاطب مُتَرَدِّداً في الحكم شاكاً فيه، ويَبْغِي الوصول إلى اليقين في معرفته فيُحَسِّن توكيده له ليتمكن من نفسه، وَيُحَلِّ في اليقين محلَّ الشك، يقول "السكاكي" في هذا النوع: "وإذا ألقاها إلى طالب لها، متحير طرفها دون الاستناد، فهو منه "بين بين"، لينقذه عن ورطة الحيرة، استحسّن تقوية المنقذ بإدخال "اللام" في الجملة، أو "إن" ... نحو: لزيد عارف، إنَّ زيداً عارف...¹، ومثال ذلك قول أبي العلاء المعري:

إنَّ الذي بمقال الزور يُضحكني *** مثل الذي بيقين الحق يُبكي

إذا ما الأصل ألف غير زالكٍ *** فما تزكو مدى الدهر الفروعُ

وقد يغشى الفتى جُحَّ المنايا *** حذاراً من أحاديث الرفاقِ

فالشاعر يوجه الخبر الذي تضمّنه كلَّ بيت إلى مخاطبٍ متردّد في حكم الخبر ومضمونه، ولهذا حسّن توكيد الكلام له بمؤكّدٍ واحدٍ فيه، تمكينا له من نفسه، وحسماً للشكّ في حقيقته، وهذا من "الخبر الطلبي" و أداة التوكيد واحدة فيه، فهي "إن" في البيت الأول، و"ما" الزائدة في البيت الثاني، و"قد" في البيت الثالث.

ج- **الخبر الإنكاري:** هو النوع الثالث والضرب الثالث للخبر، فيه يكون المخاطب مُنكراً لحكم الخبر، وفي هذه الحال يجب أن يُؤكّد الخبر بمؤكّدين أو أكثر، على حسب درجة إنكاره من جهة القوة والضعف ويسمى هذا الضرب: "إنكارياً"، وفيه يقول "السكاكي": "...وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه ليرده إلى حكم نفسه استوجب حكمه ليرجع تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، كنحو: "إيِّ صادق" لمن ينكر صدقك إنكاراً، "وإيِّ لصادق" لمن يبالغ في إنكار صدقك"² ومثال ذلك قوله تعالى: "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ، قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ " (يس: 14-16).

فألقي الخبر في المرة الأولى مؤكداً بأداة واحدة (إنّا إليكم مرسلون)، ولما كان الإنكار شديداً جاء تأكيد الخبر للمرة الثانية بأداتين هما: "إنّ المشددة مع اللام" "إنّا إليكم مرسلون". ويسمى هذا النوع من الخبر إنكارياً.

1 - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

2 - المرجع نفسه ، ص: 258، 259 .

وقد لخص صاحب "المفتاح" الأضرب الثلاثة من خلال ذلك الحوار الذي أجراه على لسان "أبي العباس" حين سأله الكندي: إني أجد في كلام العرب حشوا: إذ يقولون: "عبد الله قائم": ثم يقولون: إنَّ عبد الله قائم": ثم يقولون: "إنَّ عبد الله لقائم" والمعنى واحد؟؟؟!!! قال: بل المعاني مختلفة، وذلك إنَّ قولهم: "عبد الله قائم" إخبار عن قيامه (ابتدائي)، وقولهم: "إنَّ عبد الله قائم": (طلبي): جواب عن سؤال سائل، وقولهم: "إنَّ عبد الله لقائم" جواب عن إنكار منكر قيامه (إنكاري)...¹.

لتخلص في الأخير إلى أنَّ الحكم على الخبر يكون على حسب ما يخطر في نفس القائل من أنَّ سامعه خالي الذهن أو مُتردّد أو منكر، فإذا كان مترددا في حكمه حسن توكيده له لتمكين مضمون الخبر في نفسه، وإن كان منكرا لحكم الخبر وجب توكيده له على حسب إنكاره قوة وضعفا، ومن الأدوات التي يؤكد بها الخبر: "إنَّ، أنَّ، لام الابتداء، اللام المزحلقة، الحروف الزائدة، أما، ألا الاستفتاحيتين، حروف التنبيه، قد ضمائر الفصل، نونا التوكيد، القسم، التكرار...".

04- الأفعال الكلامية في التراث اللساني الغربي المعاصر:

إنَّ نظرية "الأفعال الكلامية" من الموضوعات الأساسية للسانيات التداولية، بل هي من أهمّ الأسس التي قامت عليها في منظومة البحث اللغوي الغربي المعاصر، لا سيما وهي النظرية التي نادى أصحابها بضرورة التجسيد الحقيقي للاستعمالات اللغوية في الواقع، فهي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب، لذلك كان اهتمامها بدراسة ما يفعله المتكلمون باللغة من تبليغ وإنجاز أفعال وتأثير وغيرها... وكنّ ما من شأنه أن يُنجح العملية التواصلية بين المتحدّثين.

لذلك جاءت هذه النظرية لتساهم في تغيير تلك النظرة التي سادت منذ أيام "دوسوسير" في معالجة الظاهرة اللغوية، فأولت الأهمية للأفعال ذات الامتداد الاجتماعي المنجزة من قبل الإنسان، بمجرد تلفظه بمجموعة من الأقوال ضمن سياقات محدّدة.

في الوقت نفسه تعتبر نظرية "الأفعال الكلامية" واحدة من أساسيات "التحليل التداولي" حين نظرت إلى اللغة وبينت أنَّ الوضعية الأساسية لها غير كامنة أساسا في إيصال المعلومات والتعبير عن كوامن النفس، بقدر ما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال إلى أفعال، إذا صدرت ضمن مقام يسمح بذلك، فموضوع الدراسة ليست

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 259.

«L'objet a étudier ce n'est pas les phrases, و"إنما إنتاج التلفظ في مقام خطاب".
mais encor enonciation dans la situation de production d'une
discours. وهو ما أوصى به زعيم هذه النظرية "جون أوستين" من خلال كتابه: "كيف نصنع الأشياء
بالكلمات" حين ضمّنه دعوة صريحةً بوجوب مراعاة الجانب الاستعمالي للغة طبقاً لمقامات المخاطب.

لقد نشأت "فكرة أفعال الكلام" من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة - مجال نشأة التداولية وتطورها -
وهو: "أنّ الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل انجاز حدث اجتماعي مُعيّن في الوقت نفسه"¹،
"وذلك بعد ما كانت الفلسفة الوصفية المنطقية تشترط مقياساً وحيداً للحكم على دلالة جملة ما وهو مقياس
الصدق والكذب"²، مما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد هو "العبارات الخبرية"، كأن تصف واقعا ما،
ويُحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع نحو: "الجو جميل": صادقة في حالٍ واحدةٍ هي جمال
الجو واقعا، وكاذبة في غير ذلك، وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنّه لا يقبل إلاّ إذا كان خاضعا للتحخيص
والتحريب، وأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها..³

ولم تكن نظرية "الأفعال الكلامية" لتكتمل وتصبح كنظرية في اللغة صادرة عن مَنْزَعٍ وظيفيّ تداوليّ يعالج القوة
الكلامية للوحدات اللغوية، وتعني بجميع أشكال التعامل القولي « intraction verbale »، إلاّ بعد أن
مرّت بمرحلتين أساسيتين، وذلك بناء على جهود مؤسسيها الأوائل من جهة، ثمّ الذين جاءوا بعدهم وساهموا في
تطوير جهود أساتذتهم الأوائل من جهة أخرى، ويمكن أن ندرس مراحل التأصيل لهذه النظرية من خلال:

أ - مرحلة الظهور والنشأة والتأسيس عند: ج.ل. أوستن.

ب- مرحلة النضج والضبط المنهجي عند: ج.ر. سيرل.

إنّ الاتفاق حاصل في أنّ نظرية أفعال الكلام التداولية جاءت لتغيّر تلك النظرة التقليدية للكلام، التي كانت
تعتمد أساسا على الاستعمال المعرفي والوصفي للكلام، ونظرت إلى اللغة باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثّرة
فيه، فألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل، فأيّ معلومة تُقدّم لشخص ما، مُثارة بواسطة شيء ما وتسعى إلى
تحقيق هدفٍ ما، فهي حلقة ضمن سلسلة التبادل الكلامي الدائر في تلك الحياة العادية للناس...⁴

أ. مرحلة التأسيس والنشأة:

1 - فان ديك ، علم النص. مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة محمد سعيد البحيري ط1-2001. ص:18.

2- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص:89-90.

3- المرجع نفسه، ص:90

4 - ينظر: Bakhtine : esthetique de la creation verbale : Galinard – paris P :29

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

إنَّ نشأة التداولية وفق نظريات بُنِيَتْ كُلُّهَا على أساس أنّ اللغة البشرية لا تنجز إلا بتداخل السياق باللغة وبمستعملها، جعل هناك محاولاتٍ عديدةً تهدف إلى احتضان ما تميّزت به التداولية أثناء نشأتها، لعلّ في مقدمتها محاولات الهولندي "هانسون" الذي قدّم في 1974 تصوّرًا مميزًا وهو الأول من نوعه يهدف من "خلاله إلى توحيد أجزاء التداولية، وفق درجة تعقد السياق من جزء إلى آخر"¹، فقسّم الموروث التداولي إلى "ثلاث درجات أو أقسام" تخضع أساسًا إلى علاقة المتخاطبين بالسياق.

ولعلّ الدرجة الثالثة التي يعينها "هانسون" تتمثل في "أفعال الكلام" التي أوّلت الأهمية للأفعال ذات الامتداد الاجتماعي، المنجزة من قبل الإنسان بمجرد تلقّظه بمجموعة من الأقوال ضمن سياقات محددة. ويعتبر "أوستين" الوريث الشرعي، والمؤسس الفعلي لهذه النظرية خاصة حين أوصى "بوجوب مراعاة الجانب الاستعمالي للغة طبقا لمقامات التخاطب"، إذ تبين لديه أنّ اللغة ليست مجرد أداة نقل الأفكار ووصف الأشياء، وإنّما هي ميدان نجز فيه أعمالا « Actes » لا تنجز إلاّ في اللغة، وباللغة.

وهو أحد فلاسفة "جامعة أكسفورد" في القرن 20، وأحد أهمّ النقاد المعروفين، حيث كانت آراؤه محطّ اهتمام الفلاسفة وعلماء النفس واللغة والاجتماع، وغيرها من العلوم الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة، وقد ألقى سلسلة من المحاضرات في "جامعة أكسفورد" ما بين عاميّ: 1952 و 1954، كما ألقى مجموعة أخرى من المحاضرات في "جامعة هارفرد" عام 1955، وقد جُمعت محاضراته الأخيرة في كتاب طُبِع بعد وفاته عام 1962 وعنوانه: "كيف نفعّل الأشياء بالكلمات" أو "كيف نُنجز الأفعال بالكلمات".

يقول "جون ليونز": "... لقد كان هدف أوستين في البداية - على الأقل - أن يتعدّى ما كان يُعتبر مغالطة وصفية، وهي فكرة أنّ الوظيفة الوصفية والمهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عباراتٍ خبريةٍ صادقةٍ أو كاذبةٍ"² فانطلق في تفسير نظريته من انتقاد الفكرة السابقة التي تعتبر أنّ كلّ الأقوال يمكن إخضاعها لمعيار الخطأ أو الصواب، ويرى نتيجة لذلك أنّ هناك أساليبٍ وتعابيرٍ لغويةً لا يُمكن وصفها بأنّها خاطئة أو صائبة، بل أنّنا حين نتلفظ بها

نكون قد أنجزنا في الوقت نفسه فعلا اجتماعيا سمّاه "أوستين"، **بالفعل الكلامي Speech Acts**. لقد ميّز "أوستين" في مرحلته الأولى - بعد أن ظهر تأثُّره في فكره بالفيلسوف اللغوي النمساوي "لودفيغ فيتخيشتاين" (1889-1951) وبفلسفته التحليلية، خاصة حين انظّم إلى فلاسفة "أكسفورد" بقصد دراسة اللغة

¹ - بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية ص: 78-79، فرانسواز ارمينيكو: المقاربة التداولية، ص: 41.

² - جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق: ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1/1987- ص: 191.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الطبيعية مؤسساً لاتجاه جديد أطلق عليه اسم: " فلسفة اللغة العادية": التي تعتمد على مفاهيم ثلاثة هي: "الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة"¹، فميّز بين نوعين من الأفعال، أو قسّم الكلام إلى قسمين:

1. **أفعال إخبارية أو تقريرية:** « Constatif »: وهي الأفعال التي تخبر أو تصف الواقع الخارجي، ويحكم عليها بالصدق أو الكذب، فهي أفعال أو قسم من الكلام مجاله الخبر الذي يحتمل قيمتي: "الصدق والكذب".
- 2 **أفعال أدائية أو إنشائية:** « Performatif »: ليست لهذه الأفعال خصيصة الحكم عليها بالصدق أو الكذب فهي تستخدم لانجاز فعل، أو هي التي ينجز بها المتكلم عملاً، ولا يقتصر على مجرد الكلام به، ومن أشرط نجاحه توافر عناصر الإرادة والقصد والقدرة، وحسن النية، ونحوها من مقتضيات المقام التي تتناسب مع الأعمال الكلامية المنجزّة، وتجعلها أعمالاً ناجحةً، وتُسمّى هذه الشروط "شروط الملائمة"².

ثم ما لبث "أوستين" في مرحلة ثانية من مراحل تطور نظرية الأفعال الكلامية أن راجع وعدّل في التقسيمات التي وضعها للتمييز بين "الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية"، لأنّه لاحظ أنّ الأخبار "كذلك موصولة العُرى بالعناصر المقامية شأنها في ذلك شأن الإنشائيات"، معتبراً الوحدات الكلامية الخبرية صنفاً من صنوف الوحدات الكلامية الإنشائية، مما جعله يعيد النظر في البحث عن معايير تقسيمية أخرى، وذلك حين رأى أنّ الفعل الكلامي مركب من "**ثلاثة أفعال**" تُشكّل كيانا واحداً، وتُؤدّي في الوقت نفسه الذي يُطلق فيه بالفعل الكلامي، من منطلق ذلك الهاجس الذي كان يشغل "أوستين" هو الجواب عن السؤال: ماذا نفعل عندما نتكلم؟؟ .

إنّ ما نصّعه يتجلى في ثلاثة أعمال تُعدّ جوانب مختلفة لعملٍ خطابيٍّ كاملٍ « Acte de discours integral » تختزل مختلف الوظائف اللسانية على النحو التالي:

1. **عمل القول:** « l'Acte de locution »: ويُسمى فعل القول أو الفعل الصوتي أو اللفظي، أو الفعل اللغوي: "ويراد به التلفظ بجمل مفيدة ذات بناء نحوي صحيح،...، أو في إنتاج أصوات منتمية إلى لغة معينة، وهذا الفعل يقع دائماً مع كل قول، أو هو: " تركيب الألفاظ في جمل مفيدة طبقاً للأفعال الفرعية الثلاثة الآتية: الفعل الصوتي، الفعل التركيبي، الفعل الدلالي".

- 2 **عمل مقصود بالقول:** « l'Acte d'illocution »: ويُسمى: الفعل المتضمن في القول أو الفعل "الغرضي" أو "الانجازي"، ويقصد به ما يؤديه الفعل اللفظي أو الصوتي من وظيفة في الاستعمال، إذ غاية

¹ - بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية: ص:51-52.

² - المرجع نفسه ، ص:95

المتكلم التعبير عن معنى في نفسه كالأمر، الاعتراض، الموافقة، القبول، النصح وغيرها...، فلذلك يُعدّ هذا الفعل قطب الرحي لنظرية الأعمال الكلامية، ولبّها الذي غدت تُعرف به.

3 عمل التأثير بالقول: «l'Acte perlocution» : وتسمى الفعل الناتج عن القول، أو الفعل بواسطة القول، أو "الفعل التأثيري": «Acte perlocutionnaire» : وهو ما يتركه الفعل الانجازي من تأثير في السامع أو المخاطب، سواء أكان التأثير تأثيراً جسدياً أم فكرياً، والغاية منه حمله على اتخاذ موقفٍ، أو تغيير رأي، أو القيام بعملٍ ما

ويُعدّ الفعل الانجازي ركيزة الأفعال الكلامية عند أوستين حتى سميت نظريته، "بالنظرية الانجازية"، نظرية الفعل الانجازي"، وهذا الفعل يرتبط بمقصد المتكلم، وعلى السامع أن يبذل جهده في سبيل الوصول إليه ولهذا يلعب مفهوم قصد المتكلم «intention» (القصدية) دوراً مركزياً في نظرية أفعال الكلام. واستناداً إلى مفهوم "القوة الانجازية"، ارتأى أوستين أن يصنف الأعمال التي ينجزها بواسطة اللغة إلى أسس خمسة¹.

- الأفعال اللغوية الدالة على الحكم: (الحكمية أو الحكميات): «les verdictifs» : وهي كلُّ فعلٍ يدلُّ على حكمٍ يصدره محكم أو حكم مثل: حكم، قَدَّر، شَخَّص، وَصَف، حَلَّل،... الخ.

- الأفعال اللغوية الدالة على الممارسات أو القرارات (الانفاذيات) «les exercitifis» : وهي كلُّ فعلٍ يُعبّر عن اتخاذ قرارٍ أو ممارسته في صالح شخص أو ضده كالتعيين، العزم، الطرد،...، عَيَّن، حَزَمَ، أَذِنَ نصح اختار، طرد، ...

- الأفعال الدالة على الوعد والتعهد (الوعديات): «Commissifs» : يتمثل فيما يقطعه المتكلم على نفسه من عهود ووعود، مثل: وعد، تعهّد، تعاقّد، كَفَّل، التزم. الخ.

- الأفعال الدالة على السلوك أو السيرة (السلوكيات): «les comportatifs» : وهي كلُّ فعلٍ يتمثّل فيما يكون ردّاً فعل لحدث ما : كالاعتذار، التعاقّد، القسم، الشكر، اللعن..

- الأفعال العرضية (العرضيات): «les expositifs» : وهي الأفعال التي يُؤتى بها لتوضيح وجهة نظر وبيان الرأي مثل: اعترف، اثبت، وافق، أكّد، وهب، فسّر...².

¹-فرانسواز ارمينكو، المقاربة التداولية. ص: 62.

²- الجليلي دلاش، مدخل الى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحيى، د م ج، الجزائر، 1992، ص: 22.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

إلا أنّ هذا التقسيم لم يكن ليرضي حتى "أوستين" نفسه، ولم يستطع أن يَحَقِّقَ ما يسعى إليه في وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، بسبب تداخل هذه الأفعال فيما بينها، يجعل أفعال الحكم مثلا يمكن تصنيفها في أفعال الممارسة والعكس صحيح، لذلك ظلت أعماله تفتقد للأسس المنهجية الواضحة، لذلك لم تحدّد معالم هذه النظرية إلاّ بعد أن تلقّف تلميذه "سيرل" حصيلة ما قدمه أستاذه، فسعى سعيه إلى إكسابها نضجا وضبطا منهجيا، ومن ثمّ صياغتها ضمن نظرية محكمة، وذلك في المرحلة الثانية من مراحل الأفعال الكلامية، وهي مرحلة النضج والضبط المنهجي مع "سيرل".

ب- مرحلة النضج والضبط المنهجي :

هي المرحلة الثانية في نشأة فكرة الأفعال الكلامية بعد الجهود التي وضعها "أوستين" في تحديد المفهومات المركزية في النظرية، إلا أنّ ورثه الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" « John searle » عدّل في كثير من هذه المفاهيم والتصنيفات، فلقد أعاد تناول نظرية "أوستين" وطوّر فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما: "المقاصد، المواضيع"، وبالفعل يمكن اعتبار الأعمال اللغوية والجمل التي انجرت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن مقاصد وتحقيقها..¹

ويُمكن أن نوجز-اختصارا- مجهود "سيرل" في هذه المرحلة من خلال تداركه لما وقع فيه أستاذه من خلال :
-التقسيم الذي ورثه عن أستاذه للأعمال الكلامية، على أساس التمييز بين أربعة أفعال ننجزها معا في الوقت نفسه وهي: "فعل القول، الفعل القضوي، الفعل الانجازي، الفعل التأثيري". (تقسيمه عمل القول إلى قسمين: الفعل المنطقي، الفعل القضوي)، فهو يميّز بين أربعة أقسام:

فعل التلفظ (الصوتي والتركيب). **الفعل القضوي** (الإحالي، والحلمي).

الفعل الانجازي (على نحو ما فعل أوستين)** **الفعل التأثيري**: (على نحو ما فعل أوستين)²

العمل الكلامي عند سيرل لا يحدد قصد المتكلم وحده، بل لابد من تضافر العُرف اللغوي والاجتماعي معا.
-نص سيرل على أنّ للقوة الانجازية دليلا يُدعى "دليل القوة الانجازية"، الغرض منه إظهار نوع العمل الانجازي الذي يؤديه المتكلم عقب نطقه للجمل كالتنغيم...

¹ - آن رو يول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم حديث في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، دار الطليعة بيروت ط1- 2003 -ص: 33.

² - بوجادي حليفة، في اللسانيات التداولية، ص: 99.

** الفعل الاحالي acte de reference: يسهم في ربط الصلة بين المتكلمين (المتكلم والسامع)، الفعل الحلمي acte de prédication: هو الإسناد، أي نسند نسبة المحمول أو الحمل إلى الموضوع المحال عليه.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

-طَوَّر سيرل "شروط الملائمة": إذ جعلها أربعة وطبقها على الفعل الانجازي تطبيقاً محكماً، هذه الشروط هي:

1 شرط المحتوى القضوي: يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضويّ، والقضويّ نسبة إلى القضية التي تقوم على متحدّث عنه أو مرجع متحدّث به ، أو خبر، والمحتوى القضويّ هو المعنى الأصلي للقضية.

2 الشرط التمهيدي: ويتحقق إذا كان المتكلم قادراً على انجاز الفعل.

3 شرط الإخلاص: ويتحقق حين يكون المتكلم مُخلصاً في أداء الفعل.

4 الشرط الأساسي: يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.

-ميّز "سيرل" بين الأفعال الانجازية المباشرة، والأفعال الانجازية غير المباشرة، فالمباشرة « direct » التي تُطابق قوّتها الانجازية مقصود المتكلم، والأفعال الانجازية غير المباشرة « indirect » هي التي تخالف قوّتها الانجازية مقصوده، لذلك قنّن سيرل هذه الظاهرة (الأفعال الكلامية غير المباشرة) في نسقٍ من القواعد الاستدلالية المرتبطة بقدرة المخاطب على تأويل ما لم يصرّح به المتكلم من أفعال كلامية، قد تكون مُلزماً أو غير مُلزماً، ولا يمكن للسياق إلاّ أن يتدخل بجدارة لفهم وتأويل هذا النسق الاستدلالي عن طريق المعرفة المسبقة للمخاطبين وعن طريق قوانين الخطاب .

- تصنيفه الأعمال الكلامية في أسرٍ خمس معيها بذلك اقتراحاً آخر وهي :

أ . التقريريات: أو الإخباريات « les assertifs »: والغرض منها وصف واقعة معينة من خلال قضية « proposition » وتتميز باحتمالها الصدق والكذب، وباتجاه المطابقة فيه من القول إلى العالم حيث يكون القول مطابقاً للوقائع الموجودة في العالم الخارجي، فضلاً عن تميّزها بالصدور عن حالة نفسية مُعبّر عنها بالاعتقاد « croyance » .

ب . الطلبية: « les derèctifs »: وتسمى التوجهات أو الأمرات: والغرض منها حمل المخاطب على أداء فعل أو عمل معين، ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، أو بعبارة أخرى يطلب فيها مطابقة العالم للقول، والشرط العام لهذه الأفعال هو إلزام المتكلم ليفعل شيئاً في المستقبل، وكذا أن يكون شرط المحتوى القضوي مُعبّراً عن فعل مستقبلٍ للمخاطب، وقدرة المخاطب على انجاز ما طُلب منه .

ج- الوعديات: أو الإلزاميات : « les promossifs »: والغرض منها أن يلتزم المتكلم بالقيام بعملٍ ما في الزمن المستقبل، ويكون اتجاه المطابقة فيها مثل الطلبية من العالم إلى القول. لكن الفرق يكمن في مُنقذ القول: فهو المستمع في الأفعال التوجيهية (الطلبية)، والمتكلم في الأفعال الإلزامية (الوعديات)، كما أنّ المتكلم في

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الفئة الأولى يحاول التأثير على السامع لانجاز فعلٍ ما، بينما لا يمارس أيّ تأثير على السامع في الفئة الثانية (اللزاميات)، بل يحاول إلزام نفسه بانجاز فعلٍ ما .

د- **التعبيريات أو البوحيات:** « les expressives » وتسمى الاحصاصيات، والغرض منها التعبير من حالة نفسية سيكولوجية انتقالية تجاه الوقائع الخاصة التي تُمثّل مضمون القول، كما أنّه لا يُشترط في أفعال هذه الفئة اتجاه مطابقة، إذ لا يقصد بها مطابقة العالم للكلمات، ومطابقة الكلمات للعالم، بل يقصد بها صدق القضية المرتبط بالمتكلم أو المخاطب، فأفعاله كثيرا ما تكون: الشكر والاعتذار، الترحيب، التهنتة....

هـ **الإعلانيات، الايقاعيات، التصريحيات:** « les declaratifs » والغرض منها إحداث تغيير في العالم الخارجي، واتجاه المطابقة في الفعل الإعلاني قد يكون من القول إلى العالم ومن العالم إلى القول، أي الاتجاه المزدوج، ولا يحتاج إلى شرط، إذ يكفي انجازها بنجاح لتحقيق المطابقة.¹

و خلاصة القول في هذا العرض فإنّ نظرية الحدث الكلامي - التي تُعدّ أهم ما في الدرس التداولي - لم تعرف كمنظريّة لها أسسها الفلسفية و ضوابطها المنهجية الآ على لدى "أوستن" و تلميذه "سيرل" فهما اللذان أعطيا هذه النظرية بعدها الفلسفي و العلمي، حين درسا فلسفة اللّغة العادية أو "اللّغة المستعملة" محلّلين الظواهر اللغوية، و الصيغ الكلامية التي ينشأ فيها "الحدث الكلامي أو الفعل الكلامي".

و بدراستنا لهذه النظرية مع محاولة تطبيقها على "البيان النبوي" في أحاديث المصطفى "ص"، جدير بنا أن نتساءل عن:

- ما حظُّ "هذه النظرية التداولية من حيث الاهتمام عند علماء العربية؟، وما مدى إسهاماتهم في دراسة ما سُمّي "بأفعال الكلام المباشرة و غير المباشرة" التي جاء بها "سيرل"؟.

- كيف نظر علماء العربية إلى الوظيفة الحجاجية التي تؤديها أفعال الكلام المباشرة و غير المباشرة، حين تقارب هذه التداولية بأساليب الطلب الإنشائية؟.

- ما مدى "تجلي تقسيمات العرب" و "سيرل" للأفعال اللّغوية في "الحديث النبوي الشريف" من خلال الفعل المباشر و غير المباشر؟.

- ما الدور الذي يلعبه "السياق" كعنصر فعّال من شأنه أن يُساهم في تحديد الغرض من الفعل الكلامي المنجز و خروجه عن معناه الأصلي ليرسم أغراضا في شكل أفعال لغوية مقصودة بالقول أو ناتجة عنه؟.

¹ - صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة، ط1- 1993، ص: 232- 238

***إنّ مثل هذه التساؤلات حتما تجرّ إلى الوقوف حول حقيقة أنّ نظرية أفعال الكلام التداولية جاءت لتعيّر تلك النظرة التقليدية للكلام، التي كانت تعتمد أساسا على الاستعمال المعرفي و الوصفي للكلام، و نظرت إلى اللّغة باعتبارها قوّة فاعلة في الواقع و مؤثّرة فيه، "لأنّ أيّة معلومة تقدّم لشخص ما، مُثارة بشيء ما، و تسعى إلى تحقيق هدف ما، فهي حلقة ضمن سلسلة التبادل الكلامي الدائر في تلك الحياة العادية للناس".

05- البعد التداولي "لأفعال الكلام" في الحديث النبوي الشريف.

1- الأفعال اللغوية المباشرة، الأفعال اللغوية غير المباشرة.

إنّ "الفعل الكلامي" يُعد عنصرا مهما في الكثير من الأفعال التداولية، باعتباره كلّ ملفوظ ينهض على نظام "شكليّ دلاليّ انجازيّ تأثيريّ"، يعتمد على أفعال قولية تسعى إلى تحقيق أغراض إنجازية، و غايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقي، و بذلك يطمح هذا "الفعل الكلامي" إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى التأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسستيا و من ثمّ انجاز شيء ما".¹

قد شاع استخدام مصطلح "الفعل الكلامي" بين الدارسين و اختلفت تعريفاته لاختلاف المرجعيات الابستيمولوجية التي ينطلقون منها، و حسب المتفق عليه فإنّ فعل الكلام يعني: "لغة ما"، أو التحدث بما يعني تحقيق الأفعال اللغوية²، و ذلك لما للفعل الكلامي من وظائف تداولية مرتبطة بقصد المخاطب من أهمها "وظيفته الحجاجية" التي تزيد من فاعلية الانجازية التي أرادها له "أوستن" و "سيرل" و، لا سيما تلك المرتبطة بلفظي "التأثير و الاقناع".

لتبقي جهود "أوستن" و "سيرل" في مجال الأفعال الكلامية مهمّة و فعّالة، و لعلّ المبحث الأساسي لأعمالهما التحليلية هو "الأفعال المتعلقة بالصيغة المباشرة"، و شروط استعمالها في سياقات الحديث المختلفة كالسؤال و التقرير .. و استعمال مختلف الوسائل التي يتوقّف عليها المتحدثون لكي يتواصلوا، و يبلّغوا فعل الكلام إلى المتلقي.

فكثيرا ما يستعمل المخاطب الفعل الكلامي "المباشر" عندما يولي عنايته لتبليغ قصده، و تحقيق هدفه الخطابى، و رغبته في أن يُكَلِّفَ المتلقي بعمل ما، أو يُوجِّهه لمصلحته من جهة، و إبعاده عن الضرر من جهة أخرى، أو توجيهه لفعل مستقبلي، و يفترض أن يتوجه المخاطب بخطابه إل الكثير من فائدة المتلقي، فيستعمل

¹ - صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص: 40.

² - بوقرة نعمان، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، ع 17 / 2006، ص: 169.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

هذه الاستراتيجيات في شكلها الأكثر مباشرة للدلالة على قصده كالأمر و النهي الصريحين¹، وهذا ما عُرف في عرف التداوليين "بالأفعال الكلامية المباشرة".

و انطلاقا مما تمّ ذكره سالفا في جهود سيرل و أوستن في أفعال الكلام، و تصنيفهما للأفعال الكلامية إلى إثباتية و تعبيرية و توجيهية، و أفعال الوعد و أفعال الإعلان... نجد أنّ "سيرل" قد أضاف إليها تصنيفا آخر حين ألحّ على انقسام الفعل اللغوي إلى قسمين أساسيين هما: "الأفعال اللغوية المباشرة، و غير المباشرة."

أ- **الأفعال المباشرة:** ميّز "سيرل" بين ما أسماه "الأفعال الانجازية المباشرة و غير المباشرة"، أو الحرفية و غير الحرفية، فالأفعال الانجازية المباشرة عنده تتمثّل في تلك الأقوال التي تتوقّر على تطابقٍ تامٍّ بين معنى الجملة و معنى القول، فالقول في نظر "سيرل" هو شكلٌ من السلوك الاجتماعي الذي تضبطه مجموعة من القواعد، بمعنى أنّه يجب أن تتوفر هناك مبادئ يتوقف عليها انجاز فعل ما، أو تقرير سلوك مُعيّن، فمعنى ذلك أن يكون ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة و حرفية لما يريد أن يقول..، و يعرف "سيرل" نفسه الأفعال المباشرة بقوله: "هي الحالات التي يمكن للمتكلم التلفظ بقول ما، و يراد منه ما صرّح به...".

لكن - ما تنبّه إليه "سيرل" هو ذلك السؤال المطروح: "هل يكون معنى الجملة دائما مطابقا لمقصود المتكلم؟، و انطلاقا من هذا التساؤل كشف سيرل أن" هناك حالاتٍ أخرى لا يكون فيها الفعل مباشرا لهذا ميّز "سيرل" نوعا آخر من الأفعال اللغوية يتمثل في:

ب- **الأفعال الكلامية غير المباشرة:** إنّ "سيرل" من الأوائل الذين اهتموا بدراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة، و التي عرّفها بعد أن تناول بالدراسة تلك الأقوال التي لا تدلُّ صيغتها الظاهرة على ما تدل عليه، إذ لاحظ أنّ التأويل الكافي لجُمَل اللغات الطبيعية يصبح مُتَعَدِّراً إذا اكتفينا بما تحتويه الصيغة من معلومات بقوله: "هي الحالات التي يكون فيها معنى القول مخالفاً تماما معنى الجملة بطرق و كيفيات مختلفة..".

و هذا يعني أنّها عبارةٌ عن أقوال لا تتوقّر على تطابق بين معنى الجملة و معنى القول، حيث لا تدلُّ صيغة الجملة على معناها، و إنّما تدلُّ على معنى آخر مُغايرٍ لمعناها الظاهر، لذلك يرى "سيرل" أنّ هناك حالاتٍ عديدةً لتوضيح القضية الحاسمة المتعلقة بالأفعال غير المباشرة، و يظهر هذا في قوله، "هناك حالات يستطيع فيها المتكلم من أن يقول جملة، و يريد بها معناها الظاهر، لكن يدل أيضا على مقولة ذات محتوى إسنادي مغاير، فعلا: يمكن

¹ - بوقرومة حكيمة، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقارنة تداولية، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، عدد 3 2003، ص: 11، 12.

للمتكلم أن يتلفظ بجملة، "هل في بإمكانك مدّي بكذا؟"¹، دلالتها لا تدلّ على استفهام بل طلب تقديم الملح، و انطلاقاً من هذه الإشكالية يطرح "سيرل" تساؤلاتٍ عدّة هي بمثابة إشكاليات أهمها:
*كيف للمتكلم أن يقول شيئاً يصوغه في عبارة خاصة و يقصد به شيئاً آخر.

*كيف للمستمع أن يفهم ما لم يصرح به المتكلم؟ بمعنى: كيف يتمُّ الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المراد أو المستلزم خطائياً؟. و*كيف يمكن ضبط و معرفة المعنى الذي تخرج إليه صيغة معيّنة من الصيغ الجمالية كالاستفهام، والنداء، والأمر، والطلب، النهي...؟"².
و انطلاقاً من هذه الإشكاليات باشر "سيرل" تفسيره لظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة، و قد ساعده على ذلك دراسته لكل ما هو مشترك بين المتكلمين و السامعين، أي أنّهم على اتّصال دائم، و كذا دراسته لمقررات المستمع العقلية و الاستدلالية لاستخلاص نتائج معيّنة.

1. دراسة العرب للأفعال الكلامية المباشرة:

إنّ الجهود التي قدّمها "سيرل" فيما يتعلق بدراسة الأفعال الكلامية عامة و الأفعال المباشرة و غير المباشرة بصفة خاصة، هي التي من خلالها يتمكّن المتكلم من توصيل غاية أخرى من خلال تلفظه بفعلٍ معيّن، و ذلك بمراعاة الظروف الخارجية المحيطة بعملية الحوار أو الخطاب، و الظروف النفسية التي تكتنف كلاً من المستمع والمتكلم، إذ بيّن كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئاً و هو يقصد إلى شيءٍ آخر مغايرٍ تماماً؟.

و فكرة الأفعال الكلامية "غير المباشرة" ليست جديدة على اللغة العربية، ذلك أنّ علماء العربية الأوائل تفتّنوا جيّداً إلى هذه الظاهرة، و أعطوا لها حقها الوفير من الدراسة و التحليل، فمن الأوائل الذين اهتموا بظاهرة الأساليب الكلامية و ما تؤوّل إليه من أغراض، نجد خاصّة: "السكاكي"، و من المحدثين "أحمد المتوكل" الذي يستلهم من التراث و يحاول تدقيق المفاهيم التي كانت لدى القدامى.

لذلك فقد كان للعرب "القدامى و المحدثين" إسهاماتٌ قيّمة في مجال تناول الأفعال الكلامية المباشرة و غير المباشرة، و ذلك في نطاق دراستهم للأساليب الكلامية و أغراضها.

أ - جهود العرب القدامى "السكاكي":

1 - فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص: 71

2 - المرجع نفسه، ص: 71.

إنّ الإفادة من كلام العرب تكمن في النظر أساسا في أقوال المتخاطبين أثناء الحديث و حال المخاطب، لذا قالوا "لكل مقام مقال"، فيقول "السكاكي" مؤكّدا ذلك: "اعلم أنّ علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، و ما يتصل بها من الاستحسان و غيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره".¹

لذلك كان "علم المعاني" هو العلم الذي تخصّص فيه علماء العربية في تحليل الخطاب انطلاقا من علاقته بالسياق، و ذلك ما أتى عليه "ابن خلدون": هذا العلم الحادث في الملة بعد علم العربية و اللغة، و هو من العلوم اللسانية لأنّه متعلّق بالألفاظ و ما تفيده، و يقصد الدلالة عليه من المعاني (...). و يبقى من الأمور المكتنفة بالوقائع المحتاجة للدلالة أقوال المتخاطبين أو الفاعلين، و ما يقتضيه حال الفعل، و هو محتاج إلى الدلالة عليه لأنّه من تمام الإفادة، و إذا حصلت للمتكلم فقد بلغ الإفادة في كلامه، و إذا لم يشتمل عليه منها فليس من جنس كلام العرب، فإنّ كلامه واسع، و لكلّ مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب و الإبانة".²

و المتأمل فيّ مفتاح السكاكي" يلحظ جملة القوانين التي درسها "السكاكي" و الشروط المقامية التي تتحكّم في انجاز "الخبر و الطلب": "باعتبار أنّ السابق في الاعتبار في كلام العرب شيثان: "الخبر و الطلب"³، هذه القوانين و الشروط المقامية تتحكّم في انجازها على ما يقتضيه الحال، و يتفرع عن هذين النوعين أغراضٌ يدلّ عليها الكلام في حال ما إذا أُجري في غير مقامه .

ليعرض "السكاكي" حصر أبواب النوع الثاني المتمثّلة في "الاستفهام و الأمر و النداء و النهي... و يضع لكل باب شروطه التي تحدّده، و تجريه على أصله في المقامات المناسبة، و يذكر بذلك أدوات و حروف كلّ باب...".⁴

ب - جهود العرب المحدثين: أحمد المتوكل :

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 70.

² - بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التوليدية، منشورات الاختلاف، ط01، 2003، ص: 167.

³ - السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 81.

⁴ - المرجع نفسه : من 133-138.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

قام "أحمد المتوكل*" بدراسة في ثنائية "الخبر و الإنشاء" عند العرب القدامى، و ذلك بتطبيق آليات اللسانيات الحديثة، حيث قام بتقصي أهم القضايا اللغوية التي تفتن إليها قدامى العرب، و حاول أن يظهر حدود الوصل و الفصل ما بين دراسة العرب القديمة، و دراسة الغربيين الحديثة.

يُعطي المتوكل اسم "نظرية أفعال الكلام" لمجموعة من الظواهر الدلالية و التداولية التي تتجلى في النتاج اللساني العربي القديم تحت اسم "أغراض" بمعنى أن الأغراض الكلامية العربية هي نفسها المقاصد التي تحيل إليها الجمل التعبيرية المختلفة، و التي قام علماء العربية بتحديددها حسب السياقات التي ترد فيها و هذا في مجال علم المعاني...¹.

كما يرى المتوكل أن البلاغة باعتبارها "فنا يهتم بالكلمة معنا و استعمالا" هي الضابط الأساس لظاهرة الأفعال الكلامية، إذ تكفلت بوصفها و دراستها و بطريقة نظامية، و ذلك انطلاقا من تحديدات موضوعية و بعرض تلك الدراسة النظامية و ذلك بربطها بثلاثة أقسام (volets) مهمة هي:

** (ثنائية التقريرية - الانجازي) : و التي تتجلى عند العرب في ثنائية "الخبر، و الإنشاء".

** (الأفعال الكلامية المباشرة): و هي عند العرب تعرف ب: "الأساليب".

** (الأفعال الكلامية غير المباشرة): و المتمثلة عند العرب في: "الأغراض". و يشير إلى أن الأغراض تستخرج من الأساليب التي هي الأصول، و الأغراض فروع لها.²

ففي القسم الثاني (الأفعال الكلامية المباشرة): يُعرّف "المتوكل" هذا النوع من الأفعال بقوله: "نسمي الأفعال الكلامية المباشرة تلك الدلالات المرتبطة بالأقوال، و التي يُعبّر عنها شكل القول نفسه مثل: "الإخبار، الاستفهام، الأمر، النداء"، و هذه الأفعال تُشكّل القوّة الانجازية " forte illocitonnaire " المرتبطة بتلك الأقوال، و تلعب هذه القوّة دورا في تحديد نوع الفعل، و هي تُعرف - حسب السكاكي - عن

طريق العلامات الشكلية التي تظهر جليا في نموذج يحلله المتوكل¹: "هل جاء محمد"؟.

* هو باحث مغربي في جامعة محمد الخامس بالرباط، متخصص في دراسة التداولية اللغوية، من أهم مؤلفاته: الوظائف التداولية للغة العربية، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، اللسانيات الوظيفية، إلى جانب مراجع باللغتين الفرنسية و الإنجليزية.

¹-ahmed elmoutawakel، reflexion sur Théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe- faculté de lettres et des sciences humains de rabat ,these et mémoire n 08,1982,p :162.

² -المرجع نفسه ، المتوكل، ص:163.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

-المورفيمات الخاصة: مثل أدوات الاستفهام: هل، الهمزة... و تظهر في النموذج "هل" للسؤال،، حيث لكل قولٍ مورفيمات خاصة تحدّد نوعه.

-العلاقات التنغيمية: حيث يكمن الحيز التنغيمي في النموذج: في تنغيم السؤال/الاستفهام. ،و يحلّل المتوكل النموذج نفسه تحليلا دلاليا بحيث يعطيه المعاني التالية:²

-محتوى إسنادي:و الذي يحوي إجمالا قيمة المعاني المرتبطة بكلّ وحدة معجميّة،و التي تتمثّل ما ينتج عن العلاقات النحويّة،أي ما يُعرف عند علماء العربية بـ"المعنى الأصلي".

-القوّة الإنشائية:و التي تتمثّل في:

-مورفيم استفهامي: يكمن في الأداة "هل".

-حيز تنغيمي: يشمل كل الأقوال الاستفهامية.

هذه القوة الإنشائية تُعرف عند علماء العربية بـ"الأسلوب".³، ليلاحظ "أحمد المتوكل" أن هناك اتجاهين في دراسة الأفعال الكلام المباشرة:

**الاتجاه النحوي(الشكلي):يمثّله "النحويون" فهو ينظر في عبارات الاستفهام و الأمر و غيرها على أنّها بُني،و هم بالتالي يفصلونها عن وظائفها التداولية،لذلك نراه يُعنى بالأشكال التي تتخذها بعض المعاني انطلاقا من الهيئة الشكلية للجملة تعرف على أنّها: "إخبار، استفهام.....".

**الاتجاه التداولي:الذي تتجلى معالمه في كتب "البلاغة و الأصول و أفعال الكلام" عند هؤلاء هي أفعال حقيقية تحقّقها الذات المخاطبة في مقامات بارزة⁴، أي في ظروف مناسبة بحسب ما تقتضيه الأحوال.

يقول (ابن الأثير): "إن البلاغيّ و النحوي يشتركان في أنّ النحوي ينظُرُ في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي و تلك دلالة عامة،و صاحب البيان ينظر في فضلة تلك الدلالة و هي دلالة خاصة ،و المراد بما أن تكون على هيئةٍ مخصوصةٍ من الحسن و ذلك أمر وراء النحو و الإعراب، ألا ترى أنّ النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم و المنثور و يعلم مواقع إعرابه،ومع ذلك فإنّه لا يفهم ما فيه من الفصاحة و البلاغة..".⁵ يصل أحمد المتوكل في دراسته لمختلف الشروط المعتمدة في مختلف التقسيمات إلى وضع تقسيم، يتلخّص في أن

1 - المرجع السابق ، المتوكل، ص: 174 .

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

3 - المرجع نفسه، ص: 175.

4 - بلخير عمر ،تحليل الخطاب المسرحي،مرجع سابق،ص: 170.

5 - ابن الأثير ،المثل السائر، ،ص: 39.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الكلام يمكن أن يختصر في أسلوب: الطلب و غير الطلب و يشمل الطلب: الاستفهام ، التمني ، النداء،.... و الطلب بنوعيه "الإيجابي و السلبي".¹ و تظهر طريقة تميزه للأفعال على نوعين هما:

- النوع الأول: يشمل الأفعال التي توضح الاعتقاد بأن واقعا خارجيا يحوِّله المتكلم إلى تمثيل ذهني، و يرجعه المتوكل إلى فعلي: السؤال و التمني (فعل السؤال يسبقه حصول ذهني يتمثل في فكرة السؤال، و البحث عن التعليل، هذه الفكرة نجد لها مقابلا في العالم الخارجي يكمن في الإجابة و التعليل).

- النوع الثاني: الأفعال التي تشير إلى أن واقعا ذهنيا مُتحققا، بمعنى أن التمثيل الذهني يتحقق في الواقع، و يرجعها إلى فعلي " النداء و الأمر "بنوعيه: "الإيجابي و السلبي" (النداء سابقة ذهنية يكمن في اختيار اسم المنادى عليه، ثم يتم الإفصاح عنه و تجسيده في الواقع و بالتالي يتحقق فعل النداء).²

ليخلص في الأخير إلى أن دراسة الأفعال الكلامية بمقتضى شروطها مُهيئة لكي يتحقق الفعل بنجاح، و هذا بمراعاة القوة الإلزامية المفروضة، و من هذا المنطلق يأتي إلى تحديد نوعين من الأفعال³:

***أفعال كلامية شديدة الإلزام:** (تحيل إلى المؤسسات، الأفعال الدينية، الأقوال العدلية، البيع، الشراء،... تفرض شروطا دقيقة في تنفيذها و التي تدخل ضمن أفعال الممارسة (كما يسميها أوستن).

***أفعال كلامية ضعيفة الإلزام:** و هي الأفعال التي تخضع لشروط أقلّ إلزاما، حيث تقتضي تهيئة بعض الشروط لإنجازها، و هي تمثل الجزء الأكبر من الأفعال اليومية العادية كالإخبار و الاستفهام، النهي، الأمر...".

و يشير "المتوكل" إلى تلك القواعد المهمة التي تضمن نجاح الفعل، و تضبطه كي لا يكون هناك أي فشل في تحقيق، أو تحوّل الفعل المطلوب إنجازه إلى فعل آخر، و تمثل تلك القواعد المناسبة و الخاصة في⁴:

. **قواعد لسانية:** و هي التي تساهم في عرض القول كخطاب يحتوي على قواعد معجمية و تركيبية، بحيث لكل عنصر في الخطاب وحدة معجمية دالة، ويتدخل التركيب في ضمّ هذه الوحدات بطريقة مُتسقة لتعيين الدلالات، كأن يكون الفعل تاما، بتوفر جلّ شروطه التي تساهم في حصول الفائدة و الإفادة أثر سماعه.

. **قواعد تداولية:** و هي قواعد لها علاقة لها بوضعية المتخاطبين و تتمثل في:

***توفر شرط الاستعلاء لتحقق فعل الأمر:** (على الأمر أن يكون في مرتبة أعلى من مرتبة المأمور).

¹ - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص: 171.

² - المتوكل، ص: 176 - 177.

³ - المرجع نفسه، ص: 171، 170.

⁴ - بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي، بتصرف، ص: 175.

*توفر شرط القدرة: أي قدرة المستمع على انجاز الفعل الموجه إليه للقيام به، (و يشير المتوكل أنّ مثل هذه الأفعال متداولة كثيرا عند العرب في ميدان شرح القرآن الكريم).

* توفير شرط الإرادة: أي إرادة المتكلم أو السامع في تنفيذ الأمر.

*توفر شرط و عامل الإقناع أو القصد أو الوعي في إصدار الأمر: إذ يستثنى من ذلك الأوامر الصادرة من شخص متخلف عقليا، لأنّه يُعدّ فعلا غير مقبول.

3. دراسة العرب للأفعال الكلامية غير المباشرة:

يشير الدكتور "بلخير عمر" أنّ العرب القدامى قد تنبّهوا منذ فترة طويلة إلى ظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة و اعتبروها فروعاً لأصول، و لذلك يشكّل ما أبحروه من أبحاثٍ تقدّما لا مثيل له في الدراسات اللغوية و الأسلوبية¹.

لقد تفتّن "السكاكي" إلى هذه الظاهرة و حاول تعييدها عن طريق فهم الآليات التي تتحكّم في تحقيق الفعل الكلامي غير المباشر، لذلك نرى "أحمد المتوكل" يثني على جهود الرجل يقول: "و تمتاز اقتراحات "السكاكي" في مفتاحه عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة، بأنّ تجاوزت الملاحظة الصرف، و تحمّل أهمّ بذور التحليل الملائم للظاهرة، أي التحليل الذي يضبط علاقة "المعنى الصريح" بالمعنى "المستلزم مقاميا"، و يصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة، هذا بالإضافة إلى ميزة أخرى و هي أنّ تععيد السكاكي... ورد مؤطرا داخل وصف لغويّ شامل، يطمح لتناول جميع المستويات اللغوية: أصوات و صرف و نحو و معاني...².

إنّ ارتباط الأفعال الكلامية غير المباشرة هي الأخرى "بالخبر و الإنشاء" جعلت كذلك من "أحمد المتوكل" يُضيف لكلّ صنفٍ منهما شروطا مقامية تتحكم في إنجازها، أي في إجراءاته بمقتضى الحال، و يتفرغ عن هذه الأنواع نفسها أغراضٌ تتولّد في حال إجراء الكلام على خلاف ما يقتضي المقام..، فبالنسبة للخبر، يمكن له إذا ما أجرى الكلام على غير أصله، أي على خلاف مقتضيات الحال أن يخرج عن قصده إلى أغراض مختلفة كالتلويح و التجهيل و غيرها.³، أمّا بالنسبة (للطلب) الإنشاء: فإنّ أنواعه الأصلية تخرج إذا أُنجزت في مقامات تتنافى و شروط إجراءاتها على الأصل، إلى أغراضٍ فرعيةٍ تناسب هذه المقامات كالإنكار و التوبيخ و الزجر...

1 - بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي، مرجع سابق، ص: 174.

2 - المرجع نفسه، ص: 175.

3 - المرجع نفسه، ص: 175.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

و يمكن أن نُلخّص جهود البلاغيين "السكاكي" في جملة القواعد (الشروط) التي تضبط إجراءه على أصله، أي إنجازه في المناسب من المقامات، و أنّ تولّد المعاني الفرعية يُمكن أن نوحزها في:

*تخرج معاني الطلب الأصلية الخمسة، حين يمتنع مقاميا إجراؤها على الأصل إلى معاني أخرى كالإنكار، التوبيخ، الزجر، التهديد....

*يحصل في حال عدم المطابقة المقامية أن يتم الانتقال من معنى إلى معنى داخل معاني الطلب الأصلية نفسها، إذ يمكن أن يتولّد مقاميا عن الاستفهام التمني، و عن التمني الاستفهام....

*في حالة إجراء المعاني الخمسة غير مطابقة لشروط إجرائها على الأصل يحصل الانتقال إلى المعنى الثاني، لأنّ عدم المطابقة المقامية يؤدي إلى خرق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي فيمتنع إجراؤه من جهة، ثمّ يتولّد عن خرق شرط المعنى الأصلي معنى آخر يناسب المقام، يقول "السكاكي": "إذا قلت: "هل لي من شفيح" في مقام لا يتّسع إمكان التصديق بوجود الشفيح، امتنع إجراء الاستفهام على أصله، وولّد بقرائن الأحوال معنى التمني"، كما إذا قلت لمن تراه يؤدي الأب: أتفعل هذا...؟، امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله و توجّه إلا ما لا تعلم، فيتولّد بذلك الإنكار و الزجر".¹

و خلاصة القول: إنّ في الأفعال الكلامية غير المباشرة يستطيع المرسل أن يعبر عن قصده وفق شكل اللغة الدلالي مباشرة، بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهريا، و قد يعدّل عن ذلك فيلتمح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق، لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب و يفهمها المرسل إليه، و هذا يؤدي بنا إلى نتيجة مهمّة: "مركزيّة السياق في منح الخطاب دلالته للتعبير عن القصد...".²

و هذا يعني أنّ للخطاب معنى مباشراً له قوّة إنجازية حرفية تدلّ عليه ألفاظه حسب ما تمّ التواضع عليه في اللغة، غير أنّه قد يمنح السياق للخطاب أكثر من قصد، " فلم يعدّ الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسل، -و إنّ عددناه واحدا من مقاصده -فليس القصد الرئيس - إذ يختبئ وراءه قصد آخر، اختار المرسل الإستراتيجية التلميحية للدلالة عليه، و هو إمّا الرفض أو التهكم، و لذلك لم يستعمل المرسل صيغة الخطاب المباشر".³

إنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة يحدّد معناها تفسيرها الظاهري، أمّا قوّتها فتحدّد بالتحقيق غير المباشر وقد فسّرت هذه المسألة باللطافة و التأدب، بوصفه شيئا أساسيا باطنيا لاستخدام الأسلوب غير المباشر، فهو قدرة

¹ - بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي، ص: 176.

² - المرجع نفسه، ص: 368.

³ - الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد بيروت 2004، ص: 367.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

يملكها المتكلم والمستمع معا، كما أوضح "سيرل" و "غوايس"، بينما اعتبره "ليتيش" مستوى سطحيا يتعلدق مباشرة بالعادات و الطباع المتعارف عليها، كما أُعْتُبرت عند الآخرين استجابة لدواعٍ سياقية تجعل المرسل يعدل عن استعمال الخطاب المباشر بدوافعٍ مُعَيَّنة كالسلطة أو مراعاة للتأدب....، و من هنا نصل إلى أنّ الفعل الكلامي غير المباشر يتمثل في تلك الأقوال الخارجة عن دلالتها من مقتضى الظاهر، و هي أفعالٌ سياقية لا يُدرك معناها إلاّ من خلال القرائن اللسانية و الحالية، و أُضرب الاستدلال العقلي.¹

و كنتيجة نهائيةٍ نخلص إلى أنّ العلاقة بين المعنى المباشر و غير المباشر مرتبطة بما يسميه القدامى " بالمنطوق و المفهوم"، إذ يعود الفعل المباشر إلى المنطوق و هو ما يفهم مباشرة أثر التلقظ بجملة ما، أمّا الفعل غير المباشر فيعود إلى المعنى الموضّح لمعنى التاويلات الخاصة بكلّ قولٍ تبعاً للسياق الوارد فيه. كما تقرّر أخيراً: "أنّ دراسة المتوكل ناجحة إلى حدّ بعيدٍ، حيث تمكّن من تطبيق النظرية اللسانية، و التداولية الحديثة على معاني الكلام في العربية، كما استفاد كثيراً مما قدّمته البلاغة العربية في مجال دراستها للأغراض و المعاني.

و بعد هذا العرض المبسّط لنظرية أفعال الكلام"، و ما قدّم في إطارها من جهود سواء كانت قديمة أو حديثة نستخلص نتيجة هامة مفادها أنّ هذه النظرية تدرس الكلام البشري وفق مستويين:

* المستوى الظاهر أو الجليّ أو المباشر في تناول معاني الأقوال في طياتها.

* المستوى الخفيّ و المتوارى غير المباشر في تناول المعاني التي تحملها الأقوال في طياتها، و هذا يبرز الدور المهمّ و الفعليّ للسياق المحيط بالقول، و ما يشتمل عليه من ظروف و مقامات و أحوال المتحدثين و مقاصدهم و نواياهم و قدراتهم على إنجاز الأفعال و تحقيق مضمانيها في الواقع.

و فيما يلي سنسعى إلى استثمار بعض الآراء و النتائج التي حققتها نظرية أفعال الكلام، و محاولة تطبيقها فيما يتعلّق بتحليل النتائج المستخلصة من الخطاب النبوي الشريف الذي نحن بصدد دراسته مع الإشارة إلى أنّ هناك نوعاً ما من التداخل و التكامل ذلك أنّنا لا نفصل بين تناولنا للأفعال المباشرة، و الأفعال غير المباشرة إلاّ في صورة ما يقتضيه الأسلوب الطلبي مع محاولة إبراز ذلك التكامل بين ما هو مباشر و غير مباشر... علماً أنّ الجانب التطبيقي يسعى للوقوف على أهمّ الملفوظات التي عدّت أفعالاً كلامية في الحديث النبوي الشريف و إبراز القوة الإنجازية لهذه الأفعال الكلامية بنوعها (حرفية و مُستلزمة)، مع محاولة الاستفادة في ذلك من الدرس التداولي عامة، و نظرية الأفعال الكلامية خاصة "الأوستن و سيرل" على وجه الخصوص، هذا فضلاً عن التراث

¹ - بوقرمة حكيمة، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقارنة تداولية، بحث في مجلة تحليل الخطاب، تيزي وزو ص: 19.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

البلاغي العربي، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإنّ التركيز سيكون منصّباً على أصناف الفعل الكلامي في الحديث النبوي، والذي ستظهر - إن شاء الله- في الأساليب الإنشائية الطلبية. مع بيان أن أغراضها الإنجازية تتعدّد حسب المقام و مقاصد المتكلّم من جهة أخرى.

فكيف كان تظهر هذه الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف؟ ما هي القوّة الإنجازية المحقّقة من خلال هذه الأفعال الكلامية ؟ ، وما هو الدور الذي يلعبه السياق المحيط بالقول و ما يشتمل عليه من ظروف و مقامات و أحوال المتحدّثين و مقاصدهم؟...

06 . الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف: "حسب تصوّر و تقسيم "سيرل":

إنّ الأفعال الكلامية من أهمّ المرتكزات في التحليل التداولي و تعرف بأنّها أصغر وحدة تحقّق فعلاً عن طريق الكلام بإصدار أمرٍ أو توكيدٍ أو وعدٍ... والذي من شأنه إحداث تغيير في وضعية أو موقع المتكلمين، بحيث يتوقف فكّ شفرته على إدراك المتلقي للطابع "القصدي" لفعل المتكلّم ، و هذا يعني أنّه بمجرد النطق بأفعال الكلام تتحوّل هذه الأفعال إلى إنجاز للفعل، لأنّه لا يوجد من وسيلة أخرى يمكن أن يقوم بها الشخص مثلاً بفعل "الأمر، أو التوكيد أو الطلب "سوى أن ينطق بصيغته الأمر أو التوكيد أو الطلب ، فكلما أدى الفرد فعلاً كلامياً فإنّه يُعبّر بذلك عن حالة نفسية تجاه القضية المعبّر عنها، فمن يقرّر فهو يعبّر عن اعتقاد...، ومن يعدّ فهو يُعبّر عن نيّة... و من يصدر أمراً فهو يعبّر عن رغبة أو إرادة...".¹

و لعلّ الهدف الأسمى من الرسالة المحمدية هو السعي إلى إحداث التأثير و الإقناع من خلال أحاديث المصطفى -صلى الله عليه و سلّم- فكان السعي لإدراك الدور الذي تؤديه هذه الأفعال الكلامية في إحداث الوظيفة التأثيرية الاقناعية، و ذلك من خلال الوقوف على مجموعة من الأحاديث النبوية مع محاولة تصنيفها وفق تقسيمات "سيرل"، مع الإشارة تارة إلى الأفعال الإنجازية المباشرة، و الأفعال الإنجازية غير المباشرة.

1 . الإخباريات أو التقريرات " assertives ":

من خلال ما سبق ذكره أنّ الغرض من الإخباريات هو نقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية محدّدة يعبّر بها عن هذه الواقعة ، و الغرض الإنجازي العامّ هو " التقرير"، و اتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف يكون من الكلمات إلى العالم words to world و شرط الإخلاص يتمثّل في النقل الأمني للواقعة و التعبير الصادق عنها... و بعبارة أخرى فأفعال هذا المجال تنقل أو تصف الواقع وصفاً أو نقلاً أميناً، فإذا تحققت الأمانة في النقل

¹ - بلخير عمر ،التناول التداولي للخطاب الأدبي،مجلة "القصة"، ع02 /1999، ص:70.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

أو الوصف تنجز إنجازا ناجحا و تاماً، و بذلك تكون أفعال هذا المجال عرضةً للتقييم المستمر في مدى صدقها أو كذبها، وذلك للتيقن من أمانة الوصف و النقل.

و يدخل تحت الإخباريات كلّ الجمل الإخبارية سواء كانت منفية أو مثبتة أو مؤكدة، لذلك تراها تساق عادة لإفادة السامع أمراً يجهله و هو ما يسمّى "فائدة الخبر"، و تثبت ما يعرفه في نفسه و تذكيره به، يسمّى "لازم الفائدة".، فيقول (الخطيب القزويني): "من المعلوم لكلّ عاقل أن قصد المخبر بخره إفادة المخاطب أمّا بنفس الحكم كقولك "زيد قائم" لمن لا يعلم أنّه قائم، و يسمّى "فائدة الخبر، و إما كون المخبر عالماً بالحكم كقولك لمن زيدٌ عنده و لا يعلم أنّك تعلم ذلك: "زيد عندك" و يسمّى هذا "لازم الفائدة" "لازم فائدة الخير".¹

كثيراً ما تختلف الإخباريات في درجة قوّتها الانجازية بحسب تجرّدها من علامات النفي و التوكيد أو عدمها، و ذلك بحسب حال المخاطب (خالي الذهن، متردد، منكر) و غرضها الانجازي العام هو "التقرير" و هذه الأفعال إنجازاتها تتم من خلال خطوتين:

الأولى: تتمثل في أنّ الإنجاز يتحقّق من خلال نطق الكلام و أدائه لها.

الثانية: من خلال "الإخبار أو الوصف": باعتبار أنّ الوصف و الإخبار غرضان إنجازيان، شأنهما شأن أيّ غرض آخر كالرفض أو القبول...².

لكن هذا الإنجاز قد يظهر في "البنية السطحيّة" من خلال استخدام ألفاظ إنجازية يعينها مثل: "أقسم، أعد..."، أو من خلال كونها متضمنة في البنية العميقة للمنطوق لتدلّ بمعناها العام على إنجاز الإخبار أو الوصف...³. و تكون الإخباريات أفعالاً كلامية مباشرة من جرى استخدامها على أصل استعمالها، بحيث يكون الجانب الإنجازي الأبرز فيها هو "التقرير"، فمتى عبّرت عن معاني مغايرة خرجت من صورتها المباشرة إلى أخرى غير مباشرة. و من مواطن "الإخباريات" في الحديث النبوي و التي راعى من خلالها الرسول - ص - أقوال المخاطب في تلقيه للخبر و التعامل معه.

أ. الخبر الابتدائي:

كثير من الأخبار التي يلقيها الرسول "ص" على أصحابه من هذا الضرب، كون الصحابة ممّن يُصدّق بخره و لا يتردّد فيه، لذا تأتي خالية من التوكيد، يغلب ذلك في مواطن "التعليم"، إذ يكون المخاطب راغباً في الخبر غير

¹ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 215.

² - الصّراف علي محمد، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية، مكتبة الآداب القاهرة، ط 2010/1، ص: 61.

³ - المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

متردّد فيه و لا منكرٍ له، و من ذلك حديث جبريل عليه السلام حين أتى النبي صلى الله عليه و سلّم يوماً على هيئة رجل، و كان النبي "ص" بارزاً للناس، فقال: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ بِلِقَائِهِ وَ رُسُلِهِ وَ تُؤْمِنَ بِالْغَيْبِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَ لَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَ تُقِيمَ الصَّلَاةَ وَ تُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَ تَصُومَ رَمَضَانَ.. ثُمَّ قَالَ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...¹... ثُمَّ أَذْبَرَ فَقَالَ الرَّسُولُ "ص": "رُدُّوهُ" فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً.. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ".¹

إنَّ المخاطَبَ في هذا الحديث هو "جبريل" عليه السلام، إلّا أنّ المقصود بالمخاطب هم الصحابة، بل كبار الصحابة، الذين عرفوا الإسلام، و يُهْمُّهم معرفة مراتب الدين و الفروق بينها، فالمقام "مقام تعليم" و تعريض بحاجتهم إلى هذه المعرفة". هذا جبريل جاء يُعَلِّمُ، و على هذا فإنَّ النبي صلى الله عليه و سلّم خاطب جبريل عليه السلام على أنّه رجلٌ جاء ليتعلّم، و كما كان المقام مقام تعليم جاءت الأخبار خالية من أدوات التوكيد.

لقد جاء "المنطوق الإنجازي" في هذا الحديث مناسباً للهدف المتوخى من وراء التعبير به، لا سيما أنّ قوّته تكمن في التقرير الذي أحدثه الخطاب النبوي لركائز الإسلام بدءاً من تعريف الإيمان و تقريره أنّه: إيمان بالله و ملائكته و رسله و بالغيب. ثمّ تدرّج إلى تقرير آخر و هو صيغة الإسلام المحصورة في عبادة الله و عدم الشرك به و إقام الصلاة... ثمّ في صورة تعريف الإحسان مُقيّداً بأعلى مراتب العبادة التي يستشعر فيها العبد مراقبة ربّه له، و بذلك أنجز الحديث "أفعالاً إنجازية" التقرير، الوصف، الإخبار، من خلال حديث صلى الله عليه و سلّم، و رغم أنّ المقام مقام تعليم (تقرير) لأركان الدين، فالسائل راغب في المعرفة لا مُتردداً فيها و لا مُنكراً لها، إلّا أنّنا نلاحظ إضافة إلى القوّة الإنجازية الحرفية (التقرير) أنّ الحديث أنجز فعلاً إنجازياً غير مباشر: يتمثّل في "المدح و الثناء" على "جبريل عليه السلام" لا سيما و هو المعلّم الذي جاء يُعَلِّمُ الناسَ دينهم، إشارة منه صلى الله عليه و سلّم إلى فضل المعلّم على التّلمذ من أنّ جبريل لم يصدر منه سوى السؤال، و مع ذلك سمّاه الرسول "ص" مُعَلِّماً لأنّ حُسن السؤال نصف العلم، و لأنّ الفائدة إنبنت على السؤال و الجواب معا".²

أمّا عن الأفعال الواردة في الحديث فهي بكلّ أصنافها ذات "أبعادٍ تداولية" فلها قوى متضمنة في القول كما يقول "سيرل" أي ملء اللفظة بقوّة إنجازية معيّنة، و هذا ما نلمسه في الأفعال: تؤمن بالله، تؤمن بالبعث، تعبد الله، تقيم الصلاة، تؤتي الزكاة، تصوم رمضان... فالفعل "القضوي" لهذه الأفعال يعبر عن طريق المضارع

¹ - صحيح البخاري حديث رقم: 50. كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، ج 01، ص: 28.

² - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج 01، ص: 154.

عن "التجدد" من جهة، و عن تلك الأعمال التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها، أملاً في تحقيق الغاية من وراء الحديث، "أركان الدين و الإيمان"، لتظهر القوة المتضمنة في هذه الأفعال من خلال الدعوة إلى إنجازها وفق ما نصت عليه نصوص الشريعة الداعية إلى الاستقامة على هذا الدين، لا سيما ما رسمه الرسول صلى الله عليه وسلم من أعلى درجات الإيمان و هي "الإحسان" ليقى الفعل الناتج عن هذا القول ظاهراً من خلال ما ترك من أثر في الواقع، و لعلّ قول السائل: "صدقت" عقب كلّ جواب في الأجوبة الثلاثة كما هو في أطراف الحديث الأخرى¹، دليل على تقبّل الخبر من جهة، و على عقد العزم على وجوب مراعاة الآداب المذكورة سالفاً، لأنّ الحديث اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة و الباطنة من عقود الإيمان ابتداء و حالا و مآلاً، و من أعمال الجوارح، و من أخلاص السرائر، و التحفّظ من آفات الأعمال من جهة أخرى.

ب. الخبر الطلبي:

كثيراً ما يلجأ المتكلّم إلى تأكيد الخبر استحساناً، و يخاطب به من يبدو و عليه التساؤل و التعجب أو التردّد والظنّ، أو هو ما يحتاج متلقيه إلى تأكيد من قائله: بأحد أدوات التوكيد، مثل: "اللام"، أو "إنّ" حتى يقضي على حيرة و شكّ المتلقي، و من أمثلة هذا النوع في الحديث النبوي ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، فقال: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ وَ كَانَ ضِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ وَ قَبَلَهُ وَ شَمَّهُ هُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَ إِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذَرُوفَانِ، فَقَالَ لَهُ "عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ": "وَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ"، ثُمَّ اتَّبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ "النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ": "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَ الْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَ لَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَ إِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ مُحْزَنُونَ...".²

صورة من صور أساليب النبي صلى الله عليه وسلم الذي ينتهي بالإقناع و التغيير و التأثير، من منطلق معرفة أحوال المتلقين و المخاطبين و مراعاتها، لأنّ مخاطبة العقول و القلوب فنّ لا يجديه إلا من يمتلك أدوات الإقناع، مع توافر الظروف المناسبة لإحداث التغيير، و لعلّ المخاطب حينما رأى عيني النبي صلى الله عليه وسلم تذرّفان، توهم أنّ النبي "ص" حصل له مثلما يحصل للناس من الجزع و التّفجّع، و ضُعف الصبر، مع كونه ينهى عن ذلك، فتساءل مُتعبجاً.. "أي: النَّاسُ لا يصبرون على المصائب و يتفجّعون، و أنت تفعل كفعلهم!" فاستغرب

¹ - ينظر طرف الحديث رقم 4777.

² - صحيح البخاري حديث رقم: 1241، كتاب الجنائز، باب قول النبي "ص" "إنا بك محزونون"، ج 01، ص: 439.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

ذلك منه لأنه يدلّ على ضعف النفس، و العجز في مقاومة المصيبة بالصبر، و يخالف ما عهده منه من الحثّ على الصبر، و النهي عن الجزع، فأجاب صلى الله عليه و سلّم بقوله: "إنّها رحمة" أي الحالة التي تشاهدها مني يا ابن عوف" رقةً و رحمةً على المقبوض، يبعث على التأمل فيما هو عليه، لا ما توهمت من الجزع و قلة الصبر، لهذا كان حال المخاطب مقتضياً أن يؤكد له الخبر ليُرَدّ توهّمه و يُزيل تعجّبه. "إنّها رحمة، مؤكّدة بالأداة "إنّ".

لقد أنجزت هذه العبارة "إنّها رحمة" -على وجازتها- فعلا إنجازيا مباشرا، يتمثل في الوصف و التقرير حين وصف رسول الله صلى الله عليه و سلّم حالة البكاء بالرحمة مؤكّدة بالأداة "إنّ"، ليظهر فعل إنجازي آخر غير مباشر مؤثّر في تغيير القناعات و هو أسلوب "العاطفة أو أسلوب الخطاب النفسي"، و الذي يفسره "البكاء المباح و الحزن الجائز"، و هو ما كان بدمع العين و رقة القلب من غير سخط لأمر، و هو أبين شيء وقع فيه هذا المعنى، وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمّه، و عيادة الصغير، و الحضور عند المحتضر، و جواز الإخبار عن الحزن...¹، و لم يكن ليتأتى ذلك إلا من خلال خبرة الرسول صلى الله عليه و سلّم بالنفس الإنسانية، باعتبارها تمتلك قوة التفكير فتكون محتاجةً إلى إقناع عقلي، و قوّة وجدانية فتحتاج إلى إقناع عاطفي نفسي، ولذلك عدّ النبي صلى الله عليه و سلّم التوجه إلى العاطفة مؤازرا في أساليب الإقناع و التأثير للتوجّه إلى العقل، لأنّ العاطفة كثيرا ما تكون عوناً على استمالة المدعو واجتذابه.

و مثال ذلك في الباب نفسه ما أورده البخاري من أسلوب الخطاب العاطفي الذي يعمد إلى استشارة العاطفة في النفس لدفعها إلى الإقناع و التأثير، فيجذب النفس إلى الإنابة بالتذكير لها ترغيبا و تهيبا، و ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه و سلّم من حديث عبد الله بن عمر قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأناه النبي "ص" يعوذه مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه وجدّه في غاشية أهله، فقال صلى الله عليه و سلّم: "قد قضى"، فقالوا: "لا يا رسول الله"، فبكى النبي "ص" فلما رأى القوم بكاء النبي "ص" بكوا، فقال صلى الله عليه و سلّم: "ألا تسمعون، إنّ الله لا يعذب بدمع العين و لا بحزن القلب، و لكن يعذب بهذا، و أشار إلى لسانه، أو يرحم، و إنّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه..."².

لقد أنجز هذا الحديث أفعالا إنجازية كثيرة منها: "التنبيه، الإخبار، و التقرير،" تجلّى ذلك في حديث النبي صلى الله عليه و سلّم حين ألقى الخبر ممزوجا بنوع من الترغيب تارة و بالترغيب تارة أخرى، مؤكّدا بأدوات التوكيد، "إنّ الله لا يعذب بدمع العين و لا بحزن القلب، إنّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه"، و بالإضافة إلى الأفعال الإنجازية

¹-العسقلاني ابن حجر، فتح الباري: ج03، ص:200/201.

²-صحيح البخاري: حديث رقم 1242، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، ج01، ص: 439.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

السالفة تجلّى فعل إنجازي آخر غير مباشر يتمثل في "التحذير عند إطلاق العنان للسان، لا سيما و هو سبب التعذيب، خاصة و أنّ رسول الله "ص" أورده في صورة جوابٍ لشرطٍ لأداة شرط محذوفة مع فعلها، و كأنّ التقدير: "يعذب بهذا أو يرحم إن قال سوءاً".

و لم يكن هذا ليحصل من وراء هذا الإخبار إلاّ من خلال معرفة الرسول "ص" أنّ للقلوب أقفالاً، و للأقفال مفاتيح، كما أنّ للقلوب أبواباً، و لكلّ منها مفتاح، فكان يرفق بالمرضى، ويعظ من حضره، مُلمّحاً إلى أجر هامٍ هو كفّ اللسان عمّا يُجرم قوله، بأسلوب و عظمي تندفق منه ينابيع الحكمة، وتلين له القلوب و تتأثر به، ليبقى الغرض الإنجازي لهذه الأفعال كلّها هو "الحثّ و الترغيب" فيما يرسمه الرسول "ص" من مبادئ في معاملاته من جهة ، و الترهيب من أمورٍ تختلف في درجة قوّتها الإنجازية، و تزداد القوّة كلّما زاد التأكيد بأدوات التوكيد من جهة أخرى.

ج. الخبر الإنكاري:

فيه يقول "السكاكي": "و إذ ألّفها إلى حاكم فيها بخلاف ليردّه إلى حكم نفسه، استوجب حكمه لترجح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، كنحو: "إني صادق لمن ينكر صدقك إنكاراً، و "إني لصادق لمن يبالغ في إنكار صدقك، و "و الله إني لصادق"... و يسمّى هذا النوع من الخبر إنكارياً...¹، بمعنى أنّه إذا كان المخاطب عالماً بالخبر، و لكنّه ينكره، فيجب إلقاء الخبر بمؤكّدين أو أكثر، تبعاً لدرجة الإنكار قوّة و ضعفاً، لذلك يخاطب بمثل هذا النوع من الخبر من غلب عليه التكذيب، أو من يبدو عليه علامات الإنكار فيؤكّد وجوباً بأدوات التوكيد بحسب المقام.

إنّ الحديث عنّ الإنكار "يحتّم الوقوف عند موقف رسول الله "ص" من قومه تجاه دعوته إلى ربّه، منها موقف المشركين في بداية الدعوة، حين خرج الرسول "ص" حتى صعد الصفا فهتف: "يا صَبَاحَاه"، فقالوا: "من هذا الذي يهتف؟" قالوا "محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: "يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي فُلانٍ، يا بَنِي عبد مناف، يا بني عبد المُطَلِّب... فاجتمعوا إليه، فقال: "أراءيتُكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكثتم مُصدّقِي؟، قالوا: ما جرّنا عليك كذباً، قال: "فإني نذيرٌ لكم بينَ يديّ عذابٍ شديدٍ"²، فحقيقة الموقف تتطلّب وجوب التأكيد لصحة ما جاء به الرسول "ص" ، لذلك أكّد الرسول الخبر للمشركين، لأنّهم ممن يُتوقع

¹ - السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 259، 258.

² - صحيح البخاري: حديث رقم 4492، كتاب التفسير، باب و أنذر عشيرتك، الأقربين، ج 04، ص: 1787.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

منهم التكذيب و الإنكار، بل هو ما تقرر عنده "ص" بخبر من الله تعالى في حديث "ورقة بن نوفل" في بداية نزول الوحي، ولقد اكتفى الرسول "ص" بأداة واحدة للتأكيد "إِنِّي"، لكونه قد قدّم في الكلام ما يُقرّر صدقه عندهم.

ليتحلى الخطاب "الإنكاري" مع الكفار قوله صلى الله عليه و سلم لليهود: "يا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيَلَكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقِّ، فَأَسْلِمُوا... قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارًا".¹، ليعكس هذا الحديث مُبالغة الرسول "ص" في تأكيد علمهم برسالته، لأنهم قومٌ بُهتَ و أهلٌ كذب و تكذيب، لذلك كانوا يقولون في كلِّ مرّة: ما نعلمه (تنمة الحديث).

هذا الحديث نموذج من نماذج "الإنكار" يعكس صورة اليهود في تعاملهم مع الرسالة المحمديّة، فأنكروا ذلك رغم علمهم بما جاء به من الحقّ، فأكدّ الخبر عن طريق "القَوِّ سَمَ فو الله"، و "إِنَّ" و "اللام المزحلقة"، "إنكم لتعلمون"، و الأداة "إِنَّ"، "إِنِّي جئتكم"، و التكرار: قاله ثلاث مرّات، فجاء الحديث مؤكّدا بعدة مؤكّدات لأنّ الأخبار تختلف في درجة قوّتها و شدّتها الإنجازية بحسب أحوال المخاطب.

ليُحمل الخطاب النبوي إلى اليهود محمل فعل إنجازه غير مباشر حسب طبيعة المخاطب و المقام، بسبب ما تولّد من دلالات أخرى مناسبة للموقف بمعونة القرائن، فتحوّلت من صورة دلالية خبرية إلى صورة دلالية خبرية أخرى، أو قلّ إلى فعل كلامي آخر، من إخبار إلى توجيه، "كأن يتحول الخبر إلى الأمر"، كما يُعبّر عن ذلك "الزركشي": "إنما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقا لثبوته، وإنه مما ينبغي أن يكون واقعا و لا بد"²، مما يُجتم و جوب الإيمان برسالة الرسول "ص" و أنّ ما جاء به هو الحقّ، و هو القوّة الإنجازية الحرفية من وراء الخطاب النبوي، مما يُجتم غرضا إنجازه ممتّلا في الحثّ و الترغيب في الإيمان بتصديق ما جاء به الرسول - صلى الله عليه و سلم - و برسالته.

**حين أنكر الناس إمارة "أسامة بن زيد" رضي الله عنه على البعث الذي بعثه رسول الله "ص"، و طعنوا فيه كما طعنوا من قبل في إمارة أبيه، أكدّ الرسول "ص" فضله و استحقيقه للإمارة، كما كان أبوه كذلك، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: "بعث النبي "ص" بعثنا، و أمّر عليه" أسامة بن زيد"، فطعن بعض النّاس في إمارة، فقال النبي "ص" "إِنَّ تَطَعْنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُونُ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَ أَيُّمَ اللَّهِ أَنَّهُ

¹ - صحيح البخاري: حديث رقم: 3966، كتاب فضائل الصحابة، ج 03، ص: 1424.

² - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 218.

كَانَ حَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَ إِنَّهُ كَانَ لَمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ، وَ إِنَّ هَذَا لَمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ بَعْدَهُ...¹.

نص الحديث يشير إلى إمارة زيد بن حارثة في غزوة مؤتة من جهة، و مكانته عند رسول الله "ص" من جهة أخرى، كون رسول الله "ص" ما بعث "زيد بن حارثة" في جيش قط إلا أمره عليهم رغم صغره، ورغم كونه مولى... و لأن الجيش الذي كان عليه "أسامة" فيه أبو بكر و عمر!!!، و الصنيع نفسه مع الحب بن الحب. حين بدت معالم الإنكار "من قبل الصحابة على صنيع رسول الله "ص" خطب على المنبر: "قد بلغني أنكم قلتم في أمارته- يريد أسامة... نص الحديث-، عمل بعدها التأكيد القوي للأخبار "الخبر" حين استعمل "القسم" و "أيم الله"، "إن، لام الابتداء" على سبيل الخبر الإنكاري، لكون المخاطبين يطعنون في إمارة أسامة وهذا الطعن فيه تحقير له و تصغير لشأنه، و سيقع في نفس أسامة بسبب ذلك ما سيقع، فأراد رسول الله أن يرد عليهم إنكارهم و طعنهم، و بذلك يقر فضلهم في أنفسهم و في نفس أسامة، و هو الغرض الإنجازي المتوخى من وراء الحديث.

لينجز الحديث فعلا إنجازيا مباشرا و هو "الإخبار مع التقرير"، و فعلين إنجازيين غير مباشرين، أولهما: "سلي" يتضمن الذم و التشنيع لأفعال بعض الصحابة تجاه إمارة أسامة رضي الله عنه، و الآخر "إيجابي" يتضمن المدح و الثناء و المحبة التي يُكِنُّهَا رسول الله "ص" لزيد بن حارثة" رضي الله عنه فهو المحبوب عنده، لذلك أقر الصحابة باحترامه و محبته لأنه من صالحهم..."، كما جاء في أطراف الحديث الأخرى.

و لما كان الموقف موقف إخبار و إنكار، و الأخبار تختلف في درجة قوتها و شدتها الإنجازية بحسب أحوال المخاطب أكد رسول الله صلى الله عليه و سلم مراده بأدوات الإنكار من جهة مشيرا إلى عدم الرضا على هذا الصنيع بعبارة "تطعنون"، الواقع في جواب الشرط، بصيغة المضارع الدال على التجديد، و العاكس لموقف الصحابة من إمارة الوالد و ابنه، (لأن الطعن من طعن بالفتح: في العرض و النسب، و بالضم: بالرمح و اليد)، فكان الرد قويا مؤكداً داحضاً مؤزعا بين الترهيب و الترغيب، بـغية توصيل ما أرادته إلى النفوس بواسطة "القسم، إن، اللام المزحلقة، لام الابتداء...".²

* قد يأتي الخبر مؤكداً سعيا لمراعاة حال المخاطب، لا لقصد إفادته أو إخباره "فعل إنجازي مباشر"، و إنما لأغراض لا ينظر فيها إلى كون المقام مقام إنكار أو تساؤل أو تردد فيؤكد الخبر، و إنما يأتي التأكيد لترسيخ الخبر و تمكينه في نفس المخاطب ترغيبا أو ترهيبا، أو تسلية و تطييبا أو إشعارا بالاهتمام و غيرها، و هو ما

¹ - صحيح البخاري، حديث رقم: 3524، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أسامة بن زيد بن حارثة، ج 03، ص: 1365

² - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري: ج 07، ص: 101.

يُعرف في العرف التداولي "بالأفعال الإنجازية غير المباشرة".

*انعكس فعل التسلية و تطيب النفس "كفعل إنجازي غير مباشر" في حديث " أم حارثة بن سُرَاقَة رضي الله عنه، لما جاءت حين استشهد ابنها حارثة في غزوة بدر إلى النبي "ص" عن أنس بن مالك: "أَنَّ أُمَّ الرِّبِيعِ بِنْتَ البراءِ، وَ هِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بِنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ "ص"، فَقَالَتْ: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَ كَانَ قَدْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَ إِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ "ص": "يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَ إِنَّهَا لَفِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، وَ إِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى...".¹

يرسم الحديث موقفا صعبا "لأم حارثة"، جاءت مستفسرة عن مصير ولدها بعد موته في معركة بدر..... فرأى النبي "ص" ما بها، و ما هي عليه من عظم المصاب لولدها لعظم منزلة الابن عند أمه،... فكان الجواب بتقرير ماله في الآخرة. فلم يكتب "بأنه في الجنة"، بل أكد ذلك بمؤكدات "إِنَّ+وَاللَّامِ"، و لعل الهدف و الغرض من مراد ذلك كله قصد النبي "ص" إلى الاطمئنان و التسلية عن فقد الابن، و هو الفعل الإنجازي غير المباشر من وراء إلقاء الخبر".

و من مواطن التأكيد بالأسلوب الخبري في مقام الثناء على العمل الصالح العظيم بدافع الإعجاب من رسول الله "ص" من جهة، و إشعار المخاطب بحسن صنيعه من جهة أخرى، قصة "طلحة"، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: "كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَحْلِ، وَ كَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ "بَيْرُحَاءَ" وَ كَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَدْخُلُهَا وَ يَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ: "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ" آل عمران: 92، قام أبو طلحة إلى رسول الله "ص" فقال: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: (الآية)... وَ إِنْ أَحَبَّ إِلَيَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ "بَيْرُحَاءَ" وَ إِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بَرَّهَا وَ ذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَأَيْتَ اللَّهُ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ "ص": "بِخٍ بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ... وَ قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَ إِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ".²

إن ما فعله أبو طلحة رضي الله عنه من تصدقه بأحب أمواله معروف عظيم يستوجب الثناء و الشكر وإظهار الإعجاب به، و هو الفعل الإنجازي غير المباشر الذي ارتآه الرسول "ص"، حيث عبّر عن ذلك: "ذلك مال رابع"، مُستعمِلاً تأكيد الخبر عن طريق: "التكرار" لما فيه من إشارة للبعيد و تحصيل الجزاء و الثواب، ثم "بخٍ بخٍ"

¹ - صحيح البخاري: حديث رقم: 2654، كتاب الجهاد، باب من أتاها سهم فقتله، ج 03، ص: 1034.
² - صحيح البخاري: حديث رقم: 1392، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ج 02، ص: 531، 530.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

كثيرا ما استعملها العرب عند تفخيم الأمر و تعظيمه و تمدحه و تفضيله و الإعجاب و الرضا به¹. مُعَبَّرًا عن ذلك كَلَّمَهُ بِجُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ تَحْمِلُ مَعْنَى ثُبُوتِ الْأَمْرِ وَ دَوَامِهِ، وَبصيغة صرفية "رابح" اسم فاعل من فعل لازم أقرب ما تكون صفة مُشَبَّهَةٌ لتعطي مزيدا من الدلالة على ثبوت الريح و دوامه ، و هذا من الجزاء العظيم لأبي طلحة رضي الله مقابل معروفه العظيم.

ليأتي غرض إنجازي غير مباشر آخر في موطن إشعار المخاطب بالاهتمام، و من ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّهُ رَأَى امْرَأَةً مِّنَ الْأَنْصَارِ أَتَتْ النَّبِيَّ "ص" مَعَ أَوْلَادٍ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ "ص" وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لِأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ². وَ عَنِ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَى النَّبِيَّ "ص" النِّسَاءَ وَ الصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ، قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ عُرْسٍ، فَقَامَ النَّبِيُّ "ص" مَمْتَنًا أَوْ قَالَ مُمْتَثِلًا فَقَالَ: "اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ" قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ³.

أورد البخاري هذا الحديث في باب ذُكِرَ فضائل الأنصار و محبة الرسول "ص" لهم و لأبنائهم، ليعكس هذا الحديث اهتمام النبي "ص" بهم و محبته لهم و لأولادهم، لا سيما و هو الذي له فضلهم و نُصِرْتُمْ، لتأتي هذه المحبة و الاهتمام مؤكدة "بالقسم" أولا: والذي نفسي بيده... ثم: أن، اللام المزحلقة، إنكم، لأحب... إضافة إلى دور التكرار و أهمية التأكيد للمراد "قَالَهَا ثَلَاثَ" كما لا يُمكن إهمال ما للموقف و السياق من دور في تأكيد هذه القوة الإنجازية، من إقبال الرسول "ص" على من يحب مُسرعا، فرحًا بهم، قيامه إليهم، مظاهر البشاشة على وجهه... كلُّها مؤكدة تخدم السياق الذي أورد فيه رسول الله "ص" قوته الإنجازية الكامنة من وراء إلقاء هذا الخير المفعم بالمحبة و الاحترام للأنصار و أبناء الأنصار.

*² إنَّ ما أورد في هذا الباب "الإخباريات" والذي كان مقتصرًا على الأساليب الخبرية فقط، دون الإنشائية، يوحى بما يلي:

- الغرض الإنجازي العام: هو "الإخبار"، لذلك كثيرا ما تكون المطابقة في أفعال هذا الصنف من الكلمات إلى العالم، فيأتي الخبر ناقلا للواقعة معبرًا عنها واصفا إياها وصفا و نقلا أمينًا.

- كان التعبير عن الإخباريات في الأمثلة المقدمة بجمل خبرية تراوحت بين الاسمية و الفعلية، ماضية، مضارعة، مثبتة، منفية، أو مؤكدة، سيقت كلها لإفادة السامع و تأكيدها لما يُريده المتكلم في ذهن مخاطبه.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة: بخ.

² - صحيح البخاري حديث رقم "3575"، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي للأنصار، ج3، ص: 1379.

³ - صحيح البخاري، حديث رقم 3574. كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي للأنصار، ج3، ص: 1379.

-تختلف الإخباريات في درجة قوّتها الإنجازية بحسب أدوات التوكيد التي استعملها الرسول "ص" لذلك جاءت متراوحة بين:الطلبي و الإنكاري، وقبلها كان الابتدائي.

-الأنماط الخبرية "الإخباريات" إذا امتنع إجراؤها على أصل استعمالها تولّدت منها دلالات، و خرجت إلى عدّة معان غير مباشرة" كالثناء، المدح، التحقير، الترغيب، الوعد، الوعيد... " و هي أفعال إنجازية غير مباشرة.

-تنحصر القوى الإنجازية المباشرة للإخباريات في : الوصف، الإخبار، التقرير، بينما القوى الإنجازية المستلزمة فكانت : "المدح، الثناء، الترغيب، الترهيب...".

02. الطلبات "التوجيهيات" " directives":

كما تمّت الإشارة إليه من قبل، أنّ الطلبيات:الغرض منها حمل المخاطب على أداء عملٍ معيّن، فهي تضمّ كلّ الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغضّ النظر عن صيغتها ليمثّل غرضها الإنجازي في التأثير في المتكلم ليفعل شيئاً أو ينجز شيئاً....¹

إنّ الغرض الإنجازي لهذه الأفعال يتمثّل في محاولة المتكلم التأثير على المتلقي ليفعل شيئاً ما، و يقوم بأداء عمل من الأعمال، و المسؤول عن إحداث المطابقة بين العالم و القول هو المتلقي(المخاطب)، و الشرط لنجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب كما يُعبّر عن ذلك "سيرل".

يضمّ هذا المجال في الحديث النبوي مجموعة كبيرة من الأفعال الإنجازية (و هي لبّ الدراسة) و التي تتدرج في قوّتها الإنجازية باختلاف السلطة بين المتكلم و المخاطب لتُنجز من خلال منطوقات إنجازية مباشرة، أو من خلال منطوقات إنجازية غير مباشرة، بناء على سياقات و مقامات مختلفة، و بذلك تتعدد الدلالات و الإنجازات للمنطوق الواحد بحسب السياق الذي يستعمل فيه المنطوق، والذي يحدد دلاليها لا بالمدلول الموضوع له، و إنما بقصد المتكلم و المقام، و يدخل في هذا الباب كلّ الجمل الطلبية سواء كانت: " استفهاما، أم نهما، أم أمرا، أم نداء، أم عرضا، أم تحضيضا،...".

و قبل أن نقف عند هذه الأساليب في الحديث النبوي محدّدين الفعل الكلامي المباشر(الغرض الإنجازي المباشر و غير المباشر)حري أن نُوضّح مدلول:

أ-الحمولة الإنجازية: يقصد بها ما يواكب عبارة لغوية ما من قوى إنجازية. باعتبار الطبقات المقامية التي يمكن أن ترد فيها هذه العبارة.

¹ - صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص:233.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

ب- قوة إنجازية حرفية / قوة إنجازية مستلزمة: لتأمل الجملتين التاليتين : ج1 : "من في هذا البيت" ؟، ج2:

هل تصاحبني إلى المسرح" ؟. فعند قراءة الجملتين تداوليا نجد أن "ج1" واردة في مقام تحمل فيه كقوة إنجازية

مجرد سؤال، في حين أن الجملة "ج2" مقصود بها استدراج المخاطب إلى مصاحبة المتكلم إلى المسرح لذلك:

- تنحصر حمولة الجملة الأولى الإنجازية في مجرد قوتها الإنجازية الحرفية "السؤال" "الاستفهام"، في حين أن الجملة

الثانية "ج2" تحمل إضافة إلى السؤال قوة إنجازية مستلزمة مقاميا يمكن اعتبارها التماسا..".

- فيما يتعلق بالتمييز بين القوتين الإنجازيتين الحرفية و المستلزمة مقاميا يمكن إيراد الفرقين الأساسيين التاليين:

أ. تظلّ القوّة الإنجازية ملازمة للعبارة اللغوية في مختلف المقامات التي يمكن أن ترد فيها، أما القوّة الإنجازية

المستلزمة فهي مربوطة مقاميا لا يتم تولدها إلاّ في طبقات مقامية معيّنة، مثال ذلك أن الجملة "ج2" يمكن أن

تدلّ في جميع المقامات على السؤال، إلاّ أنّها لا ترد حاملة الالتماس إلاّ بمقتضى شروط مقامية.

ب. تأخذ القوة المستلزمة نتيجة لخاصية "أ" وضعا ثانويا بالنظر إلى القوة الحرفية من خلال حالتين اثنتين.

*يمكن أن تُلغى إلغاء تاما، كما هو شأن القوّة "الالتماس" بالنسبة للجملة "ج2"، التي يمكن أن تؤول على

أساس أنّها دالة على السؤال المحض، إذا وردت مقصودا بها مجرد الاستفسار عن إمكان مصاحبة المخاطب

المتكلم للمسرح.

*لا نتوصل إلى القوة المستلزمة إلاّ عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث الطول و التعقيد، في حين أنّ

القوة الحرفية تؤخذ مباشرة من صيغة العبارة ذاتها، مثال ذلك أنّ القوة الإنجازية "السؤال" في الجملة (2) دون

واسطة من خلال الوسائط الصورية "البنية السطحية": "أداة استفهام هل+تنغيم؟" بيد أنّ القوة المستلزمة

"الالتماس" تستوجب من المخاطب القيام بسلسلة من الاستدلالات كي يستنتج أنّها من مقصود المتكلم".

يعرف "أحمد المتوكل" القوة الإنجازية بقوله: "و يقصد بالقوّة الإنجازية الحرفية القوّة الإنجازية المعبر عنها في الجملة

بالتنغيم أو بأداة الاستفهام أو بصيغة الفعل، أو بفعل من زمرة الأفعال الإنجازية "سأل، قال، وعد...".¹

في حين عرّف القوّة الإنجازية المستلزمة قائلا: "و يقصد بالقوّة الإنجازية المستلزمة: القوّة الإنجازية التي تستلزمها الجملة

في طبقات مقامية معينة." و نوضّح ما سبق ذكره بالمثال التالي:² "هل إلى خروج من سبيل" "المعنى الصريح لهذه

الجملة مُشكّل من "محتواها القضوي" و "قوتها الإنجازية"، فالمتوى القضوي ناتج عن ضمّ معاني مكوناتها و هي

الرجوع إلى الحياة الدنيا مرّة أخرى بعد الموت، في حين كانت قوتها الإنجازية الحرفية، و المؤشر

¹ - المتوكل أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص: 106

² - صحراوي مسعود،: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية، ص: 35.

لها بالأداة "هل: هي الاستفهام، و يكون بذلك:

. المعنى الصريح: المحتوى القضوي للجملة + القوة الإنجازية الحرفية.

. أما المعنى الضمني : لهذه الجملة، فيتألف من معنيين جزئيين هما:

المعنى العُرفي : و هو الاقتضاء: أي اقتضاء حالهم "الرجوع إلى الحياة الدنيا".

معنى حوارى استلزامي: هي تمّي المتكلمين من المخاطب (الله) في هذا المقام أن يردهم إلى الحياة الدنيا.

ليبقى الحديث عن دلالات القوة الإنجازية لا يخرج عن نطاق تداولية أفعال الكلام، فقوة المنطوق الإنجازية تعدّ جزءاً من بنيته الدلالية، و قد تمّ تحديد القوّة الإنجازية للفعل الإنجازي على أنّها: "الشدة أو الضعف اللذان يعبّر بهما عن الغرض الإنجازي في موقف اجتماعي مُعيّن، أيًا كان هذا المؤشر أو العلامة الدالة على تلك القوة".¹

لتتجلّى القيمة الإنجازية للحمل عندما يؤدي استعمال فعل لغويّ إلى حصول فعل إنجائيّ معين، و هذا الفعل هو النتيجة البسيطة لدلالة هذه التعبيرات اللغوية دلالة طبيعية... كالجمل الاستفهامية التي تُعدّ جملاً إنجازية سواء كان مُصرّحاً بفعلها الإنجازي، أو لم يصرّح به، فالصيغة اللغوية لها قيمة إنجازية إذا كان استعمالها يؤدي إلى إنجاز فعل السؤال، أو لأنّها تملك "قوة تداولية" pragmatic force " خاصة بها، على حدّ تعبير "ديكرو".

ف"القوة الإنجازية هي القيمة التي تعطي للأقوال عند الاستعمال، مراداً بها فعل من الأفعال، إنّها نوع الفعل الكلامي الذي ينجزه المتكلم عند التلفظ به في ظروف معينة".

"إن تعدّد الدلالات الإنجازية للمنطوق الواحد حسب السياق الذي يراد فيه يجعل من الأفعال التوجيهية أو الطلبية تتعدّد في هذا الباب لتشمل:

أولاً. أسلوب الاستفهام:

إنّ اعتماد الأساليب الإنشائية الطلبية من أهمّ الخصائص التداولية البارزة في الحديث النبوي الشريف لأنّها تمنح حرية و جمالا واسعا للتعبير و الإقناع و التأثير، و أيضا لأنّها تشغل حيزا كبيرا في نظرية الأفعال الكلامية التي تمثّل الجانب المادي في النظرية التداولية.

و لأنّ من أبرز ما يُوطّر العملية التواصلية هو إنجاز فعل ما، فالمتكلم إذ يتفوه بملفوظ تراه ينجز فعلا تتحدد طبيعته من خلال السياق الذي ورد فيه، كما يرتبط الفعل الإنجازي بمقاصد المتكلم، وهذه المقاصد لها دور

¹ - الصراف علي محمود، في البرهامية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية و معجم سياقي، ص: 267.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

مركزي في نظرية الفعل الكلامي، لأنه يكفي الفعل الكلامي لوحده، بل لا بُدَّ من توفر الفرق اللغوي أيضا.¹ لذلك يرى "فان ديك" أنّ أفعال الكلام غرض رئيسي للتداولية، و في حال تكلمنا فإننا نُنجز شيئا ما، كما يرى بأنّ الأمر أكبر من مجرد التكلم، إذ أنّ استعمال اللغة ليس إنجاز فعل مخصص فقط، و إنّما هو جزء كامل من التفاعل الاجتماعي.²

يعدّ "الاستفهام" أحد الأساليب الإنشائية التي تدخل في باب علم المعاني، و هذا الأسلوب يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ سياقية مختلفة، كما يجعل ثراءه الدلالي واضحا، و بذلك يتم فهم دلالاته على عدة اعتبارات تدخل جميعها تحت مصطلح السياق، سواء كان لغويا أو مقاميا، أو حتى لفظيا، من حيث البناء اللغوي بمستوياته الصوتية و الصرفية و التركيبية، لا سيما طريقة نطق الجمل، و ظواهر التطرير الصوتي، المصاحبة لهذا النطق، و منها النبر، التنغيم، الفواصل الصوتية...³.

أضف إلى ذلك دور السياق المقامي، لا سيما ما يمكن أن نسميه، "مكانة المرسل" أو "صاحب النص"، "مكانة المتلقي"، أو من يوجه إليهم النص أو الكلام، "مكانة النص نفسه"، و كذا الظروف المحيطة بأسلوب الاستفهام والتي تتصل بالأسلوب و تساعد على فهمه، و بذلك تقارب هذا الأسلوب تداوليا من خلال:

- معرفة طريقة النظم أو الصياغة التي صيغ بها أسلوب الاستفهام.
- الإمام الشامل بالسياق الكلّي للاستفهام: أي سياق الحديث و علاقة الرسول "ص" بالمسؤول، و طريقة نطقه "ص" للاستفهام، الظروف و الملابسات التي أُلقي فيها أسلوب الاستفهام.
- الوقوف على مكانة "النص" باعتباره نصّا مقدّسا بعد القرآن الكريم ، و باعتباره المصدر الثاني للتشريع الإسلامي...، فكيف كان الاستفهام النبوي؟ كيف وُظّف الاستفهام لتأدية ما أريد التعبير عنه من معانٍ ودلالات؟ وما الأغراض المتوخاة من وراء الاستفهام؟.
- ما القوى الإنجازية المختلفة في أسلوب الاستفهام.؟ و ما المواطن التي كان فيها الاستفهام مباشرا، و ما المواطن التي خرج فيها الاستفهام إلى قوّة إنجازية مستلزمة مقاميا؟...

¹ - نخلة أحمد محمود، آفاق البحث اللغوي المعاصر، ص: 54

² - فان ديك، النص و السياق، ص: 277.

³ - حبلص محمد يوسف، البحث الدلالي عند الأصوليين، عالم الكتب، القاهرة، ط1991، ص: 01، ص: 31 .

1. الفعل الكلامي المباشر: "الاستفهام الحقيقي":

وردت في بعض أحاديث الرسول "ص" أحاديث كان فيها الاستفهام حقيقيا، و هو الاستفهام الذي يقصد به طلب معرفة أمر تجهله، كما عبر عن ذلك (ابن فارس): "إن الاستفهام نوعان: الأول قائم على الأصل اللغوي، و هو الاستفهام الحقيقي و الذي يكون ظاهره موافقا لباطنه، كسؤالنا عما لا نعلمه، فنقول: ما عندك؟ و من رأيت؟، و الثاني الاستفهام المجازي، و أشار إلى خروجه عن الأصل اللغوي إلى معانٍ مجازيةٍ، و هذه المعاني كثيرة أطل في استقصائها حتى أوصلها إلى خمسة عشر معنى".¹

و من أمثلة الاستفهام الحقيقي عن أبي حمزة قال: كنت أقعد مع ابن عباس: يُجلسني على سريره، فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي، فأقمت معه شهرين، ثم قال: إنَّ وفد عبد القيس لما أتوا النبي "ص" قال: "مَنْ الْقَوْمُ؟ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ؟" قالوا: ربيعة، قال: مَرَحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَ لَا نَدَامَى".²

الحديث أورده البخاري في باب تعليم الوفد القادم من حي ربيعة يسألون رسول الله "ص" عن أمور دينهم و دنياهم، تضمّن لهم دخول الجنة و يجيرون أقوامهم إذا رجعوا إليهم. ليظهر:

– الفعل الكلامي: "مَنِ الْوَفْدُ؟" "مَنِ الْقَوْمُ؟"، و يتجسّد في فعل السؤال الذي نستدل عليه بحرف الاستفهام "من".

**الفعل الدلالي: المتكون من القضية التي جاء من أجلها الوفد لمساء لة "ص" جعله يستفهم لعدم علمه بهم.

**الفعل الإنجازي: يتمثل في جملة الاستفهام، "من الوفد؟" و التي تتكون حمولتها الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام (السؤال) بوجود الأداة "من" + (التنغيم). +؟.

. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في الاستفسار، لأنّ الرسول "ص" يجهل حقيقة الوفد، و بذلك يستفسر عنه و لعلّ

الاستفسار هو الذي كان سببًا في شرح مراد أسئلة الوفد فيما بعد (يراجع تنمة الحديث)، و الذي وضّح من

خلاله الرسول "ص" ما يجب القيام به، و ما يجب تركه، ليظهر فعل إنجازي آخر في قول الرسول "ص": "أتدرون

ما الإيمان بالله وحده؟" قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: "شهادة أن لا إله إلا الله و أنّ محمدا رسول الله، و إقامة الصلاة

و إيتاء الزكاة و أنّ تُعطوا من المعنم الخمس". (تنمة الحديث).

إنّ جهل الوفد بالأمر الفصل الذي يدخل الجنة، و يخبرون به القوم من ورائهم جعلهم يُسألون الرسول "ص"

1 – ابن فارس، الصاحي في فقه اللغة، ص: 289.

2 – صحيح البخاري: حديث رقم: 53، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، ج: 01، ص: 29.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

حتى عن طعامهم وشرابهم ، (كما في نصّ الحديث الطويل) طلبا للاستفسار، بدليل "قرينة السياق" الله ورسوله أعلم"، فيكون الفعل الكلامي: "أتدرون ما الإيمان بالله وحده" متكوّن من:

****فعل دلالي:** يتمثل في القضية التي يريد بها رسول الله "ص" من وراء تحديد الأوامر و النواهي التي تحتم دخول اللجنة.

****فعل إنجازي:** يتكون من الجملة الاستفهامية: لوجود الأداة: "الهمزة" + جملة الاستفهام، و التي تتكوّن من: . **قوة إنجازية حرفية:** تتمثل في الاستفهام: "أتدرون؟".

. **قوة إنجازية مستلزمة:** المتمثلة في "الاستفسار" المصاحب بعنصر التشويق الذي رسم من خلاله رسول الله "ص" معالم سؤاله، و حثهم على الاحتفاظ بأوامره و نواهي، و ختم بها حديثه "أحفظوهن، و أخبروا بمن من ورائكم". (تمة الحديث).

فلنحظ من خلال النموذجين تطابق القوة الإنجازية الحرفية المتمثلة في الاستفهام مع القوة الإنجازية المستلزمة "الاستفسار"، لأنّ السياق يقضي التطلع إلى معرفة المجهول و الرغبة فيه، علما أنّ الفعل الإنشائي للنموذج الأول يتكوّن من الجملة الاسمية "مبتدأ و خبر" "من الوفد": خبر مقدم (اسم الاستفهام ، و مبتدأ مؤخر معرفة) أما الثاني فصدر بجملة الاستفهام لا محل لها من الإعراب "أتدرون..." ، بعدها "مضارع" يفيد التجدد، مرفوع بثبوت النون.. و موضوعه (فاعله) واو الجماعة التي يقصد بها رسول الله "ص" القوم الوافدين.

و مما يعكس أبرز ما يميّز أسلوب الاستفهام و هو قدرته العالية على تنبيه النفس و إثارة الذهن و استمالة المخاطب للنظر و التدبر و التأمل، و لعلّ منشأ ذلك أنّ الاستفهام أصلا يصدر عن نفس ثائرة راغبة حريصة في طلب الفهم و المعرفة، فيخرج الاستفهام، ليثير الوجدان و ينبّه الأذهان ، "فهو يُهيئ النفس لتلقي من السياق ما يجيش به من خواطر و مشاعر و صور هي التي جاشت في نفس مُلقّيه...".¹

*أورد الإمام النووي في "رياض الصالحين" في باب: التعاون على البر و التقوى: ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله "ص" لقي ركبًا "بالرّوحاء" "مكان قرب المدينة المنورة" فقال: "من القوم؟" قالوا: "المسلمون، فقالوا: "من أنت؟" قال: "رسول الله". فرفعت إليه امرأةٌ صبيًا فقالت: ألهَ ذا حج؟ قال: "نعم، و لك أجر".²

¹ - محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط2/1408 هـ ، ص:244، بتصرف.

² - النووي أبو زكريا يحيى بن شرف، رياض الصالحين، تح: عبد العزيز رباح ، دار السلام، الرياض، 1991، ص:91.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

الحديث صورة من صور حوار الرسول مع صحابة التقى بهم بالروحاء... صَبَعَهُ جهل كل طرف في الحوار بالآخر، مما جعل الاستفهام كفيلاً لتهيئة النفس و ما يجيش فيها من خواطر طلباً للتطلع و الفهم، فكان سؤال الرسول "ص" من القوم"؟ استفهاماً بغرض الاستفسار، بدليل إجابة القوم "المسلمون"، مما يعكس عدم معرفة النبي "ص" لحقيقة القوم، و عدم العلم بهم، لترسم معالم فعل كلامي آخر في صورة استفهام: "من أنت"، فأجاب الرسول "ص": "رسول الله" لجهل القوم بمعرفة سابقة له، فيحمل الفعل الكلامي تداولياً على وجود:

****فعل دلالي:** يتمثل في القضية المهمة في السؤالين و المتمثلة في جهل كل طرف للآخر، و سعيه إلى معرفته.

****فعل إنجازي:** يتكوّن من الجملة الاستفهامية: "من القوم"، "من أنت؟" بوجود أداة الاستفهام "من للعاقل" و تشكل حملتها الدلالية من:

. **قوة إنجازية حرفية:** الاستفهام. (أداة + جملة الاستفهام +؟)

. **قوة إنجازية مستلزمة:** تتمثل في "الاستفسار"، و هو الغرض المتوخى، لأنّ الاستفهام حقيقي، يعكس جهل المتكلم بما يسأل عنه، أما الفعل الاسنادي لهذا الفعل الكلامي فهو الجملة الاسمية المكونة من الخبر "اسم الاستفهام من"، و المبتدأ "القوم، أنت"، إذ يُحيل الأول إلى الوفد الذي لاقى الرسول "ص" بالروحاء"، و الثاني: إلى رسول الله "ص" المعبر عنه بالضمير المنفصل "أنت"، ليعكس الاستفهام أخيراً تطابق القوة الانجازية الحرفية مع القوى الانجازية المستلزمة في فعل كلامي مباشر هو الاستفهام.

* في كتاب المغازي في غزوة بدر و خيبر، خرج الصحابة رضوان الله عليهم مع النبي "ص" و ساروا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تُسمعنا من هنيئاتك؟ و كان عامر رجلاً شاعراً حدّاء، فنزل يحدو بالقوم ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * و لا تصدّقنا و لا صلينا

فاغفر فداء لك ما اتقينا * و ثبت الأقدام إن لاقينا

فقال الرسول "ص" **مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟** ، **قَالُوا:** "عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ"، قال: **يَرْحَمُهُ اللَّهُ...**¹.

يتجلى الفعل الكلامي في أسلوب الاستفهام: "من هذا السائق؟"، سؤال أو استفهام من عند رسول الله "ص" يسأل من خلاله عن حادي القوم في غزوة خيبر؟ حين استمع إلى "هنيئات" الصحابي، لأنها كانت هذه هي عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير، فينزل بعضهم يسوقها، و يحدو في تلك الحال.² ، فالفعل

الكلامي: "من هذا السائق؟" يتكون من:

¹ - صحيح البخاري: حديث رقم: 3960، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج 04، ص: 1537.

² - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، حديث رقم: 4196، ج 07، ص: 535.

****فعل إسنادي:** في شكل جملة اسمية مصدره بالأداة "من" للعاقل (خبر مقدم) ، و اسم الإشارة مع بدله "موضوع للخبر المقدم (مبتدأ مؤخر)". ليحيل هذا الفعل الكلامي إلى استفسار رسول "ص" عن السائق الذي كان يحدو الإبل و يحثها على السير حين نزلوا ديار "خيبر"، و هي القضية الدلالية لدلول "من السائق"، و التي أراد من خلالها الرسول "ص" الاستفسار عن صاحب الهداء رضي الله عنه ، حتى دعا له بالرحمة و في رواية بالمغفرة "يرحمك الله،" غفر لك رؤك " ، و ما استغفر رسول الله "ص" لإنسان يخصه إلا استشهد¹ ، جعلت رجلا من القوم يُعقَّب : و جبت يا نبيَّ الله (تتمة الحديث).

****فعل إنجازي:** يتكون من الجملة الاستفهامية، من هذا السائق؟ و تشكل حملتها الدلالية من:
. قوّة إنجازية حرفية: الاستفهام الحقيقي. (الأداة+ جملة الاستفهام+؟).

. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في "الاستفسار"، فكان التطابق واضحا بين القوة الانجازية للفعل الكلامي مع معناه الحرفي ، لأن الرسول "ص" يجهل من الحادي"، و قد يكون سبب "الجهل" ما ارتبط بالفعل الكلامي من دلائل للسياق "مشيا ليلا" من جهة ، و اشتغال الرسول "ص" بأعدائه في غزوة خيبر من حصار، و إشعال نار،... و غيرها من جهة أخرى.

2. الفعل الكلامي غير المباشر "الاستفهام المجازي":

يكون الاستفهام حقيقيا مباشرا بشروط مُعدّّة للاستفهام، تتمثل هذه الشروط في أن يكون المستفهم غير عالم بما يسأل عنه طالبا العلم به، و هذا هو المقصود بإجراء الاستفهام على أصله، الذي هو الاستخبار و طلب العلم، فيكون فعلا كلاميا مباشرا ، و هذا في أقلّ الحالات، أما إذا وجدنا الاستفهام في غير مقام الاستخبار و طلب العلم خرج عن غرضه الأصلي إلى أغراضٍ تواصليةٍ فرضتها المقامات التي ورد فيها الاستفهام ، و امتنع فيها إجراء المعنى الأصلي المباشر إلى معنى فرعي غير مباشر، و من أبرز هذه المعاني: "التقرير، النفي، الإنكار، التعجب، التشويق، التحضيض، و غيرها...".

ولعلّ السبب في خروج الاستفهام عن الأصل في أحاديث المصطفى "ص" يرجع إلى أنّ: "الاستفهام أكثر أساليب الكلام تعبيرا عن المعاني في المواقف و المواطن التي يراد بها التأثير في الناس، و تهيج مشاعرهم، و إلهاب أحاسيسهم، و صولا إل استمالتهم إلى صف الإيمان، و حملا على التزام أحكام الله، و ردعا لهم عن الوقوع في

¹ -المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

محارمه، و لذلك كان رسول الله "ص" يستعمل الاستفهام ليكمن في نفوسهم المعاني التي يريد بها من وراء دعوته للناس ، و من المعاني التي يمكن للاستفهام أن يؤديها بصيغ غير مباشرة.

أ . التقرير:

يدخل التقرير في طلب الإقرار بمضمون الكلام و حمل المخاطب على الاعتراف بأمر قد استقر عنده، "حتى لكأنّ مضمون الكلام المراد تقريره أصبح عند المخاطب مستقرًا ثابتًا، فتقرير الإنسان الشيء جعله في قراره، و قرّرتُ عنده الخبرَ حتى استقر، و يقال: أقررت الكلام لفلان إقرارًا، أي بينته حتى عرفه...".¹ ، و أصل مادة "قرر" دائرٌ على دلالة الاستقرار ، فنقول: قرّره و قرّره في مكانه فاستقرّ".² ، و منه أخذ معنى "التقرير"، فهو طلب السائل من المسؤول أن يُقرّ بثبوت أو نفي مضمون الاستفهام، و يعترف به اعترافًا مستقرًا، يشبه استقرار الماء في الأرض، بحيث لا يتأتى للسامع أو المسؤول بَعْدُ الإنكار، لذلك عرفه أهل البلاغة بأنه: "استفهام غايته حمل السامع على الإقرار".³ و الاعتراف بأمر قد استقرّ عنده ثبوته أو نفيه.

و من المواطن التي توخى فيها الرسول "ص" التقرير في بعض استعمالاته لأسلوب الاستفهام: عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله "ص" يوم حنين، قسّم في الناس المؤلفة قلوبهم ، و لم يُعط الأنصار شيئًا، فكأنهم وجدوا (حزنوا) إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: "يا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ يَ، وَ كُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ يَ، وَ كُنْتُمْ عَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ يَ...". كَلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْنٌ.⁴

يعكس الحديث موطنًا من مواطن تعامل الرسول "ص" مع أصحابه من الأنصار في غزوة "حنين" .. بعد تقسيم الغنائم.. لكنّ حزنهم كان باديا إذ لم يُصبهم ما أصاب المؤلفة قلوبهم... فجمعهم الرسول "ص" بعد أن بلغه صنيعهم ، و خطب فيهم ما تمّ ذكره من نص الحديث.

اشتمل الحديث على فعل كلامي: "يا معشر الأنصار": "ألم أجدكم ضلالًا؟"، "كنتم متفرقين.. و عالة فأغناكم الله ي؟ و لأنّ المقام مقام عتاب ولوم على صنيعهم ، إلّا أنّه أراد أن يُقرّرهم بفضل الله عز وجل عليهم بسببه، فاشتمل الفعل الكلامي على:

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة "ق. ر. ر".

² - المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

³ - الزناد الأزهر ، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة ، المركز الثقافي العربي ، ط، 1992، ص: 112.

⁴ - صحيح البخاري ، حديث رقم: 4075 ، كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف، ج 4 ، ص: 1574

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

****فعل دلالي:** مضمونه القضية التي أراد الرسول "ص" تذكير القوم بما إقرارا بفضل الله ورسوله على الأنصار بهذا الفضل في قولهم: "الله ورسوله أمّن".

****فعل إنجازي:** يتمثل في جملة الاستفهام المصدرّة بأسلوب النداء للتنبيه، والتي تتكون حملتها الدلالية من:

. **قوة إنجازية حرفية:** يمثلها الاستفهام: "ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي...".

. **قوة إنجازية مستلزمة:** تتمثل في التقرير، المتوخى من مراد الاستفهام بطريقة غير مباشرة ، حين اختار الرسول "ص" المعاني المستفهم عنها و الترتيب فيما بينها لكونها من أعظم النعم التي حصلت للأنصار ببركة الرسول "ص" عليهم، وفيها يقول "ابن حجر": رتب الرسول "ص" ما من الله عليهم على يده من النعم ترتيبا بالغا، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا "ضلالا، هداكم"، و ثنى بنعمة الألفة، وهي أعظم من نعمة المال "متفرقين = فالفكم"، "عالة = فأغناكم"، لأنّ الأموال تبذل في تحصيلها و قد لا تحصل، و قد كان الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر و التقاطع مما وقع بينهم من حرب بُعَاثٍ و غيرها... فزال ذلك كلّه بالإسلام...".¹ ، و ذلك بهدف واحد هو التقرير، لتجسيد خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر ضمني نفهمه من السياق بدليل سكوت الأنصار من جهة، وردّهم: "الله ورسوله أمّن"، اقرار واعتراف بفضل الرسول "ص" عليهم بفضل الإسلام من جهة أخرى.

* في موقف دعوته "ص" قومه، و في مرحلة: "و أنذر عشيرتكَ الأقرين". خرج رسول الله "ص"، فقام على الصفا، و قال في القوم كما رواه ابن عباس رضي الله عنه: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تَرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صَدَقًا، قَالَ: "فَإِنِّي نَدِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ".²

حديث أورد البخاري في باب تفسير "و أنذر عشيرتكَ الأقرين" يعكس تعامل الرسول "ص" مع قومه في نشر دعوته، فسؤاله "ص" بعد أن قام في الناس خطيبا يُدرك من خلاله يقينا قبل أن يسألهم "أنّه يعلم حاله معهم وحالهم معه، لكنّه أراد أن يُقرّر حقيقة صدقه عندهم" حين أراد أن يجهر بدعوته التي تخالف ما هم عليه من الشرك و الكفر، و هذه هي حقيقة الفعل الكلامي: "أكنتم مصدقي؟"، و ما تحمله من فحوى و مضمون حديث الرسول "ص" إلى قومه، ليحمل هذا الفعل الكلامي فعلا إنجازيا يتمثل في جملة الاستفهام "أكنتم مُصَدِّقِي"؟ المصدرّة بالهمزة التي يراد بها التصور و التصديق، و الذي تتكوّن حملته الدلالية من:

¹ -العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج08، ص:60.

² -صحيح البخاري: حديث رقم: 4492، كتاب التفسير، باب و انذر عشيرتكَ الأقرين. ج04 ، ص: 1878.

. قوة إنجازية حرفية: استفهام: "أ+ كنتم مُصدّقِي+؟".

. قوة إنجازية مستلزمة: و المتمثلة في التقرير، و هو الهدف الذي أرادته الرسول "ص" من إقراره و تثبيته أمام قومه حين جمعهم، لأنّه لا يستفهم عن شيء مجهول، بل اتّخذ التقرير مَطِيَّةً من وراء الاستفهام لتكون مدخلا إلى دعوتهم و إنذارهم مؤكّدا ذلك: "إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" قال "ابن حجر": أراد بذلك تقريرهم بأنّهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب".¹، ليظهر مرة أخرى خروج الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى المعنى الضمني، مما يعكس عدم التطابق بين القوة الإنجازية الحرفية ، و القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا.

ب . النفي:

إنّ مدلول كلمة "النفي" في معاجم اللغة تدور كثيرا حول الطرد و الإبعاد، فتقول العرب: نفيت الرجل وغيره أنفيه نفيا : إذا طردته... و نفي الشيء نفيا: جَحَدَهُ، و في الحديث : المدينة كالكبير تنفي حبثها.. "أي تُخْرِجُهُ عنها".² ليأتي هذا المعنى اللغوي للنفي وارداً كذلك في أسلوب الاستفهام، لأنّ المستفهم الذي يقصد من وراء استفهامه النفي يطلب من المسؤول أن يستبعد نقيض النفي و هو الإثبات، بل عليه أن يُقَرَّ بالسلب، أي سلب مضمون الحكم الذي تضمنه الاستفهام ، و شرط دلالة الاستفهام على النفي أن يصح حلول أداة النفي محل أداة الاستفهام.³

فكثيرا ما يخرج الاستفهام إلى النفي في الكلام النبوي لأنّ أسلوب الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى تكبير، و لما كان المسؤول يجيب بعد تفكير و روية من هذه المسألة بالنفي كان في توجيه السؤال إليه حملا له على الإقرار بهذا النفي، و هو أفضل من النفي ابتداء..."⁴، و من مواطن هذا الغرض الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله "ص" يقول: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ حَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟" ، قالوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا".⁵

¹ -العسقلاني ابن حجر: .فتح الباري، ج08، ص:588.

² -ابن منظور، لسان العرب، مادة "نفي"،

³ -عرفة عبد العزيز عبد المعطي ، من بلاغة النظم العربي، عالم الكتب، بيروت، ط1984، ص:124

⁴ -لاشين عبد الفتاح ، المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، مصر، ط1976، ص: 01، ص: 159.

⁵ -صحيح البخاري: حديث رقم:505، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة ، ج01، ص:198،

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

نموذج من نماذج الاستفهام أورده البخاري في باب الصلوات الخمس كفارة، فيه بيان أنّ المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه و ثيابه و يطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهّر العديد من أقذار الذنوب حتى لا تُبقى له ذنباً إلا أسقطته، و هذا مضمون **الفعل الدلالي** لهذا الفعل الكلامي.

ليحمل هذا الفعل الكلامي **فعلاً إنجازياً** يتمثل في جملة الاستفهام: "هل يبقى من درنه شيء؟"، مُصدّرٌ بحرف الاستفهام "هل" الداخلة على الفعل المضارع القابل للتجديد، و الدال على المبالغة في نفي الذنوب، لأنّ جواب الصحابة لم يقتصر في الجواب على "لا"، بل أعاد اللفظة تأكيداً بجواب منفيّ يبيّن حقيقة الفعل الاسنادي".، لتتكوّن حموله الفعل الكلامي الدلالية من:

. **قوة إنجازية حرفية:** "استفهام" هل + يبقى من درنه شيء + "؟".

. **قوة إنجازية مستلزمة:** وهي النفي، قال "ابن حجر": هو استفهامٌ تقريرٍ متعلّق بالاستخبار، أي أخبروني هل يبقى..؟¹، و كان القصد من الاستفهام هو "التقرير" و إنّما أثر الرسول "ص" التعبير عنه بأسلوب الاستفهام حتّى لهم على التفكير و التدبر في أثر الوضوء و الصلوات الخمس... و قد قصد الرسول "ص" بالدّرن المنفي بقاؤه قد يكون مادياً فيكون الأمر خاصاً بالتّفكر في آثار الوضوء، و قد يكون معنوياً و المراد به الذنوب التي يغسلها الوضوء و تمحوها الصلاة، لذلك عبّ "ص" على إقرارهم "بالنفي" بقوله: "فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بهن الخطايا".

و لعلّ السرّ في عدول الرسول "ص" بالاختيار إلى أسلوب الاستفهام عن النفي الصريح، أنّ النفي الصريح حكم قد يقصدونه، و يجوز عدم تصديقه، و قد لا يأبؤه له الصحابة، لكنّ إقرارهم هم بنفيه فيه مزيد من التذكير لهم، و هو واقع في نفوسهم و أبلغ من أن يُعبّر عنه بالنفي الصريح، و هو الدليل على عدم تطابق القوة الانجازية الحرفية مع الانجازية المستلزمة للاستفهام، لخروج الاستفهام من معناه الحقيقي.

*نموذج آخر للاستفهام المنفي ما أورده الرسول "ص" حكاية عن ربه في حديث سالم بن عبد الله بن أبيه أنّه أخبره: أنّه سمع رسول الله "ص" يقول: "إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِي مَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أَوْ بِيْ أَهْلِ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أَوْبَى أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أَوْتَيْنَا الْقُرْآنَ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأَعْطَيْنَا قِرَاطِينَ قِرَاطِينَ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ: أَيُّ رَبَّنَا، أُعْطِيتَ هَؤُلَاءِ قِرَاطِينَ قِرَاطِينَ وَأَعْطِيتَنَا

¹ - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري: ج 02، ص: 15.

قِرَاطًا قِرَاطًا، وَ نَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَجَلًا؟ ، قال: "قال الله عز وجل "هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟ ، قالوا: لا، قال: "هُوَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ".¹

*نموذج من نماذج حديث رسول الله "ص" عن رب العزة، أورده في بيان الرد على اعتراض اليهود و النصارى، هل ظلموا من حقهم شيئا؟ ، في أن يعمل اليهود إلى نصف النهار و النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر، و يعمل المسلمون من صلاة العصر إلى صلاة المغرب على ضعف أجر ما لكل فريق منهم، فكان الرد منهم: "نحن أكثر عملا و أقل عطاء"، قال الله: "هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا، قال: "فإنه فضلي أعطيه من شئت".

فتعكس البنية الدلالية للاستفهام أنّ الله عز و جل أراد أن يُقرّرهم بنفي الظلم عنهم بدليل إيجابتهم ب"لا". و ليحمل هذا الفعل الكلامي فعلا إنجازيا يتمثل في جملة الاستفهام "هل ظلمتكم" مُصدرة بحرف الاستفهام "هل"، و تتكون حمولتها الدلالية من:

. قوة إنجازية حرفية: استفهام "هل+ظلمتكم+؟".

. قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في النفي، لأنّ السياق يوضح أنّ الله عزّ و جلّ أراد أن يقرّرهم بنفي الظلم عنهم بدليل الإجابة ب"لا"، و بدليل صحة حلول "ما" النافية مكان حرف الاستفهام: "هل" للتجلى بلاغته في سرّ اختياره الاستفهام أسلوبا للتعبير و استبعاد أسلوب النفي الصريح. كون اليهود و النصارى اعترضوا على تفضيل أمة محمد "ص" بالأجر مرّتين ، كان الأوقع أن يُقرّوا هم على أنفسهم بالنفي، و هذا أبلغ من التعبير بالنفي الصريح، و هو ما يعكسه عدم تطابق القوة الإنجازية الحرفية (الاستفهام) مع قوّتها المستلزمة (النفي).

و لعلّ العبرة من الحديث أنّ فضل الله الذي أقام به عمل ريع النهار مقام عمل النهار كلّهُ هو الذي اقتضى أن يقوم إدراك الركعة الواحدة من الصلاة الرباعية التي هي العصر، مقام إدراك الأربع في الوقت، فاشتركا في كون كلّ منهما رُيع العمل، و حصل بهذا التقرير الجواب عن استشكل وقوع الجميع، مع أنّ الأكثر إنّما وقع خارج الوقت، فيقال في هذا ما أجيب به أهل الكتابين "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء...".²

ج. التشويق:

إنّ النفس الإنسانية كثيرا ما تستجيب للإشارة غالبا، فتَهَيِّجُ المشاعر و تتحرك، لأنّ الإثارة: من ثار الشيء ثورا وثورانا، بمعنى هاج، و يقال ثارت نفسه، جاشت، و التشويق من مادة "الشوق" التي تعني نزاع النفس إلى شيء، و الشوق حركة الهوى، و يقال: شقّ، إذا أمرته أن يشوق إنسانا إلى الآخرة، و شاقني شوقا: شوقني: بمعنى: هاجني

¹ - صحيح البخاري: حديث رقم: 532، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر، ج01، ص: 204.

² - العسقلاني ابن الحجر: فتح الباري، ج02، ص: 48.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

،فتشوّقت، إذا هيّج شوقك...¹ لتلتقي الإثارة و التشويق في توجيه السامع أو المتلقي إلى الانتباه، بتحريك مشاعره نحو أمرٍ محبوب يرغب فيه السائل ،بقصد استمالاته نحو ما سيلقيه إليه بعد الاستفهام، لذلك عمد الرسول "ص" إلى استخدام "الحوار" والتحفيز والتشويق إلى ما بعده، في أسلوب: "الاستفهام التشويقي"، من خلال:

- أن يستفهم الرسول "ص" عن الشيء الذي لا يعرفه الصحابة تشويقا إلى معرفته و التساؤل عنه.
- أن يسأل النبي "ص" الصحابة عن الشيء المعلوم دلأته عندهم، ليضيف إليه دلالة جديدة، و هي أولى من الدلالة المعهودة، و يشعُر الصحابة رضوان الله عليهم أنّ النبي "ص" سيضيف شيئا، لذا تراهم يحترسون في الجواب.
- أن يستثير النبي "ص" رغبة الصحابة في التعلم و المعرفة حين يستفهم عن ترك إخبارهم بالعلم.
لذلك كثرت مواطن الاستفهام التشويقي في الحديث النبوي الشريف بصور دخول همزة الاستفهام "أ" على "لا" لتعطي معنى الاستفتاح و التنبيه "ألا" في مواطن عدّة من الأدب النبوي منها:

عن يحي بن سعيد الأنصاري أنّه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله "ص" : "ألا أخبركم بخير دُور الأنصار"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "بُنُو النَّجَارِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو سَاعِدَةَ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَقَبَضَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالرَّامِي بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: "وَ فِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ"².

كثيرا ما ورد هذا النوع من الاستفهام في الحديث النبوي الشريف مصدرا بجمزة الاستفهام الداخلة على "لا"، التي تفيد التنبيه و التشويق و الاستفتاح حسب المقام "ألا أخبركم"، المتضمن فعلا دلاليا يعكس معناه "القضوي" إبراز الرسول "ص" مكانة الأنصار عنده، لا سيما و هم الذين نصره و آووه حين هاجر إليهم فخاطب الرسول "ص" فيهم نفوسهم اللينة و قلوبهم الرقيقة لإدراكه "ص" هذه السمة فيهم مراعيًا حقهم ومُعترفا بتأييدهم له، و نصرتهم دينه، بأسلوب الاستفهام "ألا أخبركم..."، و هو الفعل الكلامي الذي مهّد إلى شوق الأنصار عامتهم إلى معرفة الدار التي نالت الخير دون غيرها من دور الأنصار، لتتكوّن حمولته الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام: "أ+لا+ أخبركم+؟".

¹- ابن منظور: لسان العرب، مادة: ثور، شوق.

²- صحيح البخاري: حديث رقم: 3579، كتاب، فضائل الصحابة، باب، فضل دور الأنصار، ج3، ص: 1380.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

. قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في التشويق الذي أراده الرسول "ص" من الاستفهام ، و الذي انعكس في تلهفهم شوقا لمعرفة المراد منه، بدليل الإجابة بحرف الجواب، "بلى" رغبة منهم وشوقا لمعرفة ما أراده الرسول "ص" من سؤاله.

و قد أثر الرسول "ص" أسلوب الاستفهام للتعبير عن هذه المعاني بدلا من الخبر مثلا: "خير دور الأنصار كذا و كذا..." لأنّ مقام الإثارة و التشويق بلغ حدّه حين استولى الرسول "ص" على نفوس جميع سامعيه، كما أن الخبر قد لا تتحقّق معه هذه الغاية، إضافة إلى أنّ صيغة الاستفهام فيها جذب للانتباه، فإذا اجتمع جذب الانتباه مع التشويق فقد بلغت الإثارة غايتها، وهذه هي الغاية من سؤاله "ص" ، ليتجلّى في هذا النموذج عدم تطابق القوة الإنجازية الحرفية مع المستلزمة مقاميا بدليل أنّ الرسول "ص" لا يستفهم عن شيء يجهله، وإنما استفهم شوقا مُرغبا في مضمون السؤال و الاستفهام.

*عن أبي هريرة، قال:..... قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات و النعيم المقيم، قال: كيف ذلك؟ قالوا: صلّوا كما صلّينا، و جاهدوا كما جاهدنا، و أنفقوا من فضول أموالهم، و ليست لنا أموال، قال: أفلا أُخبركم بأمرٍ تُدركون من كان قبلكم، و تسبّ قون من جاء بعدكم، و لا يأتي أحدٌ بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله؟ " تُسبّخون في دُبرِ كلِّ صلاةٍ عَشْرًا، و تُحمّدون عَشْرًا و تُكَبِّرون عَشْرًا...".¹

نموذج من استفهام الفقراء من المسلمين حين أتوا النبي "ص" ورأوا ما حصله الأغنياء من درجات و نعيم مقيم.. بفضل أموالهم.. فرأى الرسول "ص" "شكواهم إليه" ، فخاطب فيهم عواطفهم و نفوسهم تشويقا و ترغيبا، لأهم رأوا استئثار الأغنياء بالثواب رغم اجتماعهم معهم في العبادات من صلاةٍ و جهادٍ و صيامٍ و غيرها، إلا أنّهم تميّزوا بالصدقات من مفضول أموالهم، فتلهفت أنفسهم إلى معرفة ما العمل الذي يجعلهم يميّزون عنهم به، بل يسبقونهم، و من لا تميل نفسه إلى هذا الخير....

كان ذلك هو الفعل الدلالي لمضمون الاستفهام النبوي: "ألا أخبركم" و محتواه القضوي، "لستكون حولته الدلالية من:

. قوة إنجازية حرفية: استفهام من همزة الاستفهام الداخلة على "لا" التي تفيد الاستفتاح و التنبيه، و المضارع الدال على التجديد (أخبركم)، مع موضوعه (فاعله) العائد على رسول الله "ص" و كاف الخطاب العائدة على الفقراء من الأنصار.

¹-صحيح البخاري: حديث رقم: 5970، كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، ج: 05، ص: 2331،

. قوّة إنجازية مستلزمة: متمثلة في التشويق، و هو الغرض المتوخى من وراء الاستفهام ، و ذلك حين استدرج الرسول "ص" الفقراء من الأنصار إلى الخير العميم المحقق للأجر العظيم تشويقاً لهم، فكان التلهف واضحاً لمعرفة هذا الخير بدليل أنّ الرسول "ص" لم ينتظر الإجابة عن سؤاله ، بل واصل الكلام مباشرة عقب الاستفهام إخباراً و تشويقاً، مبيّناً فضل الذكر بعد الصلاة من تسبيحٍ و تحميدٍ و تهلِيلٍ و تكبيرٍ . فالنموذج النبوي يُجسّد فعلاً لغوياً غير مباشر لم تتطابق فيه القوة الإنجازية الحرفية مع المستلزمة مقامياً، لأنّ السياق المقامي لا يقصد به إنحاز المعنى الأصلي للاستفهام، بل خرج إلى معنى آخر ضمني ولّدته ظروف المقام و ملابساته.

د. الإنكار:

قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على أنّ المستفهم عنه أمرٌ مُنكّرٌ عُرفاً أو شَرَعاً...¹، و جاء في "اللسان": الاستنكار: استفهامك أمراً تُنكره.²، هذا الاستفهام كما يراه "الرجاني" يكون ليتنبّه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيحجلّ و يرتدّع و يعي بالجواب،.. إمّا لأنّه قد ادّعى القدرة على فعلٍ لا يقدر عليه،... و إمّا لأنّه همّ بأن يفعل ما لا يستحق فعله، فإذا روجع تنبّه و عرف الخطأ، و إمّا لأنّه جوّز وجود أمرٍ لا يوجد مثله...³، و الاستفهام الإنكاري يكون على أوجه:

الأول: أمّا إنكارٌ للتوبيخ على أمرٍ قد وقع في الماضي، أو في الحال أو خيف وقوعه في المستقبل بمعنى "ما ينبغي أن يكون. ذلك الأمر الذي كان" الإنكار التوبيخي.

الثاني: إنكار التكذيب بمعنى "لم يكن": أي أنّ المخاطب إن ادّعى وقوع فيما مضى "بمعنى لم يكن"، أو تي بالاستفهام الإنكاري تكديماً له في دعواه، و أمّا إنكار التكذيب في الحال أو المستقبل بمعنى "لا يكون" نحو قوله تعالى: "أَنْزَلْنَاهُمْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ" هود:28. بمعنى "لا يكون الإلزام" ويسمى هذا النوع: الإنكار التكذيبي.⁴

و يُسمّى الإنكار التوبيخي "إنكار الواقع"، و ذلك لأنّ الأفعال المنكرة واقعة، و المراد تقبيحها و التعجب منها، و توبيخ فاعلها، لأنّه لم يكن ينبغي أن يقع، و يسمى الإنكار التكذيبي "إنكار الوقوع" لأنّ الأفعال المنكرة

1- عتيق عبد العزيز، في البلاغة العربية، ص: 98.

2- ابن منظور: لسان العرب، مادة "نكر".

3- الرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 85.

4- عتيق عبد العزيز، في البلاغة العربية، ص: 100.

غير واقعة، و المراد نفي وقوعها حتى لا يظن ظانّ أنّها يمكن أن تقع...¹.

و من مواطن الاستفهام الإنكاري أو قل: "الإنكار التوبيخي" ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: **بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ "ص" إِلَى الْحَرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ عَنْهُ، فَطَعَنَتْهُ بِرُحْمِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا، بَلَغَ النَّبِيُّ "ص"، قَالَ: يَا أُسَامَةَ: "أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟" قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّدًا... فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا، حَتَّى تَمَيَّتُ أَيُّ لَمْ أَكُنْ أَسَلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ...."**².

حديث تضمّن معنى الاستفهام بغرض "الإنكار" من صنيع "أسامة بن زيد" حين أقدم على قتل الرجل بعد تلقّظه بالتوحيد، حاملا معنى اللوم و العتاب حتى لا يُقدّم أحدٌ على قتل من تلقّظ بالتوحيد، و إعراض عن قبول العذر فيه زجر شديد على الإقدام على مثل ذلك... هذا الصنيع جعل "أسامة" يستصغر ما سبق له قبل ذلك من عمل صالح، في مقابل هذه الفعل، لما سمع من الإنكار الشديد حتى تمّ أن يكون ذلك الوقت أوّل دخوله للإسلام، و هذا هو الحمل التداولي من جهة **الفعل الدلالي** لأسلوب الاستفهام في مضمونه القضوي لتكوّن **حمولته الدلالية** من:

. **قوة إنجازية حرفية:** تتمثل في أسلوب الاستفهام بفعل الإسناد العائد على أسامة، و المكوّن من الهمزة و الفعل "أقتلته" (التاء فاعل)، و المفعول به (الهاء المتصلة به).

. **قوة إنجازية مستلزمة:** تتمثل في الإنكار و التوبيخ: و هو الغرض الذي خرج إليه أسلوب الاستفهام لما فيه من زجر و إنكار على صنيع أسامة بن زيد عن الإقدام عن فعل ذلك.³، و منه يظهر عدم تطابق القوة الإنجازية الحرفية مع القوة المستلزمة مقاميا، لأنّ في ذلك تعليماً و إبلاغا في الموعظة، و إنكاراً على أسامة ترك العمل بما ظهر من اللسان، (عذر أسامة..)، و هو الدليل على ترتيب الأحكام على الأسباب الظاهرة دون الباطنة. كما عبّر عن ذلك "القرطبي" في حديثه الذي أورده "ابن حجر".⁴

*نموذج آخر من نماذج أحاديث المصطفى "ص" في إنكاره صنيع بعض أفعال صحابته رضي الله عنهم كموقف إنكاره على أسامة صنيعه مع المرأة المخزومية التي سرت، في حديث عائشة رضي الله عنها: **أنّ قريشا أهمهم**

1 - قطبي الطاهر، بحوث في اللغة (الاستفهام البلاغي)، ص: 34.

2 - صحيح البخاري: حديث رقم: 4021، كتاب المغازي، باب بعث النبي "ص" أسامة إلى الحرقة، ج: 04، ص: 1555.

3 - العسقلاني ابن حجر: فتح الباري، ج: 12، ص: 224.

4 - العسقلاني ابن حجر: فتح الباري، ج: 12، ص: 224.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله "ص" فقالوا: و من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد "حب رسول الله" ص" فكلمه أسامة، فقال رسول الله "ص": "أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: "إنما أهلك الذين من قبلكم، أنَّهُم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها...".¹

ففي الحديث إنكار شديد من الرسول "ص" على أسامة في موقف الشفاعة"مقرون بنوع من التعجب، من أن يأتي أسامة هذا الأمر، وهو أدرى الناس بملازمته لرسول الله ،و أما الإنكار فمستفاد من كون المطلوب الشفاعة فيه حداً من حدود الله ،مع علمهم اليقيني جميعا و أسامة خاصة أنّ رسول الله ص- لا يتهاون في تطبيق شرع الله، و هو الفعل الدلالي المتضمن للقضية التي ورد فيها أسلوب الاستفهام كفعل كلامي ،. أما الفعل الإنجازي فتشكل من:

. قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام: (أ+تشفع في حدّ...+؟) و المكوّنة من الهمزة للاستفهام، الداخلة على المضارع المرفوع القابل للتجديد.

. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في الإنكار، حيث قال "ابن حجر": و هو استفهام إنكاري تويحي لأنه كان سبق له منع الشفاعة في الحد قبل ذلك...".² ، و قد جاء الإنكار من رسول الله "ص" باعتباره تناول الأمر من جهة أنه حدّ من حدود الله المنصوص عليها، فلا يمكن التجاوز بطلب الشفاعة فيه؟! ،فشدد في إنكاره رغم العلاقة التي كانت بين الرسول "ص" و أسامة ، و هي علاقة "الحب"، فبيّن الحديث درجة الإنكار لأنّ المراد من استفهام الإنكار "أن يُفيد موقفاً هو للمتكلم من سامعه، يتمثل في أنّه لا يقبل منه مضمون ذلك الاستفهام، و هذا الموقف على درجات أقصاها الإنكار أو التقرّيع ، و أدناها العتاب و اللوم، و ما بينهما درجات تُلوّون فوق السياق...".³ ، ليظهر مرة أخرى عدم التطابق بين القوّة الإنجازية الحرفية و القوّة المستلزمة في هذا الحديث.

و قد أنكر الرسول "ص" على الصحابي صنيعة تويحاً له، و استخدم أسلوب الاستفهام في الإنكار لما في الاستفهام من استشارة للنفس و شدّة التنبيه لها، علّها تتأمل في سوء صنيعتها، لذلك فالرسول "ص" يعاتب وينكر بأسلوب الاستفهام للتخفيف من حدّة الإنكار على أصحابه رضوان الله عليهم، و" كأنه عقاب نفسيّ

¹ - صحيح البخاري: حديث رقم: 3288، كتاب الأنبياء، باب حديث العار، ج3، ص: 1282.

² - ابن حجر: فتح الباري، ج12، ص: 106.

³ - الزناد الأزهر، دروس في البلاغة العربية، ص: 115.

بالمخاطب "بصدور شيء مَشِينٍ منه، حتى و إن كانت وسيلة العقاب مادية "اللسان" و "معنوية" هي دلالة الاستفهام".

ليبقى الاستفهام ثرياً غنياً بالدلالات التي يخرج إليها وفق المقام و السياق، و ما يمليه كل واحد منهما، جعلت من الخطاب النبوي يَبْتَكِرُ أساليب تواصلية فعّالة، حرص من خلالها الرسول "ص" على أن تتجاوب معها النفس البشرية بإبعادها المختلفة المجدّدة في خطاب العقل مرة، و النفس مرّة أخرى، شوقاً و تطلعا ومرّة أخرى استنتاجاً و عتاباً، لَوْماً و تفرّيعاً و غيرها، و كلّها تجعل من شأن أسلوب الاستفهام حلقة تواصلية بين المتكلم و سامعه تسعى إلى التأثير في النفس مع إقناعها.

لذلك تُسجّل في أحاديث أخرى كثيرة خروج الاستفهام إلى قوة إنجازية مستلزمة مقامياً تتمثل في: "التلطف، الإيناس، العتاب، الحث، الأمر، الاستدراج، الإعلام، التبشير،... و غيرها من القوى التي يمكن تلخيصها في الجدول التالي:

القوة الإنجازية الحرفية	القوة الإنجازية المستلزمة مقامياً
الاستفهام- (الأداة + جملة الاستفهام)	الاستفسار: التقرير، الإنكار، النفي، التشويق، التحفيز، الاستبطاء، التوبيخ، الحث، و الترغيب في الفعل...

ثانياً. أسلوب الأمر:

كما تمت الإشارة من قبل، فإنّه يقصد بالأمر طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء و الإلزام، و بعبارة أخرى هو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى حقيقة أو إهداء، و ينصرف زمنه للاستقبال، و يقوم على عمليتين أساسيتين: أولهما: عملية التلطف و النطق بالأمر، و ثانيهما: عملية استجابة المأمور و القيام بالفعل المأمور به، و "عادة ما يُؤدّي الأمر بصيغة "افعل"، و لام الأمر الداخلة على الفعل المضارع "تفعل"، و اسم الفعل وبالمصدر الذي يُؤتى به بدلا على التلقظ بفعله".¹

كما يُؤدي الأمر باستعمال اشتقاقات مادة أمر "المعجمية"، أو أفعال أخرى معجمية مثل "يجب"،... و علوّ درجة الأمر شرط في بقاء التركيب على دلالته، لأنّ الأمر قد يخرج إلى دلالات أخرى تُفهم من السياق و قرائن المقام، و عليه يتولّد مقامياً بامتناع إجراء الأمر على أصله: "التعجيز، التحدي، الالتماس،...، و الاختلاف بين هذه الأفعال هو في درجة "قوّتها الإنجازية": فالأمر مثلاً أقوى في الأداء الإنجازي من الالتماس، و

¹ -دفة بلقاسم، بنية الجملة الطلبية و دلالتها في السور المدنية، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، د ط، 2008، ص: 28

لهذا يُعدّ أقوى المجالات الفرعية لمجال التوجيهات ، "إذا فالقضية ليست قضية لغوية صرفة، بل لغوية تداولية، فليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد، بل يلزم إدراك مكانة المتكلم أو الأمر، لأنها هي التي تحوّل دلالة الصياغة من صورتها المباشرة الدالة على الأمر إلى صورة أخرى مغايرة".¹ ليكون بناء الموقف اللغوي لتكوين الأمر على الوضع التالي:

- الأمر: هو المتكلم ، وعلوّ درجته شرط في بقاء التركيب على دلالاته.
 - المأمور: هو المتلقّي الذي يُوجّه إليه الأمر، وانخفاض درجته شرط بقاء الأمر على أصله.
 - المأمور به: هو الفعل الذي يُطلب حصوله، وقد يكون مُعلّلاً لإقناع المأمور.
- ليعب السياق الدور الكبير في تحديد المعنى ، لذلك أكّد علماء اللغة على دور السياق في فهم الدلالة المرجوة² ، فاللغة نفسها تُمارس في مواقف حياتية، و بين أناسٍ في بيئات مختلفة، يحدث بينهم نوعٌ من التفاعل اللغوي ، يُنتج النصّ أو الحديث الذي لا يمكن أن يُفهم فهما صحيحا و أمنيا إلا من خلال التعرّف على الموقف و السياق التاريخي و الاجتماعي له، و من خلال معرفة علاقة المتكلم بالمستمع أو المنشئ بالمستقبل.
- و لأهمية الأمر في الحديث النبوي الشريف لا سيما حين يتعلّق باستنباط الأحكام الشرعية، نقارب هذا الأسلوب تداوليا ، وذلك لمعرفة الدلالات التي توخاها الرسول "ص" خاصة و أنّه يمثل شيوعا كبيرا في الخطاب النبوي بصفة عامة.

وسعيا منا للوقوف على حقيقة الأمر "كفعل لغوي مباشر" و تحديد "قوّته الإنجازية" و ما يخرج إليه الأمر من دلالات "كفعل لغوي غير مباشر" ، و بذلك تتعدد قواه الإنجازية المستلزمة حسب المقام و السياق.

1 . الفعل الكلامي المباشر: الأمر الحقيقي: "يقول السكاكي" في "مفتاحه"...: "الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها، أعني استعمال نحو: "انزل، لينزل، نزال، ووصه" على سبيل الاستعلاء"³، و يرى أنّ هذه الصور و التي من قبيلها هي موضوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء، فالأظهر أنّها موضوعة لذلك ، و هي حقيقة فيه، ليتبادر الفهم عند الاستماع نحو: "قم ، ليقيم زيد"، و توقّف ما سواء من الدعاء، و الالتماس و النذب، و الإباحة، و التهديد، على اعتبار القرائن.... فالمتكلم هو المسؤول على أن يعبرّ على ما يقوله عن

¹-الصراف علي محمد، في البرجماتية...الأفعال الإنجازية في العربية، ص:111.

²-محمد العيد، اللغة و الإبداع الأدبي ، دار الفكر للدراسات و النشر، القاهرة، ط1/1989، ص:29.

³-السكاكي، مفتاح العلوم، ص:428.

الأمر، حيث إذا فشل أن يكون كلامه أمراً، لم يتعدَّ أن يكون التماساً أو دعاء... الخ.¹ و يشترط في جريان الأمر إلى أصل معناه، أن يكون الأمر أعلى مرتبةً من المأمور، يقول "السكاكي": "لا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه ، و من ثم كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور، استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، و إلا لم يستتبعه، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشَّرط المذكور أفادت الوجوب، و إلا لم تُفد غير الطلب، ثمَّ إنَّها حينئذ تُولد حسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام...".²

*الشروط المُعدَّة لفعل الأمر:

- قواعد تداولية: كثيراً ما ترتبط بوضعية المتخاطبين.
- أن يتوفر شرط الاستعلاء والسلطة، على الأمر أن يكون في مرتبة أعلى من المأمور.
- أن يتوفر شرط القدرة: على الأمر أن يكون قادراً على إصدار الأمر.
- الإرادة: إرادة المتكلم في إصدار الأمر.
- الاقتناع: أو القصد.³

فمن أجل ذلك تحمل "القصديّة المباشرة" ضمن الصيغ اللغوية و البلاغية التي اتفقت عليها القدماء والمحدثون، فهي قسمان، أساليب حقيقية، و أخرى مجازية.

و من الأسلوب المباشر لأسلوب الأمر كفعل كلامي تجسّد فيه طلب الفعل من جهة الاستعلاء من الأعلى إلى الأدنى على جهة الحقيقة و الإلزام بفعله، ما روي عن ابن شهاب قال: أخبرني سالم "أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره: انه طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَ هِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ "ص" فَتَغَيَّظَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ "ص" ثُمَّ قَالَ: لِيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ يُمَسِّكُهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ يُحِيضُ حَتَّى تَطْهَرَ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسَسَهَا، فَبِتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ...".⁴

فيظهر الفعل الكلامي "ليراجعها" في شكل أمر على صيغة، "ليفعل" في صورة المضارع المجزوم بلام الأمر، و هو أمر لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما لمراجعة زوجته بعد أن طلقها طليقة واحدة ، و هي حائض، فأمره رسول الله

1 - المرجع السابق، ص: 428.

2 - المرجع نفسه ، ص: 429 .

3 - بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص: 174.

4 - صحيح البخاري: حديث رقم: 4625، كتاب التفسير / الطلاق، ج 04، ص: 1864.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

"ص" أن يُراجعها ، ثم يُمسكها حتى تطهر، ثم تحيض عنده حيضة أخرى، ثم يمهّلها حتى تطهر من حيضتها، فإن أراد أن يُطلقها فليطلقها قبل أن يُجامعها، فتلك العدة التي أمر الله بها أن تُطلق لها النساء كما علّمه رسول الله "ص"، وهذا هو **الفعل الدلالي** لمضمون الفعل الكلامي، "فليراجعها" ليحمل هذا الفعل الكلامي **فعلا** إنجازيا تتكون حملته الدلالية من:

. **قوة إنجازية حرفية:** "الأمر الصريح: "ليراجعها". على صيغة "ليفعل".

. **قوة إنجازية مستلزمة:** تتمثل في: الوجوب لأنّ الأمر على حقيقته.، فينتقض الوجوب بقرينة مراجعة ابن عمر زوجته، إذ لو كان التعبير على غير صورة الأمر الحقيقي لتوهّم ابن عمر أو حتى "عمر" نفسه أنّ الحكم ليس على سبيل الوجوب و الإلزام و الحتم، بل لا يُفهم معنى الوجوب من الصنيع: "أرى أن يراجعها، ليته يراجعها، كان الأفضل أن يراجعها" ،. و لتأسس عليها عدم العصيان فيمن طلق امرأته و هي حائض".

ليظهر تطابق القوتين الإنجازيتين في مقام الأمر الذي يفيد الوجوب، على اعتباره عند الأصوليين: "ما يستحق تاركه العقاب على تركه، بمعنى أنّ تاركه لو عوقب على تركه لكان ذلك ملائما لنظر الشارع، و لا بد في معنى الوجوب من ترجيح الفعل على الترك بما يتعلّق به من الدّم أو الثواب الخاص...".¹

* ومن أمثلة الأمر الحقيقي الذي يقتضي الوجوب في صورة الأمر الصريح دائما، لكن بصيغة: "إفعل" بسبب ارتباط توجه هذه الصيغة في الأصل للمخاطب الحاضر، إذ كان الغالب في حديثه "ص" توجيهه لمتلقين حاضرين أمامه، فينشأ ذلك التفاعل بين المنيشئ "الرسول" "ص"، و المستقبل "الصحابة"، و من أمثلتها: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله "ص" حين جاءه أصحابه يعودونه، صلّى بهم جالسا و هم قيام، فلما سلّم قال: "إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا...".²

فجاء الأمر على صورة القصد لمعناه الأصلي، بمعنى وجوب التنفيذ في الفعل الكلامي: كبروا، اركعوا، اسجدوا" على سبيل الوجوب و الحتم، تطابقت فيه القوة الإنجازية الحرفية الأمر على صيغة "افعل" مع قوتها الإنجازية المستلزمة التي تقتضي وجوب متابعة الإمام في الصلاة، و عدم سبقه تكبيرا و ركوعا و سجودا.

وهو **الفعل الدلالي** لمضمون الأفعال الكلامية "كبروا، اركعوا، اسجدوا" ، لتحمل هذه الأفعال قوى إنجازية ، تتكون حملتها الدلالية من :

¹-الأمدي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة، ط1/1404هـ، ج01، ص:138.139.

²- صحيح البخاري: حديث رقم: 371، كتاب الصلاة، باب الصلاة في السطوح ، ج01، ص:149.

. قوة إنجازية حرفية: "الأمر الصريح بصيغة "افعل" ،"اركعوا ، اسجدوا".

. قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في الوجوب على صورة القصد لمعناها الأصلي .

* و من الأحاديث التي استوجب فيها الأمر وجوب التنفيذ لصدوره منه "ص" ،على سبيل التكليف الإلزام لأن مخالفته تترتب عليها العقوبة في حديث أبي هريرة أن رجلاً من "أسلم" ،أتى النبي "ص" وهو في المسجد، فقال: يا رسول الله إن الآخر قد زنى، يعني نفسه، فأعرض عنه، فتنحى لشق وجهه الذي أعرض قبله، فقال يا رسول الله إن الآخر قد زنى، فأعرض عنه.... فتنحى له الرابعة، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه، فقال: هل بك جنون؟¹ ، قال: لا، فقال "ص": " اذهبوا به فأرجموه... "و كان قد أحسن .

فصيغة الأمر الصريح " اذهبوا، ارجموا" على صيغة "افعل" تشكل فعلا كلاميا يقتضي دلاليا وجوب الأمر بالرجم بعد الذهاب به، و هو حدّ الرجم على من اعترف على نفسه بالزنا و هو عاقل ،مُحصن. ليحمل الفعل الكلامي فعلا مجازيا تتمثل حمولته الدلالية في:

. قوة إنجازية حرفية: أمر بصيغة "افعل" اذهبوا، ارجموا". و المتضمن كل منهما عائدا على محمول الفعل والمتمثل في "الهاء" في ارجموا، و "الهاء" في شبه الجملة المتمم لمعنى الفعل " اذهبوا" في قوله: "به".

. قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في وجوب تطبيق الفعل، فهو أمر وجوب يتحتم فعله، و هذا ما فهمه الصحابة، لا سيما و أنّ دليل الوجوب يتمثل في قيام الصحابة برجمه، و إقامة الحدّ عليه باعتباره زانيا محصنا ونلمس هذا في تمة الحديث "فرجمناه بمصلى المدينة، فلما أذلقته الحجارة جمر" أسرع هاربا"، حتى أدركناه بالحرة، فرجمناه حتى مات"² ، و في حديث آخر: "... فأمر به أن يُرجم في المصلى ، فلما أذلقته الحجارة جمر ، حتى أدرك بالحرة فقتل".³

2 - الفعل الكلامي غير المباشر: الأمر المجازي:

تبين مما سبق أنّ المعنى الحقيقي للأمر كما وضع له، يظل الأصل اللغوي فيه ثابتا ،إلا أنه لا يتقيد بتركيبه النحوي"أو صيغته النحوية ، و إنما تنزاح فيه اللغة إلى اتجاهات جديدة كما تقول الدراسات الأسلوبية، فلا تقتضي الإلزام بتنفيذ الطلب المُضمّن في الجملة على وجه الإيجاب... و إنما يستخرج المعنى من القرائن الدالة في السياق.، لذلك اتّسعت دائرة المعاني التي يدور عليها الأمر المجازي و ضمت الأمر و المأمور المتكلم و المخاطب

¹ -صحيح البخاري: حديث رقم: 4970، كتاب الطلاق، باب إطلاق السكران و الجنون وأمرهما ، ج 05، ص: 2020 .:

² -صحيح البخاري: حديث رقم: 4970، كتاب الطلاق، باب إطلاق السكران و الجنون وأمرهما ، ج 05 ، ص: 2020 .:

³ -المرجع نفسه: حديث رقم: 4969،. كتاب الطلاق، باب إطلاق السكران و الجنون وأمرهما ، ج 05 ، ص: 2020 .:

و مضمون الأمر الذي لا يُسأل المأمور عن تنفيذه... فقد انخرقت الدلالة على التحديد و التعيين.
و حين عظمت دلالة الأمر ثراء، فإن أساليبه كثيرة التنوع في الإيحاء، مما يدل على جمالية طرائق الأمر بأشكال
لافتة للانتباه في الخطاب النبوي، في صورة تمتزج فيها الصورة اللغوية مع السياق بمعانيه، لتتجلى فيها صورة
"الأمر غير المباشر" في شكل فعل كلامي بعيد عن الأمر الحقيقي يعكس الأغراض التي يخرج إليها الأمر منها:

1/2 . الدعاء:

الدعاء: اسم و مصدر و مثله (الدعوى)، و فعله دعا، يدعو... و قد سمّاه "ابن فارس" المسألة¹، و يتجه الأمر
بكلامه إلى من هو أعلى منه على صيغة التضرع و الضعف و الابتهاج، والرجاء و الاستكانة و الاستعطاف
.... فمن التضرع قوله تعالى: " رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ... " النحل: 19... " رَبَّنَا آتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " البقرة: 201، كما وقع الدعاء بالانتقام في قوله تعالى: " رَبَّنَا
اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ " يونس: 88، و ذلك لأتّهم كفروا و ظلّوا، و لا مَطْمَع في إيمانهم...
فكثيرا ما يرد الأمر للدعاء إذا كان مَثُجًا من العبد إلى ربه عزّ و جلّ، أو ممن هو أدنى مرتبة ممن يأمره، فيكون
أمره حينئذ على سبيل الدعاء، كما في قول "المتنبّي" يخاطب سيف الدولة و يرجوه متوسلا أن يخلّصه من كيد
الحساد:

أزل حسد الحساد عني بكتبهم *** فأنّت الذي صيرتهم لي حسدا

و فيه يظهر أنّ "المتنبّي" لم يكتفِ بالأمر غير المباشر، و إنّما لجأ إلى أسلوب التعليل غير المباشر لإظهار رغبته
و طمعه في الرجاء و التوسل.

و قد ذكر البلاغيون أنّ "الدعاء" من المعاني التي تُستعمل في صيغة الأمر لغير طلب الفعل على سبيل الاستعلاء
تكليفا و إلزاما، لذلك حفل الخطاب النبوي بصيغ الأمر التي وردت، و كان القصد منها "الدعاء" كما في
الحديث الذي ترويّه عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله "ص" كان إذا أتى مريضا، أو أُوتِي به عنده يمسحُ
بيده اليمنى و يقول: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ اذْهَبِ الْبَأْسَ، اشْفِهِ وَ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءَ لَا يُغَادِرُ
سَقَمًا..."².

ورد في هذا الباب نفسه بصيغ مختلفة: "اذْهَبِ الْبَأْسَ، رَبَّ النَّاسِ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ..." .

¹ - ابن فارس: الصحاحي في فقه اللغة، ص: 184.

² - صحيح البخاري: حديث رقم: 5410، كتاب الطب، باب رقية النبي "ص"، ج: 05، ص: 2168.

ومنها: "أمسح البأس، ربّ الناس، بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت".¹

لعلّ من الصفات التي قد تعترض المرء، و تؤثر في شخصيته و سلوكه "المرض"، إذ غالبا ما يصاب الشخص بضعف النفس و وهن القلب مصحوبا بغمّ و همّ، لذلك نجد رسول الله "ص" يخاطب المريض بما يُظهر مراعاته لحالمه، طالبًا لهم الشفاء و باعثًا فيهم الأمل.. و هذا ما تضمنه **الفعل الكلامي**: "اذهب البأس، اشفه بصيغة الأمر الصريح "افعل" و هو **المضمون الدلالي** لهذا الفعل الكلامي".

ليحمل هذا الفعل الكلامي **فعلا إنجازيا** تتكون حملته الدلالية من:

. **قوة إنجازية حرفية**: تتمثل في الأمر الصريح: "اشف، اذهب" و محموله الفاعل المستتر وجوبا في فعل الأمر العائد على المأمور مجازا هو الله عزّ و جلّ، لأنّ الأمر من أسفل إلى أعلى.

. **قوة إنجازية مستلزمة**: تتمثل في "الدعاء"، لأنّ الخطاب من أسفل إلى أعلى، يبعث على التفاؤل بطلب الشفاء من الله تعالى بالرُّبُوبية "ربّ الناس"، لأنّ الشفاء من "أفعال الربوبية" لا يملكه غيره، مع الاعتراف والتذلل "لا شفاء إلا شفاؤك" بطريقة النفي و الاستثناء، و هي طريقة من طرق القصر في علوم البلاغة، و التي تضمن التأكيد في قوله "ص": "أنت الشافي"، و هو "**فعل إسنادي**" من "مبتدأ و خبر"، لتربط الصيغة الحديثية ألفاظً مشتقةً توحى كلها بمعنى "الشفاء لحال المريض" بدءا من "**اشف، الشافي، شفاء، شفاؤك، شفاء...**" وكلها تفاعل و طلب و دعاء.

ليُظهر الحديث تداوليا صورة الأمر عند خروجه من صورته الحقيقية إلى صورة مجازية تفيد الدعاء، لأنّه من أقل منزلة إلى أعلى منزلة، دليل على عدم تطابق القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا مع القوة الإنجازية الحرفية للأمر: "اشف، اذهب".، بصيغة "افعل"، المبني على حذف حرف العلة في الأول، وعلى السكون في الثاني.

***عن ابن عباس أنّ النبي "ص" دخل الخلاء، فوضعت له وضوءا، فقال "ص": من وضع هذا؟ فأخبر به، فقال: "اللهم فقّهه في الدين".**²، وهو حديث أورده "البخاري" في "باب الوضوء" يعكس صنيع الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه في تعامله مع الرسول "ص"، حين قدم له ماء وضوءا ليتوضأ به استنحاء... فقابل الرسول "ص" ذلك بالفعل الكلامي: "فقّهه" في شكل "أمر صريح" بصيغة "افعل"، متضمنة الدعاء، وهي **دلالة الفعل "فقّهه"**. ليتكوّن هذا الفعل الكلامي **كفعلا إنجازيا** من حمولة دلالية تتمثل في:

. **قوة إنجازية حرفية**: هي الأمر: بصيغة "افعل" مع موضوعها المتمثل في الفاعل المستتر وجوبا تقديره "أنت"

¹ - المرجع السابق: ج05، ص: 2168.

² - صحيح البخاري: حديث رقم: 143، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ج01، ص: 66.

و مفعوله: الضمير المتصل العائد على "ابن عباس" رضي الله عنه. في الفعل: "فقهه".

. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في "الدعاء"، لأنّه من أسفل إلى أعلى، ولعل المناسبة في الدعاء لابن عباس بالتفقه في الدين وضعه الماء... ففعله يدلّ على ذكائه فناسب أن يُدعي له بالتفقه في الدين ليصل به النفع...¹.
و كثيرا ما كان الدعاء يسبقه "الأمر" للرجبة الجازمة من الرسول "ص" في الاستجابة للدعاء. و في ذلك إشعار المخاطب المدعو له بحرص النبي "ص" على حصول المدعو به و تحقّقه، مما يكون له الأثر العظيم في نفس "المدعو له" من خلال مضمون الدعاء.

* و من الأحاديث التي تأتي نموذجا للدعاء، بصيغة الأمر الصريح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي "ص" يدعو من الليل: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ... اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَ بِكَ آمَنْتُ ُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْكَ أَنْبَتُ ُ، وَ بِكَ خَاصَمْتُ، وَ إِلَيْكَ حَاكَمْتُ ُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ".²

تضمن هذا الحديث عدة معان بُدأت "بالتمهيد" للطلب بالأمر الصريح في الدعاء، جاء هذا التمهيد و التقديم بين يدي الطلب بإعلان موقفين: أولهما: إعلان حمد الله عزّ و جل والإيمان المطلق به بربوبيته و قيوميته.. و هذا موقف الإذعان الذي يُمثل أحدَ موقفَي التمهيد للطلب..، وثانيهما: موقف الداعي نفسه في صيغ أفعال ماضية: "أسلمت، توكلت، حاکمت...". أوردتها "ص" "مُقيّدةً" بأسلوب القصر بتقديم الجار و المجرور "بك" في كلّ مرّة، ليأتي الطلب في أعقاب هذه التمهيدات و كأنّه نتيجة لها: "فاغفر لي ما قدمت و ما أخرت" وما أسررت، و أعلنت...، ليخرج الطلب من كونه أمرا صريحا إلى التضرّع و الدعاء، و هو مضمون الفعل الكلامي، "اغفر لي".

و الذي يتضمن فعلا إنجازيا يتمثل في الأمر الصريح بصيغة "افعل" من أسفل إلى أعلى، بفعل إحالي، إحالة إلى الذات الإلهية عن طريق الإشارة إليها بالضمير المستتر في: "اغفر". لتجسد هذه الجملة الفعلية الأمرية فعلا إنجازيا تكون حمولته الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: الأمر الصريح. بصيغة "افعل"، والمكونة من الفعل، و الفاعل المستتر و جوبا.

. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في الدعاء و التضرّع إلى الله تعالى طلبًا للمغفرة..، و بذلك أنجز الفعل الكلامي فعلا لغويا غير مباشر أفرزه سياق الحال، و قرائن الأحوال و قصد المتكلم و غرضه مُتمثلا في الدعاء، و الذي لم يكن ليُطلب إلا بعد "تمهيد" كلّ إقرار و اعتراف و إذلال و خضوع طمعا في المغفرة.

¹ -العسقلاني ابن حجر: فتح الباري، ج01، ص:295.

² -صحيح البخاري: حديث رقم:1069، كتاب التهجد بالليل، ج01، ص:377.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

و كثيرا ما نصادف هذا النموذج "التمهيد . ثم . الطلب" في الحديث النبوي الشريف ، مثل الحديث الذي يرويّه شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن النبي "ص" قوله: " سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ:اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَ أَنَا عَبْدُكَ، وَ أَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَ وَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَ أَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي "كلها تمهيد" ، ليأتي (الطلب) الجواب: "...فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ..."¹ ، و لعلّ ذلك هُجَّ أَنْتَهَجَهُ رسول الله "ص" إقتداء بأخيه يوسف عليه السلام في موطن الإقرار و الاعتراف طلبا و دعاء، في قوله تعالى: " رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ...". يوسف: 101.

ب- الإباحة و التخيير:

الإباحة في عرف اللغة: مصدر فعله "أباح"، ونقول "أبحتك الشيء": أحلته لك ، و أباح الشيء: أطلقه، أي أظهره و أعلنه، و منه يقال: باح بسرّه، إذا أظهره. ، و أباح الرجل ماله: أذن في الأخذ و الترك و جعله مُطلق الطرفين، و استباحه الناس: بمعنى: أقدموا عليه.²

أمّا معناه عند الأصوليين فيقول علماء الأصول: "إِنَّ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ إِذَا كَانَ غَيْرَ جَازِمٍ فِي الطَّلَبِ أَوْ التَّرْكِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ طَلَبُ الْفِعْلِ وَ تَرْكُهُ عَلَى السَّوِيَّةِ بَيْنَهُمَا، وَ هَذِهِ هِيَ الإِبَاحَةُ، وَ إِمَّا أَنْ يَقْتَرِنَ بِتَرْجِيحِ جَانِبٍ وَجُودِ الْفِعْلِ فَيَكُونُ النَّدْبُ، وَ إِمَّا أَنْ يَتَرَجَّحَ جَانِبُ التَّرْكِ فَتَكُونُ الكَرَاهَةُ..."³.

و معنى هذا أنّ الأمر يأمر المخاطب على سبيل الإباحية ليعلمه أو ليأذن له فيه ، و بهذا المعنى يلتقي المعنى الشرعي بالمعنى اللغوي للإباحة.، والإباحة قد تتعلق بفعل مُباح ، كقوله تعالى: "وَكُلُوا وَ اشْرَبُوا" (البقرة: 187)، أو تتعلق بالتخيير بين فعلين يجوز الجمع بينهما دون تعيين، و هما على السواء، أو تتعلق بالتخيير بين أمرين دون تعيين، غير أنّ أحدهما أولى من الآخر بالاختيار: "فيقول صاحب اللسان": "خيرته بين شيئين: أي فوضت إليه الخيار"⁴، فهو يختار أفضلهما.

1 - صحيح البخاري: حيث رقم: 5947، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ج 05، ص: 2324.

2 - الفيومي أحمد محمد، المصباح المنير، ص: 39.

3 - الشوكاني محمد بن علي ، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تح: محمد سعيد البديري، دار الفكر بيروت ط 1 / 1992، ص 23:

4 - ابن منظور: لسان العرب، مادة: خير".

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

و جاء التعبير عن الإباحة بصيغة الأمر في الخطاب النبوي في مواضع عدّة منها: حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله "ص": "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ..."¹.
تضمّن هذا الحديث فعلا كلاميا وقع جوابا لشروط جازم "من"، يتمثل في صيغة الأمر "فليقل خيرا أو ليصمت"، و لعلّ التعبير بالقول كما أشار "ابن حجر" يدخل فيه كل كلام و هذا من "جوامع الكلم"، لأنّ القول كلّهُ إما خير و إما شرّ، و إما آيل إلى أحدهما، فدخل في الخير كلّ مطلوب من الأقوال فَرَضَهَا وَنَدَبَهَا، فأذن فيه على اختلاف أنواعه، و دخل فيه ما يؤول إليه، و ما عدا ذلك مما هو شرّ، أو يؤول إلى الشرّ فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت..."². و هذا هو الفعل الدلالي لمضمون، "فليقل": كفعل كلامي تضمن فعلا إنجازيا بقوة دلالية تتمثل في:

. قوّة إنجازية حرفية: "الأمر" فليقل" مضارع مجزوم بلام الأمر، و(موضوعه) فاعل مستتر وجوبا تقديره هو.
. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في "التخيير": بدليل أنّه لا يمكن الجمع بين قول الخير و الصمت في آن واحد، فكلاهما في مقدور المخاطب أن يفعله، إذ يقول علماء الأصول: "... لا تخيير إلا بين مقدور و مقدور..."³.
فكلّ من الصمت أو التكلم بخيرٍ مباحٍّ للمخاطب، و القصد من وراء الأمر بهما هو إباحة اختيار أحدهما، و لا لومٍ على ترك الآخر، لأنّ المتلقي يُجبر على أن يختار إمّا قول الخير، و إمّا السكوت أو الصمت عن الكلام، و في ذلك "تداوليا" أكبر دليل على خروج الأمر عن معناه الحقيقي من جهة، و عدم التطابق بين القوتين الانجازيتين لفعل الأمر من جهة أخرى.

و ما نلاحظه في خروج الأمر إلى "التخيير" اقتترانه بحرف العطف "أو"، و كأنّ المتكلم لا يريد أن يُبيح للمخاطب بهذا الأمر السعّي إلى كليهما، بل إلى إباحة تخييره بينهما، و أنّ أحدهما أفضل من الآخر في الاختيار، فأنت تُخبره ليتحمّل نتيجة اختياره.

و من النماذج التي خرج فيها الأمر إلى الإباحة: عن عائشة رضي الله عنها أنّ أبا بكر دخل عليها و عندها جاريتان في أيام "مئى" تُدْفِقَانِ وَ تَضْرِبَانِ، و الرَسُولُ "ص" مُتَعَشِّ فِي ثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ "ص" عَنْ وَجْهِهِ وَ قَالَ: "دَعُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ الْعِيدِ، وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ أَيَّامُ مَنِيَّ..."⁴.

¹ - صحيح البخاري: حديث رقم: 5672، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله... ج 05، ص: 2240 .

² - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج 10، ص: 503.

³ - خلاف عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط 08، د.ت، ص: 108.

⁴ - صحيح البخاري: حديث رقم: 944، كتاب العيدين، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين، ج 01، ص: 335.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

إنّ وضع الأمر "دعهما" في سياق الحديث مقرونا بملايسات المقام و سياقاتها تجعل منه يُفهم على المعنى المراد منه، فالحال حال عيد... العيد سرور و فرح... و الموقف في بيت رسول الله... ضرب الدف و إنشاد الشعر، كلّها ملامح "للسياق التداولي" توحى بتوّهم أبي بكر أنّ فعل الجاريتين لا يجوز، أو هو محرم... ليأتي فعل الأمر الصريح: "دعهما" ليزيل ذلك التوّهم من جهة، و ليفهم المخاطب من جهة أخرى أنّ الرسول "ص" قد أباح ذلك في هذا الموقف، و في هذا الحال. من جهة أخرى.. فإذا كان الأمر أمرا بترك ما ظنّ المأمور فعله مذمومًا أو مُحرمًا، كان ذلك الأمر دالا على إباحة ذلك الفعل، و هذا هو مضمون **الفعل الدلالي للفعل "دعهما"** كفعل كلامي في صيغة الأمر الصريح.

ليحمل هذا الفعل الكلامي فعلا اسناديا يتمثل في فعل الأمر "دعهما" بموضوعه (فاعله) المستتر وجوبا وإحالة إلى المفعول به عن طريق الضمير المتصل: "هما". لتكون الحمولة الدلالية للفعل الإنجازي مكونة من قوتين:

. قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الأمر الصريح. "دعهما".

. قوة إنجازية مستلزمة: أفرزها المقال و سياق الحال، مُثّلة في الإباحة، بدليل أنّ رسول الله "ص" منع زجر الجاريتين و انتهارهما من قبل أبي بكر الصديق، و ذلك حين استعمل الرسول "ص" تبريرا للإباحة و هو أسلوب التعليل بقوله، "فإنّما أيام عيد".، فالمقام "حال عيد، و مقام سرور، و هو مباح... فدلل الأمر على الإباحة بتركهما على ما هما عليه، و فيه الدليل على عدم تطابق القوتين الإنجازيتين لفعل الأمر: "دعهما".

2-3. النصح و الإرشاد:

كثيرا ما يدور النصح في العربية "حول طلب ما، لا إلزام فيه"¹، و يقتضي ضمنا حث المنصوح على الأخذ بالنصيحة، و ذلك إذا أراد الأمر من مأموره تقديم النصيحة، و لا يلزم المخاطب على الالتزام بها و المقيد بها إلا على سبيل أنّ فيها الخير له، لذلك تُوجّه إليه بصيغة الأمر على اعتقاد المنشئ للنصيحة أنّ منصوخته سيستجيب له فيما ينصحه به، و يُرشدّه إليه.

و قد ورد الأمر في الخطاب النبوي في مواطن عدّة، و بصيغ الأمر المختلفة مقصود بها النصح و الإرشاد و الحثّ، كما في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عباس و انفرد بروايته الترمذي، قال: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ "ص" يوما، فقال: "يا غلامُ إني أعلمك كلمات، أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، و إذا استعنت فاستعن بالله، و أعلم لو أنّ الأمة...".، و في رواية أخرى: أحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرّخاء يعرفك في الشّدّة، و أعلم أنّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، و ما أصابك لم يكن ليخطئك،

¹ - عتيق عبد العزيز، في البلاغة العربية، علم المعاني، ص: 84

و اعلم أنّ النَّصْرَ مع الصَّبْرِ ، و أنّ الفَرْجَ مع الكَرْبِ ، و أنّ مع العُسْرِ يُسْرًا...¹.

كثُر في هذا الحديث الشريف أسلوب "الأمر" الذي اقترن "بالشرط"، و ذلك ما يُناسب مقام النصح و التعليم.² ، تعكس الأوامر فيه بلاغة رسول الله "ص" -الدالة على جوامع الكلم...بدءا من "التمهيد" بالنداء، ثم حَصُرَ أمورٍ ينبغي أن يتنبه لها و يُهيئَ ذهنه ليُصْغِيَ بعناية و اهتمام لجملة الأوامر: "احفظ الله، استعن بالله، اسأل الله، تعرّف الله..." كلها أوامرٌ صريحة تتعلق بشرائع الله تعالى و أحكامه و دينه ، في صورة بلاغية تجسّد فيها المحسوس بالمعنوي و المعنوي بالمحسوس امتثالا و إقامة لشرع الله و تحقيقه، ليُعقِبَ بعدها بفعل الأمر كذلك "اعلم" لتبنيه المخاطب و تهيئة نفسه و الوقوف على ما يراد من أخبار، ليكون المغزى من الأمر كَلَمَةً من هذه الأفعال هو إثارة الانتباه و إيقاظ الأحاسيس و تهيئة النفس للتلقي.³، و لعلّ ذلك هو مدلول الفعل **الدلالي** لجملة الأوامر السالفة الذكر.

ليتضمن "الفعل الكلامي": احفظ، استعن، اسأل، تعرف، اعلم... و **المكونة** إسناديا من الفعل الصريح مع موضوعه "الفاعل المستتر وجوبا تقديره" أنت"، و فعلا **إنجازيا** تتكوّن **حمولته الدلالية** من:

. **قوة إنجازية حرفية**: تتمثل في الأمر الصريح بصيغة: "افعل".

. **قوة إنجازية مستلزمة**: تتمثل في النصح و الإرشاد، لأنّ الرسول "ص" في مقام تعليم و نصح بدليل: "أني أَعْلَمُك"، الدال على النصح و الإرشاد للصحابي خاصة و للمسلمين عامة، رغبةً منه "ص" في حَيْثِهِ و إياهم على التمسك بما ينبغي أن يكونوا عليه من حيث العقيدة، و ذلك بحفظه، و ترك ما أمر الله و رسوله بتركه وإتيان ما أمر الله و رسوله بالإتيان به ، و يستعينوا به وحده لأنّه الوحيد القادر على العون حقيقة.

كما نلاحظ من خلال الحديث أنّ مضمونه و اكْبَتَهُ قُوتَانِ إنجازيان لنفس **المحتوى القضوي** حيث أنجز الأول فعلا لغويا مدلولا عليه بصيغة الأمر: "افعل"، إلا أنّ السياق المقامي الذي أورد فيه جعله يُنجز قوة إنجازية مستلزمة، مُتمثلة في "النصح" باعتباره فعلا لغويا غير مباشر..

** و بسبب ارتباط الأمر بدلالته الأصولية على الحثّ و الندب، لذلك تكوّن دلالة التّذبّ أظهر و أنسب من النصح و الإرشاد، لا سيما إذا تعلق بالمأمور به بالآخرة، و إن لم تخلُ الصيغة من إفادة معنى النصح و الإرشاد أيضا، و من ذلك حديث **أبي شريح العدوي قال: سمعتُ أذُنَيَّ و أبصرتُ عَيْنَيَّ، حين تكلمَ النبي**

¹- بسويوني عبد الفتاح، بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص ، ص: 123 .

² -الرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

³-المرجع نفسه، ص: 128.

"ص" فقال: "من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم جاره، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته؟ قال: "و ما جائزته يا رسول الله". قال: "يوم و ليلة و الضيافة ثلاثة أيام" ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه...¹.

إنّ القصد من وراء أوامره "ص" هو حث المسلمين على الاستجابة لما يدعوهم إليه من إكرام الجار، و إكرام الضيف بحسن ضيافته، و الإحسان إليه خاصة إذا كان فقيرا بالصدقة إليه، إعلاما بذلك من "ص" أنّ ما يحثهم عليه فيه الخير لهم ، فلا ينبغي أن يفوتوه على أنفسهم، و إن خالفوه لم يستحقوا العقاب ، و إن استحقوا اللوم و العتاب، أما إذا اتبعوه و نقدوه فلهم الثواب على الفعل .

جاء في ذلك من مدلول **الفعل الكلامي المباشر: "فليكرم مرتين"** ، بصيغة المضارع المقرون بلام الأمر "فليفعل" و المكوّن أساسا من محمول الفعل "يكرم" و موضوعه "فاعله" ضمير مستتر وجوبا تقديره "أنت" متضمّنا فعلا دلاليا فحواه الدعوة إلى الإكرام و الإحسان للضيف و للجار. ليتضمّن هذا الفعل الكلامي فعلا إنجازيا تتكون حملته الدلالية و مشكّلة من:

. قوّة إنجازية حرفية: الأمر الصريح "ليكرم". بصيغة المضارع المقرون بلام الأمر.

. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في "الحثّ و الندب"، لأنّ الأصوليين يُقرّون أنّ المندوب مساوٍ للمباح في التحيير بين الفعل و الترك من غير حرج، غير أنّ المندوب يزيد أنّه معه الثواب على الفعل، و هذا ما ارتضاه الرسول "ص" من حثّه و توجيهه، و لذلك فالمندوب إليه و خاصة عنه "عليه الصلاة والسلام" فيه معنى القرية إلى الله عزّ و جلّ وهو "الندب". من تصدّق على المعسر أو غيره، أو إكرام الجار و الضيف، لما لهذه الأفعال "الأوامر" من ثواب عند الله ، بسبب ما يتضمّنه معناها القضيوي الذي تدل عليه، جعلت من الرسول ، يُرغّب فيها جاعلا إياها من علامات كمال الإيمان بالله و اليوم الآخر.

د- التعجيز:

يرتبط هذا الغرض من أسلوب الأمر المتضمّن في القول بالمخاطب، ومدى قدرته على القيام بالفعل، و هو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه، إظهارا لعجزه و ضعفه و عدم قدرته². و ذلك من قبيل التحدي إظهار والعجز، كقول الشاعر:

أروني بخيلاً طالَ عُمراً بيُخله *** و هاتوا كريماً مات من كثرة البذل¹

¹ - صحيح البخاري: حديث رقم: 5673، كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله... ج 03، ص: 2240.

² - عتيق عبد العزيز ، في البلاغة العربية ، علم المعاني، ص 76.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

فإذا قلت لمن يدعي أمرا ليس في وسعه: "افعله" امتنع أن يكون المطلوب بالأمر حصول ذلك الأمر في الخارج بحكمك عليك بامتناعه، و توجه إلى مطلوبٍ ممكن الحصول مثل: بيان عجزه و تولد التعجيز و التحدي...².
و قد عبّر "الزركشي" عن التعجيز قائلا: "و يكون: حيث يقتضي بالأمر فعلٌ ما لا يقدرُ عليه المخاطَبُ إظهارًا لعجزه.."³.

و من المواطن التي ظهر فيها الأمر المراد منه التعجيز الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله "ص" قال: "إنّ الذين يصنعون هذه الصُّور يُعَذَّبُونَ يوم القيامة، يُقال لهم: أَحْيُوا ما خَلَقْتُمْ"⁴.
و قد أورد البخاري هذا الحديث في مواطن متعددة من الصحيح، تشترك كلها في احتواء الحديث على فعل كلامي "أحيوا"، أمرٌ من الله تعالى للمُصَوِّرِينَ بإحياء ما يُصَوِّرُونَ بنفخ الروح في ما كانوا يُصَوِّرُونَ إن استطاعوا، و لن يستطيعوا إلّا هو أمرٌ تعجيزيٌّ لثبات العجز عن القيام بالفعل لدى المخاطَب، "أي اجعلوه ذا روح، كما قدّرتوه و صورتموه"⁵، و هذا هو الفعل الدلالي للفعل الكلامي: "أحيوا".

ليشمل هذا الفعل فعلا إسناديا مُكَوَّنًا من الجملة الفعلية الأمرية "أحيوا" و موضوع الفعل المتمثل في الضمير المتصل المعبّر عنه "بواو الجماعة" و الدال على المصوِّرين. أما الفعل الإنجازي لهذا الأمر فتتشكّل حمولته الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في الأمر الصريح: "أحيوا" على صيغة "أفعل".

. قوّة إنجازية مستلزمة: يقتضيها المقام بسياق الحال و هي "التعجيز"، رغم أنّ زمن الأمر هو "يوم القيامة" فيقال لهم و "هم يُعذبون" و أحوج ما يكونون إلى عفو الله و غفرانه. فيتعدى التعجيز إلى نوع من التقرير والتوبيخ بقرينة نسبة الخلق إليهم، كما عبّر عن ذلك الإمام "ابن حجر": "...فإنّما نُسب خلقها إليهم تقريرا لهم بمضاهاتهم الله تعالى في خلقه، فبكتهم بأن قال إذا شأجتم بما صورتم مخلوقات الله تعالى، فأحيوها كما أحيوا هو

1 - المرجع السابق، ص: 77.

2 - السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 417.

3 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 253.

4 - صحيح البخاري، حديث رقم: 5607، كتاب اللباس، باب عذاب الصور يوم القيامة، ج 05، ص: 2220.

5 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

من خلق...¹، ليظهر عدم تطابق القوتين الإنجازيتين، بدلالة المستلزمة مقاميا على "التعجيز" لأنه لا يطالب "بالإحياء" إلا من يقدر على الخلق !!! و هذا فقط من قدرته عزّ و جل.

**نموذج يطابق الحديث الأول دلالةً و قضيةً، أورده "البخاري" في الباب ذاته بغرض التعجيز، في الحديث الذي يرويّه "أبو زرعة" قال: دخلتُ مع أبي هريرة دارًا بالمدينة فرأى أعلاها مُصوّرًا يُصوّر، قال: سمعتُ رسولَ الله "ص" يقول: "و من أظلم من ذهبٍ يخلقُ كخَلْقِي فليخلُقوا حَبَّةً، و ليخلُقوا ذرَّةً..."².

يظهر في هذا باب التعجيز بدءًا من دلالة الفعل الكلامي، "فليخلُقوا حَبَّةً، فليخلُقوا ذرَّةً" كفعل كلامي بصيغة "فليفعل" كجواب على صيغة الاستفهام: و من أظلم؟ بمضمون قوة إنجازية مستلزمة يستدعي التعجيز عن الخلق و لو حَبَّةً، و لو ذرَّةً... !!! و هذا ما يستدعيه المقام و السياق، لتبقي دلالة التعجيز دائمة بدوام صدور الأمر إلى المصورين في المثال الأول، في كلّ وقت و حين، و إلى الذين يضاهون خلق الله من حَبَّة أو ذرّة في المثال الثاني.

هـ - التأديب:

جاء في "منجد اللغة و الأعلام" أنّ الأدب من أدب، أدبًا بمعنى هدّبه و راض أخلاقه، فهو مؤدّب، و من تأدّب بمعنى تعلّم الأدب...³، و زاد "صاحب المصباح":...أدبته، بمعنى علّمته رياض النفس و محاسن الأخلاق وأدبته تأديبا: مبالغة و تكثير، و منه قيل: أدبته تأديبا، إذا عاقبته على إساءته، لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب.⁴، و الناظر في السيرة النبوية عامة يلحظ كيف كان الرسول "ص" حريصا على أن يُعلّم، بل يُؤدّب أصحابه و مناطُ التأديب كي يكونوا نماذج في بناء صرح هذا الدين في شكل "إستراتيجية تحاطبية"، يُجسّد من خلالها المرسلُ درجةً علاقته بالمرسل إليه أو المتلقي، و أن يُعبّر عن مدى احترامه و رغبته في المحافظة عليها، لا سيما وهو الذي أثنى عليه التعبير القرآني: "إنا أرسلناك رحمة للعالمين".

و من المواطن التي استعمل فيها الرسول "ص" الأمر بغرض التأديب، ما أورده البخاري في بابٍ أفرده في ذلك سماه "باب الأدب" أثناء حديثه عن الأظعمة في الحديث الذي يرويّه عمرو بن أبي سلمة إذ يقول: كنتُ غلامًا في حجر رسول الله "ص"، و كانت يدي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسول الله "ص": يا غلام، سمّ الله و

1 - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج13، ص648.

2 - صحيح البخاري: حديث رقم: 2609، كتاب اللباس، باب نقض الصور، ج05، ص: 2221.

3 - المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق، بيروت، ط، 1997. مادة: أدب، ص: 36

4 - الفيومي أحمد بن علي، المصباح المنير، مادة "أدب". ص: 10.

كُلَّ بِمِمينِكَ، وَكُلُّ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طُعْمَتِي بَعْدُ...¹ وَ قَالَ أَنَسُ: قَالَ النَّبِيُّ "ص": "ادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَ لِيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ..."².

من خلال نص الحديثين يحرص الرسول "ص" على تلقين آداب الأكل في حضرة الطعام للغلمان، كي يكبروا على هذا الأدب، بدءاً من استحباب التسمية على الطعام في أوله، و الأكل و الشرب باليمين، و كراهة ذلك بالشمال، و أن يأكل الطاعم ممَّا يليه. و قد اشتمل الحديثان على **فعل كلامي**: "كل، سمّ" المكون كلّ منهما من:

فعل اسنادي يتكون من محمول الفعل (سَمَّ، كَلَّ) و موضوعه الفاعل المستتر وجوبا تقديره أنت، و المتضمن قضية تأديب الرسول "ص" لبعض أصحابه في بيان طبيعة الأكل و الشرب في حضرة الطعام، ينتج عنه "استلزام منطقي" بين المعلّم و المتعلّم من خلال رغبة الأول في التعليم، و استحابة الثاني لذلك، بدليل طرف الحديث: "فما زالت تلك طعمتي بعد...". أما الفعل الإنجازي فتشكل حملته الدلالية من:

. **قوة إنجازية حرفية**: تتمثل في الأمر بصيغة: "كل، سمّ".

. **قوة إنجازية مستلزمة**: مقاميا: تتمثل في تأديب الرسول "ص" لبعض الصحابة أثناء الأكل، ما يحتم كنتيجة للتأديب و التعليم اجتناب الأعمال التي تُشبه أعمال الشياطين و الكفار، و استحباب تعليم آداب الأكل و الشرب، و فيه مزية لعمر بن أبي سلمة لامتناله الأمر و مواظبته على مقتضاه³. كما يعكس الحديث مواكبته لقوتين إنجازيتين، أنجزت الأولى فعل الأمر الصريح المدلول عليه حرفيا بصيغة "سَمَّ، كل"، إلا أنّ السياق المقامي لا يقصد به الأمر بل التأديب، و الذي يمثل فعلا لغويا غير مباشر على حدّ تعبير "سيرل" في محاضراته.

لتبقى أغراض أخرى في شكل أفعال لغوية غير مباشرة لأسلوب الأمر في الحديث النبوي الشريف يمكن عرضها في خلال الجدول الموالي، و تقتضي الرجوع إليها في ثنايا كتب الحديث النبوي الشريف، لنخلص إلى أنّ للأمر قوى إنجازية مباشرة و مستلزمة مقامية تتمثل في:

القوى الإنجازية المستلزمة	القوة الإنجازية الحرفية
الوجوب، الندب، التخيير، الإباحة، الدعاء، التعجيز، التهديد...	الأمر الصريح: (افعل، ليفعل)، إضافة إلى اسم الفعل، النائب المصدر عن الفعل.

1 - صحيح البخاري: حديث رقم: 5061، باب التسمية على الطعام، ج 05، ص: 2056.

2 - صحيح البخاري، حديث رقم: 5062، الباب نفسه، (الأكل باليمين)، ج 05، ص: 2056.

3 - العسقلاني ابن حجر: فتح الباري، ج 09، ص: 599.

ثالثا: أسلوب النهي:

النهي هو طلب الكفّ على وجه الاستعلاء، أو طلب الترك، و له صيغة واحدة هي "الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية"، التي تفيد وجوب الامتناع عن الفعل و تركه استعلاءً، فالطلب من النهي بمنزلة من الأمر...¹.
و قد يُستعمل لتوجيه المتلقي أو الغائب، و للنهي درجات تقدر بناءً على السياق التداولي، و ذلك بمعرفة خصائص المرسل إليه من الضعف والقوّة، و أهمية الأمر المنهى عنه، كما يمكن استعمال ألفاظ معجمية للدلالة على النهي كمادة: "حُرِّمَ، حُظِرَ، منع." و "نهي" و مُشتقاتها، أو الألفاظ الدالة معجميا على الترك و إن كانت بصيغة الأمر، مثل: "دع و ذر، كف"، وكذلك الألفاظ الدالة على عدم "الحلّ" بأسلوب النفي "لا يحلّ" "لا يجوز".²
و لا يختلف النهي عن الأمر من حيث شروط جريانه على الأصل، يقول "السكاكي": "... و النهي مَحْدُوٌّ به حذو الأمر، في أنّ أصل الاستعمال: "لا تفعل" أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإن صادق ذلك أفاد الوجوب، و إلا أفاد طلب الترك فحسب".³

و الشروط المعدّة لإجراء النهي على أصله هي: "شرط الاستعلاء"، "الزام المخاطب به"، و إذا احتل أحد الشرطين اللازمين لإجراء النهي على أصله خرج إلى أغراض تواصلية يفرضها السياق، فيها يقول "السكاكي": "... ثمّ إن استعمل على سبيل التضرّع... سمي دعاءً، و إن استعمل في حقّ المساوي في الرتبة سُمّي التماسا، و إن استعمل في حقّ المستأذن سُمّي إباحةً... و إن استعمل في مقام تسخّط الترك سمي: تهديدا.⁴
. الفعل الكلامي المباشر: "النهي الحقيقي":

"طلب الكف عن شيء ما على جهة الاستعلاء من الأعلى إلى الأدنى بتنفيذه على وجه الإلزام والإيجاب... هي الصيغة من النهي تفيد تشريعا ما في النواهي الاعتقادية الدينية خاصة، و النواهي الدنيوية عامة أو تشديد الرغبة في وقوع فعلٍ على هيئة مُعيّنة... لذلك ارتبط أسلوب النهي باستنباط الأحكام الشرعية... هذا الحكم إما أن يكون خطاب طلب و اقتضاء، و أو لا يكون، و أنّه إن تعلق بطلب اقتضاء فهو أن يكون طلبا بإتيان فعل أو طلبا باجتناّب فعل أو تركه، كلّ واحد منهما إمّا جازم أو غير جازم، فما تعلق بالطلب الجازم

1 - ياسين عبد العزيز، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مطبعة السعادة، ط1989، ص: 313.

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، دار الكتاب الجديد، ط2004، ص: 351.

3 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 429.

4 - المرجع نفسه، ص: ن.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

للفعل فهو الوجوب... و ما تعلق بغير الجازم فهو الندب ، و ما تعلق بالطلب الجازم للترك هو الحرمه ، و ما تعلق بغير الجازم منه فهو الكرهه¹.

لذلك فخطاب الشارع بطلب الترك ، ترك الفعل سواء أكان على جهة القطع و الجزم أو غير ذلك من معان تُستفاد من السياق و قرائن الأحوال ، هو ما تناوله البلاغيون تحت مصطلح "أسلوب النهي" ، و هو المقصود و ورده بصيغة "لا تفعل". و هي صيغة مخصوصة للنهي ، و أن "لا تفعل" تفيد التحريم عند تجردها عن القرائن، فهي حقيقة في طلب الإمتناع أو الترك أو التحريم...².

و قد استعمل النبي "ص" النهي بمعنى "التحريم" ، و من أمثلة ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله "ص" قال: "لا تَلْقُوا الرُّكْبَانَ و لا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، و لا تَنَاجَشُوا، و لا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، و لا تُصْرُوا العَنَمَ ، و مَنِ ابْتَاعَهَا فهو بَخِيرٌ النَّظْرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْتَلِبَهَا : إِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا ، و إِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ..."³.

فيظهر من خلال الحديث المتضمن لصيغ النهي الصريحة المكوّنة من "المضارع مع لا الناهية" ، دلالة النهي على التحريم دلالة واضحة، وأوردها "البخاري" في باب "البيع" ، و هو باب المعاملات بين المسلمين في أمور دينهم، و دناهم ليتضمن الفعل الكلامي أفعالاً دلالية متضمنة في مدلول: "لا تلقوا الركبان، لا يبيع، لا تناجشوا، لا تصروا...". كلّها أفعال دلالية تتضمن النهي (التحريم) في باب تلقي الركبان و إن لا يبيع المسلم على بيع أخيه... و كلّها أسس أخلاقية تقوي دعائم المجتمع المسلم.

ليتكّون الفعل الكلامي من فعل إسنادي موضوعه النهي الصريح "لا تفعل" ، و محموله الفاعل المستتر مرّة، و الضمير المتصل مرّة أخرى، العائد على المسلم عامة. و المتضمن قضية البيع في أحد أنواعه ، و هو بيع "تلقي الركبان"، لتحلّل الفعل الكلامي في حمولته الدلالية قوتان إنجازيتان:

. قوة إنجازية حرفية: النهي الصريح: "لا تفعل"، لا تلقوا، لا يبيع.

. قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في "التحريم"، إذ لا يجوز للمسلم أن يسمع بالسلعة قادمة إلى البلد، فيخرج يتلقاها من الركبان خارج البلد، فيشتريها من هناك، ثم يدخلها فيبيعها كما شاء ، لما في ذلك من التغيرير بأصحاب

1- الآمدي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ص: 138، 139.

2- يراجع اختلاف الفقهاء و الأصوليين في المسألة ، و هذا الرأي انفرد به الإمام الجوليني "البرهان في أصول الفقه"، تحقيق عبد العظيم محمود... دار الوفاء، مصر، ط1418، 04هـ، ص: 199.

3- صحيح البخاري: حديث رقم: 2043، كتاب البيع، باب النهي للبائع أن لا يغفل الإبل... ج02، ص: 755.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

السلعة والإضرار بأهل البلد من تجار وغيرهم..¹ ، مما يعكس أنّ النهي لصالح العباد و ليس لمجرد الرغبة في التحريم أو التشديد على الناس، لذلك جاء "التحريم" مطابقا للقوة الإنجازية الحرفية "النهي" باعتباره فعلا كلاميا مباشرا،و بذلك يضمن للمجتمع بناءه الاجتماعي السليم بإقامة دعائمه الاقتصادية و توضيحها.

و لعلّ هذه القوة الإنجازية المستلزمة هي التي أقرّ بها علماء الأصول حين يكون الغرض الأساسي للنهي هو "التحريم" و الفعل المنهى عنه هو "المحرّم" فيقول "الجويني": "هو ما زجر الشارع عنه و لام على الإقدام عليه."² ، و عرّفه "الأمدي": "...هو ما ينتهض فعله سببا للدم شرعا بوجه ما من حيث هو فعل له ، و من أسمائه أنّه محرّم و معصية و ذنب".³

فالنهي الذي يقتضي التحريم هو الذي يدلّ على أنّ الشارع يطلب الكف عن فعله طلبا حتما...⁴ ، أي الذنب الذي يجبّ معه اجتناب ما نهى عنه القرآن الكريم، أو نهى عنه الرسول "ص" لأنّ مخالفة نهيه عليه الصلاة و السلام يترتب عليها العقاب شرعا سواء أكان دنيويا أو أخرويا أو فيهما معا.

. الفعل الكلامي غير المباشر: "النهي المجازي".

إنّ أكثر ما يدل عليه استعمال أسلوب "الأمر و النهي" في الحديث النبوي الشريف هو التعبير عن أبعاد العلاقة بالآخر ، و في خروجهما عن الغرض الأصلي الذي يساقان لأجله ،سواء أكان طلب الفعل على وجه الاستعلاء في الأمر،أو طلب الكف في النهي ،إلى أغراض أخرى تُستفاد من السياق بعيدة عن الأصل في صيغة النهي عن سبيل الاستعلاء إلزاما بالكف ،و تحريما للفعل،و من هذه الأغراض كأفعال لغوية غير مباشرة:.

أ. النصح و الإرشاد:

قد يخرج النهي في هذا الغرض فيكون للتوجيه في أمرٍ من الأمور أو للتنبيه عليه على سبيل النصح والإرشاد ، و من ذلك حديثه "ص" عن أبي هريرة رضي الله عنه "أن رجلاً قال للنبي "ص" أو صني ،قال: "لا تغضب، فردّد مرارا، قال: "لا تغضب...".⁵

فيعكس الحديث فعلا كلاميا يتمثل في النهي "لا تغضب" و الذي جاء ردّا على الصحابي الذي أراد الوصية من رسول الله "ص" فولّد المقام توجيه النصيحة لطالبها، ليتكوّن هذا الفعل الكلامي من:

1- أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم، دار الفكر، ط08، 1976، ص: 321.

2 - الجويني، البرهان في أصول الفقه، تح: عبد العظيم محمود ،دار الوفاء، مصر ، ط04، 1418هـ ، ج 01، ص: 216.

3- الأمدي: الأحكام في أصول الأحكام، ج01، ص: 156.

4 - خلاف عبد الوهاب ،علم أصول الفقه، ص: 113.

5 - صحيح البخاري: حديث رقم: 5765، كتاب الأدب ،باب الحذر من الغضب ،ج05، ص: 2267.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

***فعل دلالي**: مضمونه القضية التي أرادها رسول الله :ص" من مدلول "لا تغضب" لأنّ الغضب يجمع الشر كله"¹ ، فهو مدعو إلى اجتناب أسبابه ، و لا يتعرّض لما يجلبه .

***فعل إسنادي**: يتمثل في الفعل المضارع "لا تغضب" و موضوعه الفاعل المستتر تقديره أنت .

هذان الفعلان يتقاطعا "استلزام حوارِي" يتكوّن من طلب و جوابه، عمل فيه المتكلم على تأكيد "جواب الطلب" عن طريق التكرار بدليل قول "الراوي" فرّد مرارا ، و لعلّ السائل كان غضوبا ، و كان "ص" يأمر كلّ واحد بما هو أولى به ، فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب. ،ليواكب هذا الفعل فعلا إنجازيا تتكون حملته الدلالية من:

. **قوة إنجازية حرفية**: تتمثل في النهي الصريح "لا تغضب". بصيغة: "لا تفعل".

. **قوة إنجازية مستلزمة**: ولّدها المقام و السياق "و هو" النصح" ، مما يعكس عدم تطابق القوتين الإنجازيتين لأنّ النصح هو الغرض المتوخى ، بيّناً منه "ص" من قوله "لا تغضب" من الحكمة و استجلاب المصلحة في ذرء المفسدة ، مما يتعدّر إصلاحه و الوقوف على نهايته .

* في النموذج التالي الدليل الواضح على نصح رسول "ص" أصحابه، كما فعل مع عبد الرحمن بن سُمرة، الذي قال: قال رسول الله "ص" "لا تسأل الإمامة ، فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيتَهَا من غير مسألة أُعِنْتَ عليها، و إِن أُعْطِيتَهَا عن مسألة وُكِّلتَ إليها، و إِذَا حَلَفْتَ على يمينٍ فَرَأَيْتَ غيرها خيراً منها، فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَ كَفِّرْ عن يَمِينِكَ".²

إنّ رغبة عبد الرحمن بن سُمرة في الإمامة كانت جلية واضحة ، لأنّه في نفسه يملك القدرة على توليها، إلا أنّ النبي "ص" نهاه عن سؤالها و الحرص عليها، بالفعل الكلامي: "لا تسأل"، مُعَضِّداً النهي بـ"أسلوب الشرط و جوابه"، مُبيّنا العلة و مدى خطورة المنهى عنه. و يتكون الفعل الكلامي من:

***فعل إسنادي**: يتمثل في محمول الفعل: "تسأل" ، و موضوعه الفاعل المستتر وجوبا تقديره "أنت".

***فعل دلالي**،: المكوّن من القضية التي تتمثل في طلب الإمامة ، و تحذير الرسول "ص" ناصحاً الصحابي خوفاً من الفتنة التي يمكن أن يتعرّض لها في مواقع الإمامة و مُغرياتها.

ليربط الفعل الدلالي بين "اقتضاء" ما يترتب عن طلب الإمامة في صورة "الشرط" الذي بيّنه رسول الله "ص" و لما يستلزم "منطقياً" النتيجة المترتبة عنها بطريقة:

1- العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري ،ج10 ، ص:586.

2 - صحيح البخاري: حديث رقم:6343، كتاب كفارات الإيمان، باب الكفارة قبل الحنث، ج05، ص:2472.

— إن أوتيتها عن مسألة ← وَوَكَّلْتُ إِلَيْهَا.

— إن أوتيتها من غير مسألة ← أَعْنَتَ عَلَيْهَا.

و هو "تفصيل بعد إجمال" ، مُبَيَّنًا عِلَّةَ النَّهْيِ فِي الْأَسْلُوبِ ، بـ"الخبر المؤكد" "إِنَّكَ....." ، و الذي اشتمل تركيبه النحوي على موقفين مُتَقَابِلَيْنِ ، جاءت كلُّ مقابلة في أسلوب شرط و بذلك "ينسحب" التوكيد الذي تصدر به الأسلوب الخبري على الشرطين معا. لِيُنْجِزَ بِذَلِكَ فِعْلُ النَّهْيِ فِعْلاً إِنْجَازِيًّا تَتَكَوَّنُ حَمُولَتُهُ الدَّلَالِيَّةُ مِنْ :
 . قُوَّةِ إِنْجَازِيَّةٍ حَرْفِيَّةٍ: تَمَثَّلُ فِي النَّهْيِ الصَّرِيحِ: "لا تسأل".

. قُوَّةِ إِنْجَازِيَّةٍ مُسْتَلْزِمَةٍ: تَمَثَّلُ فِي "النصح و الإرشاد" لَأَنَّ النَّتِيْجَةَ الْمُنْهَى عَنْهَا وَ الْمُرَادُ الْوَصُولُ إِلَيْهَا وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ، إِذْ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُ أَنْ يُحَدِّدَ لِنَفْسِهِ أَيَّ السَّلُوكِيِّينَ أَهْدَى سَبِيلًا، لَيْسَ مِنْ دَلَالَةِ النَّهْيِ وَحْدَهَا، بَلْ مِنْ التَّوْضِيحِ وَ الْبَيَانِ الَّذِي يَضَعُ الْمُسْلِمُ أَمَامَ مَقَارَنَةِ بَيْنِ النَّتِيْجَتَيْنِ ، وَ الَّذِي يُسَلِّمُ إِلَى التَّرْفَعِ عَنْ طَلِبِهَا مِنْ جِهَةٍ، أَوْ حِينَ تَأْتِيهِ رَاغِمَةً دُونَ مَسْأَلَةٍ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

ب. الكراهة:

من المواطن التي يخرج فيها النهي عن حقيقته، أن يأتي لبيان كراهة الفعل الذي حصل من المخاطب ، و هو المواطن الذي قد يحتاج فيه المتكلم إلى البرهنة عمّا استكرهه من "مستقبله" ، كما في حديث أبي قتادة رضي الله عنه. قال: بينما نحن نُصَلِّي مع النَّبِيِّ "ص" إِذْ سَمِعَ جَلْبَةَ رِجَالٍ ، فَلَمَّا صَلَّى، قَالَ: "مَا شَأْنُكُمْ؟" قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: "فَلَا تَفْعَلُوا"، إِذَا أُتِيتُمْ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَ مَا فَاتَكُمْ فَأَتَمُّوا...".¹

فقد اشتمل الحديث على فعل كلامي: "لا تفعلوا" في صورة نهي صريح، كراهية منه "ص" لصنيع ذلك الوفد من الصحابة ، رغم "كون المخاطب" و هم الصحابة كانوا حريصين على إدراك الصلاة بالإسراع إليها حتى لا يفوتهم شيء منها... ، فكان النبي "ص" مَوْضِحًا الْعِلَّةَ مِنْ ذَلِكَ بِأَسْلُوبِ "الشرط و جوابه" — "إذا أتيتم فعليكم بالسكينة". بعد أن أدّى النهي "لا تفعلوا" كراهيةً لصنيعهم.

و قد اشتمل الفعل الكلامي على :

*فعل دلالي: يتمثل في مضمون الفعل "لا تفعلوا" ، و من القضية التي تتمثل في نهي الرسول "ص"

¹ - صحيح البخاري، حديث رقم: 610، كتاب الأذان، باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة"، ج1، ص: 228.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

للصحابة عن فعلتهم حين أحدثوا الجلبنة، فأفسدوا على الناس خشوعهم، لا سيما و أنّ الإسناد كان مكونا من محمول الفعل: "تفعلوا" المجزوم بلا الناهية ، و موضوعه: الفاعل الضمير المتصل المعبر عنه بواو الجماعة إشارة إلى الصحابة رضوان الله عليهم.

لتشكّل القضية في فعلها الدلالي من "اقتضاء" مردّه علم الرسول "ص" بما في هذا الصنيع من أثر خاصة حين تعلق بالخشوع في الصلاة من جهة، و كونه كان "مفاجئا" بدليل سبق الحديث ب "بينما" المتعلق بالظرف "إذ" ، للدلالة على الفجائية من جهة أخرى، مما يستلزم من الصحابة العمل على ترك صنيعهم اقتداءً بنهي رسول الله "ص"، أما الفعل الإنجازي لهذا الفعل الكلامي فتشكلت حمولته الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في النهي "لا تفعل".

. قوّة إنجازية مستلزمة: اقتضاها المقام و ولدها السياق و حتمتها وظيفة رسول الله "ص" بين قومه تعليما و تهديبا، يتمثل في "الكراهية" خاصة حين اعتمد الرسول "ص" مبدأ "الشرط و جوابه" تعقيبا على هذا النهي و تعليلا له متمثلا في: إذا أتيتم — فعليكم بالسكينة، ، ما أدركتم — صلّوا، ما فاتكم — أتّوا".

و ذلك ما أكّده الإمام "الشوكاني" أنه تُستفاد الكراهية إذا نص النبي "ص" عن فعل هو له غير مُحَبَّب، و ترجّح فيه جانب الترك على الإتيان...¹.

ج . التأسيس:

ارتبط هذا الغرض من النهي في إحدى مواضعه بمحطّة من محطّات الهجرة النبويّة المباركة... حين قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله "ص" لما رأى سراقّة بن مالك يتبعهم ، و هم في طريق الهجرة ، فقال للرسول: أتينّا يا رسولَ الله، فقال الرسول "ص" لا تحزّن إنّ الله معنا...². و لعلّ السبب في حزن أبي بكر الصديق هو خوفه على الرسول "ص" ، فنّهاه المصطفى تسكينًا لقلبه، فكان النهي بالفعل الكلامي: "لا تحزن" ، و الذي تكوّن من:

*فعل إسنادي: مُكوّن من محمول الفعل "تحزن"، و موضوعه الفاعل المستتر وجوبا العائد على أبي بكر الصديق تقديره "أنت".

*فعل دلالي: يتكوّن في القضية التي تتمثل في حُزن أبي بكر الصديق على صاحبه في الهجرة، و هذا ما

1 - الشوكاني علي بن محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، ج01، ص: 23.

2 - صحيح البخاري: حديث رقم: 3420، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج03، ص: 1324.

اقتضته ملابسات السياق الميحدّد لأحداث الهجرة ، و المعبر عنها: "أتينا يا رسول الله"، وفعل إنجاري: تتشكل حمولته الدلالية من:

. قوّة إنجازية حرفية: تتمثل في النهي: "لا تحزن".

. قوّة إنجازية مستلزمة: تتمثل في تأنيس الرسول لصاحبه، دفعًا للخوف و القلق،مؤكدًا ذلك بالأسلوب الخبري "إنّ الله معنا". لإزالة ذلك التردّد و الشكّ، و هو من ضرب الخبر الطلبي كما تمّ شرحه سالفا.
د. الإنكار:

كما تمّ ذكره ، فإنّ الإنكار أن يُظهر المتكلم عدم قبول ما يصدر من مخاطبه لعله أو لأخرى ، خاصة إذا تعلق الأمر بأمور العقيدة أو المعاملات بين المسلمين ، ومن النهي في مقام الإنكار على المخاطب نهي "ص" على التفضيل بين الأنبياء والذي من شأنه أن يودي إلى التنازع و الخصوم، أو حتى الإنقاص من قيمة المفضل، ومثال ذلك ما رواه أبو هريرة في سباب الرجلين ..رجل من المسلمين ..ورجل من اليهود، فقال المسلم : والذي اصطفى محمدا على العالمين ، وقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين ،فغضب المسلم ..ولطم وجه اليهودي..فذهب اليهودي واخبر الرسول "ص" ..فقال الرسول"ص" :**لا تخيروني في موسى فإنّ.....**¹**وفي رواية أخرى:.... لا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ....**².

إنّ المقام مقام إنكار لما في ذلك من باعث على الخصومة و التنازع بين المسلمين وغير المسلمين ، فأنكر الرسول "ص" ذلك بالفعل الكلامي : **"لا تخيروني ، لا تفضلوا"** ..ويتكون هذا الفعل من : **فعل دلالي** : وما يتضمنه الفعل من تخيير ومفاضلة بين الأنبياء ، مُشكّل من **فعل إسنادي** : طبيعته الفعل المضارع الجزوم بلا الناهية ، وموضوعه :فاعله الضمير المتصل المعبر عنه بواو الجماعة، مع إحالة الفعل الكلامي على الرجلين المتخاصمين . ليتشكل الفعل الكلامي من فعل إنجاري تتكوّن حمولته الدلالية من :

قوّة إنجازية حرفية : تتمثل في النهي الصريح (لا +المضارع الجزوم).

قوّة إنجازية مستلزمة : ولّدها المقام بملابسات السياق "....جدال ..خصام.."مما حتّم إنكار الرسول "ص" لصنيع الرجلين معا ،فنهى الرسول ص مُنكرا هذا الصنيع على المتخاصمين خاصة وعلى المسلمين عامة ،وذلك إظهارا لمكانة الأنبياء عند الله عز وجل ، فلا يمكن الانتقاص من قيمتهم ،ويظهر ذلك من خلال تعقيب النبي "ص" عن إنكاره بما جاء في تنمة الحديث .

1- صحيح البخاري حديث رقم 2280 ، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الأشخاص و الخصومة ...ج2 ص : 894

2-المرجع نفسه حديث رقم 3233، كتاب الأنبياء باب :وانّ يونس لمن المرسلين ج3 ص : 1254

وخلاصة الحديث عن النهي ،أنه كثيرا ما كان مرتبطا بالعرض الأصلي منه وهو "التحريم" ، بسبب ارتباطه بالميدان التشريعي، وذلك ما تعبر عنه القوة الانجازية الحرفية غالبا حين تطابقها مع ما يستلزمه المقام ،إلا أنه قد يخرج إلى دلالات أخرى انجازية مستلزمة ، تتنوع بتنوع السياق الذي ترد فيه صيغة النهي كما في الجدول التالي :

قوى انجازية مستلزمة	قوة انجازية حرفية
الكراهة ،النصح و الإرشاد ،التأنيس ،الإنكار ، الدعاء ، التحقير ،الإباحة	النهي لا تفعل

رابعا: أسلوب النداء :

النداء تركيب طلبى ،يقصد به تنبيه المخاطب (المنادى) ودعوته للإقبال على المتكلم لإبلاغه أمرا يريد، بأدوات تُسمّى أدوات النداء ،...لتتكون الجملة الندائية من :أداة النداء مذكورة أو محذوفة ، و المنادى الذي لا يظهر في البنية السطحية للجملة ،و المنادى :وهو المخاطب، و المنادى له :أي جواب النداء ، أي المضمون المراد تبليغه للمنادى ،وقد يكون هذا المضمون:جملة خبرية ،جملة طلبية ،أو شرطية

وكثيرا ما يقترن النداء بمقاصد أخرى كالأمر و النهي والإخبار ، فالنداء فعل كلامي يعتبر مدخلا لأفعال كلامية أخرى هي الهدف المقصود مباشرة من تنبيه المنادى و دعوته للإقبال على الداعي ،"فالنداء كالعرض الثاني لا يُطلب لذاته إنما يطلب لتحقيق غرض آخر أو أغراض أخرى ، وعمل النداء من قبيل خاص ، فهو مُمَهَّد لسائر الأعمال اللغوية أو قل لسائر المعاني و المقاصد ، وليس من قبيله " ¹

لذلك فالنداء ليس مقصودا لذاته ، بل هو لتنبيه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له ومنه تكون القوة الانجازية للنداء هي التنبيه (أداة النداء+ منادى) وطلب إقبال المدعو على الداعي ،أما القوة الانجازية في جواب النداء فتكون أمرا أو نهيا أو إخبارا أو وصفا أو دعاء ... ومثال ذلك في هذه الحالة ما ورد عن المعرور قال : لقيت أبا ذرٍّ "بالرّيدة" ، عليه حُلة وعلى غلامه حُلّة ، فسألته عن ذلك فقال : إني سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأَمِّهِ ، فقال لي النَّبِيُّ " ص " : يا أبا ذرٍّ أَعَيَّرْتُهُ بِأَمِّهِ ، إِنَّكَ أَمْرٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ ، إخوانكم خُولِكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَ لِيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ...² ، لتتجلى أول صورة من صور النداء المكوّنة من :

¹ - محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، المؤسسة العربية للخطاب بيروت ط1 ، 2001 ج2 ،ص: 681.

² - صحيح البخاري ، حديث رقم 30 كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية ج1 ،ص: 20 .

أ-أداة النداء + المنادى المضاف + مضمون النداء:

هذا المضمون إقرار لحقيقة ما وقع من سباب بين أبي ذر الغفاري و صاحبه ،رغم مكانة "أبي ذر" في الإسلام ، فاشتمل هذا المضمون على تركيب تداوليٍّ مكوّن من أفعال كلامية هي :

- . يا أبا ذر - نداء - للتنبيه و الإقبال على المنادي.
- . أعيرته؟ - استفهام - للإنكار و التوبيخ.¹
- . إنك امرؤ فيك جاهلية - جملة خبرية - لغرض الوصف و التوبيخ .
- . فليطعمه - أمر - الوجوب (جوابا لشرط) . قوى انجازية مستلزمة.
- . وليلبسه - أمر - الوجوب (جابا لشرط معطوف).
- . لا تكلفوهم - نهي - التحريم .

لذلك يؤخذ النداء "تداوليا" على أنّ قوته الانجازية هي التنبيه (الأداة + المنادى) و طلب إقبال المدعو على الداعي ،و المكونة من الأداة "يا" لنداء القريب و البعيد ، و المنادى المضاف "أبا ذر" ،أما القوى الانجازية في "جواب النداء" فتكونت من : "الإنكار ،التوبيخ ، الوصف ، الوجوب ، التحريم ،ناجحة و مستلزمة كلّها عن أفعال كلامية تراوحت بين "الأمر" ،و" النهي" ، و "الخبر" .

ب-صورة النداء :أداة نداء + منادى مفرد مبني + مضمون النداء :

كثيرا ما شاع هذا النوع من التركيب الندائي في الحديث النبوي لشيوع النداء في مواطن خاصة ،و كان فيها النداء مقصودا خصّ به النبيّ "ص" واحدا من أصحابه، إلا أنّ العبرة قد تكون لجميع المسلمين ، ومن ذلك ندائه "ص" في الحديث الذي يرويه أسامة بن زيد حين بُعث إلى "الحرقه" ، وما وقع منه حين قتل الأنصاري برمحه، فقال الرسول ص : يا أسامةُ أَقْتَلْتَهُ بعد أن قال : لا اله إلا الله ...² .

جاء الخطاب النبوي مبدوءا بالنداء إظهارا لصاحب الأمر، و إنكارا لما أقدم عليه من قتل الأنصاري في صورة "منادى مبني على الضم" لأنّه "اسم علم مفرد" مسبق بأداة النداء ، أما مضمون النداء فقد أنجز فعلا كلاميا يتمثل في الاستفهام : "أقتلته؟ بعد ما قال .." ، فالقوة الانجازية الحرفية للنداء "يا أسامة" هي التنبيه ،أمّا مضمون النداء فجسدت قوته الانجازية المستلزمة معنى "الإنكار" وفق ما يمليه المقام و الحدث ، و يمثل ذلك :
. يا أسامة - نداء - التنبيه و الإقبال على المنادى .

¹-العسقلاني بن حجر ، فتح الباري ج1، ص: 107 .

²-صحيح البخاري حديث رقم 4021 كتاب المغازي باب بعث النبي ص ... ج 4 ص: 1556.

. أقتلته؟ - استفهام - الإنكار .

. قال: لا اله إلا الله . جملة خبرية - التقرير و الاعتراف .

فكان مضمون النداء "جملة استفهامية" للإنكار ، أعقبتها "جملة خبرية" تصف الحالة التي كان عليها الأنصاري مما يعكس إنكار الرسول "ص" لصنيع أسامة رضي الله عنه .

*هو نداء في صورة تعكس مُلازمة الصحابة رضوان الله عليهم للرسول ص في حله و ترحاله ، اغتناما للفرصة في التّعلم ، ومعرفة أمور الدّين و الدنيا ، في صورة الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي قال : **كُنْتُ رَدْفَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ "عُفَيْرٌ"**، فقال الرَّسُولُ ص : **"يا معاذُ ، هل تَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ، وما حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟ ، قلت : اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : إِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذَّبَ مِنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.....¹**

يبدأ الحديث بعرضٍ لحال الصحابة مع رسول الله "ص" قُرْبًا منه ومشاركةً له في حياته العادية ...فاغتنم الرسول"ص" وجود أسامة رديفا له على ظهر حماره ، فناداه نداءً يُشعره من خلاله بمدى قربه منه ، "يا أسامة" ، ليلفت انتباهه إلى مضمون النداء ، وهي الجملة الاستفهامية : "هل تدري؟" ، وهي فعل كلامي غير مباشر تتضمن قوّته الانجازية المستلزمة معنى "التشويق" و "الترغيب" ، جعلت من الصحابي الجليل بيدي الرغبة في معرفة للمراد من الاستفهام . لتتكون الجملة الندائية من أفعال كلامية تتمثل في :

- . يا أسامةُ - نداء - لفت الانتباه .
- . هل تدري ما حق الله على العباد - استفهام - التشويق .
- . حق الله على العباد أن يعبدوه - جملة خبرية - التقرير . قوى انجازية مستلزمة مقاميا .
- . لا يشركوا به شيئا - نهي - التحريم .
- . حق العباد على الله أن..... - جملة خبرية - التقرير .

فقد جاء مضمون النداء جملة طلبية ، اختلفت قوتها الانجازية الحرفية مع المستلزمة مقاميا ، ليعقب بجملة خبرية بغرض "التقرير" ، ثم أردف الجواب بجملة طلبية كان فيها "النهي" صريحا بغرض "التحريم" .

ج . أداة نداء غير ظاهرة + منادى (الله) + مضمون النداء :

¹ - صحيح البخاري حديث رقم : 2701 كتاب الجهاد ، باب اسم الفرس ، ج 3 ص : 1049 .

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

هذا النموذج الذي كثيرا ما اقترن بصيغة النداء (اللهم) ، والتي تُشكّل شيوعا كبيرا في الخطابات النبوية ، والتي حُذفت فيها الأداة مع "لفظ الجلالة" وذلك لشعور المنادى بقربه من المولى عز و جل ، فتُحذف الأداة في البنية السطحية للنداء ، كما في حديث عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، أنّ عائشة أخبرته: سمعتُ النبي "ص" وأصغْتُ إليه قبل أن يموت ، وهو مُسنَدٌ إليّ ظهره يقول : "اللَّهُم اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَحِقِّنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى" .¹ وهو النداء الذي يُصوّر مَرَضَ الرسول "ص" وهو يسأل ربه طالبا منه الرحمة و المغفرة ، ومضمون النداء في الحديث جملة طلبية أمرية ، دلّت على "الدعاء" ، لأنّ الأمر من أقل منزلة إلى أعلى منزلة ، وحُذِف حرف النداء من الجملة الندائية ، وبقي لفظ الجلالة مع ميم العظمة ، لينجز المضمون أفعالا كلامية هي :

- | | |
|---|---------------------------------|
| } | . اللهم - نداء - للتعظيم . |
| | . اغفر لي - أمر - الدعاء . |
| | . ارحمني - أمر - الدعاء . |
| | . أَلْحَقِّنِي - أمر - الدعاء . |
- قوى انجازية مستلزمة مقاميا

فمضمون النداء اختلفت فيه القوة الانجازية للأمر مع قوته الانجازية المستلزمة "الدعاء" ، لأنّ المقام مقامُ دعاء و تضرع إلى الله تعالى ، ورسوله "ص" في سكرات الموت مُسندا ظهره إلى خديجة ، وهو مضمون جملة النداء .
* والصيغة ذاتها ، وفي المقام نفسه ، مقام "الدعاء" ، نجدها في الحديث النبوي الذي يرويهِ قتادة رضي الله عنه ، قال : سمعتُ أَنَسًا ، قال : قالت أمُّ سليم للنبي "ص" : "أَنْسُ خَادِمُكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ "ص" : "اللَّهُمَّ أَكْثَرُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَته .."²

جاء النداء في هذا الحديث "بأداة محذوفة" في مقام دعوة النبي "ص" لخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه ، استعمل فيها الرسول "ص" صيغة (اللهم) : تضرعا و طالبا من الله عز وجل ليقبلَ مضمون نداءه ، فمضمون النداء جملة طلبية أمرية تجسّد فيها الأمر كقوة انجازية حرفية ، متمثلة في أفعاله الصريحة : "أكثر" ، "بارك" ، بغرض "الدعاء" ، لينجز هذا المضمون أفعالا كلامية هي :

- | | |
|---|--|
| } | . اللهم - نداء - للتعظيم و الابتهاال . |
| | _____ |

¹- صحيح البخاري حديث رقم : 4176 ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ، ج 4 ص : 1614
²- صحيح البخاري حديث رقم : 5975 ، كتاب الدعوات ، باب وصل عليهم ... ج 5 ص : 2333 .

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

. أكثر ماله - أمر - الدعاء . قوى انجازية مستلزمة مقاميا

. أكثر ولده - أمر - الدعاء .

. بارك له فيما أعطيته . أمر - الدعاء .

وقد جاء مضمون النداء جملة طلبية أمرية ، تجسّد فيها الأمر كقوة انجازية حرفية بصيغة (افعل)، لكن قوتها الانجازية المستلزمة فولّدها المقام ، وهو مقام "الدعاء و الابتهاال" ليجازي الله ما قام به الصحابي في حياته، خدمة للرسول عليه الصلاة والسلام.

لنخلص في الأخير بعد عرض الحالة الأولى لمقاربة النداء "تداوليا" في الحديث النبوي الشريف ، من حيث طبيعة جملة النداء ، أو مضمون النداء ، إلى ما يلي :

*جسد النداء صور "التنبيه" من حيث طبيعة أداة النداء ، والمنادى ، وذلك من باب الذكر و الحذف المتعلق بالأداة من جهة ، وطبيعة المنادى من حيث الإعراب (مضافا ،نكرة ،اسم علم ، اسم مفرد....) من جهة أخرى .

*امتزجت طبيعة مضمون الجملة الندائية بين الجمل الطلبية و الجمل الخبرية ، لكن الأغراض المتوخاة منها فقد اختلفت حسب القوى المستلزمة حسب المقام و السياق .

*كثيرا ما كانت الأغراض المتوخاة من النداء باستعمال ركني النداء (الأداة و المنادى) لغرض لفت الانتباه والإقبال وكذا التخصيص من جهة ، أو بغرض التعظيم و التبجيل تضرّعا إلى الله تعالى إذا تعلّق الأمر بالذات الإلهية من جهة أخرى.

. أما الحالة الثانية في "مقاربة أسلوب النداء" ، فيمكن أن يُنظر إلى النداء حين يخرج مضمونه عن معناه الأصلي إلى معان أخرى ، وفيه يتجسّد النداء كفعل كلامي غير مباشر حين يتخلى عن لفت الانتباه، لتظهر معان وأغراض أخرى تُفهم من خلال السياق و المقام ، ومن أمثلتها :

أ . التأنيس :

إنّ الأصل في النداء أن يكون لطلب إقبال المخاطب ، إلّا أنّه قد يأتي لأغراض أخرى يقتضيها الحال و سياق المقام ، كدلالة النداء في الخطاب النبوي على التأنيس و التسلية ، كما حدث في هجرة رسول الله "ص" ، حين نادى أبا بكر رضي الله عنه وهما في الغار في الهجرة إلى المدينة، وذلك حين خشي الصديق أن يدركهم العدو،

فمن أبي بكر رضي الله عنه قال: قُلْتُ لِلرَّسُولِ "ص" وَأَنَا فِي الْعَارِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَ نَا ، فَقَالَ الرَّسُولُ "ص": مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بَاثِنِينَ اللَّهُ تَالِثُهُمَا ...¹

فجاء النداء كفعل كلامي مكون من صيغة النداء "يا أبا بكر" مُوجَّهٌ إلى الصديق رضي الله عنه، مُشَكِّلاً فعلا أنجازيا تتكون حملته الدلالية من:

. قوّة انجازية حرفية: النداء بتركيبة: "أداة + منادى مضاف". "يا أبا بكر".

. قوّة انجازية مستلزمة: نلمسها من المقام وهي "التأنيس و التسلية" لقلب الصديق رضي الله عنه بعد الخوف الذي اعتراه، تهدئة من روعه، والذي بينه الرسول "ص" في حديث آخر: "أسكت يا أبا بكر: اثنان الله ثالثهما"² حيث وظف الصديق صيغة النداء: يا نبي الله لو أنّ بعضهم طأطأ بصره لرآنا ... وهي محطة للنداء تختلف فيها القوة الانجازية الحرفية عن الانجازية المستلزمة مراعاة لسياق المقام و الحال معا.

ب- الإنكار:

يأتي النداء النبوي في مقام الإنكار و العتاب كما وجدناه في الأمر و النهي، إلا أنّ المصطفى "ص" وظّف أداة واحدة هي "يا" لما فيها من قوّة في تنبيه المخاطب إلى خطئه، وإشعارا بأهميّة الأمر المنكر من قبله "ص" ومن ذلك ما أنكره الرسول "ص" على "أمّ سلمة" في حديث عائشة رضي الله عنها... قالت بعد أن كان الناس يتحرّون بمداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحيبي إلى "أمّ سلمة" فقلن: يا أمّ سلمة والله إنّ الناس يتحرّون بمداياهم يوم عائشة، وأنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما ماكان أو حيثما مدار، قالت: فذكرت ذلك أمّ سلمة إلى رسول الله "ص" قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني، ولما عاد في الثالثة ذكرت له، فقال: "يا أمّ سلمة لا تُؤذني في عائشة، فإنه والله ما نزل الوحي علي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها..."³

فحمل الفعل الكلامي "يا أمّ سلمة" فعلا كلاميا، يتمثل في النداء المكوّن من "أداة النداء مع المنادى المضاف" في شكل كُنْيَة يا "أمّ سلمة"، و المشكّل لفعلٍ انجازيّ يتمثل حملته الدلالية في:

. قوّة انجازية حرفية: تتمثل في النداء "يا أمّ سلمة".

. قوّة انجازية مستلزمة: تتمثل في "الإنكار" بيانا منه "ص" أنّ ما قامت به "أمّ سلمة" و صويجباتها يُسيءُ

¹-صحيح البخاري حديث رقم 3453، كتب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين ج 3 ص: 1373

²-صحيح البخاري حديث رقم 3707، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي، ج 3 ص: 1427

³-صحيح البخاري حديث رقم 3564، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، ج 3 ص: 1376.

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

إلى مكانة السيدة عائشة رضي الله عنها عند رسول الله "ص"، فكان الردّ عنيفا توحى به عبارات السياق النبوي بما تحمله دلالة "أَعْرَضَ عَنِّي" للمرة الثالثة ، وإفصاح "ص" عن هذا الإنكار ببيان مكانة عائشة عنده عن طريق "القَسَم" مؤكداً بقوله : "والله ما نزل الوحي علي من جهة أخرى .

ج- المدح و الشناء:

أورد الرسول "ص" في مواطن النداء ، النداء بغرض "المدح و الشناء" إبرازا للقيمة وإظهارا للشأن ، هذا الشأن الذي تميّز به صحابة دون آخرين ، من أمثلة ذلك : " أهل السفينة " في الحديث الذي خصّ به الرسول ص المهاجرين إلى الحبشة ، و إلى المدينة من الصحابة ، ... فيما يرويّه أبو موسى الأشعري بعد عرض الجدل الذي كان قائما بين عمر و أسماء بنت عميس رضي الله عنهما ... فلما جاء النبي "ص" قال : يا نبي الله إنّ عمرا قال كَذَا وَكَذَا ، قال : "فما قلتَ له ؟ قال : قلتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا، قالَ لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ ، فَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَوَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ - أَهْلَ السَّفِينَةِ - هِجْرَتَانِ ...¹

فحمل الفعل الكلامي "أهل السفينة" دلالة النداء على التخصيص أو الاختصاص بتركيب إسنادي حُذفت منه الأداة وبقي المنادى المنصوب للإضافة، أمّا الفعل الإنجازي له فتكوّنت حمولته الدلالية من :

. قوّة المجازية حرفية : تتمثّل في النداء . "أهل السفينة".

. قوّة المجازية مستلزمة : تتمثّل في مدح الرسول "ص" لصحابته أهل السفينة و ثناؤه عليهم باعتبارهم نالوا شرف ذلك بهجرتين: الأولى إلى الحبشة و الأخرى إلى المدينة المنورة ، ويظهر التخصيص بطريقة "التقديم و التأخير" "لكم" كجاء و مجرور العائد على الممدوح في صورة "خبر مقدم" على المبتدأ المؤخر " هجرتان " ليؤكد ذلك عن طريق الضمير المنفصل "أنتم" تأكيدا للضمير المتصل في "لكم" لا سيما وأنّ الاختصاص من المعاني التي يدل عليها النداء .

د- التوبيخ و التحسير :

جاء النداء لهذا الغرض في المقام الذي نادى فيه الرسول ص "قتلى بدر" من الكفار وهم صناديد قريش إذ كان الرؤساء منهم قد طرّحوا في "القليب" فذكرهم الرسول "ص" مناديا بأسمائهم وأسماء آبائهم ، في الحديث الذي يرويّه أبو طلحة رضي الله عنه في شأن قذف أربعة و عشرين رجلا من صناديد قريش في طوي من أطواء بدر ، خبيث مُحَبَّبٌ ... حتى قام على شَفَّةِ "الرَّكِي" فجعل يُناديهم بأسمائهم : "يا فلان بن فلان ، يا فلان بن فلان ... " وقال ابن حجر : "فنادى يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا

¹-صحيح البخاري حديث رقم 3663 كتاب المغازي ، باب هجرة الحبشة ج3 ص:1407.

أبا جهل بن هشام¹، أَيْسُرُكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا...والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَنْتُمْ أَسْمَعُ مَا أَقُولُ مِنْهُمْ (رَدًّا عَلَى عَمْرِ بْنِ اسْتَعْرَبَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُوتَى)... قَالَ قَتَادَةَ : أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ (الرَسُول) تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنِقْمَةً وَحَسْرَةً وَنَدْمًا².

فصورة النداء تعكس نداء الرسول"ص" للمخاطب باسمه واسم أبيه إشارة إلى قبيلته وقومه ، وهو الفعل الكلامي " يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة " ، إشارة منه إلى مكانتهم التي كانوا عليها، لكن المقام يدعو إلى التحسر !!، ليحمل هذا الفعل الكلامي فعلا انجازيا ، تتمثل حملته الدلالية في :

. قوّة انجازية حرفية : متمثلة في النداء في صورة : "أداة+منادى اسم علم" .

. قوّة انجازية مستلزمة : استلزمها المقام ، وهو تحسُّر النبي "ص" من جهة وتوبيخه وتصغيره لشأن العظماء في الجاهلية من أبناء قومه حين ماتوا على الشرك من جهة أخرى ، فناداهم توبيخا وتحسرا رغم كونهم أمواتا ، مما جعل الفاروق عمر : ما تُكَلِّمُ من أجسادٍ لا أرواحَ لها ؟ ، استفهام للتعجب... ، ليزول هذا التعجب بجوابه "ص" عن طريق "القَسَم" تأكيداً منه لسماعهم هذا التوبيخ و التقرير " والذي نفس محمد بيده..." فكان النداء كما قال قتادة: "توبيخا وتصغيرا وحسرة و ندما" وهذا ما أفرزته القوة الانجازية المستلزمة .

لنخلص أخيرا أنّ أسلوب النداء واحدٌ من الأساليب الطليعية التي وردت في البيان النبوي وتراوحت صورته الانجازية بين الانجازية الحرفية بغرض لفت الانتباه، وبين الانجازية المستلزمة التي ولّدها السياق و المقام ، وخرج فيها النداء عن معناه الأصلي إلى معاني أخرى .

. بالنظر لمحتوى "جملة النداء" : يتراوح مضمونها بين الجمل الخبرية تقريريا ووصفا وتأكيدا ، وبين الجملة الطلبية استفهاما ، نداء، نهي ، أمرا وتختلف أغراضها من جملة إلى أخرى حسب السياق وطبيعة الخطاب .
. البنية السطحية لأسلوب النداء تراوحت بين الحذف والإظهار خاصة في "الأداة"، أما "المنادى" فاستوفى حالات مجيئه (مفردا ، مضافا نكرة مقصودة ، نحو يا غلام إني أعلمك كلمات) .

. طبيعة المنادى كانت حسب حال المخاطب ، فرميا نادى بالاسم ، وربما بالكنية ، وربما نادى بالصفة فكان في نداء أقربائه و أصحابه يستخدم الاسم مثل :يا "فاطمة" يا "معاذ" في مواقف التخاطب العادي ، وهو العرف الشائع في خطابه-عليه الصلاة والسلام - إلى هؤلاء.

¹-ابن حجر فتح الباري حديث رقم 3967 ، ج،7 ص: 346 .

²-صحيح البخاري حديث رقم 3757 كتاب المغازي باب دعاء النبي ص على كفار قريش ج4 ص :1461 .

الفصل الثالث..... الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف

. قد يخرج الرسول "ص" على هذه العادة باستخدام الاسم الكامل ،"يامعاذ بن جبل" ،يا "عباس بن عبد المطلب" ...، أو الاسم مع صلة القرابة : يا "فاطمة بنت رسول الله" ،يا "صفية عمة رسول الله"،إذا اقتضى المقام إلى ذلك .

. معرفة الرسول ص بأنسب قومه ،جعلته "ص" يراعي التسلسل النسبي من الأقدم إلى الأحدث ،في نداء بطون قريش "يا بني مُرّة" ،يا "بني عبد شمس" ،يا "بني عبد مناف" ،يا "بني هاشم" ،يا "بني عبد المطلب" ،يا "فاطمة"

. في بيان الأغراض المتوخاة من النداء وخروجه عن معناه الأصلي كان على سبيل المثال لا الحصر، فهناك صيغ أخرى يخرج إليها النداء ، وتستفاد من السياق ك: (الندب ، التلهف ، التحسر ، التكذيب ، المشورة ...).

ليبقى "تحليل المقام" في الخطاب النبوي يعكس صورة العلاقة القائمة بين الرسول "ص" وصحابته في مجتمعه ،وكيف يُقدّر الرسول "ص" هذه العلاقة موظفا أفعالا طلبية :كالاستفهام ،و النداء ،و الأمر، والنهي ..يجعل من خطابه مُتصفا بالحوية والتأثيرية و الواقعية، فضلا عن بلاغته صلى الله عليه وسلم وفصاحته، ولم يكن ليتأتى ذلك إلا بعد ربط السياق "بالمقام" ،من خلال العوامل التي تربط الأفعال الكلامية بعضها ببعض .

الفصل الرَّابِع

الحِجَابُ وَآيَاتُهُ فِي الْحَدِيثِ

النَّبِيُّ الشَّرِيفُ



مباحث الفصل :

أ- المبحث الأول:

الدلالة المعجمية للفظ الحجاج.

ب- المبحث الثاني :

الحجاج دراسة نظرية.

ج - المبحث الثالث :

الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

1- الآليات البلاغية .

2- الآليات اللغوية .

3- الآليات المنطقية.



توطئة:

تعدّ اللغة وسيلة لنقل الأفكار التي يُترجمها الفرد برموز لغوية في موافقه وسلوكه، وتحمل بين حروفها دلالاتٍ تختلف تبعاً لقصد المتكلم، فهي أداة التواصل بين مُرسل الكلام ومُتلقيه، ونتاج الفكر ووسيلة التوصيل، هذا يعني أنّ ثمة علاقةً وثيقةً بين اللغة والفكر، مهدت السبيل لمفهوم التواصل اللغوي الذي يتطلب مهارة في استعمال أساليب التركيب المنتظم في مفردات، تُعبّر عن المعاني المقصودة من وراء الخطاب. ولا يتأتى هذا الترابط والتواصل إلا بما يُعدّ أرقى أنواع التواصل وهو "لغة الخطاب"، وما ينبغي على المتكلم من مراعاته أثناء التخاطب مع غيره، لذلك كان حظّ الاهتمام بالخطاب "أو المتخاطب" كثيراً، ليس في اللسانيات الحديثة فحسب، بل امتدت جذوره حتى في الدراسات القديمة، مع اختلاف في الرؤى من فرع إلى آخر كالفلسفة واللسانيات والفقهاء والنقد وغيره .

لذلك جاءت الدراسات اللسانية الحديثة خاصة "اللسانيات التداولية" فأولت اهتماماً بعمليّة "التخاطب" بعيدة كل البعد عن دراسة مكوناته من منظور القدامى، والتي حُصرت في مكونين هما: المخاطب والمخاطب فأضافت عناصر أخرى إلى المرسل والمرسل إليه إضافة إلى "السياق" وماله من دور في تشكيله، وكذا المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب، لذلك كان التركيز على عنصر التداول فيه و"المقصدية" من وراء إنشائه، وكذا تحديد الأهداف التي من شأنها نشأ الخطاب، وكيفية استخدام اللغة والتعامل معها... .

فمنذ نهاية عقد الخمسينيات في القرن العشرين شهدت مباحث الدراسات البلاغية صحوةً نوعية، فكانت الدعوة لما سُمّي: "بالبلاغة الجديدة" وهي محاولة لإقامة علم عام لدراسة الخطابات بأنواعها، فأصبحت تسعى لأن تكون علماً واسعاً يشمل حياة الإنسان كلّها في المجتمع، فهي محاولة لوصف الخصائص الاقناعية للنصوص، عملت اللسانيات والتداولية ونظريات التواصل على إنضاجها، فالمناهج اللسانية الحديثة التي تأثرت بها البلاغة، تنظر إلى اللغة كنسقٍ تتفاعل عناصره في إطار علائقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها، وقد انبثق عن هذا كلّهُ: "البلاغة البرهانية الجديدة"¹.

لذلك كلّهُ يعتبر البحث في "الحجاج" من نتائج التحوّل العميق الذي اكتنف الدرس البلاغي الحديث وكان من إفرزاته أن تخلت البلاغة عن نزعتها المعيارية في فرض القواعد، لتَهتَمّ برصد الوقائع فقط، وقد كان من أهمّ أسبابه التغيّر الجذري الذي مسّ البحوث اللسانية بوجه عام.

1 - حشاني عباس ، مصطلح الحجاج، بواعثه وتقنياته، بحث منشور في مجلة المخبر - جامعة بسكرة- العدد التاسع-2013، ص:269.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

لقد كشف تجدد الاهتمام بالدرس البلاغي في العصر الحديث عن طروحات علمية مغايرة أدّى إلى ظهور "بلاغة جديدة" خاصة حين اعتمدت على العلاقة اللازمة بين البلاغة ودراسة وسائل الإقناع، جعلت من الحجاج في رحاب هذا التحول، مطلباً أساسياً في كلّ عملية اتصالية تستدعي الإقناع، وانطلاقاً من الدور الذي تلعبه نظرية الحجاج، أو من المفروض أن تلعبه جعل "بيرلمان" يعتبر "أنّ البلاغة مطابقة لنظرية الحجاج، فقد حصر الأولى في الأخيرة"¹.

وبذلك كان الحجاج من بين أهم النظريات التي تهتم بها التداولية، إلى جانب نظريات أخرى "كالتلفظ وأفعال الكلام" وغيرها... وهو يركز أساساً على الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المتكلم للتعبير عن معتقدات المتلقي وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله له، كالإشارات والعبارات والحجج وغيرها، لأنّ الحجاج يرتبط في أساسه بما تستدعيه أساليب إجراء اللغة، لذلك فمن الضروري أن نشير إلى أنّ الأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل يأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه نوعية الخطاب من مهمّة، ومستلزمات المتلقي من جهة أخرى فالغاية التي يتأسس عليها هي مجابهة العقول، وإقناعها بالطرح المقدم، ولذا فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها، والإصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإنّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير..."².

لندرك أنّ نظرية الحجاج تتجاوزها جوانب مختلفة، لا تتعلق باللغة فحسب، بل ترتبط أيضاً بالجانب النفسي والاجتماعي والثقافي، وغيرها من المستلزمات التي تُؤطر وتُسهّم في إنتاج الخطاب اللغوي الحجاجي.

ولعلّ الأهمية القصوى للحجاج في الدراسات الحديثة تعود إلى ما ركزت عليه نظرية الحجاج في اعتمادها "البيان والحجاج" كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع، جعلت من الخطاب القرآني أولاً: خطاباً حجاجياً كونه جاء رداً على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة، فهو يطرح أمراً أساسياً يتمثل في عقيدة التوحيد ويُقدّم الحجج بمستويات مختلفة المدعمة لهذا الأمر، ضد ما يعتقد المتلقون من مُشركين ومُلاحدين ومجادلين ولعلّ في اختلاف مستويات التلقني هذه ما يؤكد الصفة الحجاجية للقرآن الكريم، لأنّها خاصية أساسية من خصائص "الخطاب الإقناعي" الذي يُعرّفه الدرس الحديث من الناحية الوظيفية من حيث: "إنّه مُوجّه للتأثير على آراء وسلوك المخاطب، وذلك يجعل أيّ قول مُدعّم صالحاً أو مقبولاً بمختلف الوسائل، ومن خلال مختلف الصيغ اللغوية، إذا اعتبرنا أنّ هذه الصيغ هي أفعال كلام تُمارس "وظيفة الإقناع" من خلال قوّتها الكلامية التي تتجلى بدورها من

1 - محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، بحث في مجلة عالم الفكر ص: 57.

2 - المرجع نفسه، ص: 68.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

خلال طرائق منطقية في البناء والربط والعلاقات الاستدلالية التي يُمثل الحجاج أبرز مظاهرها". أما ثانياً: فإنّ السّمة الغالبة في الحديث النبوي الشريف هي مراعاة مستوى التفكير المختلف تبعاً لفكر المخاطب، ونمط شخصيته التي تتباين بين شخصية تميل للمنطق، وأخرى للعاطفة، وثالثة للحجاج والمجادلة، لذلك تنوّع الأسلوب اللغوي النبوي في إقناع المخاطب والتأثير على فكره، وتغيير قناعاته بقدر ما اختلفت الوسائل التي وظّفها الرسول "ص" بغية إقناع مخاطبه والتأثير فيه.

ولما كانت غاية النبي "ص" هي الدعوة إلى الله عز وجل وقف منهج القرآن الكريم وأسلوبه في مخاطبة النفوس والعقول، فإنّ أساليب الخطاب اختلفت وتنوعت تبعاً لتنوع تلك النفوس والعقول، واختلافها، فأسلوب خطاب العالم يختلف عن أسلوب خطاب الجاهل، وأدوات التعبير التي يفهمها كلّ واحد منهم تتباين في مستوياتها، فقد يفهم العالم من إشارة، على حين أنّ الجاهل يحتاج إلى تفصيل وبيان في تلقّيه الخطاب ليفهمه ويقتنع به، لذا انقسم الأسلوب أسلوب النبي "ص" في مخاطبته ودعوته إلى ثلاثة أساليب هي:

- أسلوب الخطاب العقلي أو الاستدلالي.
- أسلوب الخطاب النفسي أو العاطفي.
- أسلوب الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي.

ولعلّ هذا التنوع في الخطاب عند الرسول "ص" يشير إلى الفكر الموسوعي له صلى الله عليه وسلم، وتمكّنه البلاغي وقدرته الذهنية لاختيار الأسلوب الذي يُناسب المخاطب وحاله، في وقت عكس فيه قدرته "ص" الخطابية واستعمالاته لأساليب اللغة وتوظيفها في توجيه الدعوة إلى الله تعالى، وليعكس من جهة أخرى سبق النبي "ص" في خطابه وحديثه مع الآخرين أصحاب النظريات الحديثة في "فن الإقناع والتواصل اللغوي" التي تتطلب في الوقت الحاضر المران والخبرة العملية وغيرها...

ومبَعثُ هذا التنوع في أساليب الحديث مع "الغير"، قضية تناولها القرآن الكريم باعتباره جاء لعموم الناس وعلى مختلف المستويات العقلية والعمرية، فكانت الحكمة الربانية، والأمر الرباني للنبي "ص" أن يُبلّغ ويُراعي تلك المستويات على اختلافها بما يناسبها من أساليب خطابية، في قوله تعالى: " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..."، لِيُبَيِّن تنوع أساليب حكمته "ص" في الحديث النبوي للمخاطبين من البشر ومراعاة أحوالهم وظروفهم في الخطاب والسلوك.

- فما مفهوم الحجاج وما هي أهم مُصطلحاته؟، وكيف تبلورت معالم نظريته بين العرب والغرب قديماً وحديثاً؟.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

- ما هي القواعد التي راعاها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه مع المخاطب؟.
- كيف انعكست آثار الدراسات الحديثة ونظرياتها في دراسة الحديث النبوي الشريف؟.
- فيم تكمن أبرز الخصائص الحجاجية في الحديث النبوي الشريف حين يكون الخطاب جدليا احتجاجيا؟.
- ما هي أهم الآليات والطرق الحجاجية التي راعاها الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال حديثه؟.
- ما العلاقة الرابطة بين الحجاج والإقناع في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مع مخاطبه؟.
- المبحث الأول: الدلالة المعجمية اللغوية للفظه "الحجاج".

لا تكاد تخلو كتب التراث العربي الإسلامي وغيرها من تداول مصطلح "الحجاج" أو "الاحتجاج" أو "المحاجة" في مجالات عدّة، وفي علوم عدّة، وخصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي، التي كثيرا ما يعترضها الخلاف في وجهات النظر والتأويل، لذا نجدّه مُستعمَلا في علوم شتى: "نحوٍ ولغةٍ وحديثٍ وفقهٍ وأصولٍ وفلسفةٍ". وبذلك فقد كثرت التعاريف حول مفهوم الحجاج، ودارت "حول عناصر موضوعية وبنائية ووظيفية شتى"¹، فَمِيدان الحجاج واسعٌ فُتحت له أبواب البحث والدراسة لارتباطه بعلوم كثيرة.

فقد كان لعلم البلاغة الدور الهام في إبراز أهمية الحجاج أثناء التخاطب، وذلك أنّها تركز على جانبين اثنين في الخطاب، هما "البيان"، و"الحجاج"، لغاية إقناع المستمع.

وإذا كان الاهتمام بالحجاج قديما قديم التراث اليوناني، فهو اليوم موضوع دراسات كثيرة في حقل الفلسفة واللغة على حدّ سواء، فلا يخفى أنّ النظّر في الحجاج والبحث في أصنافه لا يتأتّى إلاّ بالرجوع إلى أصوله اللغوية والفلسفية في التراث الإنساني، لذلك عمدنا أولا: إلى كشف دلالاته اللغوية في المعاجم العربية والأجنبية، ومن ثمّ تسليط الضوء على جذوره في التراث العربي القديم، وعلاقته بمجاله المفهومي، وصولا إلى الحجاج في الفكر العربي (البلاغة الجديدة) / مع التركيز على الآليات الحجاجية باختلاف أنواعها، لأنّها مناط التطبيق في الحديث النبوي الشريف من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

أ. مفهوم الحجاج: لغة:

إنّ المعنى اللغوي لكلمة "حجاج" باعتباره مصدرا للفاعل "حاجّ" في لغتنا العربية، من خلال "لسان العرب" "لابن منظور" جاء على النحو: **حَاجَّجْتُه**، **أَحَاجُّهُ** **حِجَاجًا** و**مُحَاجَّةً** حتى **حَاجَّجْتُه**: أي: "غلبتُه بالحجج التي أدليتُ بها... والحجة: البرهان، وقيل: الحجّة ما دافع به الخصم، وقال "الأزهري": الحجّة: الوجه الذي يكون به

¹ - محمد العيد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة العربية للكتاب 2002، العدد: 60 ص: 40.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

الظفر عند الخصومة، وهو رجل مُحَجَّاج: أي جدل، والتَّحَاجُّ: التخاصم، وجمع الحجّة: حجج، حجاج ومحاجة و حجاجا: نازعه بالحجة، حججته حجا: غالبه على حجته، وفي الحديث "فحجَّ آدم موسى" أي غلبه بالحجة، واحتجَّ بالشيء: اتَّخذه حجّة، قال "الأزهري": إنما سُمِّيت حُجَّةً لأنها تُحج أي تُقصد، لأنَّ القصد لها واليها... وفي حديث الدجال: أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيُّه أي: مُحاجُّه ومُغالبُه بإظهار الحجّة عليه، والحجّة: الدليل والبرهان"¹

أما (ابن فارس) في كتابه "مقاييس اللغة" فيُعرِّف الحجاج: يقال حاججت فلانا فحججته: أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، مع الجمع حجج، والمصدر حجاج"²، "ويمكن أن تكون مُشتقة من هذا لأنها تُقصد، أو بما يُقصد الحق المطلوب"³.

ويُعرِّف (الجرجاني) "الحجّة: ما دُلَّ به على صحة الدعوى"، وقيل الحجّة والدليل واحد"⁴، فأساس الحجاج إذن عنده الارتكاز على دليلٍ معين قصد إثبات قضية من القضايا، وبالتالي بناء موقف ما، (القصد + الإقناع عن طريق الجدال الفكري).

نلاحظ من خلال المعنى اللغوي لكلمة "حجاج" أنّها تدور حول "التخاصم" و"التنازع" و"التغالب" واستعمال الوسيلة المتمثلة في الدليل والبرهان، أو هو: "النزاع والخصام" بالأدلة والبراهين والحجج، باعتبار أنّ الحجاج يتّم بين طرفين مُتخاصمين أو متنازعين، وبالحجة يغلب أحدهما الآخر.

ويذكر (أعراب حبيب): أنّ السبب الذي جعل هذه المفردات: أي: الحجّة، الدليل، البرهان، ترد بمعنى واحد في القواميس العربية هو وجودها ضمن دائرة البيان والبلاغة الإقناعية..⁵، أي أنّ المعاني القاموسية للفظ الحجاج تحمل دلالة ومعنى مُستمدين مما يشكّل سياقه أو شرطه التخاطبي، والمتمثل في التخاصم والجدل والغلبة عمليات مأخوذة من معانيها الفكرية والتواصلية..⁶ في وقت نلاحظ أنّ الأصل في الخصام والمنازعة مدارهما -

1 - ابن منظور، لسان العرب: مادة: حجج.

2 - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص: 30.

3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 - الجرجاني - علي بن محمد الشريف - كتاب التعريفات - ص: 73

5 - أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي - عناصر استقصاء نظري - ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته - إعداد

حافظ إسماعيل علوي. عالم الكتب الحديث، الأردن، 2001، ص: 109.

6 - المرجع السابق، ص: 99.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

أساسا- الاختلاف مع الطرف الآخر، لأنّ ظروف المنازعة ودواعي الصراع يقتضيان تصلّباً في الرأي ، مما يدفع به إلى إقحام كلّ ما يملكه من الدلائل كي يُفحم به الخصم.

أما في القرآن الكريم فقد تكررت مادة "حجج" ستة عشرة مرة "، وقد جاءت لتفيد معاني متباينة بين المخاصمة بالباطل والمخاصمة بالحق في قوله تعالى: " قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (الأنعام 49)، وفي قوله تعالى "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَأَنْتُمْ هؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آل عمران 65-66)، وقوله تعالى " وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ" (الشورى16)، فمن شروط المجادلة أو المحاجة الربانية الصدق والعدل، و أمّا من يجادل بباطل فمصيرها الدحض والعقاب.

على أنّ هناك فرقاً دقيقاً بين "الجدال والخصام والحجاج" يقول (محمد الطاهر بن عاشور) في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ " (البقرة 258) فمعنى حاج: أي خصم، لأنّ "حاج" لا يستعمل غالبا إلاّ في معنى المخاصمة، وأنّه الأغلب أنّه يفيد الخصام بالباطل"¹، وقال في شأن الجدل في قوله تعالى: " وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ " (النساء 107)، والمجادلة: من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"²، وقال في موضع آخر: المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه فتكون في الخير كقوله تعالى: "تُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ"، وتكون في الشر... "لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ"³.

وإذا أخذنا معنى الحجاج في اللغة الأجنبية نجده يقابل لفظ "Argumentation" في الفرنسية، وهي بذلك تدلّ على معانٍ مقارنةٍ للتي هي في اللغة العربية، فحسب "قاموس روبير " le grand Rober :فالحجاج: "هو القيام باستعمال الحجج، أو مجموعة من الحجج التي تهدف تحقيق نتيجة واحدة، أو هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في منافسة ما"⁴. كما نجد لفظة: "Argumenter" تشير إلى :

"الدفاع عن الاعتراض بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظر مصحوبة بحجج..."⁵
وورد في قاموس "كامبريدج" أنّ الحجاج هو الحجّة التي تُعلّل أو تبرز مساندتك أو معارضتك لفكرة ما..."¹

¹ -محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر والتوزيع، ج 2، ص: 31، 32.

² - المرجع نفسه، ج 05 ص: 194.

³ - المرجع نفسه، ج 12 ص: 60.

⁴ -Le grand Robert , Dictionnaire de la longue française: Paris 1989,p :535

⁵ - المرجع نفسه، ص: 534 .

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

من خلال هذه التعريفات المعجمية نجد أنّ لفظة Argumentation لم تخرج عن إطار استعمال الحجة إمّا للدفاع أو الاعتراض عن فكرة مُعينة، وهو التوافق بينها وبين معناه في العربية خاصة على المستويين الدلالي والوظيفي، فالكلّ يجعل من الجدل يقوم بين "المتكلم والمتلقي"، و الأدلة التي يُقدّمها كلٌّ منهما لدعم موقفه شرطاً ضرورياً لتحقيق عملية المحااجة.

أمّا في اللغة الانجليزية الحديثة "فإنّ لفظة (Argument) يُشير استخدامها إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كلٍّ منهما إقناع الآخر بوجهة نظره، ذلك بتقديم الأسباب أو العلل: (Reasons) التي تكون حجة Argument مُدعّمة أو داحضة لفكرة أو رأيٍّ أو سلوك ما"².

وتوضّح الدلالة اللغوية أنّ السبب الأول للحجاج هو وجود اختلاف بين طرفين حول فكرة مُعينة واستخدامها آلية الإقناع لدعم أو دحض هذه الفكرة، وتقترّب هذه الدلالة اللغوية من الدلالة الفلسفية إذ تُشير لفظة "حجة" Argument عند "أندريه لالاند" بأنّها: "استدلال يرمي إلى برهان قضية معينة أو دحضها أو هو الطريقة في استعراض وتنظيم الحجج وبنائها وتوجيهها نحو قصد معين يكون عادة: "الإقناع والتأثير"، فتكون الحجة في سياق هذا العرض الدليل على الصحة أو الدحض"³.

نلاحظ أنّ المعنى الفلسفي قد بيّن وظيفة وشكل الحجاج في الدراسات الحديثة، إذ يرى "آدام جون ميشال": أن "الخطاب الحجاجي مُوجّه للتأثير على آراء و سلوكات المخاطب أو المستمع، وذلك بجعل أيّ قولٍ مُدعّم صالحاً أو مقبولاً (النتيجة) وذلك بمختلف الوسائل، بالنظر إلى قول آخر (الحجة - المعطاة - الأسباب) فتقول على سبيل التعريف أن المعطاة - الحجة تهدف إلى إثبات أو نقض قضية"⁴، هذا التعريف الوظيفي يُبين الفرق بين الحجاج والبرهان، فالأول يتميز بإمكانية نقض (دحض) قضية، كما أنّ الحجاج سمته الإضمار في غالب الأحيان، أمّا البرهان فسمته الظهور.

ب. الدلالة الاصطلاحية للفظ الحجاج:

¹ -Cambridge Advanced learners :Dictionary ,combridge un-press. 2nd 2004- p:56.

² -Longuan : Dictionary of contempray english longuen 1989p 28

³ - لالاند اندريه، موسوعة لالاند الفلسفية المجلد الأول- تعريب خليل أحمد خليل منشورات "عويديات" بيروت /باريس .ط2- 2001 ص 93-94.

⁴ - مسعودي الحواس ، البيئة الحجاجية في القرآن الكريم سورة النمل نموذجاً(مقال في مجلة اللغة والأدب، دار الحكمة، الجزائر ع14، سبتمبر 1999 ص: 229 .

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

إنّ مقارنة أولية لمفهوم "الحجاج" لأوّل وهلة تُظهر أنّه مفهوم عام يصعب حصره والإحاطة به، وذلك لما يتميز به من كثرة الحقول المعرفية التي تناولته، إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية والمنطقية والبلاغية التقليدية، وفي الدراسات القانونية، والمقاربات اللسانية والنفسانية والخطابية المعاصرة...¹، لكنّه مع ذلك يبقى "الحجاج" إستراتيجية لغوية، تكتسب بعدها من الأحوال المصاحبة للخطاب، على اعتبار أنّ اللغة نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات مُعينة من السياق، في تلك العلاقة التخاطبية بين المتكلم والمستمع حول قضية ما، فالمتكلم يُدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير، والمستمع له حق الاعتراض عليه إن لم يقتنع لذلك يعرفه: (طه عبد الرحمان): "كلُّ منطوق به مُوجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصةً يحقُّ له الاعتراض عليها..."²، بل يذهب إلى أبعد من ذلك في قوله: إنّه "لا خطاب بغير حجاج، و لا مُحاطَب (بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة المدّعي، ولا مُحاطَب (بفتح الطاء) من غير أن تكون له وظيفة المُعتَرَض..."³

ليتوسّع هو نفسه في تعريفه للحجاج في كتاب: "في أصول الحوار، وتجديد علم الكلام". ويعطي للحجاج صفتين رئيسيتين: فهو "تداولي" لأنّ طابعه الفكري ثقافي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب اختيارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الإشارك جماعيا في إنشاء معرفة عملية إنشاءً موجهاً بقدر الحاجة...⁴، فالصفة التداولية للحجاج تمنح الفرصة للجميع في الاشتراك فيه دون استثناء، ومن أي مستوى.

أما الصفة الثانية، فهي كونه "جدليا" لأنّ هدفه "إقناعي" قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة، إذ تُبنى الانتقالات فيه على صُورٍ مجتمعةٍ على مضامينها أيما اجتماع، وأن يُطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج...⁵.

ليرتبط مفهوم الحجاج دائما بالإقناع، وهو ما ذهب إليه كذلك (الشهري عبد الهادي بن ظافر) في "استراتيجيات خطابه" إذ عرّف الحجاج بعد ربطه بالإقناع في قوله: "الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل

¹ - طروس محمد ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء. المغرب، ط 1 ، 2005 ، ص: 06 .

² - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1997 ، ص: 226.

³ - المرجع نفس ، ص: 226 .

⁴ - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار، تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000، ص: 65.

⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

اللغة فيها وتتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع...¹، فليس هناك مرسل يُرسل خطابا هباءً إلا ومن ورائه هدف معين، وهو الاستمالة والتأثير عن طريق الحجج اللغوية وحتى غير اللغوية كالإشارات والإيماءات .

وبسبب ارتباط الحجاج "بظاهرة التشعب" في مجالات استعماله يقول (صولة عبد الله) "... إذ أننا نجد بعضهم يرى أنّ الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين أحدهما: أنت فيه لا تخرج عن مجال المنطق وبذلك يكون الحجاج مرادفا للبرهان والاستدلال، وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ".²

وهذه الدلالات تتفق مع الدراسات الفلسفية الحديثة، إذ نجد في مجمل أو جملة المفاهيم الحديثة للحجاج اتفاقا فيما بينها على كون الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية- بالأساس- وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم، ولعلّ أدلّ هذه المفاهيم على ذلك مفهومان :

الأول: طريقة تحليل واستدلال: يقصد بها تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الآخرين في الاعتقاد والسلوك.

الثاني: عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين.³

إنّ الباعث والمحرك للحجاج هو الاختلاف، فالحجاج لا يكون فيما هو يقيني وإلزامي، فنحن لا نخرج في أمر صارم واجب النفاذ، وإنما يكون الحجاج - كما يقول - في ما هو مُرَجَّع ومُحْتَمَل ومُكْن، كما أنّ الأدلة التي تقدمها المحاجّة ليس من شأنها أن تكون حاسمةً فاصلةً فيما تثبت أو تنفي، بحيث تُقرر ما تقرره، أو تنفي ما تنفيه على سبيل الحقيقة المؤكدة الراسخة التي لا تقبل احتمالا خطأ أو ما تثبته أو صحته أو ما تنفيه، إذ ليس لمسألة ما، تدور حولها محاجة حقيقية واحدة أو مطلقة، بل حقائق متعددة أو متدرجة، وعلى الأدلة أن تُرَجَّح إحداهما على الأخرى، وأن تصل إلى ما هو أقرب للصواب....⁴

لذلك تناول الباحثون مصطلح الحجاج من زاويتين: الأولى تعنى بدراسة العلاقة بين المتكلم والمتلقي، وما تحكمه هذه العلاقة من استعمال آليات الإرسال ومراعاة حال المتلقي، أما الثانية فتعتبر الحجاج بنية نصية وهنا

¹ - الشهري عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص: 456.

² - صولة عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت ط2007، ص: 08.

³ - جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط2، 2000، ص: 105.

⁴ - المرجع نفسه: ص: 106.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

يتمّ التركيز فقط على الجوانب اللغوية...¹، وهذا التركيز على الجانب اللغوي جعل الحجاج يظهر بمظهر تواصلٍ من خلال ما يقوم به في العملية التواصلية، إذ أنه يأتي كشكلٍ من أشكال التواصل والخطاب والحوار.² ومن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، وتغيير في الموقف الفكري والعقدي، وهذا لا يتأتى بالإكراه وإنما بالإقناع، وفي ذلك يقول: "طه عبد الرحمان": "وقد تزوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع، فتكون... أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإقناع من قوة استحضر الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين...³" وهي الحقيقة التي أقرها "مسعودي الحواس" الذي يرى أن: "الخطاب الحجاجي هو خطاب مُوجّه، وكل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بُعدٌ حجاجي...⁴."

فالحجاج إذن وسيلة من وسائل الإقناع يتوسل بها المرسل للتأثير على المتلقي أو دحض آرائه، أو حتى تغيير سلوكه، فبواسطة الحجج المستعملة ندرك شخصية ومنزلة وإمكانات هذين القطبين "المرسل والمتلقي"، ولهذا يختار المرسل أدواته اللغوية وآلياته الحجاجية بصفة عامة مما يجعل الحجاج في شكله النهائي: "ترجيحُ خيارٍ من بين خياراتٍ بواسطة أسلوب هو في ذاته عُدُولٌ عن إمكانياتٍ لغويةٍ على أخرى يُتَوَقَّعُ أنّها أكثرُ نجاعةً في مقامٍ معيّن...⁵."

لنشير في نهاية هذا المبحث أنّ "الحجاج" عبر مساره التاريخي ارتبط مفهومه بمصطلحات طالما اعتبرت مرادفاتٍ له، لهذا تعدّ مسألة تداخل المصطلحات أول ما يعترض الباحث في هذا الحقل، خاصة في بداية نشأته، لذلك من المستحسن أن نشير إلى غيره من المفاهيم التي تلابسه، وتحتل تداخلا بينه وبينها وهي كثيرة: "كالجدل، البرهان، الاستدلال البرهاني في الخطابة، الحوار، التجاوز، المناظرة، المخاصمة، المنازعة...". لذلك كان التعبير عن الحجاج بأشكال مختلفة من العبارات والأساليب التي تروم الحوار وتهدف إلى الإقناع والبراهين والأدلة الكونية و الفطرية، فمن أوجه التداخل والتشابه بين الحجاج ومفرداته أسرته المورفيمية من خلال:

المفهوم	المادة	قول اللغويين فيه (ابن منظور وغيره...)
---------	--------	---------------------------------------

¹ - ثابتي بيمينة، الحجاج في رسائل ابن عباد، مجلة الخطاب، دار الأمل، الجزائر ع2، 2006 ص: 286

² - عشير عبد السلام، عندما نتواصل نغير: مقارنة تداولية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق المغرب 2007 ص: 12

³ - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار، ص: 226.

⁴ - مسعودي الحواس، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، ص: 330

⁵ - محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص: 72

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

المحاجة	ح ج ج	الحجة، البرهان، والحجة:الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محجاج أي جدل وحاجّه محاجة: وحجاجا نازعه الحجة..... (ابن منظور،لسان العرب)
المجادلة	ج د ل	الجدل: اللدد في الخصومة،المجادلة: المناظرة والمخاصمة، وقوله صلى الله عليه وسلم(ما أوتي الجدل قوم إلا ظلوا)والمراد به الجدل على الباطل وطلب المقابلة به لإظهار الحق (ابن منظور-لسان العرب)
المحاورة التحاور	ح و ر	المحاورة والحوار: المرادّة في الكلام، ومنه التحاور....(الراغب الأصفهاني مفردات القرآن)،.....والحوار:الجواب، فيقال: كلمته فما ردّ إليّ حوارا أو حويرا أي جوابا... (الفيروزبادي،القاموس المحيط)،...استحار الرجل أي استنطقه، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة(ابن منظور - لسان العرب) .
البرهان	ب ر ه ن	البرهان: هو الحجة الفاصلة - البينة - يقال: برهن يبرهن برهنة: إذا جاء بحجة قاطعة لِدَلِّ الخصم (ابن منظور - لسان العرب).
الإقناع	قنع	الإقناع لغة:الرضا، وأصله قنع، تقول العرب: قنع قنعا وقناعة، رضي ، أقنعي كذا أي أرضاني، ومن أمثالهم: "خير الفتى القنوع، وشر الفقر الخضوع"...(ابن منظور، لسان العرب)، والإقناع: القبول بالفكرة أو الرأي والاطمئنان إليه،اقتنع:قنع بالفكرة أو الرأي وقبله واطمأن إليه... (مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط) ، تقديم الحجج والمناقشات لحمل الفرد على فعل شيء أو الاعتقاد بشيء ما ... (ابن منظور ، لسان العرب) .
المنازعة	نزع	المنازعة في الخصومة: مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان وقد نازعته منازعة ونزاعا: جاذبه في الخصومة وبينهم منازعة: أي خصومة في حق.....(ابن منظور،لسان العرب).
المناقضة	ن ق ض	النقض: اسم المنقوض إذا هدم... ناقضي وناقضته:أي ينقض قولي وأنقض قوله: وأراد به المراجعة والمرادّة ، ونقيضك الذي يخالفك..."(ابن منظور لسان العرب).

وخلاصة القول عن دوران الحجاج في مجاله المفهومي في دائرة هذه المصطلحات المتداخلة لا سيما بحضورها داخل الخطاب القرآني مثلا: نقول:إذا كانت الحجّة هي القضية أو الشق من القضايا التي تُقدّم لصحة قضية ما، أي مقدمة البرهان التي تُعرف أيضا بأساس البرهان، فقد أكد القرآن الكريم عليها في أكثر من موضع ،

وبمعانٍ مختلفة أرقاها الحجّة البالغة التي أقامها على العباد في قضية الإيمان والكفر " قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ " (الانعام149)، ودعا المؤمنين إلى ضرورة التصدي بالحجّة وتحصيل الإقناع المرتكز على الأدلة والبرهان، فيكون بها الظفر عند الخصومة والنزاع، مثلما سيكون بها التواصل عند التحاور والجدال بهدف الوصول إلى الحق، حتى أنّ الحوار والجدل ذاته يصبح حقا طبيعيا أمام الله الذي يعلم كل شيء "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهَمْ لَا يُظْلَمُونَ " (النحل111).

المبحث الثاني: الحجاج دراسة نظرية

1- طبيعة الحجاج في الفكر اليوناني القديم:

لقد اهتمّ اليونان القدامى بفنون الكلام، خاصة الخطابة والشعر والمناظرة، لأنّها فنون يظهر فيها الإقناع وتطبيق ما يسمونه بـ"الجدل"، بذلك نجد أنّ فلاسفتهم أرسوا المبادئ الأساسية للقيام بهذه الأنشطة والقواعد الفنية والعقلية التي اعتمد عليها الفكر الحديث والمعاصر في تأطير النظريات المعاصرة. ولعل آثار أرسطو من أهم الأعمال وأبلغها تأثيرا فيما يلحقها من أبحاث ودراسات بلاغية، خاصة ما تعلّق فيها بالحجاج، لاسيما وأنّ أرسطو قدّم مفهوما للحجاج يجعله قاسم مشتركاً بين الخطابة والجدل، وذلك أنّ الخطابة أو "الريطوريقا" بالمفهوم اليوناني، كما ترجمها العرب القدامى هي: "فن الإقناع عن طريق الخطاب.... وأنّ الوظيفة الإقناعية هي وظيفتها الأساسية، كما أكدّ ذلك "الفارابي" في قوله: "الخطابة صناعة قياسية غرضها الإقناع..."¹.... ولأنّ مهمّة الخطابة ليست الإقناع، بقدر ما هي البحث في كل حالة عن الوسائل الموجودة للإقناع...²، وكثيرا ما اقترن البحث في الحجاج عند "أرسطو" بعلاقة الحجاج بمجال الخطابة والجدل، فقد أكدّ أرسطو وجود الحجاج في الخطابة، كما في الجدل، فهو القاسم المشترك بينهما، حيث أنّ الجدل والخطابة قوّتان لإنتاج الحجاج"³.

كما تناول "أرسطو" الحجاج من زاويتين مختلفتين متقابلتين: من زاوية "بلاغية" من زاوية "جدلية"، فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، ومن الزاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتمّ في بنية حوارية، وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة، فهاتان النظريتان المتقابلتان تتكاملان في

¹ - الريفي هشام، الحجاج عند أرسطو، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998، سلسلة الآداب 1998 (فريق البحث

والبلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود... ص: 142.

² - المرجع نفسه، ص: 144.

³ - صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، ص: 17.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

التحديد الذي رسمه "أرسطو" لمفهوم الخطاب، إذ يُبَيِّنُه انطلاقاً من أنواع الحضور، ومن الرغبة في الإقناع ويُعدِّده في ثلاث أنواع: "النوع الاستشاري"، "النوع القضائي"، "النوع القيمي".¹

وقد ميّز بين ثلاثة مستويات من الحجج (الأيثوس، الباتوس، اللوغوس) في علاقتها بالأفعال الثلاثة للفعل الخطابي: "الخطيب"، "المستمع"، "الخطاب".

. الأيتوس: "Ethos" البات/ الخطيب: يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب، والصورة التي يقدمها عن نفسه.

. الباتوس: "Pathos" المتلقي/المستمع: ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب في إثارتها لدى السامع/المستمع.

. اللوغوس: "Logos": الرسالة / الخطبة: ويمثل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاي في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي.²

ومن هنا يمكن القول: إنّ "البلاغة الحجاجية" قد اتّضحت معالمها مع "أرسطو" من خلال مؤلفه المعروف بـ"الخطابة" حيث يُعدّ أهمّ كتاب أُنجز، ولعلّ تميّز هذا الكتاب يرجع إلى تركيزه على الوظيفة الإقناعية التي استخلصها من بحثه ضمن المنطق الجدلي أو التواصل اليومي، مما أعطى للبلاغة بُعداً حجاجياً انعكس في اهتمامها بالحجج، ومقامات التواصل التي حصرها ضمن ثلاثة أجناس: القضائية، الاستشارية، والاحتفالية، فاده ذلك إلى وضع أُسس الدرس الحجاجي، وقد دفع هذا "بيرلمان" إلى نعته بـ: "أب الحجاج"، اعترافاً منه بفضلته ومكانته في الدرس البلاغيّ الحجاجي، وهذا ما جعل "بيرلمان" يقف عند بلاغة أرسطو³.

2- الحجاج في الدراسات العربية القديمة :

إنّ نظرة سريعة في الحياة العقائدية والسياسية في البيئة الدينية والإسلامية كفيلة ببيان الفضل أو الدور الذي لعبه الحجاج باعتباره ضارباً بجذوره في الخطاب العربي، هذا الخطاب الذي اعتمد "البنية الحجاجية" وتجلّى من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية .

لقد كانت إستراتيجية الإقناع بالحجاج واضحة في القرآن الكريم، وأقوال رسول الله "ص"، كما نجد الكثير من النماذج التي تجسد استعمال هذه الإستراتيجية في خطابات سبقت هذه الفترة بكثير، وتمثّل ذلك في "المنجزات الخطابية" و"المناظرات القبلية" في العصر الجاهلي، ثم تنا مت الخطابات التي تجسد هذه الإستراتيجية بعد البعثة

¹ - طروس محمد ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية، ص: 15

² - المرجع نفسه ، ص: 18

³ - بوزناشة نور الدين ، الحجاج في الدرس اللغوي العربي، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 2010، 44، ص: 12

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

الحمدية في كثير من السياقات، وتبلورت في كثير من العلوم "كعلوم الفقه وأصوله" و"علم الكلام وغيرها....". فقد كان الإقناع مَطِيَّةً للخطاب في تلك المحاورات والمناقشات، وكانت إستراتيجيته بمختلف آلياتها هي الطريق الأقوم لإنزال مقاصد تلك العلوم وأفكارها وآرائها....¹.

ومع وجود عوامل متعددة ساعدت على تطور البلاغة العربية، ونشأة التأليف فيها، لعلّ من أهمها البحوث التي اتّصلت بدراسة القرآن الكريم لغة وإعجازا، وقد لعبت المؤثرات الأجنبية دورا لا يُستهان به في تطوير الدرس البلاغي وإثرائه من خلال كتب "أرسطو" - شرحا وترجمة- فقد ظهر ذلك التغيير في الخطاب البلاغي العربي وبروز بلاغة جديدة عمادها البيان والحوار والحجاج والإصغاء إلى الآخر، وذلك في وقت كان فيه صليلُ السيف يعلو على صوت العقل²، وفي هذا الجو الجديد يظهر "الجاحظ" مدافعا عن الحوار وثقافته ومحاولا وضع نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع، أساسها مراعاة أحوال المخاطبين...³

كما اهتمّ "الجاحظ" بالفعل اللغوي واعتبره الأساس لكل عملية بيانية حجاجية، فالكلام في نظره لا يمكن تمييزه عن البلاغة، فهو في نظره يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما: الوظيفة الخطابية: وما يتصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة، وهي مصطلحات يُكثر الجاحظ من استعمالها، وأما الوظيفة الثانية فهي الفهم والإفهام، أو البيان والتبيين، ولعلنا في غنى عن إثبات أنّ البيان في مفهومه العام يقتصر على أداء هذه الوظيفة.... فتحقيق التّواصل لا يتمّ إلا من وجه الإفهام والتّفهم⁴.

في حين أنّ مفهوم البيان عند "الجاحظ" تتنازع وظيفتان: أولهما إفهامية، والثانية حجاجية (إقناعية)، الأولى وما يتصل بها من عناصر المقام وخصائصه، وأما الثانية فأساسها الفصاحة وإحكام الحجة ومعرفة أحوال المخاطبين ومستويات تقلّبهم، وكذا اختيار المقال المناسب للمقام، ومن هنا كان عماد البلاغة "تمام الأدلة وإحكام الصنعة"⁵

ومن العناصر الحجاجية التي اهتمّ بها "الجاحظ" مقتضيات المقام وما تحمله من أحوال الخطيب وكفاءته اللغوية، وهيبته، وصفاته الخلقية، وما يحسن عليه وما يقبح، فالجاحظ دائم الإلحاح على الشروط اللازم توفرها في المتكلم

1- الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق ،ص: 447

2- محمد سالم محمد أمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص: 211 .

3- المرجع نفسه،ص:211.

4- صمود حمادي ، التفكير البلاغي عند العرب ، منشورات الجامعة التونسية ،1981، ص: 195 .

5- الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص : 162

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

من حيث الحيزة والحذف للآلة البلاغية والنصوص الاستشهادية الضرورية لكلّ حجاج، هذا علاوة على تحيّر القلب اللغوي الكفيل بإنجاح الفحوى والمقاصد، ودفع السامع إلى تحقيق المضامين النصية¹.
ومن الجهود التي تبلورت كذلك لدراسة الحجاج ما يخصّ الضوابط التخاطبية في المناظرات والتي يدوّنها القدماء لتقنينها في بعض أعمالهم التأليفية التي كانت تهتم أساسا بعقد المناظرات وتفعيل الحجاج، بوصفها الممارسات التي يتم فيها الخطاب الرامي إلى تحقيق الإقناع أكثر من أيّ هدف آخر، ذلك ما فعله "الباجي" في مقدمة منهاجه حيث ذكر ما ينبغي للمناظر أن يتأدّب به مع المرسل إليه، بيد أنّه لم يُغفل ما ينبغي أن يراعيه المرسل في حق نفسه..²، وقد أورد في كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج" " أنّ الحجاج يُعدّ من أرفع العلوم قدرا وأعظمها مكانا، لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحّت محجّة، ولا عُلم الصحيح من السّقيم، ولا الموحّج من المستقيم."³، فالحجاج عنده إذن من العلوم التي تتوفر على أركان وركائز ووجوه لمفهومه، إذ يرى "الباجي" أنّ الحجاج مرادف للجدل، فلولا الجدل لما قامت حجة.

في حين كان اهتمام علماء البلاغة وأقطابها بفكرة "المقام ومطابقة الكلام لمقتضى الحال" من خلال مقولتهم: "لكل مقام مقال"، وهي الفكرة التي دعمها "أبو هلال العسكري" في قوله: "ولا يُكَلِّمُ سيّد الأُمّة بكلام الأُمّة، ولا الملوّك بكلام الشوكة، لأنّ ذلك جهل بالمقامات ولا يصلح في كل واحد منها من الكلام وأحسن الذي قال: لكل مقام مقال"⁴، إذ أنّ تحقيق التواصل الجيد بين المتكلم والمخاطب هو الغاية من مراعاة المقام، ويجب عدم استخدام الألفاظ الغريبة في العملية التواصلية وهذا ما يدعمه قوله: "واعلم أنّ المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال... فإذا كنت متكلمًا أو احتجت إلى عمل خطبةٍ لبعض ما تصلح الخطاب، أو قصيدة لبعض ما يُراد له القصيد، فتخطّ ألفاظ المتكلمين.... فإنّ ذلك هجنة..."⁵.
فما يُفهم من كلامه هو ربط المقام بتعبير الغرض المنشود، فإذا كانت خطبة فغرضها الإقناع، ومقامها الخطاب، أمّا الشعر فغرضه الاستمالة والتأثير، ويجب على كلّ من الخطيب والشاعر استعمال الوسائل للتأثير في المتلقي وإقناعه.

1- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 214

2- الشهري عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجية الخطاب، ص: 449

3- الباجي أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد الحميد تركي، دار المغرب الإسلامي لبنان، ط3 2000، ص: 08

4- العسكري أبو الهلال، كتاب الصناعتين، ص: 27.

5- المرجع نفسه، ص: 135

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

في وقت نجد "السكاكي" في "مفتاحه" بعد أن قسّم البلاغة على أساس منطقي، إلى معاني وبيان وبديع، فقد ربط البيان بالدليل، لأنّ البيان وفروعه كالاستعارة والتشبيه... بمثابة الحجة أو الدليل بالنسبة إليه في الاستحالة والإقناع لذلك يقول: "من أتقن أصلا واحدا من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به، أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل"¹.

وهذا القول ينطبق على قول "محمد العمري" في حديثه على حجاجية الصور البيانية لما قال: "الصورة تقوم مقام الحجة، وتعوضها تبعا لحال المخاطب"²، لأنّ هذه الصورة هي التي تُعبر عن حال المخاطب، وعن أحاسيسه ومعانيه التي يريد إرسالها إلى المتلقي. وهو نفسه الذي نجده يلخص "وظائف البيان" في ثلاث وظائف رئيسية:

- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة الحياد): إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الفهم.

- الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف): تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

- الوظيفة الحجاجية (حالة الخصام): إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار.³

وهذا التقسيم يُظهر أنّ الهدف الأساسي للبيان هو المرسل إليه، وليس تزيين الخطاب، فهو يبحث عن كلّ السبل الكفيلة له، لتحقيق قوّة التأثير في هذا العنصر المهمّ في العملية التواصلية.

- كما تبلور مصطلح "الحجاج" عن "ابن خلدون" في "مقدمته"، حين أكدّ على ضرورة استعمال الحجاج بوصفه آلية للإقناع، خاصة في زمن كثرت فيه المناظرات التي أساسها الجدل معتبرا الحجاج: "معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم...."، ولذلك قيل فيه: "إنّه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يُتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره..."⁴.

واختصارا لجهود أقطاب البلاغة العربية الآخرين "كالجرجاني"، وغيره من الفلاسفة أمثال: "ابن طباطبا العلوي"، "وابن رشيق"، "ابن حازم القرطاجني" وآخرون، فقد وجهوا كلّهم البلاغة لغاية تأثيرية إقناعية لإقناع الجمهور والتأثير فيه، لذلك نجد البلاغة عندهم تهدف إلى أمرين: الوضوح (الارتجال)، والتأثير (النفع)⁵.

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 218

2- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري لدراسة البلاغة العربية، دار الثقافة الدار البيضاء ط 1 ص: 101

3- محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، المغرب، د ت، ص: 212.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تح محمد الاسكندراني. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 2005. ص: 422.

5- أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 44.

وتضمنت جهودهم البلاغية إشارات إلى ملامح الحجاج وأدواته البلاغية، وأهم ما ركّز عليه البلاغيون العرب في دراستهم لفكرة المقام هو "المتلقي"، وكلّ ما يحيط به من ظروف خارجية، كما وصف ذلك "محمد العمري" فكرة مراعاة المقام والحال في البلاغة العربية: "بأنّها عنوان للعلاقة بين الخطيب والمستمع"، فالبلاغيون العرب وإن لم يهتموا كثيرا بالدراسة الفنية والأخلاقية لمُرسل والمتلقي، حاولوا أن يُدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين"¹.

3- تجليات الحجاج في الفكر الغربي الحديث:

عرف الحجاج في العصر الحديث مفهوما أدقّ وأعمق من المفاهيم السابقة" ذلك أنّ الحجاج قد أخذ شيئا في الاستواء مبحثا فلسفيا، ولغويا قائم الذات ... مُستقلا عن صناعة الجدل من ناحية، وعن صناعة الخطابة من ناحية ثانية"². ولم يكن ليستويّ على سوقه إلا بعد أن عرف عدة توجهات ينتمي بعضها إلى البلاغة، وبعضها إلى المنطق، والبعض الآخر إلى منظور لساني تداولي، وبذلك استفاد الدرس الحجاجي من التراث اليوناني القديم، ثم بُعث في ثوب جديد ألا وهو: "النظرية الحجاجية"³.

وقد شكّل الحجاج في العصر الحديث حلقة وصل بين علوم شتى تتجاوزه فيها البلاغة والتداولية من منظور زاويتين مختلفتين، لكلّ منهما طريقتة وآليته الخاصة في الدراسة المستندة للموضوع تداوليا أم بلاغيا ... فنالت الدراسات الحديثة الحظّ الأوفر من الاهتمام عند الباحثين المعاصرين، مما جعل الحجاج يكسب نظرة جديدة استنادا للدرس الحجاجي القديم (الأرسطي)، فكانت الانطلاقة الأساسية مع "بيرلمان وزميله تيتيكا" في حديثهما عن "البلاغة الجديدة" "وديكرو واكسومبر" في "التداوليات المدججة" و "ميشيل مايير" في "نظرية المساءلة"، و"تولمان" من خلال "مشروعه الحجاجي"

أ- الحجاج عند بيرلمان " البلاغة الجديدة":

¹ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ص: 21.

² - صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص: 02 .

³ - بوزناشة نورالدين - الحجاج في الدرس اللغوي، ص: 02/01

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

يُعدّ "بيرلمان" perlman مؤسس البلاغة "البرهانية الجديدة" التي جعلت من النظرية البلاغية أداة تفسير وتحليل غيرها من الظواهر الفلسفية والقانونية بالخصوص، مما ولّد لديه الحاجة إلى بناء تصوّر نظري للحجاج والدفاع عن أهميته على ضوء المفاهيم البلاغية والفلسفية والقانونية .

لذلك يعتبر كتاب: La nouvelle Rhétorique "البلاغة الجديدة" وكتاب Traite de l'argumentation، "مقالات في الحجاج" ، من أهمّ الكتب المصنفة في الحجاج، ظهر عام 1958، وقد لاقى هذا المصنف نجاحا كبيرا نظرا لمحاولات التجديد الجادة فيه ،من خلال السعي إلى إخراج حجاج قائم بحدّ ذاته ،له مميزاته وأهدافه ،فيُقَدّم تعريفا جديدا للحجاج، يجعله جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإقناع بما تعرضه عليه ،والزيادة في حجم هذا الإقناع ،معبّرًا عن غاية الحجاج الأساسية إنّما هي "الفاعل" -التأثير- في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو تهيئته إلى القيام بالعمل"¹.

إنّ "بيرلمان" من خلال مؤلفه مع صاحبه "تيتيكا" والذي ظهر باسم البلاغة الجديدة La nouvelle Rhétorique : (ترجمه عبد الله صولة الخطابة الجديدة)، (ترجمة صلاح فضل البلاغة الجديدة)، يُنزل الحجاج بين الخطيب وجمهوره، أي أن يكون هناك تفاعل بين الخطيب والجمهور، ونجد أنّ صلته بالخطابة واضحة (الأرسطية)، ويُعرف الحجاج مع صاحبه: "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، لما يُعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم..."²

ف"بيرلمان" يهدف من خلال صياغة نظريته إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بتأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته...³، والغاية التي يسعى المؤلفان إلى تحقيقها من خلال هذه الدراسة: "أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو تزيد في درجة ذلك الإذعان، فابجّح الحجاج ما وُفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، أو هو ما وقف -على الأقل- في جعل السامعين مُهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة..."⁴.

إنّ ما ألقه "بيرلمان وتيتيكا" يُنزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب والجمهور، ويجعلانه شيئا مفارقا للجدل من ناحية، وصناعة الخطاب من ناحية أخرى، رغم اتّصاله بهما، فهو يأخذ من الجدل التمشّي الفكري الذي يقود إلى الأثر الذهني في المتلقي، وإذعانه إذعانا نظريا لفحوى الخطاب، وما جاء فيه من آراء ومواقف،

¹ دريدي سامية ،الحجاج في الشعر العربي القديم ،عالم الكتب الحديث ،أريد ،لبنان ،ط1/ 2008.ص: 21

² صولة عبد الله ، الحجاج أطره ومنطقاته من خلال مصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة) ، ص: 299

³ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص: 92.

⁴ صولة عبد الله ،الحجاج أطره ومنطقاته، ص: 299

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

ويأخذ من الخطابة توجيه السلوك أو العمل أو الإعداد له والحضّ عليه، وباختلاف الحجاج عن الجدل وصناعة الخطاب وجمعه بين التأثير النظري والسلوكي العملي يشكّل بلاغة جديدة...¹،.

كما أنّ "بيرلمان" أولى عناصر الحجاج أهمية خاصة في إنشائه لنظرية الحجاج التي لا تكتفي بالأساليب اللغوية بل تُولي اهتماما بالظروف الخارجية التي تتعلّق بكل من المخاطب والمقام، خاصة أنّ نظرية البرهان عنده هي بحث في سبيل التأثير عبر الخطاب بشكل فعّال في الأشخاص، ويكون الحجاج عنده: "عبارة عن تصور مُعيّن لقراءة الواقع، اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي يُجسّد هذا الخطاب.."² ويربط وجود المعنى بالسامع "الذي لولاه لما كان الحجاج أصلا"، كما يربط برلمان الحجاج بعوامل لغوية تتمثل في الوضوح، وعوامل غير لغوية (نفسية واجتماعية)، تتمثل في الاحترام والوعي بظروف مختلف الأصدقاء الاجتماعية والسياسية من خلال الملامح التالية³:

* أن يتوجه إلى المستمع.. * أن يُعبّر عنه بلغة طبيعية . * مُسلّماته أو بديهيّاته لا تعدو أن تكون احتمالية.. * لا يفتقر تقدّمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة . * ليست ناتجة مُلزّمة، وإلا فقد الحجاج أثره وفاعليته.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها "بيرلمان وتيتيكا" في دراسة الحجاج في⁴:

- محاولة تخلص الحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي كان سليل هذه الأخيرة (أرسطو).
- تخلص الحجاج من بوتقة المنطق والأبنية الاستدلالية المجردة، وقرباه من مجالات استخدام اللغة، مثل العلوم الإنسانية والفلسفية والقانونية....
- اعتبار الحجاج حوارا غير مرتبط بالجدل، فهو حوار بين الخطيب وجمهوره، ولا يمكن أن نعتبره مغالطة أو تلاعبا بالمشاعر والعقول .

- الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية.

- العملية الحجاجية تنطلق من أطروحة، وتتّجه إلى الإقناع.

ب- الحجاج عند ديكرود: **Ducrot**, "نظرية الحجاج في اللغة":

¹ - دريدي سامية ، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 21

² - محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص: 61

³ - المرجع نفسه ص: 61.

⁴ - طروس محمد :النظرية الحجاجية ،ص: 44.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

إنّ هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الشهير الفرنسي "اورفالد ديكرود" منذ سنة 1973 هي نظرية لسانية تهتمّ بالوسائل اللغوية، وبأساسات اللغة الطبيعية التي تتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، ثمّكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنّها تنطلق من فكرة مفادها: "أنا نتكلم عامة بقصد التأثير"¹ هذه النظرية تُبيّن أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفاً حجاجية، وبعبارة أخرى "هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها"².

لقد تحدّث "ديكرود" عن الحجاج، في مؤلفه المشترك مع زميله اسكومير "L argumentation dans la longue"، ليقترن أنّ الحجاج مُتحدّر في اللغة، أي أنّه لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج، ولا الحجاج عن اللغة، إذ يقولان في هذا الصدد: "إنّ الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولاً 1 (أو مجموعة من الأقوال) يُفضي إلى التسليم بقول آخر 2 (أو مجموعة من الأقوال) 3، حيث ق 1 يمثل الحجة التي ينبغي أن تؤدي إلى ق 2، ويكون ق 2 قولاً صريحاً أو ضمناً 4، لذلك فإنّ الحجاج عند ديكرود هو انجازٌ لعمليتين هما: عمل "التصريح بالحجة" من ناحية، و"عمل الاستنتاج" من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مُصرّحاً بها أم ضمنية.."⁵ يرى "ديكرود" أنّ التعامل مع الحجاج يكون بتوتحي مقاصد عديدة، منها الرغبة في التأثير والتوجيه والإقناع، حيث تترجم الأقوال إلى أفعال حسب "نظرية الأفعال الكلامية"، والتي يطلق عليها نظرية "الحدث الكلامي"، "نظرية الحدث اللغوي"، "النظرية الانجازية"، وتعدّ هذه النظرية في نظر أغلب الباحثين جزءاً من اللسانيات التداولية، وخاصة في مرحلة التأسيس عند "أوستن"، وفي مرحلة النضج والضبظ المنهجي عند تلميذه "سيرل"، وبعد هاتين المرحلتين حاولت بعض النظريات المعاصرة أن تُعدّل فيها لتدخلها في إطارها العام وتُخضعها لطرائق التحليل فيها، ومن أبرز هذه النظريات: "نظرية اللسانيات التوليدية"، و"لسانيات النص.."⁶، كما عملت هذه الأخيرة على معالجة الحجاج كظاهرة لسانية نصية، لا يمكن تفسيرها دون إبراز مراتب المتكلمين وأدوارهم في

¹ - Ducrot-/jéan cloude amxandre, L argumentation dans la longue , Piere mardaga, editeur 2 ; Bruxelles, P :07

² - العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص:14.

³ - صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، ص: 33

⁴ - المرجع نفسه، ص: 34

⁵ - المبخوت شكري، الحجاج في اللغة ، جامعة الآداب والعلوم الفنون، تونس، مجلة الآداب ، منوبة ، ص: 354 .

⁶ - نخلة أحمد محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص: 59 .

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

أفعال الكلام، بالإضافة إلى ذلك هناك الوقوف عند العناصر والروابط الحجاجية باعتبارها أدوات لسانية، ثم تشريح "سلايم الحجاج" داخل المنطوقات والأقوال...¹.

ويهتم "ديكرو" بتأكيد على العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب والحجاج، هذه القوانين تدخل في تحديد المحتويات الحجاجية، حيث تكمن وظيفة قوانين الخطاب في تحديد المعالم والدلالات الحجاجية، فالخطاب ليس فقط وسيلة بل هو غاية أيضا، وهو وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التأثير على الغير، وهذه العملية التأثيرية هي التي تُدعى الحجاج بالنسبة لنا، ونقول عن المتكلم أنه يقوم بحجاج حينما يقدم القول ق 1 أو (مجموعة الأقوال)، وغايتها في ذلك حمله على الاعتراف بقول آخر ق 2 (أو أقوال)²، على الرغم من أن هذه العملية لا تتم بهذه البساطة، إذ أنه ليس بمجرد التلفظ بقول معين ق 1 تكون قد حملنا المخاطب على استنتاج ق 2، إنَّ

هذه العملية أعقد مما نتصور بسبب تداخل عوامل أخرى لغوية وغير لغوية في التحديد الدقيق للدلالات...³

إنَّ "ديكرو" يُفرّق بين معنيين للفظ الحجاج: المعنى العادي، والمعنى الفني أو الاصطلاحي :

- الحجاج بالمعنى العادي: يعني به طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، ويكون ذلك الخطاب ناجحا فعّالا، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معيارا كافيا، إذ يجب أن لا تُهمَل طبيعة السامع (أو المستقبل) المستهدف، فنحاج الخطاب يكمن في مدى مناسبه للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلا على استثمار الناحية النفسية في المستقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه.⁴

- الحجاج بالمعنى الفني: يدلّ على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون "درجة" "salaire"، أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واسطة بين سلام...⁵

كما اهتم "ديكرو" وزميله بمسألة "مراتب الحجاج" من خلال مقالتيه: "مراتب الحجاج"، "العوامل الحجاجية والقصد الحجاجي"، كما اهتمّا وركّزا على "التداوليات المدججة التي كانت تقوم على تصور حظّي لعلاقة التركيب والدلالة والتداول، هذا التصور الذي كان يعتمد على دراسة اللغة، فكان الاهتمام كذلك بإبراز "نظام و تراتبية

¹ - أعراب حبيب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: 103.

² - Ducrot , L argumentation dans la longue - p08 .

³ - بلخير عمر ، تحليل الخطاب في ضوء النظرية التداولية ، ص: 121

⁴ - المرجع نفسه ، ص: 21

⁵ - المرجع السابق، ص: 21.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

الحجج" (حُجج قوية ،وحُجج ضعيفة)، وحُجج أخرى قد يعلو بعضها على بعض(حُجج عليا ،وحُجج سفلى)، بالنسبة إلى نتيجة معه، بعدما لاحظ أنّ الأقوال الحجاجية ليست على درجة واحدة من القوة، بل تتفاوت في قوتها الحجاجية، وشكل العلاقة بين مراتب الحجاج ما يسمى "بالسلم الحجاجي" .

ويقول "أبو بكر العزاوي": "إنّ نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج ،وأنّ المعنى ذو طبيعة حجاجية"¹،ومن المبادئ الأساسية التي تُلخّص نظرية "ديكرو" في اللغة:

1- الطبيعة الأساسية للغة هي: الحجاج .

2- المكوّن الحجاجي في المعنى أساسي، والمكوّن الاختياري ثانوي. ²

ج- الحجاج عند ميشال مايير: **michelle mayer** " نظرية المُساءلة":

تُعدّ "نظرية المسائلة" إحدى النظريات المعاصرة، والتي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامة، والخطاب الذي يتم خلال عملية التخاطب سواء كان تواملا عاديا، أم حجاجا يهدف إلى الإقناع. وقد استطاع "مايير" اعتمادا على منطلقات معرفية ومرتكزات فلسفية أن يؤسس منهجا تساؤليا يقوم على مبدئين هما³:

. المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال: تقوم كلّ الأقوال في العمليات التخاطبية على مبدأ الافتراض المؤسّس على "الجواب والسؤال" المفترضين انطلاقا من مجموعة من المقومات التي تحكم العمليات التواصلية، كالسياق والمعلومات الموسوعية والتجربة الذاتية والقدرات التفكيرية الفكرية، والتأويلية والتخيلية، إذ يصبح كلّ قول (خبرا، إنشاء، سؤال، تعجبا، نھيا، أمرا...) افتراضا لشيء ما داخل سياق تخاطبي معين، أي جوابا عن سؤال سابق، أو سؤالا لجواب لاحق، لهذا يُعبّر الافتراض عن انتظارات متعددة ومختلفة تقتضيها العلاقة الإنسانية لتحقيق أهدافها ومراميها.

. مبدأ الاختلاف الإشكالي: يتركز هذا المبدأ على طرح الاختلافات القائمة بين الأقوال، ويهدف إلى تحقيق وظيفة القول تواملا أو إقناعا، وهذه الاختلافات هي الميزة الحقيقية في العمليات التخاطبية، ليس باعتبارها تنوعات قولية في الشكل والمضمون، بل باعتبارها اختلافات تحكمها ضرورات ترتبط بالمعارف والخلفيات السياقية والثقافية التي يتوفّر عليها الدّهن البشري، وأنّ الإنسان يتواصل ليحلّ الإشكالات المعلّقة أو لي طرح أسئلته

¹ - الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص: 459.

² خلية البحث التربوي، الحجاج في درس الفلسفة، منوبة تونس، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1/ 2006، ص: 53

³ - عشير عبد السلام، عندما تتواصل نغيز، ص: 196.

ومشكلاته، إنه يتواصل كي يبحث ويُوجد القواسم المشتركة التي تفرضها الطبيعة التواصلية الإنسانية، فالتفكير الإنساني هو دوماً مساءلة.... وبذلك استفاد "مايير" من جهود سابقه، واستخلص مفهوماً للحجاج، عرّفه به "الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة من ظاهر الكلام وضمينته"¹.

إنّ هذا المفهوم للحجاج يُقدّم وجهة نظر "مايير" للخطاب الحجاجي، وهي أنّه يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة أو سمة حجاجية تؤدي إلى ظهور "الضميني" وفق ما يمليه المقام، ويلوّح بنتيجة ما، تكون مُقنعة أو غير مقنعة²، في وقت يقوم فيه الحجاج عند "مايير" على قسمين: صريح، وضميني، يجعل من الخطاب ذا صبغة حوارية، أي مسرحاً تتحاور على ركحه الأطراف وتتفاوض، وآية ذلك أنّ الكلام بانقسامه عن التخاطب إلى "صريح وضميني" يكون نصفه للمتكلم (وهو النصف المصرّح به)، ونصفه للسامع (وهو النصف الضمني...)³. أمّا القسم الذي يكاد "مايير" يختص به في صياغته للحجاج، فهو القسم الذي رصدته في العملية الحجاجية حين ربط نظرية الحجاج "بنظرية المساءلة"، فما الحجّة عنده إلاّ جواب أو وجهة نظر يُجاب بها عن سؤالٍ مُقدّرٍ يستنتجه المتلقي ضمناً من ذلك الجواب، ويكون ذلك بطبيعة الحال في ضوء المقام وبوحي منه.⁴ فالسؤال عنده عبارة عن مشكلة تتطلب إجابة، تكون هذه المشكلة موجودة فيها، فالمتلقي في هذه الحالة يُعتبر هو الذي يطرح الأسئلة من خلال الجواب المصرّح به وهو "الحجّة"، ولكن بمساعدة معطيات مقامية.⁵ ويمكن أن تُمثّل ذلك:

حجاج صريح ← الحجّة (الجواب مُصرّح به).

حجاج ضمني ← سؤال (يكتشفه المتلقي بمعطيات مقامية).

إنّ ما تناوله "مايير" في نظريته الحجاجية من مسائل كالعلاقات الحجاجية، والبُعد الحجاجي للغة، الواضح والضميني في اللغة الحجاجية، الحجاج والمجاز، وغيرها من المسائل التي لا يسع المقام لذكرها، يُمكننا من أن نقول: "إنّ الخطاب الحجاجي عنده هو عبارة عن إثارة الأسئلة التي يكون بموجبها هذه الثنائية (سؤال وجواب)،

1- صولة عبد الله، الحجاج في القرآن، ص: 37.

2- المرجع نفسه، ص: 37.

3- المرجع نفسه، ص: 37.

4- المرجع نفسه، ص: 38.

5- المرجع نفسه، ص: 39.

وثنائيات متقابلة أخرى يتشكل منها القول الحجاجي منها: "الحقيقة والمجاز" ، الافتراض واليقين الاستعمال والابتكار، السلطة المجازية والسلطة المادية....¹.

04- الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة:

إنّ موضوع الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة قد غدا علما قائما بذاته، ومؤطرًا بجملة من النظريات المعرفية التي تضبط أوجه استعمالاته في مجالات مختلفة، وقد قادت اجتهادات الغربيين - في مجال الحجاج في منتصف القرن الماضي - المفكرين العرب إلى بناء موقف حول هذا الدرس الجديد بالنسبة إليهم، والضارب في أعماق تراثهم في الوقت نفسه، كما منحتهم الفرصة في إدراج مبحث الحجاج في منطق تفكيرهم، لذلك تبلورت هذه الجهود العربية في ثنايا أعمال مجموعة من الباحثين من أمثال (طه عبد الرحمان)، (أبو بكر العزاوي)، و(محمد العمري)، و(فريق البحث التونسي بجامعة منوبة) وغيرهم، ويمكن أن نلخص بوادر هذا الاهتمام من خلال: الحجاج في الدرس الفلسفي (طه عبد الرحمان). الحجاج في الدرس البلاغي (محمد العمري). الحجاج في الدرس اللساني (أبو بكر العزاوي).

الدكتور	أهم مصنفاته من الحجاج	نظرته للحجاج
طه عبد الرحمان (الدرس الفلسفي)	لقد حدّد مفهومه لطبيعة الحجاج وآلياته وقدمها في مُصنّفين " في أصول الحوار، وتجديد علم الكلام" اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، حاول من خلالها إيجاد رابط منطقي لغوي، طوّعه في سبك نظرية حجاجية تأخذ بقوة المنطق وسلامة اللغة .	يُعرّف الحجاج بقوله: "وحدّ الحجاج أنّه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي اجتماعي، وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي، قائم بلوغه على التزام صور استدلالية... ² .

¹ - المبخوت شكري ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، دار المعارف 2003 ،ص:372

² - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص:65.

<p>يؤكد في مقدمة كتابه "اللغة والحجاج" (وهو دراسة وصفية للحجاج في اللغة العربية) فرضية الطبيعة الحجاجية للغة الطبيعية، كما يروم من خلالها اكتشاف منطق اللغة، ثم قدّم تعريفا للحجاج: "اذ يعتبره انجاز المتكلم لخطاب يعتمد على آليات التقاسم والتسلسل والترتيب والاستنتاج بهدف التأثير والإقناع..."³</p>	<p>هو الذي أكد في مؤلفاته وحواراته المختلفة أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، بقصد التأثير والإقناع، فهو ينطلق في أبحاثه من مبدأ عام "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل..."².</p>	<p>أبو بكر العزاوي الدرس اللساني</p>
<p>في كتابه "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول" يعرف البلاغة بقوله: "البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا، إيهاما وتصديقا"¹... "إنّها علم عتيق يهتم بالخطاب في كليته، في بُعديهِ التخيلي الأدبي والحجاجي المنطقي.</p>	<p>أبرز بلاغي عربي يظهر عنده الاهتمام بمقولات البلاغة المعاصرة عامة، و الحجاجية خاصة، إذ يهدف في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي" إلى التنبيه إلى البعد الإقناعي للبلاغة العربية... فطبّق التصوّر البلاغي "لبيرلمان" على الخطابة العربية مجتهدا في الكشف عن آلياتها الإقناعية التي تميّزها على الشعر.. "</p>	<p>محمد العمري و الدرس البلاغي</p>

المبحث الثالث: الحجاج وآلياته المختلفة في الحديث النبوي الشريف :

- ¹ - محمد العمري- الخطابة الجديدة بين التمثيل والتداول ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2-2005، ص: 06.
- ² - العزاوي أبو بكر ، لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل، بيان اليوم، المغرب 2006 ، ص: 48.
- ³ - العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص: 08.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

تتميّز النفس البشرية بأنّها كيانٌ مُتألّفٌ من رؤى وأفكار مُتباينة، إذ يختلف البشر في مستوى تفكيرهم وتعاملهم فيما بينهم، لذا يتطلب الأمر أساليب متنوعة لمخاطبة النفس البشرية واستمالتها إلى منهج حكيم يقضي بالتمييز بين الصائب والمقبول من الرأي والعمل، وبين المخالف للصواب منهما، واتخاذ هذا المنهج سبيلا لإقناع المقابل والتأثير فيه لتغيير ما هو مخالف لما هو صائب.

والتأثير في النفوس كثيرا ما ينبع من رشاقة الأسلوب وجمال العبارة، وقدرة مُبدعها على التأثير و الإقناع، ولا يتم كل هذا إلا بانتقاء أجزل الألفاظ والعبارات وأقدرها على التعبير، كما لا يخفى ما للغة وأسلوب المخاطب من أثر في نفوس متلقيه، باعتبار " أنّ وظيفة النظام اللغوي تبليغ أغراض المتكلم للسامع" وتبعاً لذلك تتباين أساليب المخاطب في خطابه، فلكل موقف خطاب خاص به، ولكل مقام مقالٌ.

لقد تنوعت أساليب الدعوة إلى الله والتي سلكها الرسول "ص" ، وهي أساليب فعّالة أملى بها حجّته الاقناعية والتأثيرية ، ودعا من خلالها الفكر للتأمل والتدبير، واستمال قلوب الناس، وغير مفاهيم خاطئة اقتنعوا بها، فكانت "الأساليب التوجيهية" أولاً من حوار كأداة للتواصل وتبادل الأفكار والتعبير عنها بالحجج والبراهين، إلى أسلوب التلطف في التعامل مع المخاطب، والكلام معه بالرفق واللين، إلى أسلوب التدرج وتعامله بالحكمة مع الناس ... فبذلك أسس منهاجاً متكاملًا ينتهي (يخلص) إلى الإقناع والتأثير والتعبير بأسلوب آخر تجسد فيه مراعاة أحوال المتلقين أو المخاطبين، لأنّ شعاره "ص": مخاطبة العقول والقلوب فنٌّ لا يجيده إلا من يمتلك أدوات الإقناع، مع توافر الظروف المناسبة لإحداث التأثير، فمهارات الاتصال والحوار المقنع للآخر تعدّ وسائل تأثيرية بالغة في تغيير المفاهيم، ولا يتأتّى ذلك إلا لمن أحاط بمعرفة أغوار النفس البشرية، وفهم مستوى تفكيرها وأسلوب أدائها الفعلي الذي ينعكس في سلوكها وتصرفاتها، فيكمن على أساس ذلك قياس ومعرفة طريقة التعامل معها .

إنّ هذا النوع في "استراتيجيات التعامل" مع المخاطب من قبل الرسول "ص" مبعثه طبيعة المتلقي (المخاطب) من رفض وإذعان، وعدم تصديق لما جاء به "ص"، مما يعكس عدم تحقيق أهداف الخطاب، في بدايات الدعوة إلى رسالته ، لذلك عمد الرسول "ص" إلى الاعتماد على "إستراتيجية جديدة" من شأنها أن تُحدث تغييراً في الموقف الفكري والعاطفي لدى المرسل إليه (المتلقي)، ألا وهي "الإقناع" بمختلف آلياته....

فما تعريف الإقناع في اللغة والاصطلاح؟ ، وما علاقة الحجاج بالإقناع؟ ، وما الآليات التي استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في تحقيق هذه الإستراتيجية؟

أ- الإقناع لغة:

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

جاء في معاجم اللغة أنّ الإقناع معناه: الرضا، وأصله مادة " قنع "، تقول العرب: قَنَعَ بِنَفْسِهِ قَنَعًا، وَقَنَاعَةً: أي : رَضِيَ ، ونقول أَقْنَعَنِي كَذَا: أي أَرْضَانِي،¹، وقنع بنفسه قَنَعًا وَقَنَاعَةً : رضي، قال الأزهري: رجالٌ مَقَانِعُ وَقَنَعَانٌ إذا كانوا مَرَضِيَّين..² ، وجاء في " القاموس المحيط " (للفيروزبادي) من معاني "قنع" :

. معنى السؤال والتدليل: القُنوع بالضم: السؤال والتدليل والرضا بالقسم، ومن الدعاء " نسأل الله القناعة ونعوذ بالله من القُنوع " .

. معنى الرضا: رجل قانع وقنيع: والقناعة الرضا، رضا يقنع به أو بحكمه أو بشهادته وأقنعه: أرضاه ، وقنّعه تقنيعا : بمعنى أرضيته..³ .

ونجد في (المعجم الوسيط) أنّ معنى الإقناع: القبول بالفكرة أو الرأي والاطمئنان إليه، اقتنع : قنع بالفكرة أو الرأي وقبله واطمئنَّ إليه.⁴

2. الإقناع اصطلاحا:

قد حدّد مفهومه "حازم القرطاجني" في كتابه "منهاج البلغاء" بقوله: "هو حمل النفوس على فعل شيء ما أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله واعتقاده..."⁵ ، كما يُعرّفه بعضهم أنّه: "تقديم الحجج والمناقشات لحمل الفرد على فعل شيء أو الاعتقاد بشيء ما..."⁶ .

فالإقناع هنا عملية طرح الحجج ومحاولة حمل المخاطب على الإذعان في قبول ما يطرحه المتكلم، وهو نفسه تقريبا عند "حازم القرطاجني"، وهناك مفهوم يرى أنّ الإقناع هو: "العملية التي يؤثر بها الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه دون إكراه أو قسر..."⁷ .

معنى هذا أنّ الإقناع نشاط لساني مشحون بأنشطة فكرية، تنتج عنها آثار سلوكية تتجسد: في شكل مواقف مجاله الخطاب، يتركز على المنطق والحجّة، ويتطلب درجة عالية من الثقافة والدراسة التقنية بالآخر .

1- ابن منظور - لسان العرب- مادة قنع.

2- المرجع نفسه ، مادة قنع.

3- الفيروز بادي ، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، دمشق ، سوريا ، "مادة قنع" .

4- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، القاهرة، ط 1 ، 1998 ، "مادة قنع" .

5- القرطاجني حازم أبو الحسن ، منهاج البلغاء، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 2 ، 1981 ، ص: 20.

6- محمد شمال حسن ، الصورة والإقناع ، دار الآفاق العربية ، بيروت ، ط 1 2006 ، ص: 30.

7- بن عيسى بالطاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، الدار البيضاء، ط 1، 2000 ، ص : 21.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

**أما "الاقناع" conviction: فيُعرف بما يلي " والإقناع بالشيء هو الرضا به، ويُطلق على اعتراف الخصم بالشيء عند إقامة الحجّة عليه، وهو على العموم إذعان نفسي لما يجده المرء من أدلة تسمح له بقدر من الرجحان والاشتمال كافٍ لتوجيه عمله، إلا أنّه دون اليقين في دقته...¹.

من خلال التعريفات السابقة نلاحظ أنّ ارتباط الحجاج بالإقناع أمرٌ مفروغٌ منه، إذ أنّه يعدّ الوجه الآخر للحجاج، فهدف استخدام الحجاج في الخطاب هو إقناع المتلقي بفحوى ذلك الخطاب، وجعله يُدعِنُ لما يطلبه المتكلم، فمفهوم الإقناع يقترن مع مفهوم الحجاج الذي هو طرح الحجج والبراهين التي تجعل المتلقي يُدعِن بدون قيد أو قسر.

فعللاقة الحجاج بالإقناع تتجسد أساسا في أنّ أهمية الحجاج تكمن فيما يُؤلّده من إقناع لدى المرسل إليه وهذا الإقناع لا يتأتّى إلا باستعمال اللغة، ممّا يُؤكّد أنّ نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأنّ الحجاج وظيفةٌ أساسيةٌ للغة، وأنّ المعنى ذو طبيعة حجاجية..²

وقد لخصّ "الشهري عبد الهادي" مسوغات استعمال الإقناع دون غيره من الاستراتيجيات الأخرى مايلي:
. تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتائجها أثبت، وديمومتها أبقى، لأنّها تنبع من حصول الإقناع عند المرسل إليه غالبا، لا يشوبها فرض أو قوة.

. تمايزها عن الاستراتيجيات الأخرى المتاحة، مثل الاستراتيجيات الإكراهية لغرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه، دون حصول الاندفاع الداخلي أو الإقناع الذاتي، فإقناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه.

. الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج، فالحجاج شرط في ذلك، لأنّ من شروط التداول اللغوي شرط الاقناعية للمرسل: "عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته، فإنّ مُطالبته لا تكتسي صيغة الإكراه، ولا تُدرج على منهج القمع، وإنّما تتّبع في تحصيل غرضها سُبلا استدلالية متنوعة، تجرّ الغير جرّا إلى الإقناع برأي المبحور، وقد تزوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهئها هذا الإقناع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب، كأنّه يراها رأي العين...³.

¹ - طه عبد الرحمان ، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005 ، ص:15.

² - الشهري عبد الهادي بن ظافر- إستراتيجية الخطاب، ص 457.

³ - طه عبد الرحمان - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص: 38

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

. الرغبة في تحصيل الإقناع: إذ يغدو هو الهدف الأعلى لكثير من أنواع الخطاب.... ذلك أنّ المرسل إليه قد تعيّرت ثقافته وإدراكه لكثير من الأمور، ولم يعد يتقبل بعض الاستراتيجيات، كما أنّ دغدغة العواطف - كإستراتيجية - لم تعد تنطلي عليه.

. إبداع السلطة: فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه، إذ لا تُحقّق إستراتيجية الإقناع نجاحها إلا عند التسليم بمقتضاها إمّا قولاً أو فعلاً، وما جعل الإقناع سلطةً مقبولةً هو كون الحجاج الأداة العامة من بين ما يتوسل به المرسل من أدوات أو آليات لغوية.

. ومن هنا يكون الإقناع هو مجال البحث الحجاجي نظراً إلى كونه محدد المقام، والمخاطب، والإطار القولي أمّا أهم وظيفة حجاجية في هذا المجال بعد الإعداد لقبول الأطروحة أو الفرضية فهي الدفع إلى العمل...¹

. شمولية إستراتيجية الإقناع، إذ تمارس على جميع الأصعدة فيمارسها الحاكم، والفلاح الصغير، وكبير القوم، والطفل، والمرأة... "كلّ ذلك بوعيٍ منهم، وهذا يعزز انتماء إستراتيجية الإقناع إلى الكفاءة التداولية عند الإنسان السوي بوصفها دليلاً على مهارته الخطابية .

. ما تحقّقه من نتائج تربوية: إذ تستعمل كثيراً في الدعوة، كما فعل رسول الله "ص" مثلاً عند إقناع الأعرابي الذي طلب الرخصة لارتكاب الزنا(كما سيتضح مستقبلاً في البحث) وكما فعله غيره من الأنبياء عند محاجة أقوامهم بالدخول في الدين، ويتعدى الأمر من الدعوة إلى ميادين أخرى كالتربية، والمدرسة والبيت ..".

المبحث الثالث: تقنيات وآليات الحجاج في الحديث النبوي:

إنّ البحث في القواعد التخاطبية التي انتظمت بها مخاطبات النبي "ص" وحواراته يُعد من أجلّ القواعد التي تُوقِّفنا على آيات الحكمة والرحمة في التّواصل النبوي، فكانت أسباب نجاح رافقت الدعوة المباركة للرسول "ص"، ثم إن جانب التأسّي والافتداء يدفعنا إلى وجوب تتبع هذا الجانب من شخصيته عليه الصلاة والسلام، والوقوف عند الاعتبارات التي جاءت بها هذه المخاطبات، حتى يتمكّن المسلمون من تأسيس وبناء "فقه للتواصل النبوي" ، والذي تعززت استراتيجيات المخاطب والإقناع فيها من:

. إستراتيجية ثقافية: يحاول من خلالها المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه. ونوع هذه العلاقة "هي محاولة التقرب من المرسل إليه و تقريبه".

. إستراتيجية توجيهية: يرغب المرسل بها توجيه وتقديم توجيهاتٍ ونصائحٍ وأوامرٍ ونوايا يفترض أنّها لصالح المخاطب أو المرسل إليه.

1- محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند برلمانص: 67.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

. إستراتيجية تلميحية: يعبر فيها المرسل من غير طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة، بل ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة.

. إستراتيجية **حجاجية**: والتي يرمي من خلالها المرسل إلى إحداث التغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمرسل إليه: وهي الإستراتيجية التي يسعى من خلالها المرسل إقناع المرسل إليه بمختلف الوسائل والآليات بوجهة موقفه، ورجاحة فكرته، ومن الوسائل والآليات التي تجسدها هذه الإستراتيجية لفائدة الإقناع هي: .

01- الآليات البلاغية في الحجاج :

إنّ الرّبط بين البلاغة والحجاج ربطٌ جدير بالتأني المعتمد على التحليل لكشف العلاقة بينهما، إذ لا شك في أنّ علاقة البلاغة بالحجاج إشكالٌ مثيرٌ مُعقّد¹، اهتمّ به القدامى قبل المحدثين، إذ تراهم لم يُخطئوا حين جمعوا في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر الفعلية للحجاج بمكوناته الوجدانية والجمالية. ومنه لا مفر من البلاغة لأيّ حجاج...².

فيقوم الخطاب الحجاجي على إيصال المعنى المقصود إلى ذهن السامع، ويقوم على مراعاة حاله، ومخاطبته بقدر عقله، مُرتبًا كلامه وحججه على نظام إقناعي بما يستميل السامع إلى قصده ويقوم على الإبانة و الإظهار لتوضيح المعنى للسامع، وتحصل الفهم والإقناع، وإذا كان الحجاج آلة المتكلم في إقناع المتلقي وكسب تأييده وإفهامه، فإنّ البلاغة "آلة وهي التوسع في معرفة العربية، ووجوه الاستعمال لها، والعلم بفاخر الألفاظ وساقطها، ومُتخَيِّرها، ودنيئها، وما يصلح في كل واحد من الكلام...."³

وتكمن أهمية الوسائل البلاغية "فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حُجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته في الخطاب، أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأيٍ مُعين، ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريد، أي أنّ الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يُرشد العملية الإقناعية ويُيسر على المتكلم ما يُرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعرية.."⁴.

¹ - دريدي سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 119.

² - المرجع نفسه، ص: 120.

³ - ثويني حميد آدم، البلاغة العربية، المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر عمان الأردن، ط1، 2007، ص: 12.

⁴ - دريدي سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 120.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

ومن الفكرة ذاتها يؤكد "صابر الجباشة" أنّ الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة) ، بل هي تؤدي إلى وظيفة اقناعية استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج) ، ومن هنا يتبين أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحوّل لأداء أغراضٍ تواصلية ، ولا نحاز مقاصد حجاجية ، وإفادة أبعادٍ تداولية¹ .

فما حفلت به الأحاديث النبوية الشريفة من ضروب بلاغية مختلفة من شأنها أن تُشكّل عاملاً مهماً في عملية الحجاج ، وينمي قدرة المخاطب على الإقناع من خلال علاقة مختلف الأساليب البلاغية ببعضها من جهة وبججاجية الخطاب من أخرى ، والتي كانت عاملاً قويا في إثبات القدرة الاقناعية باعتبارها عاملاً مهماً في التأثير والاستمالة والإقناع ، ومن هذه الوسائل :

أ- المجاز اللغوي:

يُعدّ المجاز نمطاً من أنماط التعبير ، له القدرة الكبيرة والفعالية المؤثرة في إقناع المتلقي واستمالاته ، وأصحاب الصياغة للمعاني مُطبّقون على أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأنّ الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه ، وأنّ الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر...²

وتعود هذه القوة التأثيرية للمجاز إلى أنّه لا يؤدي وظيفة حجاجية استدلالية خالصة ، أي أنّه لا يخاطب في المخاطب عقله وذهنه فحسب ، بل يخاطب النفس والانفعال أيضاً ، ولا شك أنّ قوة المجاز أو قيمته تعود عند البلاغي إلى قدرته على التأثير - في الوقت نفسه - على عقل المخاطب ونفسيته ، ولهذا نرى "الجرجاني" ثمّ "السكاكي" بقدر ما يتوسعان في ربط المجاز بالادعاء والاستدلال بما يُفيد تعلقُ المجاز بالعقل ، بقدر ما يقدمان إشاراتٍ كثيرةً تفيد تعلقُ المجاز بالنفس ، وتشدّد على وظيفته النفسية ، وهذا ما يسمح لنا بالقول: "إنّ الوظيفة الحجاجية للمجاز لا تعني سعيه إلى إقناع المخاطب بدعوى ما فقط ، بل هي تعني سعيه إلى بلوغ النفس أيضاً ، وجعلها تقتنع بهذه الدعوى وتبناها ، فالجواز أنجح وسيلة للتأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب...."³

ومعنى ذلك أنّ للمجاز دوراً كبيراً في الحجاج والإقناع ، لأنّه من جهة أولى يؤدي وظيفة استدلالية ويتوجه بالأساس إلى عقل المخاطب ، ولأنّه من جهة ثانية يؤدي وظيفة نفسية ، ويستهدف التأثير في نفس المتلقي وتقع على نفسه وقعا حسنا ، إذ تجعله يقتنع.... ، وبذلك يضمن المتكلم تحقيقاً لمقصده وغايته باستعمال ضروب

¹ الجباشة صابر ، التداولية والحجاج ، دار صفحات للدراسة و النشر ، سورية دمشق ، ط1/2008 ، ص :50.

² السكاكي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ص :523.

³ القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص :221 .

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

المجاز أو بعدوله عن الحقيقة، مما يساهم في نجاح العملية الحجاجية الإقناعية، ومنه تتحقق إمكانية المجاز في الحجاج من جهة التدعيم و التثبيت ، التي تنبثق من المجاز إلى الحجاج على شكل طاقة تزيد في إقناع واستمالة المتلقي، ومن المجاز الحجاجي:

1. الاستعارة:

تعدّ مركز الحجاج، وأهم آلياته البلاغية نظرا لما تحقّقه من نتائج إيجابية في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ وهذا ما عبّر عنه "طه عبد الرحمان": "العلاقة الاستعارية هي أدلّ ضروب المجاز على ماهية الحجاج"¹، وهذا للطاقة الحجاجية التي تُوفّر للمتكلّم ليُقنع المتلقي، بتركيب استعاري حجاجي ومنه نُشير إلى: "جمالية الإرسال من أجل التأثير في المتلقي، وأسر انتباهه، فيتلذذ باستقبال الرسالة الكلامية المبثوثة إليه في أحسن صورة"²

فقد أولت الدراسات اللسانية المعاصرة "الاستعارة" مكانةً خاصةً في تحليل الخطاب، وخاصة في الخطاب الحجاجي، باعتبارها آلية تُساهم كباقي الآليات في بناء القول الحجاجي من مختلف النواحي الحجاجية، وذلك بغية التأثير و الإقناع، فانطلق علماء العربية في فهم المعاني والدلالات اللغوية من حقل تداولي يقوم على "الاستعمال" فنظروا إلى الظاهرة اللغوية من خلال حقيقتين:

. حقيقة وضعية : هي اللفظ المستعمل أولا فيما وُضع له.

. حقيقة عرفية: هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في عرف "الاستعمال" ، فأطلقوا عليه مصطلح "المجاز" وهو يعني كلّ انتقال من معنى إلى آخر لما بين المعنيين من تعلّق، وتكون المزيّة أثبات وجه الشبه، وهذا ما عرف عند البلاغيين أيضا "بالمجاز": يقول "عبد القاهر الجرجاني" الكلام على ضربين؛ ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن بذلك اللفظ الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم نجد لذلك المعنى دلالة تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر: الكناية، الاستعارة، والتمثيل...³

فالاستعارة إذن: -باعتبارها مجازا - تقوم على الجمع بين شيئين أو فكرتين انطلاقا من العلاقة الشبيهة، من أجل تقديم صورة جديدة أو مخترعة تتدخل فيها عملية التخيل والإبداع، ذلك أنّ الاستعارة عند علماء العرب ليست فقط زُحرفا أو نقشا لتزيين الكلام، ولكنها فنٌ لغويّ تداوليٌّ يُعطي للقول قوّته الدلالية، وإصابته النفسية تأثيرا وانفعالا واستحسانا، وهي كما عرّفها "الأزهر الزناد": "بمجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى

¹ طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان ، ص : 233

² مرتاض عبد المالك ، مقدمة في نظرية البلاغة ، متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها ، مجلة جذور ع 25، يوليو 2009، ص 226-227 .

³ الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص: 173

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

المجازي، أو هي تشبيه سُكِّتَ عن أحد طرفيه، وذكُر فيها الطرفُ الآخر، فالمتكلم يستعير لفظ المشبّه به ليستعمله للدلالة على المشبّه، ثم يرجعه إلى مجاله الأصلي...¹.

فنقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما في "الاستعارة" يلعب دورا مهما في توضيح الفكرة وتقريبها إلى المتلقي، ذلك أنّ الصفة التي تجمع بين اللفظين هي التي تُبيّن له ما أراد المتكلم أن يوصله إليه، فالاستعارة إذن تُسهّم في فكِّ الغموض، وإظهار المعنى الخفي للقارئ، كما قال "الزركشي" في تعريفه "وحيثُها أن تُستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يُعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفيّ، واتّضح الظاهر الذي ليس بِجَلِيّ، أو بحصول المبالغة..."²، لتحتضى بتعريف آخر عند "عبد القاهر الجرجاني" في "أسراره": "اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهدُ على أنّه اختصّ به حين وُضع، ثم استعمله الشاعرُ أو غيرُ الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غيرَ لازم.."³

وإذا كان هذا هو شأن الاستعارة عند العرب فإنها عند الغرب: "تركيبٌ لسانيّ سليمٌ، تمثّل خصوصيةً منطقيّةً ليست دائما كاذبةً، تتميز عن عمليات المشابهة أو المماثلة لكونها تلتزم بوجود خصوصية مشتركة للقضايا المطروحة، كما تتميز بكونها مُتغيرا تختلف من شخص إلى آخر، ولا يمكن الإتيان بمعادل لمعناها، لأنّها أصلا تُستعمل في الحالات التي يستطيع قولُ آخر أن يؤدي نفسَ المعنى، ونفسَ التأثير..."⁴.

أمّا الدراسات العربية الحديثة فقد ربطت في حديثها عن الاستعارة بين الاستعارة والحجاج أو ما يُسمونه "بحجاجية الاستعارة" كما نجد عند "العزاوي" الذي ربط بين الاستعارة والسُّلم الحجاجي، ويعتبر "أنّ الأقوال الاستعارية أعلى وأقوى حجاجيا من الأقوال العادية.."⁵، كما بيّن "طه عبد الرحمان" أنّ وظيفتها داخل الحجاج تكمنُ في إضافة شيء جديد، هو تكثيف القول انطلاقا من بعض الصّور المجازية، لكي يُشكّل قوّة في المعنى والبيان، حتى يتسنى للمتكلم من خلال هذه القوة تمريرُ موافقته وأطروحته...⁶.

لذلك نجد الاستعارة الحجاجية عند "العزاوي" تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم بقصد توجيه خطابه وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية...وهي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياستهم

1- الزناد الأزهر، دروس في البلاغة العربية، ص: 59.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص: 433.

3- الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص: 27.

4-Dictionnaire encyclopédique de pragmatique . ED :P60

5- العزاوي أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 102.

6- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص: 304.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

التخاطبية والتواصلية ... في مقابل الاستعارة الحجاجية نجد "الاستعارة البديعية" وهي التي تقصد لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم وأهدافهم، وإنما نجد هذا النوع من الاستعارة عند الأدباء الذين يهدفون من ورائها إلى إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا هو سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي وليس سياق التواصل والخطاب¹.

وهو الدور الذي أثنى عليه "الشهري عبد الهادي" مبينا أنّ الاستعارة تعدّ وسيلة هامة من وسائل التأثير والحجاج، لما لها من قدرة في التصوير، وقيامها على التناسب مع مقتضيات السياق، فهي تعدّ من أبلغ الصور وأقوى الآليات البلاغية تعبيراً عن الواقع، وهذا ما جعلها أداة بلاغية حجاجية قوية.... ووسيلة لغوية يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنّها من الوسائل التي يعتمد عليها بشكل كبير جداً، مادامنا نسلّم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية...²

إنّ أهمية الاستعارة في الحجاج كأهمية ووظيفة واحدة من أنواع البيان الثلاثة، فالهدف الأساس هو "المرسل إليه" وليس تزيين الخطاب، فهو يبحث عن كل السبل الكفيلة له لتحقيق قوة التأثير في هذا العنصر المهم في العملية التواصلية، وقوة التأثير نقصد بها أن يترك الأسلوب أثره في نفوس القارئ والسماعين، وأن يدفع من يقرأه أو يستمعه إلى الإيمان بما آمن به البليغ فكرةً أو رأي أو عقيدةً....³، وهي الطريقة التي تُحقّق ذلك التكافل بين المرسل والمتلقي، وبالتالي تنجح العملية التواصلية بين الطرفين.

هذا الطرح وجد ما يدعمه في الدراسة البلاغية القرآنية، ذلك أنّ دراسة الأساليب القرآنية في التأثير والاستمالة كثيراً ما يؤدي إلى فهم "الصورة القرآنية" على أنّها طريقة في الإقناع تتوسل بنوع من الإبانة والتوضيح، وتعتمد على نوع من الجدل والحجاج، وتحرص على إثارة واستمالة المتلقي...⁴ فهي "بذلك استعارة حجاجية لأنّها من الأدوات المفضّلة إليه في التعبير عن معانيه..."⁵، ودعوة مخاطبيه إلى الإقناع والتصديق لما جاء فيه، فالخطاب القرآني يعمد إلى هذه الصورة التي رسمها فيعطيهما أنواعها وظلالها، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة، فالحوار، فإذا هي شاخصة تسعى...⁶.

1- العزوي أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 108.

2- الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص: 496-497.

3- خفاجي محمد عبد المنعم، نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب، القاهرة، دت، ص: 139.

4- عصفور جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب - المركز الثقافي لبنان، ط 3، 1992 ص: 332.

5- عبد العزيز بن صالح، التصوير البياني في حديث القرآن، المجلس الوطني للإعلام - الإمارات دبي، 2007، ص: 67.

6- قطب سيّد، التصوير الفني في القرآن - دار الشروق، بيروت لبنان، د، ت، ص: 197.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

وليس بعيدا عن "البلاغة النبوية" إذ نجد ذلك التأثير الذي تُحدثه الاستعارة بجمالها ،حين تؤثر في المتلقي بسحرها، ومراعاة لمقتضى الحال للمخاطب من جهة، وتفشي الغرض منها ومن استخدامها حين تُحقق المطمح الاتقاعي "للاستعارة الحجاجية" في "الحديث النبوي الشريف" من جهة أخرى.

ومن أمثلة الاستعارة في الحديث النبوي الشريف ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ النَّبِيُّ "ص" بامرأةٍ تبكي عند قبر، فقال : "اتقي الله واصبري" ، قالت: إِلَيْكَ عَنِّي ،فإنَّكَ لم تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي ، ولم تَعْرِفْهُ ، فقيل لها : إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ "ص" فلم تَجِدْ عنده بَوَّابِينَ، فقالت: لَمْ أَعْرِفْكَ، فقال : إِنَّمَا الصَّبْرُ عند الصَّدْمَةِ الْأُولَى..¹

فالشاهد في قوله "ص": "إنما الصبر عند الصدمة الأولى" استعارة لطيفة أراد بها الرسول "ص" أن يُقنع المرأة بوجود الصبر عند المصائب، فإذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر.... والمراد بالصدمة الأولى: "قوة المصيبة وفجأتها"، وحقيقة الصدم: ضرب الشيء الصلب بمثله، واستعير في الحديث لفجأة المصيبة ، حيث تكون أشدَّ شيءٍ على النفس فاستعير للمصيبة الواردة على القلب.... بمعنى أنَّ الصبر الذي يُحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة ،بخلاف ما كان بعد ذلك فإنَّه على الأيام يسلب...²، وقال الإمام النووي: "أصل الصدم الضرب في شيء صلب ، ثم استعمل مجازا في كل مكروه حصل نفيّه...³.

وقد أعرب (شبهه) الرسول "ص" عن المصيبة بلفظة "الصدمة" لغرض بلاغي ، وهو الإشارة إلى قُوَّتِها وشِدَّتِها وأثَمَّ جاءت على غرَّةٍ ،ودونَ موعِدٍ، وهذا مقام قد لا يملك الإنسان فيه نفسه، ولا يستطيع أن يُلجم فيه مشاعره لذلك كان "الصبر" في أعلى درجات الصبر بل هو الجدير بلفظ الصبر دون غيره من المقامات التي تنزل فيها المصائب، وزاد في هذا المعنى وصفُ الكلمة بكلمة "الأولى" أي وقت وقوعها ، وهي مبالغة في إبراز الشدة بل هي وصفٌ لساعة المصيبة ، والتي إذا امتلك الإنسان فيها نفسه وصبرَ كان بحقِّ صابرا .

والاستعارة "تصريحيه" ذُكر فيها لفظُ "المشبه به" (الصدمة) ليتلاءم من حيث المخاطبة مع الصبر والثبات عند ورود المصيبة، ولعلَّ النبي "ص" قد آثر الاستعارة لقوَّة تعبيرها في حال المرأة المخاطبة التي اشتدت عليها المصيبة حتى أنَّها لم تعرف النَّبِيَّ "ص"، ولم تُبالِ بموعظة الفعل الكلامي المتمثل في الأمر "اتقي" "اصبري" ، و"اسم الفعل"

¹ - صحيح البخاري ، حديث رقم: 1223، كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ، ج 1 ، ص: 431.

² - العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري ، ج 3، ص: 172.

³ - الإمام النووي، شرح صحيح مسلم ،مرجع سابق ، ج 6 /ص: 227

"إليك عني"، وتذكيره إياها بتقوى الله والصبر، ويمكن تمثيل المسار الحجاجي لهذه الاستعارة باعتبارها الأقوى قولاً ووحجة في السلم الحجاجي كما يلي:

←	ن	السعي إلى تحصيل الأجر أمام عظيم الفاجعة.
←	ن	وجوب الصبر عند الصدمة الأولى. (إنّما الصبر عند الصدمة الأولى)
←	م	عدم تحمل الصدمة - (إليك عني، لم تصب بمصيبي).
←	م	وجوب الصبر عند الموت. (مقام، نصح، اتقي، اصبري).
←	م	البكاء على الميت - (مرّ بامرأة تبكي.....).

فيعكس السُّلم الحجاجي مراحل الحجاج في الاستعارة؛ بدءاً من وصف الحالة عند البكاء وصولاً إلى ما أراده الرسول "ص"، ألاّ تجتمع عليها مصيبةُ الهلاك وفقد الأجر، لأنّ المرء لا يؤجر على المصيبة لأَنَّها ليست من صنعته، وإنّما يُؤجر على حسن نيّته وجميل صبره، وقد تمكّن عليه الصلاة والسلام من إقناعها بأسلوب "النصح والإقناع" بعد أن مهّدت (لم أعرفك) اعتذاراً عن قولها الصادر من الحزن.... فبيّن لنا الرسول "ص" أنّ حقّ هذا الصبر أن يكون في أول الحال الذي يترتب عليه الثواب..¹، وهي النتيجة التي يُقرّها السُّلم الحجاجي لما سبقها من "مقدمات" كما تُسمى في العرف التداولي.

******عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بَعَثَ النَّبِيُّ "ص" بَعْثًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ "ص": "إِنْ تَطَعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَ أَيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَلِيفًا لِلإِمَارَةِ، وَأَنْ كَانَ لَمْ يَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ، وَإِنْ هَذَا لَمْ يَحَبِّ النَّاسَ إِلَيَّ بَعْدَهُ...".²

فقد أورد البخاري هذا الحديث في باب ذكر فضائل الصحابة خاصة في باب الإمارة و الحرب، وفيه إشارة لإمارة زيد بن حارثة في "غزوة مؤتة" رغم صغره، كما جاء في رواية عائشة قالت: ما بعث رسول الله "ص" زيد بن حارثة في جيش قطّ إلا أمره عليهم". وفيه إشارةٌ إلى إمارة المولى و تولية الصّغار على الكبار المفضول على الفاضل، لأنّه كان في الجيش الذي كان عليه أسامة أبو بكر وعمر.. وهذا إشارةٌ إلى "زيد".

هنا الصيغ من قبل رسول الله لم يكن ليرضي بعض الصحابة المجاهدين تحت لواء أسامة كونه "مولى"، مما حتم على رسول الله العمل على إقناعهم، لاسيما حين استعار "الطعن" للإمارة، و الطعن عادة الوخز أو الضرب

¹-العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص: 172

²-صحيح البخاري، حديث رقم: 3524، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة، ج3، ص: 1365.

أو القتل بالرمح و الحربة و نحوهما.....¹ ، وجوّزه "الزّمخشري" في "أساس البلاغة" على أنّه من المجاز :طعنه بالرمح ...ومن المجاز :طعن فيه و عليه ، و طعن عليه في أمره ، و هو طعّان في أعراض الناس ...،وهي صورة من صور إطلاق (الطعن) على "الإمارة" فيه تشبيه حُذف أحد أركانه ، إذ شبّه "الإمارة" بما يُطعن حقيقة كـ"الإنسان" ، و حذف المشبه به و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو "الطعن" ، و لعلّ في ذكر هذا اللازم المتروك تخيلاً يُصوّر بدقة عظيم المنكر ، و شناعة الجرم الذي وقع فيه المخاطب ،وكأنّ الإمارة التي عقدها رسول الله "ص" لأسماء رضي الله عنه صارت عدوّاً في ميدان القتال، يستهدفه بعض الصحابة فيسددون إليه رماحهم ليطعنوه رغبةً في قتله .

- و قد جاء التعبير بالفعل المضارع "تطعنوا" لتصوير دلالة المضارع على التحديد مرة بعد مرة ،مما يحتم وجوب إقناع المخاطب (الصحابة) بأحقية الولاية لأسماء ، و يعكس إنكار النبي "ص" لصنيع أصحابه، فأشار إلى:
- إمارة الوالد من قبل (زيد بن حارثة) ، و الكل يعلم مكانة زيد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 - تأكيده صلى الله عليه وسلم بأحقية أسامة للخلافة عن طريق القسم : "و أيم الله....".
 - بيان منزلة الابن بمنزلة الوالد قبله .

و كلّها حُججٌ استعملها رسول الله "ص" من وراء هذه الاستعارة لإثبات أحقية أسامة بن زيد بالخلافة على رأس هذا الجيش ، لأنّ محبة الوالد تقتضي محبة الابن ، و محبتهما معاً تُوجب تولّي الخلافة بناءً على تسلسل الحجاج في الحديث النبوي الشريف ، كما يعكس ذلك السّلم الحجاجي التالي:

- | | | |
|---|--------|---|
| } | مقدمات | <ul style="list-style-type: none"> ن - عدم الطعن في الخلافة. 3م - أسامة جدير بالخلافة. 2م - محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأسماء بن زيد. 1م - محبة الرسول لزيد بن حارثة. |
|---|--------|---|

فما جاء في آخر الحديث يُعدّ بمثابة "مقدمات" كلها تخدم نتيجة واحدة و هي أحقية أسامة بالإمارة ، و عدم الطعن فيها، فحُبُّ الرسول "ص" لأسماء من حبِّ زيد بن حارثة ، مما يُحوّل جدارته بالإمارة (أيم الله إنّه كان خليقاً بالإمارة) ، إضافة إلى ما استعمله للتوكيد مع القسم : إنَّ + اللام المنزحلة (إن هذا لمن أحب ...). (وإن كان لمن أحب الناس إلي...) من الضرب الإنكاري في ضروب الخبر .

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة طعن.

**عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي "ص" قال : "سبعة يُظلمهم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه : إمامٌ عادل ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله ، ورجلٌ قلبه مُعلّق في المساجد ، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه و تفرّقا عليه ، ورجلٌ دعته امرأة ذات منصبٍ و جمالٍ فقال : إني أخافُ الله ، ورجلٌ تصدّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شماله ما تُنفق يمينه ، ورجلٌ ذكّر الله خالياً ففاضت عيناه..."¹

في الحديث النبوي الشريف تقسيم لطيف بعد إجمال ، وبيان شافٍ مجيد لأولئك السعداء الأبرار الذين نالوا الكرامة الإلهية و السعادة الأبدية في دار الخلد و النعيم ، بسبب ما قدّموا في الحياة الدنيا من صالح الأعمال و اتصفوا به من جميل الخصال..² ، لذلك شملتهم العناية الإلهية و الرحمة الربانية تحت ظلّ عرش الله الكريم ، لكل من اتصف بواحدة من تلك الخصال الحميدة ، و من بينها ما صوره رسول الله "ص" في أجمل صورة لذلك الرجل المحسن الذي تصدّق بصدقة خفية عن أعين الناس ابتغاء مرضاة الله ، فأخفى صدقته ، في شكل استعارة مكنية ، فقد شبّه اليد اليمنى بإنسان و اليد اليسرى بإنسان آخر ، حذف المشبه به (الشخص الأول) و رمز إليه بشيء من لوازمه وهي "اليد" على سبيل الاستعارة المكنية .

وتكمن حجاجية هذه الاستعارة في عدّها "مقدمة" من مثل "مقدمات أخرى" تُوصل إلى "نتيجة" نهائية وهي ظلّ الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه ، خاصة أنّ الرسول الله "ص" جسّدها في صورة خيالية في شكل "استعارة مكنية" نظرا لاختفاء المشبه به ، وحلول شيء من لوازمه ، حيث يجد المتلقي في هذا اللون من التصوير دافعا إيجابيا يُعمل الذهن ، و يمدّ النظر لتأليف الهيئة الحاملة للصورة الفنية ، ذلك أنّ المتلقي في "الاستعارة التصريحية" يتلقّى الفكرة جاهزةً مُكتملةً العناصر ، أمّا في الاستعارة المكنية فإنّه يحتاج إلى أن يُعمل ذهنه ليكتمل العناصر الناقصة من الصورة ، و كأنّه يشترك مع المرسل (المتكلم) في إكمال أجزاء الصورة... .

ويمكن تجسيد هذه الاستعارة كواحدة من مجموع "مقدمات" موصلة إلى "نتيجة" تحمل معنى "التشويق" وحبّ الفوز بما أعدّه الله تعالى للمتّصفين بهذه "المقدمات" ، خاصة وأنّ النتيجة ظلّ عرش الرحمن يوم لا ظلّ إلا ظلّه ، من خلال السّلم الحجاجي التالي :

¹- صحيح البخاري ، حديث رقم : 629 كتاب الجماعة والإمامة ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ج1 ، ص: 235

²- الصابوني محمد علي ، من كنوز السنة ، ص: 20

"مقدمات"

- ن - ظلّ الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه.. (النتيجة)
- م 7 - رجل ذكر الله حاليا .
- م 6 - رجل تصدّق بصدقة فأخفاها .
- م 5 - رجل دعته امرأة ذات منصب و جمال .
- م 4 - رجلان تحابّا في الله .
- م 3 - رجل قلبه معلق في المساجد.
- م 2 - شاب نشأ في عبادة الله .
- م 1 - إمام عادل.

***عن معاذ رضي الله عنه قال: " قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة و يباعدني من النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم ، و إنّه ليسيرٌ على من يسره الله عليه ، تعبد الله لا تُشركُ به شيئاً ، و تُقيمُ الصلّاة ، و تُؤتي الزّكاة ، و تصوّم رَمَضانَ و تُحجّ البيتَ ، ثم قال : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ ، و الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، و صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ... ثمّ تلا قوله تعالى : "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ...يَعْمَلُونَ" ، ثمّ قال : أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ ، و عَمُودِهِ و ذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ بَلَى ، يا رَسُوْلَ اللهِ ، قال: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، و عَمُودُهُ الصَّوْمُ وَ ذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ...".¹

فالحديث يعكس صورة من صور حوار الصحابة رضي الله عنهم مع الرسول "ص" في أمور دينهم و دنياهم ، تتجلى فيه رغبة الصحابي في معرفة أمور الدين ، و حرص الرسول "ص" على تعليمها و توصيلها، إذ عمد الرسول "ص" على الإقناع و التأثير ، حيث انطلق من المهمّ "صحة العقيدة" ، ثم ثنى بالتوافل "قيام الليل ، الصدقة ، الصوم التطوعي " ، ثم تدرّج به إلى بيان ما يقوم عليه هذا الدين في ضرب من الاستعارة ، حين شبهه الدين بالإنسان ، حذف "المشبه به" و أبقى لازمة تدل عليه "رأس" ، ثم "بالخيمة" التي لها عماد تقوم عليه ، في قوله : و "عموده الصلاة" ، فاستعار "عموده" من الخيمة ووظفها للصلوة على سبيل الاستعارة ، ليشبه الإسلام بالزّاحلة "الجمل" ، حذف المشبه به و ترك صفة من صفاتها "ذروة السنام" و ذروة السنام بمعنى أعلاه ، لأنّه بارز و ظاهر كبروز الإسلام ، وتميّزه عن الأديان الأخرى .

ففي هذا الحديث تتجلى حجاجية الاستعارة من خلال تدرّج الرسول "ص" تدرّجا منطقيًا من خلال حوار

¹ - النووي أبو زكرياء يحيى بن شرف ، رياض الصالحين، تحقيق عبد العزيز رباح ، دار السلام الرياض ط13، 1991 ، ص: 447 .

مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، ذلك ما تعكسه أدوات الحجاج من خلال:

. اغتنام فرصة تواجده رضي الله عنه مع الرسول صلى الله عليه و سلم.

. إجاباته صلى الله عليه وسلم عن أسئلة معاذ تهيئةً للجو و تشويقاً للمعرفة و استدراجاً للإقناع، و التأثير ومن ثمّة استجابة وتنفيذ.

. سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم معاذاً: "ألا أخبرك"، "ألا أدلك" تعكس استعداداه الفطري من جهة ورغبته في الاستزادة ليتّضح أمرُ مساءلته من جهة أخرى.

. تدريج الرسول صلى الله عليه وسلم في الإجابة عن الأسئلة من العام إلى الخاص، أو "المهم إلى الأهم".

. اقتناع معاذ عن طريق سؤاله: "أو مؤاخذون بما نتكلم به" بما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم تبيينه له .

هذه النقاط الحجاجية تعكس في صورة الاستعارة السابقة سلماً حجاجياً يمكن تمثيله كما يلي :

	↑	ن
		دخول الجنة .
		4 م
		الجهاد (ثمن لدخول الجنة).
{		3 م
		إسلام + صلاة + جهاد (موت في سبيل الله).
		2 م
		صوم تطوّعيّ + صدقة + قيام ليل (نوافل).
	1 م	
		إيمان بالله + صلاة + صوم + حج (أركان).

فيعكس السّلم الحجاجي أنّ "النتيجة منطقية" لما سبقها من "مقدمات"، لا سيما وأنّ دُخولَ الجنة "كنتيجة

"يريدها معاذ بن جبل خاصة، والمسلمون عامة، والوصول إليها لا يتحقق إلا ب :

. إيمان صحيح و عقيدة سليمة "الإتيان بالأركان".

. العمل الفعلي والترجمة للأركان من خلال الترغيب في الإتيان بالنوافل .

. أعلى درجات الإيمان أن يُبرهن المسلم أنه قادر على بيع نفسه لله تعالى، وأنّ الله اشتراها منه "الجهاد". من أجل

الحصول على الجنة مصداقاً لقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ... " التوبة الآية 111.

ليواصل الرسول "ص" ميدان الإقناع حين يرى قابلية معاذ للاستزادة، عن طريق سؤال استفهام: "ألا أخبرك

بملاك ذلك كلّهُ "، وهي "الحجّة الدامغة" التي قدّمها الرسول "ص" لمعاذ، سعياً منه لكي يحقّق ما يقوم به وذلك

بـ حارحة اللسان، "كفّ عليك هذا"، وهو فعل "أمر" كـفعل انجازي غرضه "التحذير" من عاقبة إطلاق

العنان للسان، جعلت من معاذ يستفهم مُتّعجبا: "أو مؤاخذون بما نتكلم به"، فأجاب عليه الصلاة والسلام

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

إجابةً مُقنعةً مُبيّنةً أنّ إطلاق العنان قد يكون سبباً في دخول النار، بسبب ما يحصده هذا اللسان من آثام كالغيبة والنميمة وشهادة الزور وغيرها، وهي صورة استعارية أُخرى استعار من خلالها الرسول "ص" صفة الحصاد من آله، ووظفها للسان تعبيرا عن عظيم ما يحصده هذا اللسان من آثام، دون مراعاة لطيب الكلام من قبيحه أثناء إطلاق العنان له، وتكمن حجاجية هذه الاستعارة في أن:

*الكبُّ على الوجه في النار سببه حصاد اللسان (نتيجة).

*إطلاق العنان للسان هو الوقوع في المحرّمات كالغيبة والنميمة (مقدمة).

*الغيبة والنميمة وشهادة الزور تُذهب حسنات صاحبها (مقدمة).

*ملاك الأمر كله: وجوب حفظ اللسان "كفّ عليك هذا" (مقدمة).

هذه نماذج فقط من الاستعارات الحجاجية في كتب الحديث النبوي تعكس أهمية الاستعارة في الكلام وفضلها في إبراز المعاني والكشف عنها وقيمتها وبلاغتها في اللسان، ولعلّ هذه القيمة والأهمية للاستعارة جعلت من "عبد القاهر الجرجاني" يُقرّ بحقيقتها " من الفضيلة الجامعة فيها أنّها تُبرز هذا البيان أبداً في صورة مستمدة تزيد قدره تُبلاً، وتُوجب له بعد الفضل فضلاً.... ومن خصائصها التي تُذكر بها- وهي عنوان مناقبها - أن تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفّة الواحدة عدّة من الدرر، وتخي من العُصن الواحد أنواعاً من الثمر... فإنّك ترى بها الجماد حيّاً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس متينة، والمعاني حقيقية بادية جليلة...."¹. لتبقى في الأخير حقيقة وجوب أن يقترن جمال الأسلوب بعامل الإقناع في المتلقى مع عدم الفصل بينهما، لأنّ المعنى كي يكون مُقنعا قد يحتاج إلى أسلوب يُجمّله ويحفظ له رونقه وبهاءه، كما أنّ جمال المعنى يزيد في قدرة التأثير في المتلقى والاستجابة له.

ب. التشبيه وأثره في الحجاج:

يكاد يقع إجماع من اللغويين والبلاغيين على أنّ "التمثيل" و"التشبيه" لفظان مترادفان، فهما متفقان ولا فرق بينهما، إذ التشبيه لغة: تشبّه الشّيء بالشّيء أي مثله به وقَرَنه² وفي ذلك يقول "ابن الأثير" في "المثل السائر" وجدت علماء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا لهذا باباً مفرداً، ولهذا باباً مفرداً، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يُقال أشبهتُ هذا الشيء بهذا الشيء، كما يُقال مثّلته به..³

¹ - الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، باب الاستعارة المفيدة، ص: 36. 37.

² - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1976، ج: 13 ص: 41.

³ - ابن الأثير، المثل السائر، ج: 2، ص: 123.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

فالتمثيل هو: "عقد الصلة بين صورتين، ليتمكّن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه.."¹، يُلفت "الجرجاني" الانتباه إلى القوة التأثيرية التي تتمثل في فنون القول وضروبه، حين عقد فصلاً في مواقع التمثيل وتأثيره: "لأنه مما اتفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أجهّة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلب إليها، واستثار لها من أفاصي الأفئدة صباية وكلّفاً، وقسّر الطباع على أن تُعطيها محبةً وشغفًا.... فان كان مدحاً كان أجهى وأفخّم... وان كان حجاجاً كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهَر، وبيانه أجهَر...²، وهذا ما يعتمد إليه المرسل لبيان الحال والإقناع بما يذهب إليه، فهو من حيث القدرة البلاغية قادر على استمالة المخاطبين والتأثير فيهم.

أما التمثيل عند "الخطيب القزويني"، "ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور"³، فيكون "هيئة" حاصلة من عدة أمور"، سواء كان الطرفان مفردين أو مركبين، أو كان أحدهما مفرداً والآخر مركباً، وهو بذلك مُحتاج إلى ضرب من التأمل والتأويل، فكلّ تمثيل تشبيه. وليس كلّ تشبيه تمثيلاً..."⁴ إماماً في الدراسات الغربية الحديثة، فيرى "بيرلمان" أنّ التمثيل طريقة حجاجية تعلق قيمتها على مفهوم "المشابهة" المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائماً، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة..."⁵.

ليظهر الدور الحجاجي للتشبيه من خلال فائدته: "أما فائدة التشبيه في الكلام فإنّك إذا مثّلت الشيء بالشيء، فإنّما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه، ألا ترى أنّك إذا أشبهت صورة بصورة هي أحسن منها، كان ذلك مثيراً في النفس خيالاً حسناً يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا أشبهتها بصورة شيء أقبَح منها، كان ذلك مثيراً في النفس خيالاً قبيحاً يدعو إلى التنفير وهذا لا نزاع فيه..."⁶.

فالتمثيل إذن تقنية خاصة في العملية الحجاجية عند البلاغيين القدامى والغرب المحدثين، وما يهْمُنَا هو محاولة

¹ - الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب ص: 497.

² - الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، باب مواقع التمثيل وتأثيره، ص: 89.

³ - القزويني جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 142.

⁴ - بن عيسى بالطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات دار الكتاب الجديد، بيروت، ط 1، 2008، ص: 227.

⁵ - عشير عبد السلام، عندما نتواصل نغيّر، ص: 97.

⁶ - ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص: 130، 131.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

دراسة التشبيه أو التمثيل "ك تقنية حجاجية" لها فعاليتها في الإقناع، فما يُوقّر التشبيه من طاقة حجاجية قادر على إثارة المتلقي وشغل تفكيره بالبحث عن العلاقة التي تجمع بين صورة المشبه والمشبه به، وما تُحدثه هذه العلاقة التصويرية من أثر في نفس المتلقي، تحمله على الإقناع والقبول بتلك التشبيهات.

وقبل ولوج نماذج التشبيه في البيان النبوي حري بنا أن نؤكد على بلاغة التشبيه وأثره في النفس من خلال ما قاله "الزمخشري" في "كشافه" ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شيء ليس بالخفي في إبراز المعاني ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تُريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهّم في معرض المتيقن، والغائب كأنّه شاهد، وفيه تبيّنت للخصم الألد، وقمح لصورة الجامع الأبى، ولأمر ما كثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتب أمثاله، وفشت في كلام رسول الله "ص" وكلام الأنبياء والحكماء قال تعالى: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ" العنكبوت 143.

* نماذج من "التشبيه" في الحديث النبوي الشريف:

كثيرا ما كان الرسول "ص" في دعوته يضرب المثل، ويُشَبِّه الشيء بالشيء ترغيباً مرة، وترهيباً مرة أخرى، مُراعياً في ذلك مقتضى الحال عموماً، ومنه تعددت "مقامات التشبيه" التي جاء فيها هذا النوع من البيان مُراعياً حال المخاطب من "ترغيبٍ وثناءٍ ومدحٍ وذمٍّ و تنفيرٍ و تعليمٍ وغيرها...".

* النموذج الأول: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَعِيمٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ، لَا تُمْسِكُ الْمَاءَ وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسَلْتُ بِهِ."

2"

نموذج من التشبيهات النبوية في صورة "تشبيه تمثيلي"، شبّه فيه الرسول "ص" الصورة الذهنية الحاصلة من بعثه بوحى الله، وانقسام الناس حول ما جاء به، ما بين مؤمن به، عامل بكل ما فيه حسب طاقته، وعالم بشرعه، و بين مؤمن مُقَصِّرٍ عالمٍ قليل العمل، وقسم كافرٍ مُعْرِضٍ عن الحق لا يعلم ولا يعمل، إذ شبّه الرسول "ص" هذه الأصناف الثلاثة بالصورة الحسية الحاصلة من "نزل المطر" (الغيث) على الأرض، بما جاء به من الدين ممثلاً

1- الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 79.

2- صحيح البخاري حديث رقم 79، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم: ج 1، ص: 42.

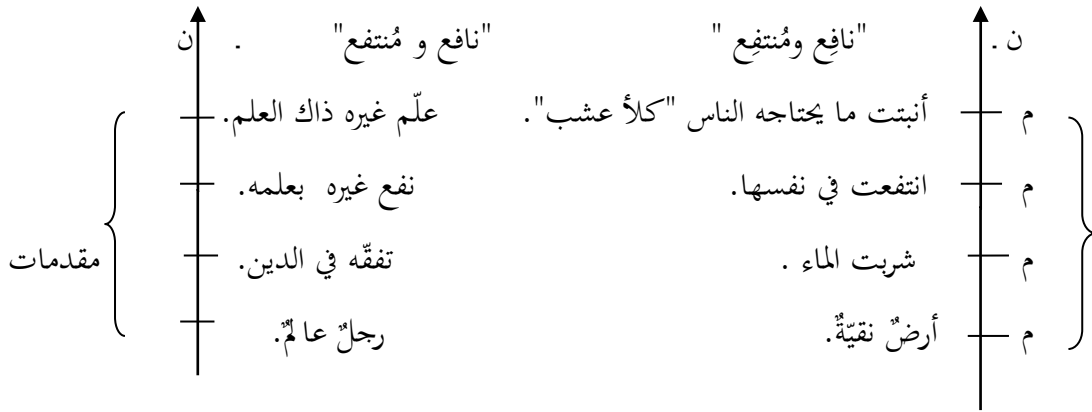
الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه.... فكما أنّ الغيث يُحيي البلد الميّت، فكذا "علوم الدين" تُحيي القلب الميّت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فكان:

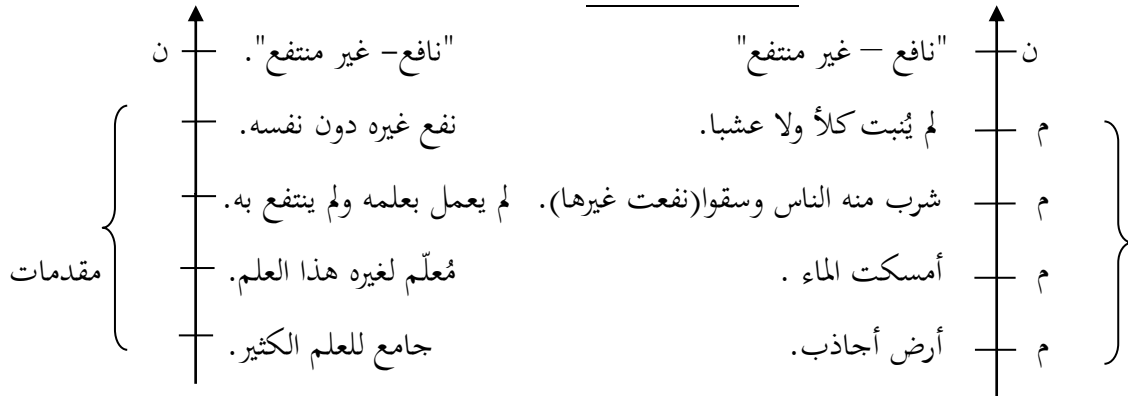
* منهم العالمُ العاملُ المَعْلَمُ: فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت، فانتفعت في نفسها، وأنبثت، فنفعت غيرها. *
منهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم ينتفع بما جمع، لكنّه أداةٌ لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقرّ فيها الماء، فينتفع الناس بها.

* منهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيره...¹. ويمكن تمثيل ذلك حجاجيا وفق السلم الحجاجي التالي:

أ/ الطائفة الأولى:



ب/ الطائفة الثانية:



¹ - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص : 215

ج/ الطائفة الثالثة:

↑ ن	" غير نافع ، وغير منتفع "	" غير نافع وغير منتفع "	↑ ن
	لم يقبل هدى الله.	لم تمسك ولم تثبت.	
	تضييع للعلم.	تضييع الماء.	
	لا يعمل به، ولا يعلمه لغيره.	لا تمسك ماءً، ولا تثبت عشبا.	
	من يسمع العلم فلا يحفظه.	أرضٌ قيعان.	

وجميع هذه الفئات - كما مثلنا - جاءت في "بناء تركيبى" قُسمت فيه الأقسام تقسيماً حسناً، ثم أُتبع كلُّ قسمٍ بما يخصّه، فذكر عليه الصلاة والسلام اختلاف الأراضي في تقبل الماء، ثم اتبعها باختلاف الناس في قبول الهداية، فهو "تشبيه تمثيلي" لأنّ وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من قبول الأرض لما يرد عليها من الخير مع ظهور أماراته وعلاماته على وجه عام وهو "الثمر"، وهو وجه شبه منتزع من أمور متعددة (قبول الأرض للماء + الانتفاع به + إنبات الكلاً والعشب + انتفاع الناس به..).

لقد عمد الرسول "ص" إلى الإقناع العقلي، وإيقاظ الشعور والعاطفة لدى المخاطبين، فاستعان بالأساليب والوسائل الممكنة للوصول إليه، منها "المنهج التمثيلي القصصي" الذي جسّم فيه المعنويات وعرضها بصورة محسوسة وملموسة، يرتضيها العقل والمنطق، ويأنس بها الشعور والوجدان، فضلاً عمّا تركه في نفس المتلقي من آثار نفسية عميقة، قلّما يصل إليها نوعٌ آخر من أنواع البيان.

*النموذج الثاني: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال النبي "ص": "مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: "يَا قَوْمَ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِينِي، وَأَنَا "النَّذِيرُ الْعَرِيَانُ" فَالْنَجَاءُ النَّجَاءُ فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ (أَطَاعَهُ) فَأَذْبَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَجَجَوْ، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَاجْتَا حَهُمْ"¹، (طرف الحديث في البخاري: فذلك مثل من أطاعني فاتّبع ما جئتُ به، ومثل من عصاني وكذّب ما جئتُ به من الحقِّ... رقم 6854، "باب الاعتصام بالكتاب والسنة".

الحديث صورة من صور التشبيه النبوي، إذ يُجسّد صورة حيّة لحاله عليه الصلاة والسلام في الإنذار ولأحوال السامعين لا نذاره، إذ شبه نفسه مع قومه بصورة "النذير العريان" (والنذير العريان الأصل فيه أنّ رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسرّوه، فانفلت إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش فسلبوني، فأرّوه عريانا، فتحققوا صدقه، لأنهم

¹ - صحيح البخاري، حديث رقم 6117، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ج5، ص:2378.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

كانوا يعرفونه ولا يهتمونه في النصيحة ، ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن¹ ، إذ ضرب النبي "ص" لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك ، لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لأفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه، فجعل يهتف منهم بالجملة التي اعتادوها عند وقوع أمر جلل "النّجاء النّجاء" بجماع صورة أمرٍ، أكّده الشواهد، وصدّقه الأدلّة ، ففاز من صدّق وهلك وخسر من كذّب.

وانطلاقاً من الصفة الجامعة بين الرسول "ص" (المشبه)، والنذير العريان (المشبه به) يحمل معنى "العري" دليلاً على صدق النذير القاطع باستعمال الرسول عليه الصلاة والسلام لمؤكدات هي: (رؤية عينية "بعيني" إني + أنا + العريان)، كلّها "روابط حجاجية" تدفع إلى الهرب من الخطر المحدق به ، وهذه الصفات للنذير إشارات تضيء جوانب "المشبه" -الرسول - "ص" الذي رأى مواطن الخطر فأخبر بها ، ليبقى النذير العريان "حجّة" عقلية جاء يحملها "ص" واضحة صادقة على أنه صادق أمين.

ليعكس الحديث "حجج" الرسول "ص" مرة أخرى، حين يعلو صوت النذير مؤكداً أمر صدقه بشتى وسائل التأثير، بقوله "النّجاء النّجاء" منصوب على الإغراء، بغرض تأكيد الأمر والمبالغة فيه، لا سيما "بتكرار" اللفظ تعجيلاً بالهروب قبل مُدهامة الجيش. و لتظهر صورة التشبيه "نتيجته" من خلال طبائع النفوس في استجابتها للدواعي، إذ انقسم القوم إلى:

***طائفة أطاعت . سارت أول الليل . و أدلجوا - فنَجّوا.

***طائفة كذّبت . تكذبت مع عصيان . فأصبحوا احتاحهم العدو.

*الطائفة الأولى : "صدّقت فور إنذارها،... فأطاعته ،... فأدلجوا"، مما يعكس سرعة القوم في طلب النجاء فكان هربهم ادلاجاً في جوف الليل، إذ شبّه الرسول "ص" من أطاعه واتّبعه، واتبع ما جاء به واختار لنفسه أفضل طريق.... حاله كحال مَنْ صدّق "النذير الذي حدّره ، فنجا وسلم ماله وعرضه، و "وجه الشبه" بين الطرفين "طاعةٌ ترتّب عليها نجاة وفوز".

*اما الطائفة الثانية : فهي طائفة "كذّبت ورفضت داعي التغيير" وتشبّثوا بما هم عليه، ووقفوا في مكانهم حتى هلكوا "كذبت... صبّحهم... "، فانعكس ذلك في "وجه الشبه، المنتزع من متعدد، والموحى بأنّ "العصيان وتكذيب ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يوجب الهلاك المحتوم والخسران المبين" ، ويمكن تجسيد مثال الطائفتين في السلم الحجاجي التالي :

الطائفة الأولى :

1-العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري، ج 1 ص : 358

—	ن	نجاة وفوز	"وجه الشبه"	نجاة وفوز	—
}	مقدمات	—	نجاة وسلامة العرض والمال.	اختيار من الطريق أفضلها.	—
		—	إدلاج ومشى أول الطريق.	طاعته و إتباع ما جاء به.	—
		—	تصديق فور الإنذار.	تصديق الرسول "ص".	—

الطائفة الثانية :

—	ن	وقفوا على مكانهم حتى هلكوا .	هلاك وخسران.	—
}	مقدمات	—	التشبث بما هم عليه (صّبّحهم) .	الثبات على الكفر و العناد.
		—	رفض داعي التغيير .	رفض لما جاء به الرسول .
		—	تكذيب مع عصيان .	تكذيب مع عصيان.

لتكون الفائدة من "التشبيه" الدعوة إلى حتمية الاستجابة للنذير في "المشبه" به "طلباً للأمن من احتياح الجيش، وفي "المشبه" بتوجيه القوم إلى إتباع الرسول "ص"، وإلا هلاكٌ محتومٌ، وخسرانٌ مبينٌ، إذ "النتيجة منطقية" لما سبقها من "مقدمات" تحتم على أنه "كلما وُجد نذير يُنذر قومه، إلاً وجبت عليهم الطاعة تحقيقاً للنجاة" ولعلّ ارتباط "التشبيه بالحجاج" ليؤدي دور الإقناع والتأثير في السامع يحصل من إطلاقتنا هذه في حديثنا عن التشبيه - ارتباطه بالجملة الطلبية - يجعلنا نقرّ أنّ الرسول "ص" استعمل الجمل "الإنشائية الطلبية" كالأمر و الاستفهام و النداء... في أداء المعاني، التي قد لم يُلبها الخبر، فكان تعبيره عن أفكاره ومعانيه ب"الجمل الطلبية" استجابة لما يتطلبه المقام، ورغبةً منه في نقل مشاعره إلى المخاطب ليشركه بها، ويتعاون معه في أثناء قولها، وقد استعمل الرسول "ص" هذه التراكيب للتعبير عن معاني حقيقية، وأخرى مجازية مراعاة لحال المخاطب منها :

*الترغيب:

"الترغيب" بما يُحمد فعله للمخاطب، هو الخطوة الأولى للإقناع، إذ يزيد المخاطب ترغيباً وتشويقاً، ويبعث فيه الهمة في تحصيله، ومثال ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين أراد التشديد على نفسه في العبادة، فأراد الرسول "ص" أن يرغبه في ترك التشديد فقال له: "أمراً": "صُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ... كَانِ يَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى"¹، فشبه النبي "ص" الصوم الذي أراد، بصوم "داوود" عليه السلام ترغيباً لعبده الله بالتخفيف من تشديده على نفسه.

¹ - صحيح البخاري حديث رقم: 1878 كتاب الصوم، باب صوم داوود عليه السلام ج 2 ص : 679 .

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

ومما أسهم في ذلك الترغيب "حذف أداة التشبيه" ،وحذفها يُشعر المخاطب بتحقيق وصف "المشبه به" في "المشبه" وهو الذي يسميه البلاغيون: "التشبيه البليغ"،أو" التشبيه المضمّر الأداة " إذ فيه يكون التشبيه أبلغ وأوجز من التشبيه التي ظهرت أدواته، أمّا كونه "أبلغ" فلأنّك إذا قلت: "زيد أسد" فقد جعلته نفس هذه الحقيقة من غير واسطة ، بخلاف قولك "كالأسد": فليس يفيد إلا مُطلق المشابهة لا غير، وأما كونه" أوجز"،فلأنّ أداة التشبيه محذوفة منه ، فلهذا كان أحصرَ من جهة لفظه...¹

وعكس الترغيب في القيام بالشيء ،نجد "التنغير منه" وذمّه إن كان قبيحا ،وذلك ما حرص عليه الرسول "ص" في حديثه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال: "حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَصَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَائِعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "لَا تَشْتَرِهِ"، وَ"لَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ" وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدَرَاهِمٍ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْئِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ" ².

فأرادَ الرسولُ "ص" من وراء هذا التشبيه أن يَصْرِفَ "عمر" رضي الله عنه عن الرجوع عن صدقته بعد أن أخرجها ، فنهاه "لا تشتريه" عن شراء فرسه الذي تصدّق به ،حتى لا يكون كمن عاد في صدقته، وقد كان الحاملُ لعمر على الشراء هو رُخْصَ الثمن ،ليصوّر الرسول صلى الله عليه وسلم صورة "المتصدق الذي يعود في صدقته" بصورة: الكلب الذي يقيء، ثم يعود فيه" ،وهي صورة شنيعة قبيحة تبعث على التنفير والدم وهذا ما أَرَادَهُ عليه الصلاة والسلام من تشبيهه، كما أنّ ذكر الكلب يزيد الصورة قبحا وبشاعة، حيث جاء التشبيه بالكلب في مقام الدم والتنغير في القرآن الكريم والسنة ،كما في قوله تعال : " وَأَثَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...الأعراف176 فضرب المثل بصورة الكلب تصويرا للتهجين، وتنغيرا منه.

ليكون غرض آخر من وراء التشبيه بصيغة طلبية هي "النداء" ، لكنّ غرضها مجازي ،يهدف إلى الدعاء في قوله صلى الله عليه وسلم مجيبا عن سؤال وُجِّهَ له: "كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؟" ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ

¹ - العلوي، الطراز المتضمن أسرار البلاغة، ص :150.

² - صحيح البخاري حديث رقم 1419 كتاب الزكاة، باب هل يشتري صدقته، ج 2 ص :/542،

تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ ، فقال :قولوا: "اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ".¹

وهو حديث جمع فيه الرسول "ص" ألوانَ الطلب من "الاستفهام": "كيف الصلاة" ثم "النداء": "اللهم" ثم "الأمر": "صل"، فالاستفهام للاستفسار، أما النداء والأمر في "طربي التشبيه" للدعاء، ف"اللهم" يكثر استعمالها في الدعاء وهي بمعنى "يا الله"، والميم للتعظيم عوض حرف النداء...²، ومعنى "صل": "فمعنى صلاة الله على النبي ثناؤه عليه عند ملائكته، ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء له"³، ورابط التشبيه ووجهه "اللهم استجب دعاء محمد في أمته، كما استجبت دعاء إبراهيم في بنيه.."⁴.

وبهذا العرض يكون قد أُلْقِيَ الضوء - بعض الضوء- على بلاغة يكتنزها التشبيه النبوي الموجود في الأحاديث الشريفة، على نحو يُظهر أنّ الرسول الكريم تمكّن من إنتاج نصوص بليغة طريفة وجميلة ودالة، حَقَّقَ بها وظيفة رسالة "تربوية إيمانية"، مبعثها الإقناع والتأثير بما امتلك من قدرة تعكس فصاحة الرسول "ص" وبلاغته.⁵ كما يعكس البيان النبوي في أوجهه البلاغية بما فيها "التشبيه" حاجة الحجاج للبلاغة، إذ لا مفر للحجاج من البلاغة، ولا سبيل إلى "الإقناع" دون أساليب رائعة في البيان تفي بغرض الإقناع والتأثير، والتي من شأنها أن تساعد في تأسيس الحجاج وتدعو إلى الإقناع في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

2. الآليات اللغوية في الحجاج:

كثيرا ما يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة، لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطوعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حُججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يحفُّ بخطابه، فيعمد المرسل إلى توظيف الأدوات اللغوية بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، وتنوع وظائفها في السياقات الممكنة..⁶.

¹ - صحيح البخاري حديث رقم: 3190 كتاب الأنبياء، ج 3، ص 1233، العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، حديث رقم

6360 وزاد فيه: على محمد وأزواجه وذريته... ج 11، ص : 192.

² - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري ج 11، ص : 175.

³ - المرجع نفسه، ص : 176.

⁴ - المرجع نفسه، ص : 183.

⁵ - القزويني الخطيب، الايضاح في علوم البلاغة-، ص: 163.

⁶ - الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص: 477.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

وباعتبار أنّ اللغة لا تزال الوسيلة الأفضل لفرض سلطة على الآخرين من نوع استدراجهم إلى الدعوى المعبر عنها، واقتناعهم بمصداقيتها ، تأتي الوسائل اللغوية ذات الصلة والارتباط بالإقناع لتشكّل في كل خطاب العمدة أو الأساس بسبب تناسبها مع الموضوعات والأفكار التي جسّمتها ، ناقلةً المتلقي من دور الاستماع إلى دور الإنصات ، فالإدراك، فالإقناع المؤدي إلى الفعل المحسم للمعتقد، وهذا ما استخدمه الرسول "ص" في أساليبه اللغوية في خطابه مع الآخرين.

ويأتي أسلوب "التكرار" على رأس هذه الأساليب بصوره المتعددة ، وتوزيعاته المتنوعة، انتقاه الرسول "ص" ليُجسّد غرض الإقناع في المتلقي والسامع.

والتكرار أسلوب تعبيري معروف ، استعمله العرب في كلامهم لغايات متعددة ، فقد استعمله المصطفى "ص" وجعله وسيلة من وسائل الدعوة ، وطريقة من طرق تبليغ مبادئها ، فكرر الحرف الواحد في الكلمة محمل تكراره جزءاً من المعنى، كما كرّر اللفظة أو العبارة أو الصيغة الواحدة أحياناً، وقد يُكرّر المعنى دون اللفظ، كل ذلك كان لتحقيق يسعى إليها مُؤكِّداً تارة، مُرغِّباً، مُهدِّداً..... وغيرها من الأغراض تارة أخرى.¹

وكثيراً ما ارتبط التكرار في اللغة العربية عامة ، وفي الحديث النبوي خاصة باختيار المتكلم لعنصر لغوي من عناصر الخطاب عنده ليُكرّره، ويكون هذا الاختيار واعياً مقصوداً، وقد يكون بغير قصد أو إدراك عقلي لهذا الاختيار للمُكرّر ، من بين احتمالات لغوية مُتعددة وهذا ما عُرف بأقسام التكرار.

أ - مصطلح التكرار بين اللغة والاصطلاح:

جاء في لسان العرب مادة "كرر"، أنّ التكرار لغة من الكرّ: وهو الرجوع على الشيء، فكرر الشيء وكرّره: أعاده مرة بعد أخرى، والكرّة: المرة، والجمع كرات ويقال: كررت عليه الحديث، وكرّته: إذا ردّته عليه، والكرّ: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار وقال الجوهري، كررت الشيء تكراراً وتكريراً، والكرّة من الإدارة و التردد ، وهو من كرّ وكرّكر ، وقال كركرة الرّحى: تردّأها ، وأُحّ على أعرابي بالسؤال فقال: لا تُكرّروني، أراد لا تُكرّروا عليّ السؤال فأغلط....².

أما في عرف "الاصطلاح" : فيعدُّ التكرار وسيلة من وسائل تدعيم المعنى، والتكرار من "العلاقات الدلالية"

¹ - أميمة بدر الدين ، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مقال في مجلة جامعة دمشق ، ع 2+1، 2010 ، ص: 26

² - ابن منظور - لسان العرب - مادة كزر.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

التي تظهر من خلال قضايا كبرى، على أنّ تكرار قضية كبرى يؤكد على أنّ الكاتب يُلحُّ على فكرة معينة ويحاول أن يُوصِلها إلى المتلقي عبر طرق معينة تتطابق، فينتُج عنه تكرار....¹.

ويعتبر أسلوب التكرار (التكرير أو المعاودة) من أبرز الأساليب الحجاجية اللغوية التي يُقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، ومن ذلك يقول "العزاوي": "ليس هو ذلك التكرار المولّد للرتابة والملل، أو التكرار المولّد للخلل والهلهلة في البناء، ولكنّه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية البناء أو الكلام، إنّه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النصّ وتوالده وتناميّه.."².

في وقت تؤكد فيه "دريدي سامية": أنّ أسلوب التكرار رغم التنوع في أشكاله وأنواعه، فإنّ أوّل هذه الأنواع "التكرار اللفظي" باعتباره القادر على الاضطلاع بدور حجاجي متى اعتمد في سياقات مُحدّدة وتوفرت فيه شروط معينة...."³.

في وقت يرى فيه "الزركشي": أنّ "التقرير" من أهم أغراض التكرار وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرّر..."⁴ وتُورد تعريف "التكرار" في البنية اللغوية مع عرض الفائدة التداولية من الاهتمام به، فـ"أحمد مطلوب" مثلا في معجم "المصطلحات البلاغية" يُورد تعريف ابن الأثير في كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" للتكرار: الذي هو "إيراد المعنى مُردّدا، فمنه ما يأتي لفائدة، ومنه ما يأتي لغير فائدة.... في وقت ينقسم فيه التكرار إلى: أ/ قسم يوجد في اللفظ والمعنى، مثل: أسرع أسرع.

ب/ قسم يوجد في المعنى دون اللفظ مثل "أطعني ولا تعصني"، فإنّ الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية. وكلّ قسم من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد وغير مفيد، فالمفيد هو الذي يأتي في الكلام توكيدا له وتسديدا من أمره، وإشعارا بعظم شأنه، أما القسم الذي هو غير مفيد فهو الذي يأتي في الكلام توكيدا له فقط..."⁵. من خلال هذا التعريف نستنتج الفائدة التداولية للتكرار، وهي الاهتمام بالمخاطب الذي يعدُّ الطرف المقصود في العملية التواصلية، والتوجُّه إليه بتأكيد الأمر، أو التشديد من أمره، أو الإشعار بعظم شأن هذا

¹ - القيرواني بن رشيق، العمدة، شرح وضبط عفيف نايف حاطوم، دار صادر بيروت، ط1، 2003، ج2 ص: 77

² - العزاوي أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 48.

³ - دريدي سامية، الحجاج في الشعر القديم، مرجع سابق، ص: 168.

⁴ - الزركشي - البرهان في العلوم القرآن - ج3 ص: 10.

⁵ - مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، 1983، ج2 ص: 338.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

الأمر، سواء بالنسبة للمتكلم أو المتلقي، وهذه أسباب تزيد في أواصر التواصل بينهما من خلال لفت انتباه المخاطب، وفيه يقول "ابن الأثير" مؤكداً على ارتباط بعض حالات التكرار بالتعبير في سلوك المخاطب: "إذا صدر الأمر من الأمر على المأمور بلفظ التكرير مجرداً من قرينة تخرجه عن وضعه، ولم يكن مؤقتاً بوقت معين، كان ذلك حثاً له على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفور، فإنك إذا قلت لمن تأمره بالقيام: "قم قم قم" فإنما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يُبادر إلى القيام في تلك الحال الحاضرة...."¹.

أما اللسانيات النصية فقد نظرت "للتكرار" من خلال معالجته من منظور دوره في السبب المعجمي"، وذلك أن تحيل اللفظ المكرر إلى لفظ آخر سابقٍ مُرادفٍ، أو مرادف قريب يرتبط به بالإحالة المشتركة، فهما يُكن من أمرٍ، فإنَّ وظيفة التكرار التركيبية تخرج عن إطار غرضنا هنا، وإنما نعني بتحليل بنية التكرار من منظور الوظيفة الاتصالية الإقناعية، لا سيما وأنَّ للقدماء إشاراتٍ مُهمّة تفيده في إلقاء الضوء على تلك الوظيفة فهذا "أبو هلال العسكري" يقرُّ التكرار بتأكيد "الحجة"، وجعل التكرار مدّاً للقول، ومن ثم يربط بين مدّ القول وبلوغ الشفاء والإقناع.."².

إنَّ جُلَّ الدراسات الدائرة حول الحجاج تُجمع أو تكاد تُجمع على أهمية الدور الحجاجي الذي يضطلع به أسلوب التكرار أو المعاودة، وهو أسلوب شائع في الخطابات على تنوع مواضيعها، واختلاف أجناسها ولكن لا يُدرس ضمن الحجج والبراهين، وإنما يُعدّ رافداً أساسياً يرفد هذه الحجج أو البراهين التي يُقدّمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، يعني أنّ التكرار يُوفّر لها طاقةً مُضافة تُحدث أثراً جليلاً في المتلقي، وتُساعد على نحوٍ فعّالٍ في إقناعه أو حمله على الإذعان، وترسيخ الفكرة في الأذهان، لأنّ التكرار لفكرةٍ ما يجعل المتلقي يدرك مراميها، ويُبيّن مقصدّها، وإن رددَ رابطاً حجاجياً أقام تناغماً في أجزاء الخطاب بائناً، وأكّد الوحدة بين الأقسام أو أوهم المتلقي بها.

ب . التكرار في الحديث النبوي الشريف:

إنّ ظاهرة التكرار لم تكن بالغريبة على العرب، وإنما يُمكن عدّها سنّةً من سنن القول عندهم، في هذا يقول "ابن قتيبة": "وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرائق القول وماأخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب

¹ - محمد العيد، النص والخطاب والاتصال، ص: 231.

² - المرجع نفسه، ص: 232

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

والتقديم والتأخير والحذف والتكرار....¹، وأقرّ هذه الحقيقة "ابن فارس" حين قال: "ومن سنن العرب التكرير والإعادة و إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر...²".

ولهذا كان استخدام الرسول "ص" لأسلوب "التكرار" كتنقية خطابية ينُفذ بها إلى عقل المتلقي وقلبه باعتباره واحدا من أساليب التوكيد لتبليغ الرسالة وتعليم الدين، وهو الحريص على أن تصل كلمته جليةً واضحةً إلى الأذهان كافة، مما يستدعي ضرورة الكشف عن الموضوعات التي تشكّلت فيها الأبنية التكرارية لبيان ملائمة أسلوب التكرار للموضوعات التي تقولت فيه، وما أنتجه هذا الذكاء في اختيار الأسلوب من دلالاتٍ مُتنوّعة الأبعاد ، لا سيما وهو الذي كان "ص" يدعو إلى تكرار عبارات مُعينة، مُحدّدا عددا معينا ولعلّ لهذا التحديد دلالتُه وطاقته التأثيرية في نفس المتلقي الذي سيُلزَم بتكرار العبارة.

مع الإشارة إلى أنّ التكرار في الحديث النبوي الشريف ضربان: تكرار بالمعنى فقط، وتكرار باللفظ والمعنى وهو ما أشار إليه علماء البلاغة، إذ جعلوا التكرار على قسمين تكرار بالمعنى، وتكرار باللفظ ، وقد ذكر "ابن جني" التكرار عند العرب، وقسمه إلى قسمين ،وجعله ضربا من التوكيد فقال: "اعلم أنّ العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له، فمن ذلك "التوكيد" و " التكرار"، وهو على ضربين : أحدهما تكرير الأول بلفظه وهو نحو قولك : "قام زيد قام زيد"، والثاني : تكرير الأول بمعناه، وهو على ضربين : أحدهما للإحاطة والعموم ، والآخر للتثبيت والتمكين ، الأول كقولنا : قام القوم كلُّهم، ورأيتهم أجمعين، والثاني: قام زيد نفسه، ورأيته نفسه..³.

ومحاولة منا لرصد هذه الظاهرة في "الأدب النبوي" حريٌّ بنا أن نتبع مظاهرها مع التركيز على نوع واحد من التكرار " تكرار الشكل" ،لأنّه النوع القادر على الاضطلاع بدور حجاجي هام ،متى اعتمد في سياقات مُتعدّدة، مُحدّدة، وتوفرت فيه شروط معينة ، فتكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يعدُّ من أفانين القول الرافد للحجاج، المدعّمة للطاقة الحجاجية في الدليل أو البرهان، لما له من وقع في القلوب لاسيما في سياقاتٍ خاصة كالأمر والنهي والاستفهام وغيرها....

ومن المواطن التي شكّل فيها التكرار ظاهرة من ظواهر الخطاب النبوي الشريف قوله "ص" عن أبي شُرَيْحٍ أَنَّ النَّبِيَّ "ص" قَالَ: " وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ... قيل: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ ، قَالَ :

¹ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح أحمد صقر، ط2- 1973 ص: 233

² ابن فارس: الصحاحي في فقه اللغة ، ص: 207 .

³ ابن جني ، الخصائص ، ج 3، ص: 101.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

الذي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ"¹، فالحديث نموذج من نماذجه "ص" في "التكرار"؛ وهو تكرر صريح لعبارة "والله لا يؤمن" ثلاث مرات، إذ استهل عليه الصلاة والسلام خطابه استهلالاً قويا لافتاً تنغيماً الصاعد بفضل التكرار التام للعبارة، وهو تكرر يحاصر المتلقي منذ البدء، مما يجعلنا نسمع "نبض الخوف" والفضول في صيغة السؤال الطلي "الاستفهام" من يا رسول الله؟.... ففي هذا الحديث تأكيد لحق "الجار" لقسمه "ص" على ذلك، وتكريره اليمين "ثلاث مرات"، وفيه نفي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول أو الفعل، ومُرادُه الإيمان الكامل، ولا شك أنّ العاصي غيرُ كامل الإيمان...².

ليكتمل الهدف من التكرار حين أجاب الرسول "ص" عن سؤال الصحابة، ومن يا رسول الله؟. وفي رواية قالوا: "يا رسول الله لقد خاب وخسر"، من هو؟، مُتضمنة في جوابه عليه الصلاة والسلام "الذي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ": أي شرّه، وفيه تأكيدٌ على وجوب احترام الجار، وحسن معاملته، بأسلوب فيه تخويف وتشديد لبيان أهمية الجار في الإسلام، وذلك بحفظه وإيصال الخير إليه، وكفِّ أسبابِ الضَّرَرِ عنه .

ولعلّ النظرة الحجاجية لأسلوب التكرار في هذا الحديث تكمن في "النتيجة المنطقية" التي يمكن أن نستنتجها من معاني الحديث، وتكمن هذه المنطقية في: أنّ علامات الإيمان الكامل تتجلى في حسن معاملة المرء لجاره أمّا عكس ذلك فيؤدي حتماً إلى عدم الإيمان، بدليل ما يؤذي به جاره، فالنتيجة منطقية قدّمها رسول الله "ص" في بداية الحديث؛ (عدم الإيمان = المترتبة عن إيذاء الجار والناجئة عنه) .

*. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟** قالوا: بلى يا رسولَ الله: **قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ...**³.

نموذج آخر من نماذج تكراره "ص" للعبارات، تقوية للفكرة والهدف لتبقى في ذهن المخاطب تتفاعل مع عقله ومشاعره، فلجأ الرسول "ص" إلى "تكرار" العبارة في موقف واحد لبيان أهمية ما ذكر ولفت الانتباه إليه.

وقد عمد الرسول "ص" إلى استعمال أسلوب التوكيد بأداة الاستفتاح "ألا" في صيغة استفهام بغرض "التشويق"، رغبة منه في تهيئة الجو لخصر أمورٍ يمحو بها الله الخطايا، ويرفع الدرجات، بدأها من فضل إسباغ الوضوء على المكاره ثم ثنى بكثرة الخطأ إلى المساجد، لتتم بانتظار الصلاة بعد الصلاة، وهي "مقدمات"

¹ - صحيح البخاري، حديث رقم 5670 كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ج 5، ص: 2240 .

² -العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج10، ص: 501.

³ -صحيح مسلم، حديث رقم 369 كتاب الطهارة، باب إسباغ الوضوء على المكاره، الإمام النووي، رياض الصالحين حديث رقم: 131، ص: 72.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

جديرة بالوصول بصاحبها إلى "نتيجة" وهي الرفع من الدرجة والقيمة عند الله تعالى.

فجاء هذا التكرار ليوسّع هذا المعنى تحصيلاً للأجر، "فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط " ، إذ الرباط معناه الجهاد ، ولا رباط إلا ذلكم المشار إليه ،؟؟؟ ، لكمال المعنى ، تحصيلاً للأجر مثل ما للمجاهد في أرض المعركة، وهو تكرر من شأنه أن يؤكد أنّ الطريق الموصلة إلى النصر والفوز هو تعويد النفس على ما ذكره الحديث، لأنّ من لا يحافظ على ما ذكر لا يمكن أن يكون مُستعدّاً لبذل النفس في سبيل الله.

لتظهر القيمة الحجاجية للتكرار في هذا الحديث من خلال تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية هذه الأعمال وبيان أثرها وفائدتها ،حين شبهها بالجهاد "الرباط" ،بيانا لفضل الجهاد حين تُبذل النفس رخيصة في ساحة الوغى، ومثلها مثل إخضاع النفس لأمر العبادة رغم كره النفس لها، "إسباغ الوضوء على المكاره" = "المشقة" ،"وكثرة الخطا إلى المساجد" ، "انتظار الصلاة بعد الصلاة" فمعنى ذلك كله "المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة والجهاد في سبيل الله.."¹.

** . عن عبد الرحمان بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال النبي "ص" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً". قالوا: بلى يا رسول الله فقال: الإشرāk بالله ،وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ..-وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكَيِّمًا -: فقال :
أَلَا وَقَوْلَ الزُّورِ؛ فَمَا زَال يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ..."².

يعكس النموذج الثالث من التكرار في البيان النبوي أن رسول الله "ص" كان يُرِدُّ عبارات ترددا غير مُحدَّد العدد، وكأنّه يُلاحق المتلقّي بدلالة العبارة المكرّرة ،بكل ما فيها من انفعالات ،قصد عليه الصلاة والسلام إيصالها إلى المتلقّي، ليحذر أمراً ما من خلال حديثه هذا ،مُبيِّناً عظيم الكبائر التي تُهلك صاحبها بدءاً من الشرك بالله ،ثم عقوق الوالدين، وكان مُتَكَيِّمًا فجلس: "ألا وقول الزور" ، "ألا وشهادة الزور".

وقد جاء الحديث ببنية تركيبية استهلها الرسول "ص" بأداة العرض "ألا" ، لتنبه السامعين وإثارة رغبتهم في معرفة أمور جديدة ،من شأنها أن تُجَنِّبهم الوقوع في أمور عظيمة "الكبائر" ،ليتمم خطابه بتكرار لم يحدد الراوي عدده، ووقع هذا التكرار في نفس سامعيه ، بدليل " حتى قلنا ليته سكت" ،مما يعكس تفاعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع العبارة المكرّرة جسديا ، بدليل : "كان مُتَكَيِّمًا ،فَجَلَسَ" ، مُظهِراً خُطُورَةَ الزور "قولا وشهادة" ،ومظهِراً كذلك كلمة "الزور" مُسلِّطاً الضوء عليها ليتجنَّبها المتلقّي بقوة وعزم .

¹-الإمام النووي ، رياض الصالحين ، ص : 72.

²-صحيح البخاري ، حديث رقم: 2511، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور ، ج 2 ، ص : 939.

الفصل الرابع.....الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

ليأخذ هذا التكرار طريقه إلى قلوب الصحابة بدءاً من ذلك التغيير المفاجئ في جلسته عليه الصلاة والسلام والتي رافقها انفعالٌ وتأثرٌ بدا على وجهه عليه الصلاة والسلام ، ليكون هذا التغيير دليلاً على خطورة ما سيأتي ، فانخلعت نفوسهم شفقة على حبيبهم "ص" ، فلم ينتبهوا إلى عدد مرّات التكرار، بل تاقت أنفسهم إلى راحته ، حتى تمنّوا لو "أنه سكت" إشفاقاً عليه ورحمةً به وخوفاً على أنفسهم من غضبه، وهي كلّها دلائل توحى بمدى نجاح التكرار في دوره الحجاجي في عملية الإقناع والتأثير في المتلقي ، سعياً إلى تغيير رأيه أو موقفه أو وجهة نظره.

**** .** عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه "بَيْرْحَاءُ"، وكانت مُستقبلَةَ المسجد وكان رسول الله "ص" يدخلها، ويشرب من ماءٍ فيها طيبٌ، قال أنسُ: فلما نزلت الآية: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ، قام أبو طلحة إلى النبي "ص" فقال: يا رسولَ الله إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يقول: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) "وأنَّ أحبَّ أموالِي إليَّ "بِيرْحَاءُ"، وإِنَّمَا صَدَقَ اللهُ، أرجو بِرَّهَا ودُخْرَهَا عندَ اللهِ، فَضَعَهَا يا رَسُولَ اللهِ، حيثَ أَرَاكَ اللهُ، قال : قال الرسول "ص" "بِخٍ، بَخٍ ذلك مالٌ رابِحٌ ، ذلك مالٌ رابِحٌ ، وقد سَمِعْتُ ما قلتَ ، وإِنِّي أرى أن تُجْعَلَهَا في الأقربين...."¹.

في باب فضل أهمية "الصدقة الجارية" عند الله تعالى، يُورد رسول الله "ص" هذا الحديث الشريف لبيان قيمة هذه الصدقة من خلال قصة بستان "أبي طلحة" رضي الله عنه الذي تصدَّق به امتثالاً لأمره تعالى "لن تنالوا البر...." ، ورغبةً منه في تحصيل ثواب وأجر هذه الصدقة يوم القيامة ، وقد جاء هذا الحديث في شكل حوار بين الرسول "ص" والصحابي أبي طلحة الذي أقرض بستانه لرَبِّهِ طمعاً في جَنَّتِهِ، رغم حَبِّهِ له ، راجياً من وراء صدقته بِرَّهَا ودُخْرَهَا عندَ اللهُ.... فكان موقف الرسول "ص" "موقف تكرر بغرض "الاطمئنان" وتقرير حقيقة التجارة الراجعة مع الله تعالى: عن طريق تكررهِ "ذلك مال رابِح" ، "ذلك مال رابِح" .

ولعل هذا التكرار هو الذي جعل نفسية "أبي طلحة" تطمئن لنجاح صدقته حين بشره الرسول "ص" بذلك "رابِح" ، مما يعكس دور التكرار في نفسية المخاطب والتأثير فيه، وهي الغاية التي يسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال توظيفه لهذا التكرار من جهة، ولتكون قصة أبي طلحة نموذجاً للاقتداء عند الصحابة ومن بعدهم من جهة أخرى.

¹ - صحيح البخاري - حديث رقم: 1392 كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ج 2 ص: 530-531. وفتح الباري حديث رقم 1461 ج 3 ص: 369، رياض الصالحين حديث رقم: 320، ص: 136

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

وغير بعيد عن "صور التكرار" في الحديث النبوي الشريف، نجد تكرارا آخر، شمل الأدوات والتي كثيرا ما أدت دور التفصيل ويبرز كل مفردة اقتزنت بالأداة، كتكراره "ص" لـ "لا" النافية، في قوله: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش ولا البذيء".¹

تكراره لـ: "لا الناهية" الداخلة على الفعل المضارع المجزوم كظاهرة لافتة في أحاديثه "ص" منها:.... لا تَقَاطَعُوا ، لا تَدَابِرُوا، لا تَبَاغَضُوا، لا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا...² ، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: لا تَحَاسَدُوا، لا تَنَاجَشُوا ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابِرُوا، ولا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا...³ . ، وقوله عن أبي هريرة رضي الله عنه : ".....المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، التقوى ها هنا - يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ "ص" ثلاثَ مرّات-، بِحَسَبِ أَمْرِيءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، مَالُهُ، عَرَضُهُ...⁴.

هذه النماذج من الأحاديث الشريف حافلة بالتكرار، ولذا ادخلها المختصون في باب "التفصيل بعد الإجمال" ، ومن أمثلة ذلك قوله "ص" عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ ، وإمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وإمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً...⁵.

فأورد علماء الحديث هذا النوع من الحديث في باب "التفصيل بعد الإجمال" لأنّ ما ذُكر مُجملاً في الجملة الاستهلالية "مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير"، فجاء التفصيل بعدها في صورة تكرار يعكس الهدف من وراء التحذير من جهة (ترغيب)، والتخويف من جهة أخرى (ترهيب)، في ضرورة التمييز في اختيار القرين والصاحب، ليؤدي هذا التكرار بصورة التكرار اللفظي وظيفة الإقناع إمّا ترغيباً أو ترهيباً ، وهو ما يسمى عند التداوليين "التماسك النصي بين البنى الافتتاحية، وصلب الخطاب...⁶ لنشير

في الأخير أنّ التكرار في أحاديث المصطفى من حيث البنية التركيبية أخذ أشكالاً عدة منها:

1. تكرار للفظتين: تكون الأولى مثبتة والثانية منفية منها قوله "ص":

- 1- ينظر إلى الحديث في سنن الترمذي - كتاب البر والصلة - باب ما جاء في اللعن ، حديث رقم 1900 .
- 2- صحيح البخاري - حديث رقم 5717 كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير ، ج 5، ص: 2253
- 3- صحيح البخاري ، حديث رقم 5719 كتاب الأدب ، باب اجتنبوا كثيرا من الظن ، ج 05، ص: 2254.
- 4- الإمام النووي، رياض الصالحين ، حديث رقم: 234 ، ص: 109
- 5- صحيح البخاري، حديث رقم: 5214 باب المسك، كتاب الذبائح والصيد، ج 5، ص: 2104،

أ. "ليس الشديدُ بالصرعة، إنما الشديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب.." ¹.

ب. "ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمهُ وصلها.." ².

ولعلّ الهدف من وراء هذا التكرار هو ما عمد إليه الرسول "ص" في سياق تحديد المفاهيم أو المبادئ الجديدة، وسلب دلالات هذه المفاهيم السائدة في أذهان المتلقين، سعيًا منه لتتضح صورة "الدال" أو "محور الخطاب" في الحديث النبوي .

2. كثر ارتباط التكرار بالتضاد: أو ما يعرف "بالطباق"، حين يكون الجمع بين لفظتين أو أكثر، ثمّ الإتيان بالأضداد في صورتين مُتناقضتين، من ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي "ص" قال: ما مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العبادُ فيه، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فيقول أحدهما : "اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، ويقول الآخر :اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا.." ³، فالحديث يتضمن الوعد بالتييسير لمن ينفق في وجوه البرّ، والوعيد بالتعسير لعكسه، وقد جاء فيه التكرار بمقابلة أكثر من واحد (منفق ≠ ممسكا)، (خلفا ≠ تلفا)، وهو طباق من شأنه أن يُوضّح المعنى ويؤكّده بذكر الشيء وضده، كما يقول علماء البلاغة: "بضدها تتميز الأشياء"

**** إنّ ما ذُكر في باب التكرار في الأحاديث النبوية الشريفة هو مجرد لمساتٍ لطائفة من النصوص النبوية التي حفلت بأسلوب التكرار بصورة المتعددة وتوزيعاته المتنوعة، سعت كلّها لإنشاء دلالاتٍ أو تأثيرات ما كانت لتتولد وتُفهم لولا وجودُ التكرار.

ليبقى دليل التكرار في الحديث النبوي هو إما "تكرار العنصر اللغوي" وفق ما يكشفه السياق، فيعيد اللفظ المكرر إمّا حرفًا أو كلمة أو جملة، في وقت ترى فيه "راوي الحديث" يُركّز على مضمون الخطاب وينسى "عدد عبارات التكرار" فيعلّق على ذلك: "مرارا"، "ثلاث مرات"، "مازال يكررها"، "ليته يسكت"....."

والحقيقة كلّ الحقيقة أنّ التكرار في الحديث النبوي لم يكن ناجمًا عن فقر لغوي ولا عن عجز في التعبير وإنما كان مقصودًا متعمدًا، جاء ليحمل جزءًا من المعنى المراد، إذ عُدَّ وسيلةً من وسائل الدعوة، وطريقة من طرائقها، يستعمله الرسول "ص" كلما وجد ضرورة لذلك، لأنّ حضور المتلقي في ذهنه عليه الصلاة والسلام كان الدافع وراء اختيار أسلوب التكرار في عدد من أحاديثه، لاسيما وهو يخاطب الناس على قدر عقولهم ومواقفهم، فمنهم المنكر ومنهم المتردّد، ومنهم الجاهل، والمسترشّد، فهو يُبصّر ببصيرته وحكمته موقف

¹ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم 5763، ج 5، ص 2267.

² صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب بين الواصل والمكافئ، حديث رقم: 5646، ج 5، ص 2233.

³ صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أما من أعطى واتقى حديث رقم 1374، ج 2، ص 522.

المتلقي لخطابه، فينتقي الأسلوب الأمثل لإقناعه أو تحفيزه لتنفيذ فعل ما، أو لترغيبه، وربما لترهيبه. ولعلّ حرص الرسول "ص" وإدراكه كلّ الإدراك للأمور الضرورية التي يحتاج إلى تأكيد وإقناع أو ترسيخ في الأذهان، جعله ينتهي إلى أنّ التكرار دليل الوصول إلى الهدف والمبتغى، فاستعمله كوسيلة للتأكيد على أمور تهتمّ الأمة جمعاء، وتعظم العناية بها، ويخاف المتكلم وقوع السامع في الخطأ حالة عدم تكراره لها، وهو ما أشار إليه البلاغيون وتحدثوا عنه في قولهم: (....إنما نحتاج إلى التكرار وبحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويُخافُ بترك التكرار وقوعُ الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها.."¹، وهي القضية التي أشار إليها "الخطيب عبد الكريم" بقوله: "إنّ داعية التكرار قائمة في المواقف التي يكون فيها الأمرُ ذا شأنٍ وخطرٍ في الحياة الروحية والنفسية، فتقتضي الحال أن يُقابَل هذا الموقف بما ينبغي له الحضور النفسي والعقلي، وهذا لا يكون إلا بالتنبيه على هذا الموقف والدعوة له، والاهتمام به، والتكرار أداة فعّالة من أدوات الإيقاظ والتنبيه"². لذلك لم يخرج البيان النبوي من منهج التكرار باعتباره "التكرار" أسلوباً له أهداف وفائدة، جاء لتحقيق غايات وأهداف بلاغية لغوية حجاجية حين أكد معنى، أو حذر من عمل، أو رغب فيه، أو تلذذ واستعذب بذكر المكرّر، أو التنبيه على أهمية المكرّر، وغيرها من المعاني.

3. الآليات المنطقية في الحديث النبوي الشريف.

قد يكون من المفيد في إطار هذا التوضيح أن نُثني ثانيةً على جهود "ديكرو" في الحجاج من خلال نظريته كما سبق، باعتباره تحدّث عن مفاهيم "الحجّة" التي تُمثّل بناءً استدلالياً، أو عنصراً دلالياً يُقدّمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، قد يرد في شكل قولٍ أو نصٍّ أو مشهدٍ طبيعيٍّ أو سلوكٍ غير لفظيٍّ، كما تكون ظاهرةً أو مضمرةً، بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة "للنتيجة" والربط الحجاجي الذي يربط بينهما.

وقد تتجلى العلاقة المجازية بين الدعوى والحجة لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حدّ ما، وذلك بالرغم من أنّها تتجسد بطبيعة الحال من خلال الأدوات اللغوية، فتمثل صلب "فعل الحجاج" في تدافع الحجج وترتيبها حسب قوّتها، إذ لا يثبت غالباً إلاّ الحجّة التي تفرض ذاتها على أنّها أقوى الحجج في السياق، وبذلك يُرتّب المرسلُ الحجج التي يرى أنّها تتمتع بالقوة اللازمة التي تُدعم دعواه..."³.

وهذا الترتيب هو ما سُمّي "بالسّلم الحجاجي"، ومن أبسط تمثيلات ما يُكتب عن الإنسان عند عرض سيرته

¹ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص: 11 وما بعدها.

² - الخطيب عبد الكريم، إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة - د ت -، ص: 406.....

³ الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص، 499. 500.

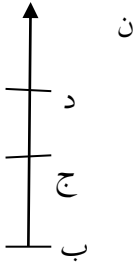
الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

الذاتية من التراتيبات في حياته، منها نموه المعرفي، وأعماله، ويمكن تعريف السلم الحجاجي: بأنه: "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال، مُزوّدة بعلاقة ترتيبية ومُوفية بالشرطين التاليين :

.كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

.كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه...¹.

فالسلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج، يُمكن أن نرُمز لها كالتالي: "ن- نتيجة"، "ب، ج، د" حجج وأدلة نستخدم النتيجة "ن".



فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقةً ترتيبيةً معيّنة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إذ ذاك إلى السلم الحجاجي نفسه، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية مُوجّهة...².

تنطلق "نظرية السلام الحجاجية" عند "ديكرو" من إقرار التلازم في عمل الحاجة بين القول "الحجة" (ق) و"نتيجة" (ن)، ومعنى التلازم هنا هو أنّ الحجّة لا تكون حجّةً بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة أنّ النتيجة قد يُصرّح بها، وقد تبقى ضمنية...³، فنظرية السلام الحجاجية التي تدعم هذه النتيجة قد تكون إذن مُتفاوتة في درجة قوتها، إذ تُشكّل سلماً ينطلق من أضعف حجة حتى يصل إلى أقواها، لذلك سُمّيت "بالسلام الحجاجية"، أما بالنسبة "للنتيجة" فقد تكون ضمنية، وقد تكون صريحة كما في المثال الثاني:

س: ماذا تُريد أن تفعل اليوم؟ . ج: ألا ترى أنّ الطقس جميل؟، فالاستفهام في القول "ج" يمثل "حجة" لفائدة نتيجة ضمنية هي الخروج للنزهة، وإن لم يقع التصريح بالنتيجة...⁴.

ويتسم السلم الحجاجي بالسّميتين التاليتين:

.كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة للنتيجة "ن".

.إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" يستلزم أن "ج" و"د" الذي يعلوه درجة، يؤدي إليها والعكس

¹ - المرجع نفسه، ص: 500.

² - العزاوي أبو بكر، اللغة والحجاج، ص: 20-21.

³ - المبخوت شكري، الحجاج في اللغة-ص: 362

⁴ - المرجع نفسه ص: 363.

صحيح ، فإذا أخذنا الأقوال التالية:

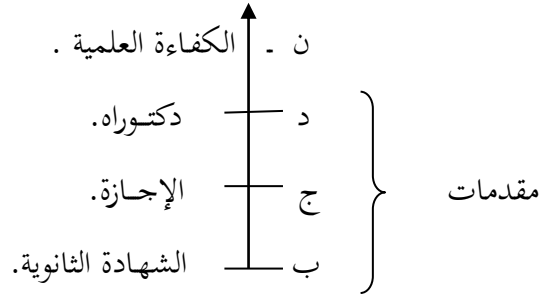
✓ حصل زيد على الشهادة الثانوية.

✓ حصل زيد على شهادة الإجازة.

✓ حصل زيد على شهادة الدكتوراه

فهذه "الحجج" تتضمن حججا تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وإلى حُكم حجاجي واحدٍ ، فكلُّها تؤدي إلى نتيجة "مُضمرة" من قبيل "كفاءة زيد"، و"مكانته العلمية"، ولكنَّ القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات

السلم الحجاجي، فحصول زيد على الدكتوراه هو أقوى دليل على مكانته العلمية، ويمكن ترميزها:



2. قوانين السلم الحجاجي:

أورد " العزاوي" نقلا عن "ديكرو" في كتابه "السلام الحجاجية" les échelles argumentative أن أهم هذه القوانين ثلاثة:

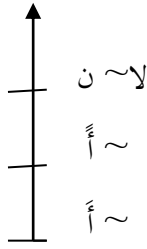
1. قانون النفي: إذا كان قولُ ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ،ليخدم نتيجة معنية، فإنّ نفيه (أي ~ أ) ،سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة وبعبارة أخرى: فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "ن" فإنّ " ~ أ " ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لا~ن"، ويمكن تمثيل ذلك بالمثالين التاليين:

1- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

2- زيد ليس مجتهدا، إنّه لم ينجح في الامتحان .

فإن قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول، وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني .

2. قانون القلب: يرتبط هذا القانون كذلك بالنفي، ويُعدّ تكميما للقانون، ومفاده أنّ السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية، فإذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة مُعيّنة، فإنّ نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة، ويمكن الترميز لها كما يلي:



ومثال ذلك : . حصل زيدٌ على الماجستير وحتى الدكتوراه .

. لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير .

فحصول زيد على "الدكتوراه" أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على "الماجستير" ، في حين أنّ عدم حصوله على "الماجستير" هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة "الدكتوراه".

3 . قانون الخفض: يوضح الفكرة التي ترى أنّ النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا "للعبارة" *moins que* "

، فعندما تستعمل جملا من قبيل:

. الجو ليس باردا.

. لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى "أنّ البرد شديد"، أو " أنّ الأصدقاء كلّهم حضروا إلى الحفل"، وسيؤول المثال الثاني كما يلي: "لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل" .

تتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أنّ الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، فلا تندرج الأقوال الإثباتية (من نمط الجو بارد) والأقوال المنفية من نمط (الجو ليس باردا) في الفئة الحجاجية نفسها، ولا السلم الحجاجي نفسه...¹.

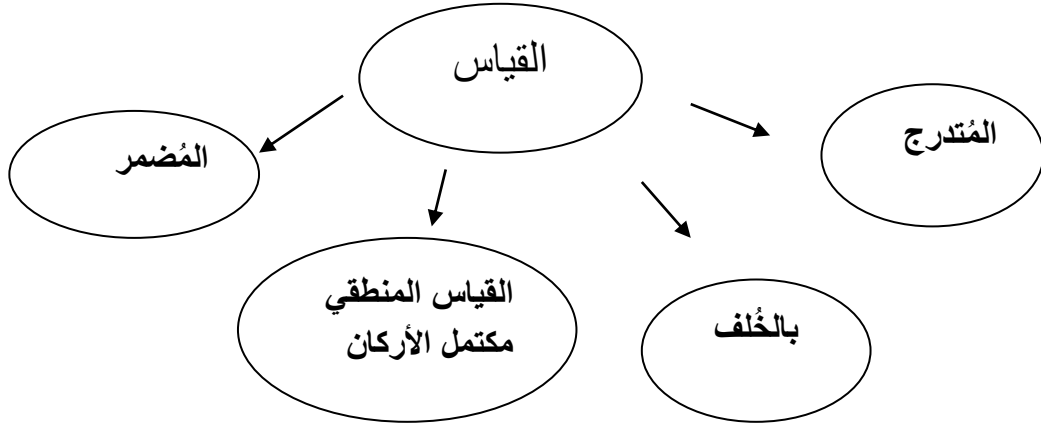
وضمن هذا الطرح نلاحظ أنّ قواعد السلم الحجاجي تهدف في أساسها إلى تأكيد نتيجة معينة، تسبقها بالأحرى "معطيات" أو بالأحرى "مقدمات" تُسهّم بطريقة مضبوطة في التقديم في تحقيق القضية المطروحة أو دحضها، ذلك أنّ العلاقات النصية التي يقيمها سياق النص "الاقناعي" هي علاقات "الدعوى أو النتيجة" لذلك كان من الضرورة أن يرتبط محتوى النتيجة بالمقدمات، لذلك يُعدّ "القياس" أهم الوسائل المنطقية التي تبني على أساس هذا الشرط، لأنّه كما يُعرّفه (ابن سينا): "هو قولٌ مؤلّفٌ من أقوالٍ، إذا وُضعت لزم عنها لذاتها لا بالعرض قولٌ آخر غيرها اضطرارا..."².

¹ - يراجع : العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج، ص : 24.

² - عمار بن زيوش ، عدنان عبد القادر، الفلسفة، المعهد التربوي الوطني ، الجزائر، 48/2.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

ونظرا لأهمية القياس في العمل الحجاجي، فإنه قد يعتمد قياساتٍ ممتدةً بحيث تكون فيه "المقدمات والنتائج" مثالية مع الأفكار التي نوذُ بسطها، والتي يقتضي بعضها بعضا...، إذ يمكن أن نلخص أنواع القياس :



وقد تُذكر جميع أركان القياس "المقدمة الكبرى، المقدمة الصغرى، النتيجة"، وبذلك يكون "قياسا منطقيًا" كاملا، وقد تُضمّر أحدُ العناصر الثلاث؛ إمّا "المقدمة الكبرى" أو "الصغرى" ويُسمّى "القياس مُضمرا" والتي يُقصد بها "المقصود بالضمائر الأقيسة المنطقية التي أضمرنا بعضَ مقدماتها، ودعا إلى هذا الإضمار أسبابٌ عديدةٌ تتعلّق بالتأثير الخطابي.."¹.

ومن الأقيسة التي استعملها الرسول "ص" في الحديث النبوي الشريف مُعتددا على بسط الحجة وتبسيطها كي تكون مفهومةً، والتنويع في أبنيتها، بعضُ النماذج الحجاجية القائمة على التمثيل الذي يسميه الفقهاء قياسا "قياس المثل"، ففيه إشارة إلى فاعلية المثل، والعملية الاستنتاجية التي تستوجب علماً لفهم المثل والوصول إلى النتيجة، قوله "ص" عن جابر رضي الله عنه قال: قال الرسول "ص": "مَثَلِي وَمِثْلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ النَّارَ وَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا ، وَ أَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَقْلُتُونَ مِنْ يَدِي..."² ، فقد شبه الرسول "ص" المخالفين له "بالفراش والجنادب" وتساقطهم في نار الآخرة، بتساقط الفراش في نار الدنيا، مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم، والجامع بينهما إتباع الهوى وضعف التمييز، وحرص كلٍّ من الطائفتين على هلاك نفسه... فالخلق لا يأتون ما يجرّهم إلى النار على قصد الهلكة، وإمّا يأتونه على قصد المنفعة وإتباع الشهوة، كما أنّ الفراش يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء..."³ ، فمثل ذلك كلّهُ تعبير الرسول "ص" عن عدم إفلاحه في إبعاد الفئة المخاطبة

¹ - صولة عبد الله ، الحجاج في القرآن ، 462/1.

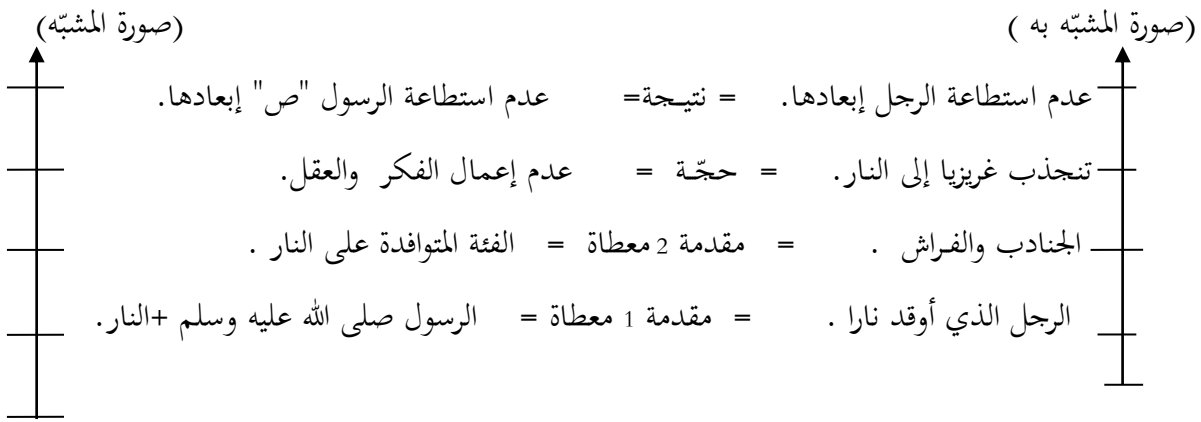
² - العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري: ج 6/ص 520، الإمام النووي ، رياض الصالحين ، حديث رقم 163، ص: 84.

³ - العسقلاني ابن حجر ، فتح الباري ، ج 6، ص: 521.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

من الهلاك، فمثل هذه الفئة ولنفسه برجل أوقد نارًا وإذا بمجموعة من الحشرات (جنادب، فراش) يقعن فيها وهو يحاول إبعادها، لكنه لم يُفلح تماما كما هو حال الرسول "ص" الذي يحاول إبعاد هذه الفئة عن النار لكنها تنفلت منه بسبب انغماسها في الجهل والمحرمات التي تقودها إلى النار.

و"قوة الحجّة" تكمن في أنّ إبعاد هذا النوع من الحشرات عن النار عملية قريبة من المستحيل، لأنّ من فطرتها الانجذاب إلى النار والموت فيها، ومن ثم فرغبته في الإنقاذ لا تفيد شيئا، ويمكن تمثيل ذلك التشبيه حجاجيا في نمطين مختلفين في "ركني التشبيه" هما المشبّه، والمشبّه به، في سلّم حجاجي مبني على "نتيجة معطاة" و"حجّة مُدعّمة" و"نتيجة" يُرغَب في تحصيلها، وذلك :



فبالانطلاق من "مقدّمات معطاة" مع "حجّة مقدمة" تكون النتيجة منطقياً عن طريق التمثيل، الذي وقع على صورة الإكباب على الشهوات من الإنسان، بإكباب الفراش على التهافت في النار، لكنّ جهل الآدميّ أشدّ من جهل الفراش، لأنّها باغترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال، والآدمي يبقى في النار بسبب شهواته مدة طويلة أو أبداً...¹.

فالدلالة المنطوية وراء هذا الحديث وهو "المسكوت عنه" المترابط باستنتاج المتخاطبين، وهو ما يُسمّى في الحجاج "فعل الاستنتاج"، وهو مرتبط بقانون "الإفادة"، إذ لا نتصور أنّ الرسول "ص" يريد أن يخير هذه الفئة أنّ الجنادب والفراش تنجذب غريزيا إلى النار، ذلك أنّ الوضعية التبليغية تقتضي "التلميح دون التصريح" وهي الدعوة إلى الهداية، ومن الناحية التبليغية هي الأسبق إلى الذهن من الخبر القائم على التمثيل، لأنّ "الإخبارية" هي "ثانوية" من حيث الوظيفة، بالنسبة للعملية الحجاجية.

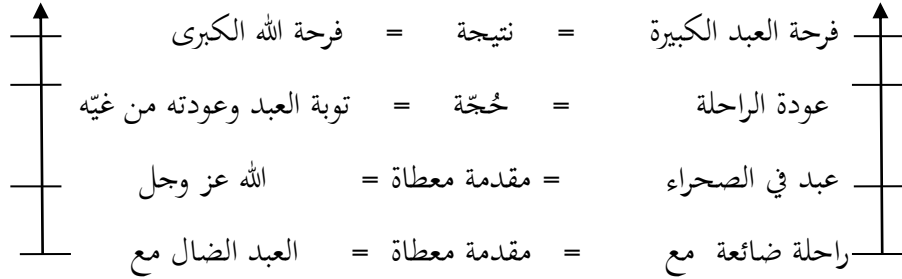
** كما صنّف "البخاري" في "باب التوبة" حديثاً حجاجياً قائماً على التشبيه هو الآخر، دعامته "حجّة معطاة" بعد "مقدّمات" سياقية، حرصاً على تبيين "النتيجة" وأهميتها من خلال حديث عبد الله بن

¹- المرجع السابق، ج 6، ص :522.

مسعود"....لله أشد فرحاً بتبوة عبده حين يتوب إليه من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعهُ راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومةً، فاستيقظ وقد ذهب راحلته، ثم اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومةً، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده¹... فأخذ بحطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح...².

فالحديث يعكس فرحة الله تعالى بتوبة عبده حين يعود إليه، إذ شبه الرسول "ص" فرحة من أضع راحلته (حياته) في الصحراء (الفلاة)، وعليها طعامه وشرابه، وشبهها بفرحة الله بتوبة عبده حين يعود إليه، ويمكن تمثيل ذلك حججياً عن طريق:

(المشبه به)



(المشبه)

إنّ الإطار التداولي الحججى يتجاوز البحث عن "الإقناع" إلى محاولة بناء نمط حججى تمثيلي الغرض منه التأثير على السامع من خلال صيغ لغوية للقول بعيدة عن الإخبار، ارتبطت أساساً بين صيغة: ("شدة الفرح - واليأس من عودة الراحلة الخاصة بالعبء")، وأشد فرحاً التي تُعتبر نداءً لفهم وتأويل علاقة الله بعباده، عن طريق صيغة المبالغة "أشد" وهي "نتيجة كبرى" تحتوي "النتيجة الأولى" وهي "فرحة العبد بعودة راحلته" والتي تُفضي بدورها إلى استنتاجات هي ضرورة العودة إلى الله.. ورحمة الله واسعة، وهي الأغراض المستقاة من الحديث (الترغيب)، إذ يمكن عدُّهُ "فعالاً كلامياً غير مباشر" استلزمه منطق "التمثيل".

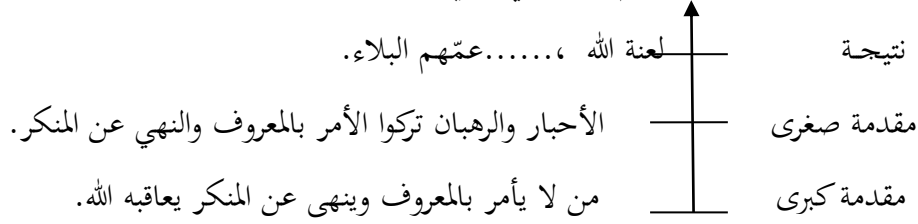
في وقت أورد فيه "بليق عز الدين" نموذجاً آخر من نماذج الحجج عن طريق المنطق، وهو حجج قائم على الاستدلال "بالعام على الخاص"، وذلك حين ينتقل الفكر بصدق قضيتين إلى الحكم بصدق قضية ثالثة لازمة عنها، ومعنى ذلك انتقال من كَلِمِيّ يقينيّ إلى جُزئِيّ ينطوي تحته ليعطي مقدمة كبرى، ثم تليها مقدمة صغرى تستلزم بالضرورة "نتيجة"، ومن ذلك قوله "ص": "يا أيُّها النَّاسُ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ فَلَا يَسْتَجِيبَ لَكُمْ، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُوهُ فَلَا يَغْفِرَ لَكُمْ، إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ لَا يَقْرِبُ أَجْلاً، وَأَنَّ الْأَخْبَارَ

¹ - صحيح البخاري : حديث رقم: 5949 ، كتاب الدعوات ، باب التوبة، ج 5، ص: 2325 .

² - الإمام النووي ، رياض الصالحين ، حديث رقم: 15، ص: 26 .

مَنْ الْيَهُودِ وَالرُّهْبَانِ مِنَ النَّصَارَى لَمَّا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِي عَنِ الْمُنْكَرِ لَعْنَهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ وَعَمَّهْمُ الْبَلَاءُ...¹.

فلنلاحظ في الحديث كيف تميّزت المقدمة الكبرى بالعموم " يا أيها الناس مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ.....لأنّ من لا يفعل يعاقبه الله بعدم الاستجابة له"، ثم أتبع بقضية جزئية تتميز بالخصوص ،حين خصّ الرسول "ص" "الأخبار": (تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، ترتب عن ذلك نتيجة منطقية " سيعاقبهم الله ، لعنهم ، عمّهم البلاء " ،ويمكن أن تُمثل ذلك عن طريق السلم الحجاجي المبني على :



فبالأمل في نصّ الحديث نلاحظ ذلك الربط بين "المعطيات والنتيجة" ، لاسيما وهو مؤسّس ضمنيا بواسطة سند أو دعامة، فأعطى الرسول "ص" معطيات ظاهرة، وأضمر السند "الحجة": ليربط القضية المعطاة التي هي الأخبار ... بالنتيجة المتمثلة في لعنة الله عن طريق ضامن ظاهر يضمن صحة الاستدلال ؛وهو من لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يعاقبه الله، إلى جانب وجود "سند مُضمر" يستمدّ منه صحته وشرعيته، يدلّ عليه السياق في قوله تعالى: "وَلَنْتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .." آل عمران 104.

فقد كان بناء الحديث على أفعال كلام مباشرة وهي أفعال طلبية أمرية " مروا، وانهاوا" ،وهي أفعال الغاية منها حمل السامع على فعل ما أمر به، فقدّم الرسول "ص" (أمره ، ونهيه) مُعتمدا معطيات إخبارية عن اليهود والنصارى ،ليكون القيام بالفعل مرتبطا بمدى قوّة القاعدة الاستدلالية من ضامن (عقاب الله) وسند (الآية) ليقيم بهما حجّة بالغة في الإقناع والتأثير معا، وحمل المخاطب على القيام بالفعل .

وفي دائرة القياس دائما، ونلاحظ نوعا آخر من القياس المنطقي وهو "القياس المُضمر" معياره أنّه "قياس محذوف المقدمة"، وهي عادة "المقدمة الكبرى"، إذ يعرفه (ابن سينا) بقوله: "الضمير "المضمر" هو قياس طوّيت مُقدمته الكبرى..²، إذ يتّضح أنّ معيار القياس المضمر هو قياس محذوف "المقدمة" ، وهي عادة المقدمة

¹ - بليق عز الدين ، منهاج الصالحين من أحاديث سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، دار الفتح ، بيروت ، 1981، ص: 413.

² - السبعاوي طه ، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1-2001، ص: 226 .

الكبرى..¹، ومن أمثلة هذا القياس في حديث رسول الله "ص" عن أبي مسعود عقبة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "إِنَّ مَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ.."²، فجاء في حديث المصطفى "فعل الأمر" الواقع في جملة جواب الشرط "إذا"، وهو أمر بمعنى "الخبر"، أو هو "للتهديد" أي: "اصنع ما شئت فإن الله سيحزبك"، أو ما معناه "أنظر إلى ما تريد أن تفعله، فإن كان مما لا يُستحي منه فافعله، وإن كان مما يُستحي منه فدعه، أو المعنى "أنه إذا لم تستحي من الله من شيء يجب أن لا تستحي منه من أمر الدين فافعله، ولا تبالي بالخلق"، أو المراد الحث على "الحياء" والتنويه بفضله، "أي لما لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الاستحياء..."³، ويمكن عرض القياس المضمّر في الحديث النبوي على شاكلته:

المؤمن لا يرتكب المعاصي.	↑	نتيجة . مضرة
الحياء يمنع المعاصي.	↑	مقدمة صغرى . مُعطاة
الحياء من الإيمان.	↑	مقدمة كبرى . مُضمرة

في هذا القياس لا يمكن تجاهل دور "الاستنباط" الموصل إلى معرفة "المقدمة الكبرى" المحذوفة أو المضمرة إذ لا يكون سبيلاً لتقدير المقدمة الكبرى سوى "الاستنباط"، إذ عن طريق حذفها في هذا النوع من القياس في الكلام يعطيه حجةً في القياس المنطقي، فلا بد من قبول المخاطب للمقدمة الكبرى، وإلا كان الحجاج عبثاً وفي القياس المضمّر تُسلّم جدلاً بتلك المقدمة...⁴، ومنه نستنتج دور الاستنباط في القياس المضمّر إذ هو يستوجب حضوراً يقضاً للقارئ أو المستمع، بحيث يربط - من سياق الحجاج - ما هو موجود (مذكور) بما هو مُضمّر مقصود.

وقد يأتي هذا النوع من الحجاج "مُضمراً" أو "محذوف النتيجة لمقدمتين مذكورتين"، فيتوصل إلى النتيجة عن طريق السياق الذي وردت فيه المقدمتان من جهة، ثم ضرورة الاعتماد على "سند" مخفي لتدعيم حجة الإقناع والتأثير من جهة أخرى، ومثل ذلك حديث المقدم رضي الله عنه: عن الرسول "ص" قال: ما أَكَل أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَأَنْ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.."⁵.

1- محمد العيد، النص والخطاب والاتصال، مرجع سابق، ص: 222.

2- صحيح البخاري- حديث رقم 3296 كتاب الأنبياء، باب أم حسبت....، ج3، ص: 1284.

3- العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج 6، ص: 590.

4- محمد العيد، النص والخطاب والاتصال، ص: 224.

5- صحيح البخاري، حديث 1966، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ج 2، ص: 730.

ففي الحديث فضل العمل باليد، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه، على ما يباشره غيره، والحكمة في تخصيص "داوود عليه السلام" بالذكر أن اقتصره في أكله على ما يعمل به يده لم يكن من الحاجة، لأنه كان خليفة في الأرض، وإنما ابتغى الأكل عن طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي "ص" قصته في مقام الاحتجاج بما على ما قدمه؛ من أن خير الكسب عمل اليد، وهذا بعد تقرير أن شرع من قبلنا شرع لنا...¹.

ففي هذا الحديث تظهر مقدمة كبرى: (ما أكل أحد طعاماً...) تُدعمها مقدمة صغرى (إن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده...)، لتبقى النتيجة مضمرة نستخلصها من "السياق" وفق تجسيدها حججياً:

↑	- نتيجة . (مضمرة)
	- مقدمة صغرى . (معطاة)
	- مقدمة كبرى . (معطاة)
↓	

فتوصل إلى استنتاج هذا الاستدلال (القياس) عن طريق قاعدة الاستدلال القائمة على ضامنٍ مُعطى يتمثل في مقدمة كبرى " ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده"، وسند مضمرة (حجة) تتمثل في قوله تعالى: "لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ، وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ" يس 25، ليبقى الهدف الإقناعي من هذا الحديث هو الحث على الكسب والعمل، مع الإقرار بقيمة العمل، حتى وإن خلت من فعل الطلب كالأمر والنهي، باعتباره يخص الإنسان في مجتمعه (العمل)، هذه القيمة لا تأتي إلا بالعمل حتى وإن كان المعنى ذا شأن كبير، وسلطة روحية مثل النبي "داوود عليه السلام"، فبذلك كان "القانون الإخباري" هو الضامن للحجة من أجل التأثير في المتلقي.

وفي نوع آخر من أنواع القياس يسعى من خلاله المتكلم إلى إثبات مطلوب معين، وذلك عن طريق إبطال نقيضه أو ضده، ويعرف هذا القياس بـ "القياس بالخلف" وهو الذي يتبين فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه، فيكون هو بالحقيقة مركباً من قياس اقترابي وقياس إنشائي²، كما يمكن تعريفه: "بأنه إثبات المطلوب بإبطال النقيض"³، ومثال ذلك حديثه "ص" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي "ص" فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ، فقال: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قال: نَعَمْ، قال: مَا أَلْوَانُهَا؟، قال: حُمْرٌ، قال: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزَقٍ؟ قال: نَعَمْ، قال: فَأَيُّ ذَلِكَ؟ قال: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قال: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا

¹ - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ج4، ص: 353.

² - السبعواوي طه، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ص: 223.

³ - المرجع نفسه، ص: 223.

نَزَعُهُ.... "1.

ففي الحديث ضرب للمثل، وتشبيه للمجهول بالمعلوم تقريبا للفهم لدى السائل، واستدل به رسول الله "ص" لصحة العمل بالقياس، قال "ابن العربي": "فيه دليلٌ على صحة القياس والاعتبار بالنظير... وفيه أنّ الزوج لا يجوز له الانتفاء من ولده بمجرد الظن، وأنّ الولد يلحق به ولو خالف لونه لونه أمّه.."²، وقد جاء هذا القياس في شكل حوارٍ بين الرجل الذي أنكر على زوجته هذا المولود الأسمر، تخلّته أفعال طلبية في شكل نداء: (يا رسول الله)... واستفهام: (هل لك من إبلٍ؟)، (ما لونها؟)، (هل فيها من أورك) استعمل فيه الرسول "ص" القياس عن طريق: أنّ حكم الشيء حكم نظيره ما دام الاتفاق حاصلًا في أنّ الخالق والموجد واحد (هو الله)، إذ نقل عليه صلى الله عليه وسلم ذهن الرجل وقاس له حالته على ما هو مُشاهدٌ ومحسوسٌ فكما أنّه يجوز أن تلد الإبل السوداء "الحمراء" أن تلد (أورك)، (من أورك مؤنثة ورقاء) وهو الذي فيه سواد ليس بحالك بل يميل إلى الغبرة، بسبب عرق نزعها، كذلك يجوز للأب والأم الأبيضين أن يلدوا طفلاً أسوداً اللون، ففي الحديث تشبيه منطقي أساسه العقل، يهدف إلى توضيح الصفات التي تؤثر في الحكم (الإقناع).

ليضاف إلى هذه الأنواع النوع الآخر وهو "القياس المتدرج"، إذ هو واحدٌ من أنواع القياس المنطقي إذ يسعى هذا النوع من القياس إلى تحديد العلاقات المنطقية الدلالية بين الأقوال وما تعبر عنه من قضايا، إذ يُعدُّ القياس المتدرج امتداداً معقداً للتعليل القائم على القياس المنطقي، وذلك بأن تتصل بعض مجموعات القياسات المنطقية ببعض، حتى تؤدي إلى نتيجة هي المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة....³.

مثال ذلك حديث الرسول "ص" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله "ص": "إنّ الله تعالى قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبْتُهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَلَسُنَّ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ..."⁴.

فوليُّ الله هو العالمُ بالله والمواظبُ على طاعته والمخلصُ في عبادته... فمن والى أولياء الله أكرمهم الله... ولما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه بالحفظ والنصرة.... فمن عاداه كان كمن حاربه... ومن حاربه

¹ - صحيح البخاري - حديث رقم 4999، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، ج 5، ص: 2032.

² - العسقلاني ابن حجر، فتح الباري - ج 09 - ص: 507.

³ - محمد العبد - النص والخطاب والاتصال: ص: 225.

⁴ - صحيح البخاري حديث رقم: 6137، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج 05، ص: 2384، وكذلك ابن رجب الحنبلي -

جامع العلوم والحكم، تحقيق صلاح عويضة، دار المنار، القاهرة، ط 1، 1999، ص: 362.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

كان كمن حارب الله ... وفي الحديث عظم قدر الصلاة والنوافل وما يندب من الأقوال والأفعال والتي ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها.... وذلك لأنها عمل للمناجاة والقربة ... فمن أتى بما وَجَبَ عليه وتَقَرَّبَ بالنوافل لم يُرَدِّ دعاؤُهُ لوجود هذا الوعد الصادق المؤكَّد .. " ولئن سألتني لأعطينه " فشرح الحديث يقتضي الوقوف عند "قياس متدرج" كان الانطلاق فيه من :

- "مقدمتين" تقودان إلى "نتيجة صالحة" وهي أنّ العبادة وسيلة للقرب والمحبة.
- لفظة "ولي" تشكل "مقدمة صغرى" تقود مع ما سبقها من مقدمات إلى نتيجة أخرى جديدة.
- "النتيجة الجديدة": القرب والمحبة مجلبة للحفظ من الله تعالى.
- "مقدمة كبرى": العبادة وسيلة للقرب من الله، من يُعاد أولياء الله يجارته الله .
- "مقدمة صغرى": عباد الله وأولياؤه يتقربون إليه بالعبادة، والعبادة وسيلة للمحبة .
- "نتيجة": العبادة وسيلة للمحبة والقربة، والقرب والمحبة مجلبة للحفظ من الله.

وحيثا عن القياس والسلام الحجاجية في الحديث النبوي الشريف، يقودنا حتما إلى الوقوف عند نماذج مختارة تجلّي فيها الخطاب بصورة ظاهرة وهو مجال "الخطابة"، وهو مجال التحليل الحجاجي للنصوص ويظل الدكتور "أبو بكر العزاوي" من أوائل الذين حاولوا القيام بتحليلات حجاجية لنصوص لغوية كاملة، كما حاول ربط التحليل الحجاجي بانسجام النص القائم على الروابط الحجاجية، سواء توافرت النصوص على كثير من هذه الروابط أو حتى في غيابها..¹، ومن خطبه عليه الصلاة والسلام:²

"الحمد لله أمحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إنَّ الرائد لا يكذبُ أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسولُ الله إليكم خاصّة، وإلى النَّاسِ عامّة، والله لتُموثونَ كما تَنامونَ، ولتُبعضنَ كما تستيقظونَ، ولتُحاسبننَ بما تعملونَ، وإنَّها الجنةُ أبداً أو النارُ أبداً..".

تعدُّ هذه الخطبة أوّل خطبة خطبها الرسول "ص" بدأها "بمقدمة جديدة" تُعلِنُ صراحة خطابا جديدا وانتقالا جديدا، إذ يمكن أن نُنظر إليها حجاجيا من خلال:

- مقدمة : الحمد لله تعالى والاستعانة به، والإيمان والتوكّل عليه، والشهادة بأنه الإله الواحد لا شريك له.
- حجّة (مقدمة 2) : بناءً على المقدمة الأولى هناك خطابة جديدة، ودين جديد وقيم جديدة.
- نتيجة : وجوب الاستماع والافتناع بنصّ الخطبة وحججها .

¹ العزاوي أبو بكر ، الخطاب والحجاج ، ص : 29.

² الشهاوي محمد مجدي ، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، المكتبة التوفيقية ، د، ت، ص:05.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

لتنقل الخطبة لإثبات حجتها الأساسية وهي إثبات الرسالة للرسول "ص"، وكان ذلك من خلال ثلاث خطوات حجاجة متصاعدة بدأت "الاحتجاج بالاستشهاد بالمثل العربي"الرائد لا يكذب أهله" إذ يمكن صياغتها حججيا:

- أنا مثل "الرائد لا يكذب أهله" ← مُعطى (مقدمة).
- تعلمون أيّ صادق، وأيّ أحبكم لأنكم أهلي . ← حجة (سند) م 2 .
- تصديقي فيما أقول ، وما جئت به إليكم . ← نتيجة.

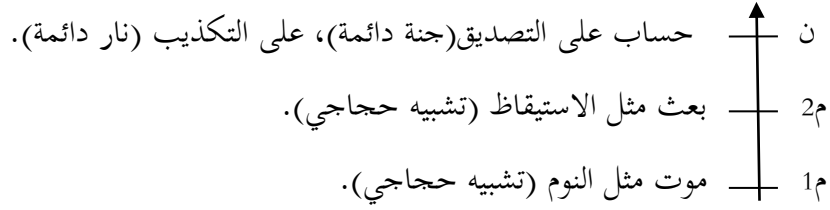
ثم انتقلت الخطبة إلى التصريح بالحجة الرئيسية وهي: "والله الذي لا اله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة"، وهي حجة رئيسية حتى تُربط بالمقام وهو مقام إقناع وتأثير، إذ هي مدار الخطبة بأكملها (إذا تمّ التصديق بها فسيتمّ التصديق بكل شيء يرتبط بها) ، وفي المعتقد أنّ القسم في بداية الحجة إضافة إلى وظيفته التأكيدية التوجيهية الإثباتية يحمل وظيفة "نصية" أخرى وهي وظيفة الربط الحجاجي النصي، بما يؤكد الحجة السابقة التمهيدية، خاصة حين تضمنت صيغة القسم بالمقسم "الله تعالى"، ليجري ربط كل ذلك بالمعطى (المقدمة) للحجة التي هي جواب القسم، فيمكن هيكلتها حججيا:

- مُعطى (مقدمة 1): إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة.
 - حجة (مقدمة 2): صدقوا أيّ رسول الله إليكم.
 - نتيجة: في حالة تصديقكم أو في حالة عدم تصديقكم يجب الاستماع لما سيحدث لكم.
- تتصاعد بعدها الحجة في هيئة اقناعية هائلة، تمثل إثباتا للبعث بعد الموت، والحساب، وللجنة الدائمة للمُصدقين، وللنار الدائمة للمُكذّبين، وقد ربطت هذه الحجة بالرباط الحجاجي الإثباتي (القسم) لفظ القسم (الله)، لتشتمل الحجة -إضافة إلى كونها حجة سلمية متصاعدة على سلم حجاجي في داخلها مما يذهب بالحجة إلى أقوى حالتها من خلال السلم الحجاجي التالي:

- | | |
|----|--|
| ن | نتيجة التصديق أو عدمه تكون بالموت، ثم البعث، ثم جنة، أو نار. |
| 3م | أنا رسول الله إليكم عامة. |
| 2م | أنا رسول الله إليكم خاصة. |
| 1م | أنا مثل الرائد الذي لا يكذب أهله. |

لتأتي الحجة الثالثة في السلم الحجاجي السابق على شكل سلم حجاجي تصاعدي، هو الآخر من شأنه أن يُثبت "حجة الموت" بتشبيهه بالنوم، و"حجة البعث" وتشبيهه بالاستيقاظ، وبناء على الحجتين المركبتين يكون

هناك حساب بعد الموت ، ثم دخول أبدي إلى الجنة ، أو دخول أبدي إلى النار. ويمكن رسم السلم الحجاجي :



ولعلّ هذا التصاعد في السلم الحجاجي الأول الذي أُتبع بتصاعد حجاجي في السلم الحجاجي الثاني جعل من الحجاج في اعلي ذروته.... إذ لا يترك إلا مجالا واحدا وهو "التصديق" كما جاء به الرسول "ص" إذ لا قدرة على دحض الحجاج النبوي أو ردّه بحجاج آخر في مستواه ، هذا إضافة إلى ما حفل به النص من مؤكّدات: "إنّ، والله، إيّي، والله، اللام+ن، اللام + النون (لتموتنّ ، لتبعثن)، إنّها، أبداً، أبداً..".

كما احتوى النص على الحجاج "بالاستشهاد بالمثل" الذي يمثل قوّة حجاجية، إذ هو مرتبط بالبيئة الصحراوية التي تعتمد على صدق الرائد حينما ترسله للبحث عن الماء والكأ لتُنقذها من الهلاك، لذلك يُمثّل "المثل" من حيث القيمة أنّه مبدأ حجاجي يُشير إلى الأفكار المشتركة بين أفراد مجموعة بشرية معينة .

كما نجد قوّة حجاجية أخرى باستعمال علامة التشبيه أو ما يسمى "بالحجاج بالتشبيه" لإثبات البعث بعد الموت بتشبيه الموت بالنوم، وتشبيه البعث بالاستيقاظ، إذ ساعد التشبيه على فهم المشبّه واستيعاب أحواله وعلى هذا فاستعمال التشبيه هنا ذو وظيفة حجاجية تؤدي إلى الاقتناع ، بما يتعلق بالمشبّه من أحكام ، فهى من المنظور النبوي خلودٌ أبدي في إحدى الدارين بناءً على موقف السامع من دعوته عليه الصلاة والسلام ، إمّا بالتصديق فجنة أو بالتكذيب فالنار..

أما من حيث "الروابط الحجاجية" فتتمثل في استعمال القسم " والله الذي لا اله إلا هو " كرابط نصّي حجاجي يقوم بعملية الربط والتأكيد في الوقت نفسه، كما يتضمن إثبات حجة الإلهية، واستعمال العطف بالواو: "ولتبعثن ... ولتحاسبن"، وإنّها " ، هذه الواو العاطفة المكررة ساهمت في ربط نتيجة الحجاج في النص كاملا لتوضيح أنّ بعد الموت يكون هناك حساب للمصدّق ، وعقاب للمكذب، وبذلك يمكن صياغة نص الخطبة في عبارة: "صدقوا أنّي رسول الله إليكم، فمن صدّقني فله الخلود في الجنة، ومن كذّبني فسيخلد في النار"، التي تمثّل البنية الدلالية الكبرى للنص، وهي تمثل انسجام النص حجاجيا ودلاليا في اللّحظة ذاتها، إذ الحجاج يمكن صياغته في قضية إثبات صدق رسالة النبي "ص" يكاد يتمثل المحتوى الحجاجي مع المحتوى الدلاليّ مما يجعل التماسك الحجاجي يزيد في قوّة انسجام النص.

ومن المواطن لتي تجلّى فيها الحجاج ما أسسته الخطابة الدينية من بنية جديدة مفتوحة تتيح الحوار في أثناء نصّ الخطبة، والذي من شأنه أن يُقوّي جانب الإقناع عند المتلقين ، مثال ذلك ما أورده الرسول "ص" في سياق التحذير من التنافس على الحياة الدنيا ، وأنّ النِّعمَ قد تكون سببا في جلب النِّعمة،... وذلك في خطبة كان الحجاج فيها حول قيام رجل من الصحابة بسؤال مفاده: هل يُمكن أن تؤدي بركات الأرض والمال وزهرة الدنيا التي هي خيرٌ ونِعْمٌ إلى الشر؟.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله "ص" قام على المنبر، فقال: **إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، ثُمَّ ذَكَرَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا فَبَدَأَ بِأَخْذِهَا ثُمَّ نَتَى بِالْأُخْرَى، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ "ص" (قلنا : يُوحَى إِلَيْهِ) ، وَسَكَتَ النَّاسُ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ، ثُمَّ إِنَّهُ مَسَحَ عَلَى وَجْهِهِ الرُّحْضَاءَ، فَقَالَ: أَيُّنَ السَّائِلِ آنِفًا، أَوْ خَيْرٌ هُوَ - ثَلَاثًا - إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَأَنَّهُ كُلُّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يُقْتَلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكَلَهُ الْخَضِرُ كُلَّمَا أَكَلَتْ، حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسُ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ ثُمَّ رَتَعَتْ، وَأَنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ لَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ فَهُوَ كَالْأَكْلِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...¹، وقد كان ردّ رسول الله "ص" بعد أن سكت فترة لزيادة تشويق الناس إلى الاستماع باستفهام استنكاري حجاجي ، كر "ره ثلاث مرات نتيجةته "أنّه ليس خيرا" ، لأنّ الخير لا يأتي إلا بالخير .**

ويمكن تناول النص النبوي حجاجيا على نحو "مقدمة" حدّر من خلالها من زهرة الدنيا و الأموال لأنها شرٌّ إذا أدت إلى شرٍّ، ثم "حجّة" في شكل "سند مضمّر" قائم على وجوب الحذر منها، ثم "نتيجة" مترتبة عن ذلك وهي النجاة، في الوقت نفسه يمكن أن نستخلص حجّة من الحجّة الأولى؛ إذ أنّ الترغيب في الدنيا واكتساب المال قد يكون خيرا إذا أدى إلى خيرا، بحجة وجوب أن يأخذ من الدنيا وزهرتها بقدرٍ، إذا أدت إلى خيرا، تكون النتيجة كذلك: النجاة والفلاح في الدارين.

وعملا على تقوية نتيجة الحجّتين الظاهرة والمضمرة ،ضرب الرسول "ص" مثلا محسوسا من الحياة الدنيوية التي يعرفها كل المتلقين للخطبة، فشبه المال بالعشب الأخضر الذي تأكله البهائم في الربيع، وأنّ بعضه قد يقتل الحيوان أو يُقرّبه من القتل، إلاّ الناقة التي تأكل أكلا خفيفا، فتنتفخ ثم تجترّ وتتخلّص من الزائد من الطعام حتى

¹ - صحيح البخاري، حديث رقم 2687 ، كتاب الجهاد، باب النفقة في سبيل الله، ج 3 ،ص:1045. ، الشهاوي محمد مجدي ، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، ص: 19.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

تستريح ، ثم تواصل طعامها، وهو تشبيهه كان بمُجمله "مقدمة" و"معطى" حجاجيا استثمر مبدأ حجاجيا هو الخبرة الرعوية المشتركة للسامعين، إذ عزّزه الرسول "ص" بحجة أنه لا ضير في كسب المال الخير، لأنه يكون نعم صاحب المسلم بشرط أخذه بحقه والإنفاق منه في سبيل الله واليتامى والمساكين وبذلك تكون "النتيجة" حتمية وهي الاستمتاع به في الدنيا، والنجاة به في الآخرة.

فلقد وضع الرسول "ص" السؤال المشكل على الصحابي، وأعلمه أنّ الخير لا يأتي إلا بالخير، وأنّ الشر لا يأتي إلا بالشرّ، فالربيع وإن كان خيرا - كما يعرف الناس - إلا أنّه قد يقتل أو يقرب من القتل ولأجل ذلك فإنّ الناقة التي تأكل منه قدر حاجتها ثم تتخلص من الزائد فلن يؤذيها، لكن الشرّة في الأكل قد يؤدي بالبهيمة إلى الموت، كذلك المال الذي أُسند إليه الخضره والحلاوة "إن هذا المال خضره حلوة" فكأنّه هو العُشب، وأنّ الذي يشرّه في جمعه ويمنعه عن المستحقين قد حوّله بعمله إلى شرّ، فسيؤدي به إلى الشر والعكس صحيح، فمدار تحويل الأشياء إلى خير أو شر هو طريقة استعمالها، وقد وصل الإقناع غايته الكبرى وذلك من خلال :
- فتح المجال لإمكانية الحوار في الخطبة النبوية ،... بل سؤال الرسول "ص" عن الرجل السائل أمام الناس ليحييه.

- ضرب "المثل" التقريبي المؤدي إلى الإقناع الشديد، من خلال صورة التشبيه التمثيلي بين جامع المال ومنفقه في سبيل الخير، والأكل من نبات الأرض بشراهة ومبالغة، وهو السبيل الذي انتهجه الرسول "ص" مما يعكس قدرته على اكتساب وسائل الإقناع الحجاجي واستعمالها المميز في الخطبة النبوية.

***. وفي موقف سياسي يعكس حنكة رسول الله "ص" في التعامل مع قومه في الحرب وبعد الحرب خاصة مع وفد الأنصار الذين حُرّموا جميعاً أعطية وأنفال "حُنين"، وهم الذين نُودوا وقت الشدة فثاروا يقاتلون مع الرسول "ص" حتى تبدّل الفرائ انتصاراً ، ... فروى ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى الرسول "ص" ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، لم يكن في الأنصار منها شيء حتى كثرت فيهم القالة¹... فدعاهم.... فجمعوا.... فخطب فيهم بعد أن حمد الله وأثنى على رسوله "ص": "يا معشر الأنصار قد بلغني من حديثكم في هذه المغامرات التي أنزلت بها أناساً أتألفهم على الإسلام، لعلمهم أنّ يشهدوا بعد اليوم، وقد أدخل الله في قلوبهم الإسلام، ثم قال يا معشر الأنصار ألم يمن الله عليكم بالإيمان، وخصكم بأحسن الأسماء، أنصار الله، وأنصار رسوله... ولولا الهجرة لكنتُ أمراً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وسلكتم وادياً لسلكت واديتكم، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله

¹ - المباركفوري صفي الدين ، الرحيق المختوم، ، ص: 361.

"ص" إلى رِحَالِكُمْ ثم قال: أَجِيبُونِي فِيمَا قُلْتُ؟ فَقَالَ الْأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَجَدْتَنَا فِي ظُلْمَةٍ فَأَخْرَجَنَا اللَّهُ بِكَ إِلَى النُّورِ، وَجَدْتَنَا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَنَا اللَّهُ بِكَ، وَوَجَدْتَنَا ضَلَالًا فَهَدَانَا اللَّهُ بِكَ، وَقَدْ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَاصْنَعْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا شِئْتَ ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ "ص" : وَاللَّهِ لَوْ أَجَبْتُمُونِي بِغَيْرِ هَذَا الْقَوْلِ لَقُلْتُ صَدَقْتُمْ؛ لَوْ قُلْتُمْ : أَلَمْ تَأْتِنَا طَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَمُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمُخَذُّوًا فَنَصَرْنَاكَ، وَقَلِينَا مَا رَدَّ النَّاسُ عَلَيْكَ...، لَوْ قُلْتُمْ هَذَا صَدَقْتُمْ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: بَلْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ الْمَنْ، وَلِرَسُولِهِ الْمَنْ وَالْفَضْلُ عَلَيْنَا وَعَلَى غَيْرِنَا ، ثُمَّ بَكَوْا فَكَثَرَ بُكَاءُهُمْ، وَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ...."¹

يعكس النص مقدرة الرسول "ص" في إيجاد الحلول أمام الأنصار، موضحًا أنه قد بلغه حديثهم... مُبَيِّنًا أَنَّ السَّبَبَ هُوَ تَأْلِيفُ قُلُوبِ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى الْإِسْلَامِ ... فحتم الموقف عدم ذكر السبب فحسب، بل لا بد من توضيح العلاقة مع الأنصار بكاملها، رغبةً منه في زيادة فاعلية عملية الإقناع الحجاجي، وفق المعطيات التالية:

- مقدمة: تأليف قلوب بعض الناس، ثم العطاء لهم .
- الحجة 1: تقوية لإسلامهم.
- النتيجة 1: الأنصار إسلامهم قوي، بل أنتم مؤمنون.
- نتيجة 2: لا تحتاجون أن يعطى لكم ما يتألفكم على الإسلام .
- النتيجة: الرضا بعد العطاء.

إلا أن "قانون الاستدلال" من خلال الخطبة يعكس أنّ الرضا بعدم العطاء يكون صعبا، لذلك عهد الرسول "ص" إلى تحويل "النتيجة" إلى "مقدمة أخرى" ليتّم إقناعهم عن طريق شرح علاقة الرسول "ص" بهم ، وذلك حين تدرّج بالحجة، ليصل إلى الرضا، وذلك من خلال رسم معالم حجاجية . تعكس منذ الوهلة الأولى علاقة الرسول عليه الصلاة والسلام بالأنصار، وهي:

ن
الرضا و الاقتناع .

¹ - صحيح البخاري، حديث رقم 4075-4079، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ج 4، ص: 1574-1576

- "مقدمات"
- و — سأذهب أنا معكم ويذهب الناس بالشاة والبعير.
 - هـ — لو سلك الناس واديا سلكت واديكم.
 - د — لولا الهجرة لكنت واحدا منكم.
 - ج — خصّكم الله بأحسن الأسماء (أنصار الله ورسوله).
 - ب — من الله عليكم بالإسلام.
 - أ — علاقة الأنصار بالرسول صلى الله عليه وسلم.

فبناء على هذه الحجج التي قدّمها الرسول "ص" كان رد الأنصار هو "الرضا"، إذ يمكن أن نتصوّر "الصورة البصرية" لمقارنة عودة الرسول معهم وعودة بقية الناس بالشاة والبعير ... وهي صوّرٌ من شأنها أن تزيد في إقناعهم واقتناعهم، فليس هناك إلاّ الرضا والقبول بخاتم الأنبياء والمرسلين العائد مع الأنصار إلى ديارهم. بيد أنّ رسول الله "ص" لم يقتنع منهم بالإجابة (رُدُّهم)، فكان يريد منهم إجابةً تشرّح موقفهم بجلاءٍ ليزيدهم إقناعاً، فكان الرد من الأنصار ما يؤكّد رضاهم. مقدمة اقتناع الأنصار بحكم الرسول "ص" (معطى).

الحجة المقدمة من خلال :
 ضلّالاً فهدانا الله بك.
 على شفا حفرة فأنقذنا الله بك.
 وجدتنا في ظلمة، فأخرجنا الله بك إلى النور.
 النتيجة : — اصنع ما شئت في أوسع حل.

في وقت أكّد الرسول "ص" إذا أتوا بحُججٍ أخرى تُؤيّد عدم رضاهم، فسوف يُصدّقهم أيضاً، مما يعكس إدراكه لموقفهم، فقصّد ذلك بمعطى (مقدمة) "عدم الرضا بإعطاء الناس من قریش وغيرهم، وحرمان الأنصار" فتكون الحجج المقدمة هي الغاية في الإقناع في حالة هي "الأهم" (تبليغ الرسالة والحرص على إسلام العرب جميعاً)، فقدّم حُججا في شكل سلم حجاجي، (ألم تأتينا طريدا فأويناك، ومكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك) هذا السلم الحجاجي استعمله الرسول بنفسه (افتراضياً) ليوضّح أنّه مقتنعٌ بموقفهم، لكنّ الشأن شأنٌ آخر يتعلق برسالة السماء فما عليكم إلاّ الاقتناع بحكمه "ص" لتكون "النتيجة": بل لله المنّ ولسوله، والمنّ والفضل علينا وعلى غيرنا، ثم بكوا وبكى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أبتلت لحاهم إنّهُ اقتناع تام فالأمر أمرٌ رسالة للرسول صلى الله عليه وسلم، فيها دور المبلِّغ، ولهم دور النصرة والفوز برضا الله.

الفصل الرابع..... الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف

إنّ الناظر في حجاج الرسول"ص" مع أصحابه الأنصار نجده قد استعمل ما يُسمّى "بالحجاج المضاد"؛ لكن ليس من منظور تبني وجهة الطرف الآخر المحاجج مؤقتاً ثم نقضها ، وإنما حجاج من نوع خاص يهدف إلى تبني وجهة النظر الأولى وتصديقها تماماً، مما يجعل الطرف الآخر يقتنع إذا علم الصدق والإدراك الحقيقي لشعوره ووجهة نظره (وهذا هو موقف الأنصار) ، فالتمسوا أسباب القبول لوجهة نظر أخرى (رسالة الإسلام) وهو حجاج يسميه "طه عبد الرحمان" حجاجاً تقويمياً ، وهو يأتي في أعلى درجة من الحجاج التوجيهي الذي يتضمن إيصال المستدلّ لحجته إلى غيره...¹.

وفي الأخير نستخلص أنّ الحجاج في الحديث النبوي أدى دور الإقناع من خلال التنوّع في آلياته، والتي وظفها الرسول صلى الله عليه وسلم مراعاة لمقتضى حال المخاطب من جهة، وسعيًا إلى تحقيق هدفٍ واجبٍ تبليغ الدعوة تحت قوله تعالى: ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..". كما يعكس الحجاج القدرة الخطابية والحجاجية لدى الرسول صلى الله عليه وسلم مبعثها معرفته ودرأيته بأبعاد "السياق الحجاجي" والنفسي للمخاطبين"، مما جعله يتمكن من إقناع مخاطبه والتأثير فيه.

- تعدّ الآليات المنطقية وسيلة ناجحة لتحقيق الفائدة الإقناعية، خاصّة حين اعتمدت على "مقدمات" قدمت بطريقة منطقية، مع براعة استخدام الحجج والاستنتاجات، مما يعكس اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة والعرب عامة بأهمية المخاطب في العملية الإقناعية، فبذلك تنوعت الآليات وتعددت أنواع الحجاج بالاعتماد على السلام الحجاجية وأدوات الربط بأنواعها المختلفة.

¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان (التكوثر العقلي) ص: 228، وينظر (أنواع الحجاج)، الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص: 470 - 471.

خاتمة

في خلاصة هذه الإطالة في الحديث النبوي الشريف ، نورد جملة من النتائج تُشكّل خاتمة البحث في بعده النظري و التطبيقي على حدّ سواء منها:

01- اللغة العربية لها من الخصائص ما يجعلها لغةً نابضةً بالحياة ، فلقد أودع الله عزّ وجل فيها من بديع نظمه وصنعتة ما جعلها أهلاً أن تكون لغةً النصّ التشريعي للبشرية جمعاء من كلام "الحكيم الخبير"، إلى كلام "البشير النذير" "ص"، فهي لغةٌ ممتدّة عبر الزمان والمكان ، خالدةٌ مخلود كتابه العزيز عزّ وجل.

02- إنّ خصوص هذه اللغة بنسقٍ بلاغيّ خاص ، جعل من أبنائها يسعون إلى تقسيمها إلى أقسام ثلاثة ؛منها علم المعاني "الأساليب" ، باعتباره "القسم الذي يُعرف به أحوال اللفظ ومطابقتها لمقتضى الحال" ، ولن يتأتى ذلك إلاّ بالوقوف عند الدلالات السياقية لتلك الأحوال على وفق ما يقتضيه كلُّ حالٍ منها ، وذلك بالاعتماد على الوقوف عند اللفظ ذاته .

03- اهتدى البلاغيون القدماء في تصوّره لهذه القضية على أساس أنّ التركيب يجتبي في خصائصه وأحواله إشاراتٍ ودلالاتٍ مختلفةً ، وأنّ السياق هو الذي يستخرج من هذه الخصائص مقتضياتها ، وكأنّ التركيب أشبه بقطعةٍ من معدنٍ نفيسٍ تُعطي ألوانا كثيرة كلما أدركتها إدارة جديدة ، والسياق هو القوة التي تحرك هذه القطعة لتشعّ من ألوانه ما يراد إشعاعه .

04- إنّ الكلام العربي على نوعين: "خبر و إنشاء" وعبر خروج كلّ من الخبر و الإنشاء لغير ما وضع له في الأصل تتحقق البلاغة ، أي بمعنى آخر مراعاة القصد أو الغرض لخروج الخبر و الإنشاء إلى معانٍ ثانية مجازية تعرف من السياق ، وتحدّد بواسطة مقتضى الحال ، واختلاف تراكيب النصوص ، يحمل بين طياته سماتٍ تعدل بالأساليب وصيغها عن الوجه المعتاد إلى معانٍ أخرى تفهم من خلال دلالة السياق عليها .

05- يعتبر السياق من أهم الأساسيات التي يقوم عليها التداولية وسيميائيات التواصل لأنّ أيّ فهمٍ لخطابٍ لغويٍّ معيّن ، لا يمكن تحقيقه إلاّ إذا قمنا بتقصّي الأوضاع الاجتماعية ، خاصة التي ولّدت خطابا محاطا بمختلف التجارب الإنسانية ، هذه الظروف و الأوضاع الاجتماعية هي التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و استعمال اللغة .

06- كثيرا ما يؤدي السياق دورا مهما في تحديد طبيعة ونوع الإستراتيجية التي يعمد إليها المتكلم مع مخاطبه وكذا في فهم الخطاب ، لذلك اختلف السياق في الخطاب النبويّ من صورة إلى أخرى ، مما جعل أساليب التخاطب تختلف من سياق لآخر ، ساهمت فيه مجموعة من العوامل منها: "الدين ، العمر ، الجنس ، المنزلة الاجتماعية وغيرها.

07 إنّ السياق هو تلك الأجزاء التي تسبق النص و تليه وتصاحبه مباشرة، ويتحدّد من خلالها المعنى المقصود لا سيما وأنّ نجاح الفعل اللغوي لا يتحقّق إلا بوجود عوامل لها دور هام في اللسانيات التداولية منها المتكلم والمستمع، القصد و السياق و المقام و الزمان و المكان ، وكل الظروف المحيطة بالفعل .

08- إنّ تنوع أساليب الحوار في مخاطبات النبي "ص" والتي فرضها السياق أكثر من مرة ، يشير إلى الفكر الموسوعي للرسول "ص" ، وتمكنه البلاغي وقدرته الذهنية لاختيار الأسلوب الذي يناسب المخاطب و حاله ، كما يعكس قدرته "ص" الخطابية و استعمالاته لأساليب اللغة وتوظيفها في توجيه الدعوة إلى تعالى .

09- في تعامل الرسول "ص" مع النفس البشرية كثيرا ما كان يدعو إلى تكريم العقل ، واستلهاهم المعرفة العلمية بالاستدلال المنطقي للأدلة و البراهين قصد الإقناع و التأثير ، لأنّ شعار الخطاب في سياق الحال "إنّه بالخطاب العقلي يتميّز الصواب و الخطأ وهي أمورٌ تحتاج إلى إعمال العقل وتحكيمه .

10- في تعامل الرسول "ص" في أسلوب خطابه مع مخاطبه بصفة عامة وعلمه بحاله ومقامه ، نال الرسول "ص" الأسبقية في فن الإقناع و التواصل اللغوي في خطابه مع الآخر ، والتي تتطلب في الوقت الحاضر المران و الخبرة العلمية .

11- تنوعت أساليب الرسول "ص" من الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي إلى الخطاب العقلي إلى الخطاب العاطفي ، إلى أسلوب الحكمة ، كله كان له الأثر الواضح في توجيه الدعوة إلى الله تعالى، بأسلوب يتناسب ومع أفكار المخاطب ومستوى تفكيره العقلي وقناعاته الشخصية، وأن أسلوب الحوار عامة يتناسب مع أحوال المخاطبين مراعيًا الفروق الفردية بينهم .

12- إنّ حظّ السياق من الدرس اللغوي الحديث عربيّه وغربيّه يجزم في القول: إنّ السياق بأنواعه المختلفة اللغوية وغير اللغوية وبعناصره ومستوياته قد لاقى القبول والاستحسان لدى الدارسين، وذلك حين عُدّ وسيلةً إجرائيةً لتصيّد المعنى وتفقّي مواطن الدلالة، وهذا الأمر تجلّت معالمه عند كثير من الغربيين وحتى العرب الذين عاصروا أو تتلمذوا على يد مؤسس الاتجاه السياقي اللساني "فيرث"، والذي جسّد من خلال "نظريته السياقية" ما يُعرف بالنظرية المقاماتية "لكل مقام مقال" وهي عبارة شاعت في الدرس البلاغي منذ نشأته.

13- إنّ اهتمام البلاغيين والأدباء وكذا النقاد العرب بالسياق ودوره فيكفیه دليلا عبارتان طالما حصرتا في كتبهم " لكل مقام مقال " ، " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " فالعبارتان من جوامع الكلم وتوضعان في الإطار العام للدراسة عندهم، فكان المجال التطبيقي لذلك في أحكامهم البلاغية على النصوص ، كما تناولوا البيئة وأثرها بما له صلة بالسياق الاجتماعي مما يُعين على الفهم السليم لهذه النصوص.

14- لقد تُوجت الدراسة السياقية عند القدامى القدماء بنظرية " عبد القاهر الجرجاني"، حيث ربط الكلام بمقتضى مقام استعماله وسياقه اللغوي ، وتلقّى العلماء بعده هذه النظرية بالشرح واعتمدوا عليها في التحليل ، وهي النظرية القائمة على مراعاة السياق الذي يرد فيه الكلام، وإدراك العلاقات القائمة بين الألفاظ في التركيب الواحد ،لدليل قاطع على أسبقية علماء العربية في معرفة دور السياق و العمل به في فهم النصوص مما يُؤلّد الفهم العميق للغة ،ودورها في التواصل ،ليدعو من جهة أخرى إلى وجوب سبر أغواره وعدم تركه غفلا مسهوا عنه ، ويستجدي بنظريات من الغرب تمجيدا و انبهارا !!!.

15- جاءت التداولية فيما بعد كمنهج يحمل آفاقا واعدة في التحليل ، لخصوبة المجالات التي تبتاحتها ،والتي تتعلق بالتخاطب و ايلاء الأهمية للظروف التي يتم فيها التخاطب ، وكذا اعتبار التخاطب و التّكلم فعلا انجازيا وذلك بعد أن أهملت الدراساتُ القبلية دورَ المجتمع في اللغة و الخطاب عامة .

16- جاءت التداولية لثعنى بالكيفية التي تستعمل بها اللغة عند الحديث وتهتم بالسياق الكلامي و الموقف، وتعنى بالمتكلمين وطرائق حديثهم ، وبكل ما من شأنه أن يزيد عملية الاتصال وضوحا ، فاهتمت بالمتكلم و السامع مشاركا في فعل الكلام و الحدث التواصل، وكل ماله صلة بالكلام من عوامل خارجية أو تناسب حال من الأحوال ،أو تنافره للحدث الكلامي، فبحثت في الكيفية الخطائية عامة ،واستنتجت مقاصد المخاطب ؛"فهي دراسة اللغة في الاستعمال" .

17- حتى وإن وقعت التداولية في مفترق طرق البحث الفلسفي و اللساني والذي جعل منها ذات تحديد مفهومي صعب ،سببه اختلاف المذاهب ووجهات النظر الفكرية، فإنّ اهتمامها منصبٌ على دراسة اللغة أثناء الاستعمال ، فتكون بذلك قد نشأت من رحم الفلسفة التحليلية حين رفعت شعار الاهتمام باللغة،فالتقت مع مجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة باللغة كعلم الاجتماع و علم النفس و البلاغة وغيرها .

18-التداولية في الدرس العربي القديم - وإن كان العرب لم يصطلحوا على دراساتهم بالتحليل التداولي أو الدراسة التداولية - فإنّ طريقة تحليلهم للنصوص ودراستهم لها بمنهج تحليليّ تداوليّ يعكس أسبقية العرب لممارسة هذا التحليل على النصوص الدينية و الشعرية ، وهي المبادئ التي تحدّث عنها زعماء التداولية المعاصرون مثل "أوستن و سيرل" .

19- تعتبر الأفعال الكلامية لبّ الدراسة التداولية ، ويعتبر الفعل الانجازي جوهر أفعال اللغة ، وذلك من خلال الترابط القائم بين بنية اللغة و بين وظيفتها التواصلية ، لاستنتاج ذلك التفاعل الحاصل بين الشكل اللغوي و المقام .

20- إن جهود أوستن في مجال الأفعال الكلامية له أهمية في اللسانيات التداولية ، كون وظيفة اللغة هي التأثير في مستعملها ، ولم يقتصر أدائها على نقل الأخبار أو وصفها فحسب ؛ بل إذا نطق بها المتكلم ينجز فعلا كلاميا من هذا المنطلق ميّز بين نوعين من الأفعال : أفعال إخبارية " الخبري " وأفعال أدائية "إنشائية" .

21- جهود أوستن لم تكن لتعجب تلميذه سيرل فتوصل بعد محاضراته التي ألقاها إلى وضع تصنيف جديد خالف فيه تصنيفات أستاذه ، ونادى بضرورة أنه لا يكون للفعل قوة انجازية إلا إذا توفّر فيه المحتوى القضوي واتجاه المطابقة ، وشرط الإخلاص.... .

22- أوصى سيرل بأنّ "الفعل الكلامي المباشر" هو الفعل الذي يطابق قوته الانجازية مراد المتكلم ؛ أي يكون القول مطابقا للقصد بصورة حرفية تامة ، فالدلالة الانجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها ، أما "الأفعال الانجازية غير المباشرة" فدلالاتها الانجازية تظهر في السياق ، وعادة ما يُتوصل إليها بما يحيط بالسياق من ظروف اجتماعية ونفسية وغيرها .

23- في الحمولة الدلالية يكون الغرض من الفعل الانجازي هو التزام المتكلم تجاه المستمع بأداء عملٍ ما، أمّا اتجاه المطابقة هو أن يطابق السلوك لاحقا ما تمّ التعبير عنه سابقا ، فإن كنتُ وعدتُ أن أخرج في رحلة معك فلا بد أن يتحقق الفعل وهو " الخروج في سفر " لي مطابق لفظ الوعد ، والمسؤول في ذلك هو " المتكلم " .

24 - درس العلماء العرب الأفعال الكلامية ضمن مباحث الخبر و الإنشاء وكان البعض منهم تداوليين في طروحاتهم ، بحيث راعوا الاستعمال والسياق اللغوي و المقامي و مقاصد المتكلمين وأحوال المخاطبين ، كما كان اهتمامهم منصبا على مبدأ "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" ، فدرسوا الحمولة الدلالية للأساليب الخبرية والإنشائية ومعانيها الأصلية و الفرعية .

25- تجلّت ملامح الأفعال الانجازية بنوعيتها في الأساليب الطلبية بأنواعها المطروقة في النصّ النبويّ، فكان المقام فارضا ضرورة التلازم بين القوتين الانجازية الحرفية و المستلزمة مقاميا، وفيها كان الأسلوب الإنشائي حقيقيا بغرضه الأصلي؛ كاستفسار للاستفهام ، و التحريم للنهي ، و الوجوب للأمر ... وخرج في مواطن أخرى ليبدّل على أغراض ساهمت فيها ظروف المقام و سياقه فأفاد قوى مستلزمة مقاميا تراوحت بين " الدعاء ، الإنكار ، التوبيخ ، التأنيس وغيرها .

26- في تصنيف سيرل وما يتعلق "بالإخباريات" حُصر الأمر في "الأساليب الخبرية" ، وبعيدا عن الغرض المتوخى من وراء الخبر " فائدة الخبر لازم الفائدة" راعى الرسول "ص" حال المخاطب ، وعمل على توكيد الخبر

لسامعه بغرض التأثير و الإقناع، فتراوحت الإخباريات بين الخبر الابتدائي و الخبر الطلبي و الإنكاري ، وتفاوتت درجة التأكيد حسب قوة الحالة التي يكون عليها المتلقي مصدقا أو مُترددا أو ناكرا عنيدا .

27- خروج القوة الانجازية الحرفية عن معناها الحقيقي للاستفهام و الأمر و النهي و النداء ترتب عنها قوة انجازية مستلزمة مقامية ، وما يترتب عنها من آثار يقصد بها مرسلُ الخطاب " الرسول "ص" ليحدث تغييرا في المشاعر و الأفكار تتجلى في: الإقناع و الإرشاد و النصيح و الهداية والتعليم و غيرها... وهي التي سماها أوستن " الفعل الناتج عن القول "acte perlocutoire" ، فالتداول إذا : تواصلُ وتفاعلُ وقولُ موصولُ بالفعل .

28- في أسلوب النداء -كواحد من الأساليب الطلبية- كانت مقارنته تداوليا بالنظر إلى جملة جواب النداء ، وطبيعة المنادى ، فأدى النداء وظيفته التنبيه و النداء ، بينما جواب النداء أو مضمونه فقد تراوح بين الأمر و النهي و الخبر ، وقد يخرج إلى دلالات غير مباشرة مستلزمة مقاميا : كالدعاء و التأنيس وغيرها .

29- بسبب ارتباط الأفعال الكلامية بغرض الإقناع و التأثير ازدوجت المقاربة بآلية أخرى لها دورها في عملية الإقناع و هي " الحجاج " خاصة حين ارتبطت بالأساليب الإنشائية واتخاذها وسيلة للتعبير عن الأفكار الصادرة عن قصد ونية ، نظرا لما تتمتع هذه الأساليب من قوة في التأثير على المتلقي وقدرتها على الإبلاغ وتحقيق الفهم .

30- مصطلح "الحجاج" مفهوم عائم وشائك ، يتحرك عبر دلالات متنوعة في كثير من الحقول المعرفية وارتبط عبر مساره التاريخي بمصطلحات طالما اعتبرت مرادفات له : كالجدل و الحوار و البرهان و المناظرة ... وكلها مفاهيم تخدم غاية واحدة هي محاولة التأثير ووصول المتكلم إلى هدفه المبتغى .

31- إنّ مفهوم الحجاج قد أُصلّ تأصيلا من قبل مدرستين ألا وهما "المدرسة البلجيكية" التي كان الاستثناس فيها بآراء "بيرلمان" و"كذا" ماير" ، و"المدرسة الفرنسية" والتي كان الاكتفاء منها بآراء "ديكرو" والذي حصر الحجاج في بنية اللغة .

32- إن الغربيين في نظرتهم للحجاج قد تمسكوا بالإرث الأرسطي تمسكا واضحا ، إلى درجة يمكن نعتهم بأصحاب "نظريات تجديدية لما كان موجودا أو بالأحرى "بعث للقديم في ثوب جديد" ، لذلك اختلفت مسألة الحجاج عند الغربيين في حقيقة خصائصها عند العرب، لأنّ للعرب فكرهم الحجاجي الخالص و المميّز لثقافتهم ودينهم وعاداتهم .

33 - ارتبط الحجاج في التراث العربي بالجدل وظهر مرادفا له، وتجلّت مبادئه في الدرس البلاغي، فاهتمت البلاغة بإستراتيجية التأثير و الإقناع وتوفرت على جانب تداولي هام مرتبط بنظرية الحجاج، وسبق معرفي إلى

بعض الإشارات التي تعدُّ اليوم محور الدّرسين اللساني والبلاغي الغربيين ؛ حين تناولت أهم الوسائل اللغوية وغير اللغوية المؤدّية إلى الاستمالة و التغيير "كفكرة البيان و المقام "عند الجاحظ، و" المجاز" عند الجرجاني .

34- إنّ انفتاح الباحثين العرب المعاصرين في المغرب العربي على النظريات و المناهج الغربية سمح لهم بإثراء الدرس الحجاجي العربي المعاصر الفلسفي و البلاغي وكذا اللساني، بوعي علمي دقيق واهتمام بمبحث الحجاج و الكشف عما يحويه التراث العربي الإسلامي من ملامح النظرية الحجاجية منهم " طه عبد الرحمن " محمد العمري " و "أبو بكر العزاوي" .

35- انطلقت نظرية الحجاج في اللغة من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير ،لذلك ارتبط الفعل اللغوي في الحديث النبوي بخصائص: كالوضوح في تبسيط التعبير ،و البعد عن التكلف الذي يفسد نيّة المرسل في الإبلاغ ،مع وضوح الفكرة المحدّدة ،لأنّ فهم المعاني هو السبيل إلى الإقناع و الاستجابة .

36- لتحقيق هذه الأفكار ورغم وضوحها مال الخطاب النبوي بناء على ما تناولناه من شواهد إلى اعتماد الأساليب الإنشائية التي تمنح المتكلم حريةً و مجالاً واسعاً للتعبير و الإقناع و التأثير ،فكان اللجوء إلى الأمر والنهي و الاستفهام وغيرها .

37- حرص الرسول "ص" على توجيه خطابه إلى الناس كافة لا إلى مخاطب معين ،حتى و إن كان سببا فيه جعلت منه يُنوع في وسائل الإقناع و المحصورة حجاجيا في وسائل لغوية وبلاغية وأخرى منطقية ،استخدم فيها "القياس" المنطقي بمختلف أنواعه؛ سعيا منه لتحقيق الفائدة الاقناعية لما تفرضه من اطمئنان في النتائج خاصة حين تشكل طريقا منطقيا سليما من "مقدمات واستنتاجات" تقديمًا وتأخيرا ،ذكرا و حذفًا .

38- عمل الرسول "ص" على استغلال الإمكانيات التي تمنحها الآليات اللغوية "كالتكرار" مثلا ، و الروابط الحجاجية كظواهر لغوية ذات دلالة من حيث التركيب ، واستمالة المتلقي و التأثير فيه ، لتساعد الآليات البلاغية في إثبات ما أراد الرسول ص لأمتّه ناصحا، و أمرا ،مستفهما ،وناهيا ،خاصة حين نتبع الطاقة الحجاجية التي تحملها مختلف الصور البيانية مع مختلف المتلقين .

39- يمثل كلّ من المجاز المرسل و الكناية نمطا من التعبير يُنمّي القدرة الكبيرة على الإقناع من خلال الفعل بحاله و التأثير في المتلقي بسحره ،خاصة حين تتوفر المهارة في تمييز العلاقة بين المعنى الأصلي و المعنى المجازي لتكون هذه العلاقات المجازية وسيلة حجاجية تستميل المتلقي وتؤثر فيه ،وهذا ما لاحظناه في شواهد التحليل .

40- التشبيه النبوي من أهم طرق الاستدلال و الحاجة في سبيل الوصول إلى الإقناع ، فيسوق صلى الله عليه وسلم الخبر أو الطلب مقرونا بالحجة ، ليلقى قبولا لدى المتلقي الذي ينتقل من صورة غير مرئية إلى صورة مرئية مجسدة فتكتمل في عقله حين يكون وقعها على النفس أشدّ، ويحصل الإقناع .

41 - الاستعارة في الخطاب النبوي حجاجية تنقل المتلقي من المجرد إلى المحسوس ، وتكسب الحجج قوة من أجل تحقيق الإقناع ، كون الاستعارة أبلغ من الحقيقة حجاجيا ... ليعمل الاستدلال و القياس على تحقيق الإقناع ، وهذا ما سلكه الرسول "ص" للوصول إلى نتيجة منطقية مُقنعة ، و هذا ما عكسته السلام الحجاجية في الجانب التطبيقي .

وفي نهاية هذا البحث و الذي أضعه بين يدي كل من خاض ميدان التداولية والذي لا يمكن فيه الإمام والإحاطة بكل الجوانب المتعلقة سواء بالمدونة " الحديث النبوي الشريف" أو منهج الدراسة " التداولية أفعال الكلام ، الحجاج " فلربما وجد في هذا العمل اعوجاجا فقوّمه، أو نقصا فتّمّمه .

كما لا يسعني إلا أن أقف وقفة إجلال واحترام لأتوقف بالشكر الجزيل و الخالص للدكتور محمد بوادي "لتحمّله مشاقّ الإشراف على هذا العمل المتواضع ، وفائق الشكر و الامتنان للسادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة ، على تفضلهم بقراءة البحث و العمل على تصويب ما فيه من أخطاء سعيا إلى تقييمه وتقويمه .

والله أسأل التوفيق و السداد ، وله الحمد من قبل و من بعد .

01- فهرس الآيات القرآنية حسب ورودها في البحث :

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
"وهو الذي أنشأكم... "	الأنعام	98	5
" وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ "	النجم	47	5
"إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُُرْيًا أُتْرَابًا .. "	الواقعة	35	6
" اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ "	طه	44/43	6
" قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَىٰ ، قَالَ لَا تَخَافَا... "	طه	46/45	7
" قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَىٰ "	طه	47	7
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ... "	النساء	135	9
" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ "	الاحزاب	01	9
" أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ "	الذاريات	12	11
" هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ "	الرحمان	60	11
" أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ "	الشرح	01	12
" أَفَلَا تَعْقِلُونَ "	البقرة	44	12
" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ "	الروم	09	12
" أَأَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ "	يونس	051	12
أأنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم	الأنبياء	62	13
" هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ "	الرعد	16	13
" هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ "	الرحمان	60	13
" هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ "	الإنسان	01	13
" أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ "	الطور	39	13
" مَنْ يُجِبِّي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ "	يس	78	13
" قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ؟ ... ما هي؟ "	البقرة	69/68	14
" فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ "	النساء	41	14
" يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ "	القيامة	10	15
يا مريم أتى لك هذا	آل عمران	37	15
" أَلَيْسَ لِي بِجُحْيٍ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا "	البقرة	259	15
أيكم زادته هذه إيمانا	التوبة	124	16
" فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ "	الرحمان	13	16

16	38	النمل	" أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا "
17	171	البقرة	" وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ "
19	27	مريم	" يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا "
22	12	مريم	" يَا بَنِيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنبِئْنَاكَ الْحُكْمَ صَبِيًّا "
22	145	الأعراف	" وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا "
22	43	البقرة	" وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ "
22	07	الطلاق	" لِيَنفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ "
22	12	العنكبوت	" وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ "
22	43	آل عمران	" يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ "
23	23	الإسراء	" وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا "
23	18	يوسف	" ... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ... "
25	105	المائدة	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ "
26	10/09	العلق	" أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ... "
26	27	النور	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا "
27	01	المتحنة	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ... "
27	28	آل عمران	" لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ "
27	23	النساء	" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ.. "
27	161	آل عمران	" َمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "
27	83	البقرة	" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ "
27	84	البقرة	" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ "
28	90	المائدة	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "
31	44	النحل	" وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ "
31	09	طه	" وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ "
33	03	النجم	" وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ "
37	44	النحل	" وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "
37	03	الجمعة	" هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ "

			الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ "
49	140	ال عمران	" وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ "
50	07	الحشر	" مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ "
50	140	ال عمران	" وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ "
57	52	إبراهيم	" هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ "
66	21	ق	" وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . "
71	73	الزمر	" وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا . "
71	86	مريم	" وَنَسُوفُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا . "
83	96	آل عمران	" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ... "
87	07	الفرقان	" وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ... "
87	13	يوسف	" وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ... "
88	73	الأعراف	" هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ "
88	12	الحجرات	" أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ... "
88	10	النساء	" إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا... "
88	183	آل عمران	" حَتَّىٰ يَأْتِيَنا بِطُرُبَانٍ يَأْكُلُهُ النَّارُ "
94	2	البقرة	ذلك الكتاب لا ريب فيه
98	135	البقرة	" بَلْ مَلَّةٌ إِبراهيمَ حَنِيفًا "
102	73	الزمر	" حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا "
102	27	الأنعام	" وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُّوا عَلَى النَّارِ "
108	143	البقرة	لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا
109	20	القصص	وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى
108	20	يس	" وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى "
110	20-17	الغاشية	" أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ "
112	04	مريم	" وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا "
118	125	النحل	" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... "
122	82	المائدة	" لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً "

			لَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى
122	83-82	آل عمران	"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ"
122	31	التوبة	"اتَّخِذُوا أَحِبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ "
125	63	النور	"لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا :
125	44	طه	"أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى "
125	44	طه	"فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا "
131	10	الحجرات	"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ "
144	16-14	يس	": ... إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ، قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ
171	92	آل عمران	"لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ "
188	28	هود	"أَنْذَرْتُمْ كُفُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ "
196	19	النحل	" رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ...":
196	201	البقرة	"رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "
196	88	يونس	"رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ
199	101	يوسف	"رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ...":
199	187	البقرة	كلوا واشربوا
230	149	الانعام	"قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ"
230	66-65	آل عمران	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِحْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"
230	16	الشورى	وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ"
230	258	البقرة	"أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ"
230	107	النساء	"وَلَا يُجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ"
236	149	الانعام	"قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ"
236	111	النحل	يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَادِلٍ عَنِ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا

			يُظَلَمُونَ"
264	111	التوبة	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُعَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ...."
267	43	العنكبوت	": وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ "
272	175	الأعراف	وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرِكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا

2/ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة موضوع البحث :

صفحة وروده	راوي الحديث	الحديث النبوي الشريف
34	الرسول ص	"أنا أفصح العرب، بيد أبي من قریشٍ ونشأت في بني سعدٍ من بكرٍ
35	انس بن مالك	إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من

		قُرَيْشِ بْنِ هَاشِمٍ، واصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ "...
35	أنس بن مالك	عن أنس رضي الله عنه: أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أتاه جبريلٌ وهو يلعبُ مع الغلمانِ فأخذه، فَصَرَعَهُ ، فشَقَّ عن قَلْبِهِ، فاستخرَجَ القَلْبَ واستخرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فقال: "هذا حَظُّ الشَّيْطَانِ منك" ثمَّ غَسَلَهُ في طِيسٍ من دَهَبٍ بماءٍ زَمْرَمٍ، ثمَّ لَأَمَهُ، ثمَّ أعَادَهُ إلى مَكَانِهِ...
36	جابر بن عبد الله	عن جابر بن عبد الله قال: "لما بنيت الكعبة، ذهب الرسول ص وعباس ينقلان الحجارَةَ، فقال عباس للنبي ص "اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارَةَ، فخرَّ إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال "إزاري، إزاري، فشُدَّ عليه إزاره...." وفي رواية: "فما رُؤيت له عورةٌ بعد ذلك
39	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه: " أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بُعثت بجوامع الكلم، ونُصرت بالرُّعب ..."
119	أسامة بن زيد	عن أسامة رضي الله عنه قال: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الحُرَقَةِ، فصَبَّحْنَا القَوْمَ فهزَمْنَاهُم ، و لحقت أنا و رجلٌ من الأنصار رجلا منهم، فلما عَشِينَاهُ قال: لا إله إلا الله، فكفَّ الأنصاري، فطعنته برمحٍ حتى قتلتُهُ، فلما قدمنا بلغ النبيّ "ص" ذلك قال: يا أسامةُ أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟؟؟، قلت: كان مُتعوذاً، و في رواية قال النبيّ "ص" : "أفلا أشفقتَ عن قلبه حتى تعلمَ أقالها أم لا؟ قال أسامةُ: فما زال يكررها حتى تَمَيَّيتِ أبِي لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم".
119	جابر بن عبد الله	عن جابر رضي الله عنه: أنّ مُعَاذًا كان يُصَلِّي مع النبي صلى الله عليه و سلم ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فصلَّى ليلةً مع النبي صلى الله عليه و سلم العشاء، ثم أتى قومه فأَمَّهُمْ، فافتتح بسورة البقرة، فأنحرف رجل مسلم، ثم صلَّى وحده صلاةً خفيفةً، فبلغ ذلك مُعَاذًا فقال: "إنه منافق"، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبيّ صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله: "أنا قومٌ نعمل بأيدينا، و نسقي بنواضحننا، و إنّ مُعَاذًا صلَّى بنا البارحة فقرأ "البقرة"،... فجوَّزْتُ فزعم "أبيّ منافق"، فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه و سلم على معاذ، "يا معاذُ أَفَتَانَ أنت؟" أو "أفان؟" ثلاثَ مِرَارًا، فلولا صلّيت: "بسبح اسم ربك، و الشمس و ضحاها، و اللّيل إذا يغشى
120	أنس بن مالك	عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه و سلم لما دخل "خيبر" غازياً، و كان أهلها يهوداً، فقال لما رآهم: "الله أكبر، الله أكبر، حُرِبَت خيبر

120	أبو هريرة	<p>عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لما فُتِحَتْ "خير" أُهديت للرسول صلى الله عليه و سلم شاةٌ فيها سُمٌّ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: "اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود" فجمعوا له، فقال: "إني لسأئلكم عن شيء فهل أنتم صادقيي عنه؟ فقالوا: نعم، قال النبي: "من أبوكم؟" قالوا: فلان، فقال: "كذبتكم، بل أبوكم فلان"، قالوا: صدقت، قال: "فهل أنتم صادقيي عن شيء إن سألت عنه" قالوا: نعم يا أبا قاسم، إن كذبت عرفنا كذبنا كما عرفته في آيينا. فقال لهم: "من أهل النار؟" قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: اخسئوا فيها و الله لا نخلفكم فيها أبدا" ثم قال: هل أنتم صادقيي عن شيء إن سألتكم عنه؟" فقالوا: نعم يا أبا قاسم، قال: "هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟" قالوا: نعم، قال: "ما حملكم على ذلك؟" قالوا: أردنا إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيًا لم يضرك إن كنت نبيًا لم يضرك</p>
121	عائشة رضي الله عنها	<p>عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يهودا أتوا النبي صلى الله عليه و سلم فقالوا: "السام عليكم". قالت عائشة ففهمتها، فقالت: "عليكم السام و لعنكم الله، و غضب الله عليكم"، فقال الرسول صلى الله عليه و سلم: "مهلا يا عائشة عليك بالرفق، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله، و إياك و العنف و الفحش" فقالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: "أولم تسمعي ما قلت؟" قد قلت: و عليكم، رددت عليهم، فيستجاب لي منهم، و لا يستجاب لهم في".</p>
121	عن أنس بن مالك	<p>عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "مرّ يهودي برسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: السّلام عليك، فقال رسول الله "ص": "و عليك" فقال رسول الله "ص": "أتدرون ما يقول؟ قال: السّام عليك" قالوا: "يا رسول الله ألا نقتله؟ قال: "لا، إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: و عليكم..."</p>
122	الرسول ص	<p>بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله و رسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتّبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلّم تسليّم، و أسلّم يُؤتِكَ الله أجرَك مرّتين، فإن تولّيت فإنّ عليك إثم الأريسيين، "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا تعبدوا إلا الله و لا تشركوا به شيئًا و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون....."</p>
123	عبد الله بن مسعود	<p>عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه و سلم كان يُصَلِّي عند البيت، و أبو جهل و أصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيُّكم</p>

		<p>يحيىءُ بِسَلَى حَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ...؟ فَاذْبَعِثْ أَشَقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُعْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ، وَيَجِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشٍ ثَلَاثَ مَرَاتٍ"، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: "وَكَانُوا يَرُونَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَى: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعَتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عَتْبَةَ، وَأُمِيَةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيظٍ" وَوَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ وَعَدَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرَخَى فِي الْقَلْبِ، قَلْبِ بَدْرٍ...</p>
123	عائشة رضي الله عنها	<p>عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ: "أَهْجِ قَرِيشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشَقٍ بِالنَّبْلِ"، فَقَالَ لَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مُبَدِّئًا رَغْبَةً الشَّدِيدَةَ فِي ذَلِكَ: "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِأَفْرِيئَتِهِمْ بِلِسَانِي فَرِي الْأَدِيمِ...، لِذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَسَّانَ "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحَتْ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: "هَجَّاهُمْ حَسَّانُ، فَشَقَى وَاشْتَفَى"</p>
124	الرسول ص	<p>إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا شَبَهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّبَهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحَمَى يَوْشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمَى، أَلَا وَإِنَّ حَمَى اللَّهِ مُحَارِمَهُ</p>
124	الرسول ص	<p>مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَا حَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا، وَ لَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَنْزُكُوهُمْ وَ مَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ بَحْجًا وَ بَحْجًا جَمِيعًا</p>
125	الرسول ص	<p>بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْتَ تَسَلَّمَ، وَ أَسْلِمْتَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ...</p>
126	أبو هريرة رضي	<p>عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبِلَ</p>

	الله عنه	نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له "ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربط بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ماذا عندك يا ثمامة؟"، فقال: "عندي يا محمد خير، إن تَنعَمَ تَنعِمَ على شاكِرٍ، وإن تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَمٍ، و إن كنت تُريدُ المالَ فَسَلْ تُعْطَ منه ما شئت"، فتركه الرسول صلى الله عليه و سلم حتى كان بعد الغد" و كرر ذلك ثلاث مرات في ثلاثة أيام، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله...". ثم ائتمروا و رجع إلى قومه، فقال له قائل: "أصبوت؟"، فقال: لا، و لكيتي أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا و الله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ص
126	الرسول ص	إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله...
127	الرسول ص	يا معشر النساء... تصدقن، فإنني أريتكن أكثر أهل النار
127	الرسول ص	ما منكن من امرأة تُقدم ثلاثة من ولديها لم يبئلوا الحنث إلا كانوا لها حجبا من النار: فقالت امرأة منهن يا رسول الله: و اثنين؟ فأعادها مرتين: ثم قال: " و اثنين"
127	عائشة رضي الله عنها	عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا لا نرى الا الحج
129	عبد الله بن مسعود	عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم شبابا لا نجد شيئا، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتروج، فإنه أعرض للبصر، و أحصن للفرج، و من لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"
130	البراء بن عازب	عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم: إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة. ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: "اللهم أسلمت وجهي إليك و فوضت أمري إليك، و ألجأت ظهري إليك، و رغبة و رهبة إليك، لا ملجأ و لا منجأ منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت و بنبيك الذي أرسلت..." فلما رددتها على النبي صلى الله عليه و سلم فقلت: اللهم... آمنت... قلت: "و رسولك"، قال: لا، و نبيك الذي أرسلت
130	الرسول ص قوله صلى الله عليه و سلم: "لا يقول أحدكم خبثت نفسي و لكن يقل: لقيست نفسي...."

131	الرسول ص فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاءُوا تَائِبِينَ ، وَ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُرَدَّ إِلَيْهِمْ سَبِيَّهُمْ فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيَّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ ، وَ مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حِظِّهِ حَتَّى تُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يَفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ "فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لَهُمْ ...
131	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم مرّ على صُبْرَةِ طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بَلَلًا ، فقال : " ما هذا يا صاحبَ الطعام " ، فقال : " أصابته السماء يا رسولَ الله " ، قال : " أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غشّ فليس مني ؟
165	أبي هريرة	جبريل عليه السلام حين أتى النبي صلى الله عليه و سلم يوما على هيئة رجل ، و كان النبي " ص " بارزا للناس ، فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و بقلائه و رسله و تؤمن بالغيب ؟ ثمّ قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله و لا تُشرك به شيئا ، و تقيم الصلاة و تؤدّي الزكاة المفروضة ، و تصوم رمضان .. ثمّ قال ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ... ثمّ أدبر فقال الرسول " ص " : " ردّوه " فلم يروا شيئا . فقال صلى الله عليه و سلم : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم .
166	أنس بن ملك	عن أنس بن ملك رضي الله عنه ، فقال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم على أبي سيف القين " و كان ضِعْرًا لإبراهيم عليه السلام ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم إبراهيم و قبّله و شمّمه ، ثمّ دخلنا عليه بعد ذلك ، و إبراهيم يوجد بنفسه ، فجعلت عيننا رسول الله صلى الله عليه و سلم تذرّفان ، فقال له " عبد الرحمن بن عوف " : " و أنت يا رسول الله ؟ " فقال صلى الله عليه و سلم : " يا ابن عوف إنّها رحمة " ، ثمّ اتبعها بأخرى ، فقال " النبي صلى الله عليه و سلم " : " إنّ العين تدمع ، و القلب يحزن ، و لا نقول إلا ما يُرضي ربّنا ، و إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون
167	عبد الله بن عمر	عن عبد الله بن عمر قال : اشتكى سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه النبي " ص " يعوّده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص و عبد الله بن مسعود ، فلما دخل عليه وجدّه في غَاشِيَةِ أَهْلِهِ ، فقال صلى الله عليه و سلم : " قد قضى " ، فقالوا : " لا يا رسول الله " ، فبكى النبي " ص " فلما رأى القوم بُكاءَ النبي " ص " بكوا ، فقال صلى الله عليه و سلم : " ألا تسمعون ، إنّ الله لا يُعَذِّبُ بدمع العين و لا يحزن القلب ، و لكن يُعَذِّبُ بِحَدَا ، و أشار إلى لسانه ، أو يرحم ، و إنّ

172	أنس بن مالك	عن أنس رضي الله عنه قال: رأى النبي "ص" النساء و الصبيان مقبلين، قال: حسبت أنه قال من عُرْس، فقام النبي "ص" ممتنًا أو قَالَ مُمْتِنًا فقال: "اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ" قالها ثلاث مرارًا
177	أبو حمزة	عن أبي حمزة قال: كنت أقعد مع ابن عباس: يُجلِسنِي على سريره، فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي، فأقمت معه شهرين، ثم قال: إنَّ وفد عبد القيس لما أتوا النبي "ص" قال: "مَنْ الْقَوْمُ؟" أو مَنِ الْوَفْدُ؟. قالوا: ربيعة، قال: مَرَحَبًا بِالْقَوْمِ، أو بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَ لَا نَدَامَى....
178	ابن عباس	عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله "ص" لقي ركبًا "بالرّوحاء" مكان قرب المدينة المنورة فقال: "مَنِ الْقَوْمُ". قالوا: المسلمون، فقالوا: "مَنْ أَنْتَ؟" قال: "رَسُولُ اللَّهِ". فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلْهَذَا حَجٌّ؟ قال: "نَعَمْ، وَ لِكَ أَجْرٍ".
181	عبد الله بن زيد	يا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَ كُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي، وَ كُنْتُمْ عَالَةً فَأَعَانَكُمْ اللَّهُ بِي...، كَلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرٌ
182	ابن عباس	عن ابن عباس رضي الله عنه: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ خَيْلًا تَخْرُجَ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُعَيَّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟" قالوا: نَعَمْ مَا جَرَبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قال: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"
183	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله "ص" يقول: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ حَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟" قالوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْحَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا".
184	سالم بن عبد الله بن أبيه	عن سالم بن عبد الله بن أبيه أنه أخبره: أنه سمع رسول الله "ص" يقول: "إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِي مَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أَوْ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أَوْ بَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أَوْ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأَعْطَيْنَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيُّ رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ هؤُلَاءِ قِرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ وَ أَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، وَ نَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَجَلًا؟، قال: "قال الله عز وجل" هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟، قالوا: لا، قال: "هُوَ فَضْلِي أَوْ تَيْبِهِ مَنْ أَشَاءُ".
186	يحيى بن سعيد	عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله "ص"

	الأنصاري	: "ألا أخبركم بخير دُورِ الأنصار"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "بُنُو النَّجَارِ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ بُنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ بُنُو الْحَارِثِ بْنِ الْحَزْرَجِ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ بُنُو سَاعِدَةَ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَقَبِضَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالرَّامِي بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: "وَ فِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ".
187	أبو هريرة	عن أبي هريرة، قال:..... قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات و النعيم المقيم، قال: كيف ذلك؟ قالوا: صلّوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، و أنفقوا من فضول أموالهم، و ليست لنا أموال، قال: أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَمْرٍ تُدْرِكُونَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَ تَسْبِقُونَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكُمْ، وَ لَا يَأْتِي أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتُمْ بِهِ إِلَّا مَنْ جَاءَ بِمِثْلِهِ؟ " تُسَبِّحُونَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَ تُحْمَدُونَ عَشْرًا وَ تُكَبِّرُونَ عَشْرًا
189	أسامة بن زيد	عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ "ص" إِلَى الْحَرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَ لَحِقْتُ أَنَا وَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشَيْنَاهُ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ عَنْهُ، فَطَعَنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا، بَلَغَ النَّبِيُّ "ص"، قَالَ: يَا أُسَامَةُ: "أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟" قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّدًا... فَمَا زَالَ يُكْرِمُهَا، حَتَّى تَمَنَيْتُ أَبِي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ....
190	عائشة رضي الله عنها	عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ قَرِيشًا أَهْمَهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يَكْلِمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ "ص" فَقَالُوا: وَ مَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ "حَبِ رَسُولِ اللَّهِ "ص" فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ "ص": "أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ فِي اللَّهِ؟" ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَ أَيْمَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا..."
193	ابن شهاب	عن ابن شهاب قال: أَخْبَرَنِي سَالِمٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِهَا أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَ هِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ "ص" فَتَعَيَّظَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ "ص" ثُمَّ قَالَ: لِيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ يُمْسِكُهَا حَتَّى تَطْهَرُ، ثُمَّ تَحِيضُ حَتَّى تَطْهَرُ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيَطْلُقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسَسَهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ..."
193	أنس بن مالك	عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله "ص" حين جاءه أصحابه يهودونه، صلى بهم جالساً و هم قيام، فلما سلم قال: "إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَ إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا
195	أبو هريرة	عن أبي هريرة أَنَّ رَجُلًا مِنْ "أَسْلَمَ"، أَتَى النَّبِيَّ "ص" وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا

		رسول الله إن الآخر قد زنى، يعني نفسه، فأعرض عنه، فتنحى لشق وجهه الذي أعرض قبله، فقال يا رسول الله إن الآخر قد زنى، فأعرض عنه.... فتنحى له الرابعة، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه، فقال: هل بك جئون؟ قال: لا، فقال "ص": " اذهبوا به فارجموه... " و كان قد أحصن
195	أبو هريرة	فرجمناه بمصلى المدينة، فلما أذلقته الحجارة جمر "أسرع هاربا"، حتى أذركناه بالحرّة، فرجمناه حتى مات "، و في حديث آخر: "... فأمر به أن يرحم في المصلى، فلما أذلقته الحجارة جمر، حتى أذرك بالحرّة فقتل"
196	عائشة رضي الله عنها	عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله "ص" كان إذا أتى مريضا، أو أوتي به عنده يمسح بيده اليمنى و يقول: اللّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ اذْهِبِ البَّاسَ، اشْفِهِ وَ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَمًّا..."
197	ابن عباس	عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي "ص" دخل الخلاء، فوضعت له وضوءا، فقال "ص": "من وضع هذا؟ فأخبر به، فقال: "اللّهُمَّ فقّهه في الدين"
198	ابن عباس رضي الله عنهما	عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي "ص" يدعو من الليل: "اللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ... اللّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَ بِكَ أَمَنْتُ، وَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْكَ أُنْبِتُ، وَ بِكَ خَاصَمْتُ، وَ إِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ"
199	شداد بن أوس	عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي "ص" قوله: " سيّد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت، خلقتني و أنا عبدك، و أنا على عهدك و وعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ و أبوء لك بذنبي....."
200	أبو هريرة	"من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت....."
200	عائشة رضي الله عنها	عن عائشة رضي الله عنها أنّ أبا بكر دخل عليها و عندها جاريتان في أيام "مئى" تدفقان و تضربان، و الرسول "ص" متعشّ في ثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشفت النبي "ص" عن وجهه و قال: "دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام العيد، و تلك الأيام أيام مئى.."
201	عبد الله بن عباس	عن عبد الله بن عباس و انفرد بروايته الترمذي، قال: كنت خلف النبي "ص" يوما، فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات، أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، و إذا استعنت فاستعن بالله، و أعلم لو أنّ الأمة...". و في رواية أخرى: أحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرّحاء

		يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ ، وَ اعْلَمَ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ ، وَ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُحِطِّطَكَ ، وَ اعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَ أَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَ أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا..".
203	أبو شريح العدوي	أبي شريح العدوي قال: سمعتُ أذُنَيَّ وَ أبصرتُ عَيْنَيَّ، حينَ تكَلَّمَ النَّبِيُّ "ص" فقال: "من كان يؤمنُ باللهِ و اليومِ الآخرِ فليُكْرِمْ جَارَهُ، و من كان يؤمنُ باللهِ و اليومِ الآخرِ فليُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ؟ قال: "و ما جائزَتُهُ يا رسولَ الله". قال: "يومٌ و ليلةٌ و الضيافة ثلاثة أيام" ، فما كان وراء ذلك فهو صدقةٌ عليه...
204	عبد الله بن عمر	عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله "ص" قال: "إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: <u>أَحْيُوا</u> مَا خَلَقْتُمْ
205	أبو زرعة	عن أبي زرعة" قال: دخلتُ مع أبي هريرة دارًا بالمدينة فرأى أعلاها مُصَوَّرًا يُصَوَّر، قال: سمعتُ رسولَ الله "ص" يقول: "و من أظلم من ذهبٍ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فليُخْلَقُوا حَبَّةً، و ليُخْلَقُوا دَرَّةً"
206	عمرو بن أبي سلمة	عن عمرو بن أبي سلمة إذ يقول: كنتُ غَلامًا في حجرِ رسولِ الله "ص"، و كانت يدي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ الله "ص": "يا غلامُ، سَمِّ اللهَ و كُلِّ بِيَمِينِكَ، و كُلِّ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طُعْمَتِي بَعْدُ...". و قال أنسُ: قال النبي "ص": "ادْكُرُوا اسْمَ اللهِ، و لِيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ..".
208	أبو هريرة رضي الله عنه	عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله "ص" قال: "لا تَلْقُوا الرُّكْبَانَ و لا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، و لا تَنَاجَشُوا، و لا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، و لا تُصَرُّوا الْعَنَمَ ، وَ َمِنَ ابْتِاعِهَا فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَخْتَلِبَهَا : إِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا ، و إِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ...
209	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه" أن رجلاً قال للنبي "ص" "أَوْ صِنِّي"، قال: "لا تَعْضَبْ، فَرَدَّدَ مَرارًا، قال: "لا تَعْضَبْ"
210	عبد الرحمن بن سُمرة	عن عبد الرحمن بن سُمرة، الذي قال: قال رسول الله "ص" "لا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، و إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا، و إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَ كَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ"
211	أبو قتادة	عن أبي قتادة رضي الله عنه. قال: بينما نحنُ نُصَلِّي مع النَّبِيِّ "ص" إذ سَمِعَ جَلْبَةَ رِجَالٍ ، فَلَمَّا صَلَّى، قال: "ما شأنُكُمْ؟" قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: "فَلَا تَفْعَلُوا"، إذا أتيتُم الصلاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ ، فما أدركتُم فَصَلُّوا و ما فاتكم فأتوا

212	أبو بكر الصديق	قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله "ص" لما رأى سُرَاقَةَ بِنَ مالِك يَتَّبِعُهُمْ ، و هم في طريق المحجرة ، فقال للرسول: أَيُّنَا يا رَسُوْلَ اللهِ ، فقال الرِّسُول "ص" لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا
213	أبو هريرة	لا تخبروني في موسى فان لا تفضلوا بين أنبياء الله .
214	المعمر	عن المعمر قال : لقيت أبا دَرِّ "بالزبدة" ، عليه حُلَّةٌ وعلى غُلَامِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عن ذلك فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأَمِّهِ ، فقال لي النَّبِيُّ "ص" : يا أبا دَرِّ أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ ، إِنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهليَّةٌ ، إخوانكُم خولكُم ، جعلهم الله تحت أيديكُم ، فَمَنْ كان أخوه تحت يده فليطعمه ممَّا يأكل ، و ليلبسه ممَّا يلبس ، ولا تُكَلِّفُوهم ما يغلبهم
215	أسامة بن زيد	عن أسامة بن زيد حين بُعث إلى "الحرقه" ، وما وقع منه حين قتل الأنصاري برحمة ، فقال الرسول ص : يا أُسَامَةُ أَقْتَلْتَهُ بعد أن قال : لا اله إلا الله
216	معاذ بن جبل	عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، الذي قال : كنت ردف رسول الله على حمار يقال له "عُفَيْرٌ" ، فقال الرسول ص : "يا معاذُ ، هل تَدْرِي ما حقُّ العبادِ على الله ، ما حقُّ العبادِ على الله ؟ ، قلت : الله و رَسُوْلُهُ أَعْلَم ، قال : إِنَّ حقَّ الله على العبادِ أن يَعْبُدُوهُ ، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا ، وحقُّ العبادِ على الله أن لا يعِدَّ من لا يُشْرِكُ به شيئًا ..
217	عائشة رضي الله عنها	اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وَارْحَمْنِي وَأَحْفِنِي بِالرِّفْقِ الْأَعْلَى
217	قتادة رضي الله عنه	عن قتادة رضي الله عنه ، قال : سمعتُ أَنَسًا ، قال : قالت أمُّ سليم للنبي "ص" : "أَنْسُ خَادِمِكَ ، فقال النَّبِيُّ "ص" : "اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وباركْ لَهُ فيما أَعْطَيْتَهُ .
219	أبو بكر رضي الله عنه	عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قلت للرسول "ص" وأنا في العارِ ، لو أنّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال الرِّسُول "ص" : ما ظنُّكَ يا أبا بَكْرٍ باثنين الله ثَالِثُهُما
219	عائشة رضي الله عنها	عن عائشة رضي الله عنها... قالت بعد أن كان الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة ، قالت عائشة : فاجتمع صواحي إلى "أم سلمة" فقلن : يا أم سلمة والله إنّ الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة ، وأنّا نريد الخير كما تريده عائشة ، فمرّ رسول الله أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما ما كان أو حيثما مدار ، قالت : فذكرت ذلك أم سلمة إلى رسول الله "ص" قالت : فأعرض عني ، فلمّا

		عاد إلي ذكرتُ له ذلك فأعرض عني ، ولما عاد في الثالثة ذكرت له ، فقال : "يا أم سلمة لا تُؤذني في عَائِشَةَ ، فإنه والله ما نزل الوحي علي وأنا في لحاف امرأةٍ منكُنْ غَيْرَهَا
220	أبو موسى الأشعري	عن أبي موسى الأشعري بعد عرض الجدل الذي كان قائما بين عمر و أسماء بنت عميس رضي الله عنهما ... فلما جاء النبي "ص" قال : يا نبي الله إنَّ عُمْرًا قال كَذَا وَكَذَا ، قال : "فما قُلْتَ له ؟ قال : قلتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ لَيْسَ بِأَحَقَّ بي مِنْكُمْ ، فَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ - أَهْلَ السَّفِينَةِ - هَجْرَتَانِ
220	أبو طلحة رضي الله عنه	يرويه أبو طلحة رضي الله عنه في شأن قذف أربعة و عشرين رجلا من صناديد قريش في طوي من أطواء بدر ، خبيث مُحَبَّبٌ ... حتى قام على شقَّةِ " الرِّكْبِي " فجعل يُناديهم بأسمائهم : "يا فلان بن فلان ، يا فلان بن فلان ... " وقال ابن حجر : "فنادى يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام " ، أَيَسْرُكُمْ أَتُكْم أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَنْتُمْ أَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ (ردًا على عمر حين استغرب حديث رسول الله إلى الموتى) ... قال قتادة : أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ (الرسول) تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَ نِقْمَةً وَ حَسْرَةً وَنَدَمًا
259	أنس بن مالك رضي الله عنه	عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ النبي "ص" بامرأةٍ تبكي عند قبر ، فقال : "اتقي الله واصبري " ، قالت: إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ "ص" فَلَمْ يَجِدْ عنده بَوَائِبِينَ ، فقالت: لَمْ أَعْرِفْكَ ، فقال : إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى .
260	عبد الله بن عمر	عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : بَعَثَ النَّبِيُّ "ص" بَعْثًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ "ص" : إِنْ تَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِ ، وَ أُمُّ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ ، وَأَنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَ إِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ
262	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي "ص" قال : "سبعة يُظْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَ رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلِّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَ رَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَ تَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَ جَمَالَ فَقَالَ : إِيَّيْ أَخَافُ اللَّهَ ، وَ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا

		ففاصت عينا
263	معاذ بن جبل	عن معاذ رضي الله عنه قال: " قلت يا رسول الله احبرني بعمل يدخلني الجنة و يباعدي من النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم ، و إنه ليسيرٌ على من يسره الله عليه ، تعبد الله لا تشرك به شيئا ، و تقيم الصلاة ، و تؤتي الزكاة ، و تصوم رمضان و تحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، و الصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار ، و صلاة الرجل في جوف الليل ... ثم تلا قوله تعالى : " تتحاف جنوبهم... يعملون " ، ثم قال : ألا أُخبرك برأس الأمر ، و عموده و ذروة سنامه؟ قلت بلى ، يا رسول الله ، قال: رأس الأمر الإسلام ، و عموده الصلاة و ذروة سنامه الجهاد
267	أبو موسى الأشعري	عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل العيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقيّة ، قبلت الماء ، فأنبتت الكلا ، و العشب الكثير ، و كانت منها أجادب ، أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشرّبوا و سقوا و زرعوا ، و أصابت منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان ، لا تمسك الماء و لا تنبت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله و نفعه ما بعثني الله تعالى به فعلم و علم ، و مثل من لم يرفع بذلك رأسا ، و لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به .
269	أبو موسى الأشعري	متلي و مثل ما بعثني الله به ، كمثل رجل أتى قوما فقال : " يا قوم ، إني رأيت الجيش بعيني ، و أنا " النذير العريان " فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة (أطاعه) فأدبوا على مهلبهم فنجحوا ، و كذبت طائفة فصبّحهم الجيش فاجتاحهم " ، (طرف الحديث في البخاري : فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، و مثل من عصاني و كذب ما جئت به من الحق .
271	عبد الله بن عمر	" صم صوم نبي الله داوود ... كان يصوم يوماً و يفطر يوماً ، و لا يفتر إذا لاقى
272	لعمر بن الخطاب	عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال : " حملت على فرس في سبيل الله ، فأضاعه الذي كان عنده ، فأردت أن أشتريه ، و ظننت أنه بائع برخص ، فسألت النبي صلى الله عليه و سلم ، فقال : " لا تشتريه " ، و " لا تعد في صدقتك " و إن أعطاكه بدرهم ، فإن العائد في صدقته كالعائد في قبيته ، و في رواية يعود في قبيته "
273	الرسول ص	اللهم صلِّ وسلِّم على محمد وآل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد

277	أبو شريح	قوله "ص" عن أبي شريح أن النبي "ص" قال: "والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن... قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه
278	أبو هريرة	. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قَالَ إِسْبَاحُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ
279	عبد الرحمان بن أبي بكر	عن عبد الرحمان بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال النبي "ص" أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا. قالوا: بلى يا رسول الله فقال: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ... -وَجَلَسَ وَكَانَ مَتَكِّمًا -: فَقَالَ : أَلَا وَقَوْلَ الرَّؤُوفِ؛ فَمَا زَالَ يُكْرِمُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ
280	إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة	. عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه "بيرحاء"، وكانت مستقبله المسجد، وكان رسول الله "ص" يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت الآية: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)، قام أبو طلحة إلى النبي "ص" فقال: يا رسول الله إن الله تبارك و تعالی يقول: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وأن أحب أموالي إلي "بيرحاء"، وإيها صدقة لله، أرجو برّها ودخرها عند الله، فصعها يا رسول الله، حيث أراك الله، قال: قال الرسول "ص" "بيخ، ذلك مال رايخ، ذلك مال رايخ، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين
281	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله "ص" فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك..
282	الرسول ص	:.... لا تقاطعوا، لا تدابروا، لا تباغضوا، لا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا
282	الرسول ص	لا تحاسدوا، لا تناجشوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا
282	أبو هريرة	المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، التقوى ها هنا - يُشير إلى صدره "ص" ثلاث مرّات-، بحسب أمريء من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، ماله، عرضه....

282	أبو موسى الأشعري	عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ ، ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تُجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تُجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً.
283	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ "ص" قَالَ: مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : "اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ :اللَّهُمَّ اعْطِ مُسْكًا تَلَقَّا
288	جابر بن عبد الله	عن جابر رضي الله عنه قال: قال الرسول "ص": " مَثَلِي وَمِثْلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ النَّارَ وَجَعَلَ الْجِنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا ، وَ أَنَا آخِذٌ بِحَجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفْلُتُونَ مِنْ يَدِي
290	عبد الله بن مسعود	عن عبد الله بن مسعود... "لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من رجلٍ نزل منزلاً وبه مهلكةٌ ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومةً، فاستيقظ وقد ذهبَت راحلته، ثم اشتد عليه الحرُّ والعطشُ أو ما شاء الله، قال: أَرَجِعْ إِلَى مَكَانِي، فَارْجِعْ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ... فَأَخَذَ بِحُطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ
290	الرسول ص	يا أَيُّهَا النَّاسُ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَعْفِرُوهُ فَلَا يَغْفِرَ لَكُمْ، إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ لَا يَقْرِبُ أَجْلًا، وَأَنَّ الْأَخْبَارَ مِنَ الْيَهُودِ وَالرُّهْبَانِ مِنَ النَّصَارَى لَمَّا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ وَعَمَّهُمُ الْبَلَاءُ
292	أبو مسعود عقبة	عن أبي مسعود عقبة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم " إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ
292	المقدام بن عمر	عن المقدم رضي الله عنه: عن الرسول "ص" قال: ما أَكَلْتُ أَحَدًا طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِي، وَأَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِي
293	أبو هريرة	عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ "ص" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَأَتْهَا؟، قَالَ: حَمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزُقٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَبَى ذَلِكَ؟ قَالَ : لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ

294	أبو هريرة رضي الله عنه	<p>عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله "ص": إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أَحْبَبُهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتَهُ، وَلَمَنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ</p>
295	الرسول ص	<p>الحمد لله أحمدته وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلُهُ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَاللَّهُ لَتَمُوْثُونَ كَمَا تَتَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتَحَاسِبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَإِنَّهَا الْجَنَّةُ أَبَدًا أَوْ النَّارُ أَبَدًا.</p>
298	أبو سعيد الخدري	<p>عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله "ص" قام على المنبر، فقال: إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، ثُمَّ ذَكَرَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا فَبَدَأَ بِأَحَدَاهُمَا ثُمَّ نَتَّى بِالْأُخْرَى، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ "ص" (قلنا: يُوحَى إِلَيْهِ)، وَسَكَتَ النَّاسُ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ، ثُمَّ إِنَّهُ مَسَحَ عَلَى وَجْهِهِ الرُّحَضَاءَ، فَقَالَ: أَيُّنَ السَّائِلِ أَنْفَاءَ، أَوْ خَيْرٌ هُوَ - ثَلَاثًا - إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَأَنَّهُ كُلُّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يُقْتَلُ حَبَطًا أَوْ يُلْمُ، إِلَّا أَكَلَهُ الْحَضِرُ كُلَّمَا أَكَلَتْ، حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسُ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ ثُمَّ رَتَعَتْ، وَأَنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمَسْلَمِ لَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ فَهُوَ كَالْأَكْلِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ</p>
299	أبو سعيد الخدري	<p>عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خاطب قائلاً: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَدْ بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِكُمْ فِي هَذِهِ الْمَعَانِمِ الَّتِي آتَرْتُمْ بِهَا أَنْفُسًا أَنْتَأَلْفُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، لَعَلَّهُمْ أَنْ يَشْهَدُوا بَعْدَ الْيَوْمِ، وَقَدْ أَدْخَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِيمَانِ، وَحَصَّكُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ، أَنْصَارَ اللَّهِ، وَأَنْصَارَ رَسُولِهِ... وَلَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًّا وَسَلَكَتُمْ وَادِيًّا لَسَلَكَتُمْ وَادِيًّا لَسَلَكَتُمْ وَإِدْيَكُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ "ص" إِلَى رِحَالِكُمْ.... ثم قال: أَجِيبُونِي فِيمَا قُلْتُمْ؟ فَقَالَ الْأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَجَدْتَنَا فِي ظُلْمَةٍ فَأَخْرَجَنَا اللَّهُ بِكَ إِلَى النُّورِ، وَجَدْتَنَا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَنَا اللَّهُ بِكَ، وَوَجَدْتَنَا ضَلَالًا فَهَدَانَا اللَّهُ بِكَ، وَقَدْ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَاصْنَعْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا</p>

		<p>شئت... فقال رسول الله "ص" : والله لو أحببتموني بغير هذا القول لقلت صدقتهم؛ لو قلتهم : ألم تأتينا طريداً فأوتيناك، ومكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وقيلنا ما رد الناس عليك... لو قلتهم هذا صدقتهم ، فقالت الأنصار: بل لله ورسوله المن، ورسوله المن والفضل علينا وعلى غيرنا ، ثم بكوا فكثر بكاءهم، وبكى النبي صلى الله عليه وسلم معهم.</p>
--	--	--

3/ فهرس الآيات الشعرية الواردة في البحث :

صفحة وروده	صاحبه	البيت الشعري
12	عمر بن أبي ربيعة	فوالله ما أدري وإن كنت داريا يسبع زمين الحجر أم بيمان؟
12	الكميت الأسدي	طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني ودو الشيب يلعب؟
12	عدي بن زيد	أيها الشامئ المعير بالدهر أأنت المير المؤفور؟
13	/	حلم على جنات الشام أم عيد لا لهم هم ولا التسهيد تسهيد
13	حافظ إبراهيم	من المداوي إذا ما علة عرضت؟ من المدافع عن عرض وعن نشب؟
14	الفرزدق	إلى الله أشكو بالمدينة حاجة وبالشام أخرى كيف يلتقيان؟
15	حافظ إبراهيم	متى نراه وقد باتت خزائنه كنزاً من العلم لا كنزاً من الذهب؟
15	/	أنا ابن جلا و طلاع التنايا متى أضع العمامة تعرفوني
16	الفرزدق	تنظرت نصراً والسماكين أيهما علي من العيث استهلكت مواطيه
18	امرئ القيس	أ فاطم مهلاً بعض هذا التدل وإن كنت قد أزمعت صريري فأجلي
18	امرئ القيس	تقول وقد مال العيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرئ القيس فأنزل
19	/	ألم تسمعي أي عبد في رونق الضحى بكاء حمامات هن هدير
19	ابن مالك	وللمنادى الناء أو كالتاء "يا" و"الهمزة اللداني" و"وا لمن ندب و"أي" و"أ"، كذا "أيا" ثم "هيا". أو "يا" وغير "وا" لدى اللبس اجتنب
20	ابن مالك	وابن "المعرف" المنادى "المفرد" على الذي في رفعه قد عهدا
20	ابن مالك	والمفرد المنكور. و المضافا انصب ، عادما خلافا
22	مروان بن الحكم	"ودع" المدينة إنها مرهوبة و"اعمد" ملكة أو لبيت المقدس. نكرأ مثل صحيفة المتلمس "الن" الصحيفة يا فرزدق إذ ها

23	أبو تمام	فَلَيْسَ لِعَيْنٍ مُمْ يَفِضُ مَأْوَها عُدْرُ	كذا فَلْيَجِلْ الحَطْبُ وَلِيَفْدَحِ الأَمْرُ
23	قطري بن الفجاءة	فَمَا نَيْلُ الحُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ.	فَصَبْرًا فِي مَجَالِ المَوْتِ صَبْرًا
23	/	صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكَلَانَا مُبْتَلَى.	يَشْكُو إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى
24	/	زَمَامَهُ النَفْسُ عَاشَ الدَّهْرَ .مذمومًا	عَلَيْكَ نَفْسَكَ هَدَّيْتَهَا فَمَنْ مَلَكَتْ
27	جرير	لَا يَلْفَيْنَكُمُ فِي سَوَاءِ عُمَرِ	يَاتِيكُمْ ،تِيْمٌ عُدَي لا أَبَا لَكُمْ
36	أبو طالب	تَمَّأُ اليتامى عَصْمَةٌ لِلأراملِ	وَابْيَضُ يُسْتَسْقَى العَمَامُ بِوَجْهِهِ
98	/	و نَارٍ تُوقَدُ بِاللَّيْلِ نَارَا	أَكَلُ امرئٍ تُحْسِبِينَ امرئاً
101	/	وَ لَوْ تَعَرَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارِ	إِذَا تَعَتَّى الحَمَامُ الوُزُقَ هَيَّجَنِي
103	/	أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى المَتَقَاعِسِ	تَقُولُ - وَ صَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا-
113	/	بِسِقْطِ اللُّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ	قَمًا نَبَكِ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَ مَنْزِلِ
125	/	كَالنَّوْمِ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى سِوَى المَقْلِ	لَا يَنْزِلُ المَجْدُ إِلَّا فِي مَنَازِلِنَا
143	/	وَقد كَثُرَتْ حَوْلَ الوُكُورِ المَطَاعِمُ	تَدُوسُ بِكَ الخَيْلُ الوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
144	المتنبي	وَكلُّ مَكَانٍ يُنْبِئُ العَزَّ طِيبِ حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ	وَكلُّ امرئٍ يُؤَلِّي الجَمِيلَ مُحِبُّ لَا يَسْلُمُ الشَّرْفُ الرَفِيعُ مِنَ الأَذَى
144	أبو العلاء المعري	مِثْلَ الَّذِي بَيِّقِينَ الحَقَّ يُبْكِينِي فَمَا تَرَكَو مَدَى الدَّهْرِ الفِرْعَوُ حَذَارًا مِنْ أَحَادِيثِ الرِّفَاقِ	إِنَّ الَّذِي بِمَقَالِ الزُّورِ يُضْحِكُنِي إِذَا مَا الأَصْلُ أَلْفٌ غَيْرَ زَاكِ وَقد يَغْشَى الفَتَى الجُحْجُجَ المَنَايَا
179	/	وَ لَا تَصَدَّقْنَا وَ لَا صَلِّينَا وَ ثَبَّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقِينَا	اللَّهِمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اتَّقِينَا
196	المتنبي	فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَا	أَرْزَلُ حَسَدَ الحُسَادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ
204	/	وَ هَاتُوا كَرِيمًا مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ البَذْلِ	أُرُونِي بِخِيَالٍ طَالَ عُمُرًا يُبْخَلُهُ

4/ قائمة المصادر و المراجع المعتمدة في البحث :

01 . القرآن الكريم ، برواية حفص بن سليمان عن عاصم بن أبي النجود، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة .

02 . المصادر :صحيح البخاري :أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ضبطه ورقمه ،وذكر تكرار مواضعه ،وشرح ألفاظه وجمله ، وخرّج أحاديثه في صحيح مسلم ، ووضع فهارسه الدكتور :مصطفى ديب البغا ،موفم للنشر ،دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة الجزائر 1992 .

03 .المراجع :

1. إبراهيم فتحي ،معجم المصطلحات الأدبية، دار شقيقات للنشر و التوزيع، القاهرة ط1/2000.
2. إبراهيم مصطفى ،إحياء النحو، مطبعة النهضة ،مصر ط1، 1955.
3. الإبراهيمي خولة طالب ،مبادئ في اللسانيات ،دار القصة للنشر الجزائر ط1/2000.
4. ابن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي مصر 1960.
5. أحمد محمد قدور ،مبادئ اللسانيات ،دار الفكر دمشق 1419هـ.
6. أحمد مختار عمر ،علم الدلالة ،عالم الكتب القاهرة ط4/1993.
7. الأصفهاني الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، منشورات دار الفكر العربي د ت
8. أعراب حبيب ،الحجاج و الاستدلال الحجاجي ،عناصر استقصاء نظري ضمن كتاب الحجاج مضمونه و مجلاتهن إعداد حافظ إسماعيل علوي عالم الكتب الحديث الأردن 2001.
9. الآمدي علي بن محمد ، الإحكام في أصول الأحكام ،دار الحديث القاهرة ط1/1404هـ.

10. آن روبول، جاك موشلار ،التداولية اليوم علم جديد في التواصل ،ترجمة سيف الدين دغفوس ، دار الطليعة بيروت ط1/2003.
11. الأوسي قيس إسماعيل ، أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين ،بيت الحكمة بغداد، 1988
12. آيت أوشان علي ،السياق والنص الشعري من البنية الى القراءة ،مطبعة النجاح الدار البيضاء ط1/2000.
13. الباجي أبو الوليد ،المنهاج في ترتيب الحجاج ،تح:عبد الحميد تركي دار المغرب الإسلامي لبنان ط3/2000.
14. الباقلائي أبو بكر ،إعجاز القرآن ، تحقيق :السيد صقر، دار المعارف ط5 د.ت.
15. بالطاهر عيسى ،أساليب الإقناع في القرآن الكريم ،الدار البيضاء ط1 /2000.
16. بحيري سعيد حسن ،علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات ،الشركة المصرية العالمية للنشر ط1 /1997.
17. بركة بسام،علم الأصوات العام (أصوات العربية) ،مركز الإنماء القومي ،بيروت د.ط.
18. بسيوني عبد الفتاح ،بلاغة تطبيقية ،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ط1/2010.
19. بشر كمال ، دراسات في علم اللغة ،دار المعارف ،مصر ط2 /1971.
- علم اللغة الاجتماعي ،دار غريب للطباعة و النشر ،القاهرة ،ط3 /1997.
20. أبوبكر جابر الجزائري ،منهاج المسلم ،دار الفكر ،ط2/1976.
21. بلخير عمر ،التناول التداولي للخطاب الأدبي ، مجلة القصة ،ع2/1999.
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التوليدية منشورات الاختلاف ،ط1/2003.
22. بليق عز الدين ،منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء و المرسلين ،دار الفتح بيروت 1981.
23. بوحادي خليفة ،في اللسانيات التداولية ،بيت الحكمة للنشر و التوزيع ط1/2009.
24. بوقرة نعمان ،اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث ، الأردن ط1/2009.
25. بيار أشار ،سوسيلوجيا اللغة ، تحقيق: عبد الوهاب تزو ، منشورات عويدات بيروت لبنان 1955.
26. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الكتب العلمية ط1 1999.
27. التفتازاني سعد الدين ،المختصر على تلخيص المفتاح ،الباني الحلبي ،مصر دت ، د.ط.
28. تمام حسان ، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي ، عالم الكتب القاهرة ، ط1/2000.
- البيان في روائع القرآن ،دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني،عالم الكتب ،ط2 /2000.
- اللغة بين المعيارية و الوصفية ، عالم الكتب، القاهرة ط1 /2001.

- مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة د.ط. 1959.
- اللغة العربية معناها و مبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 2 / 1972
29. التويجي محمد ، راجي الأسمر ، المعجم المفصل في علوم اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 1 / 1993.
30. ثويني حميد ادم ، البلاغة العربية المفهوم و التطبيق ، دار المناهج للنشر ، عمان الأردن ط 1 / 2007.
31. الجاحظ أبو عثمان ، البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل 1990.
32. جحفة عبد المجيد ، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، دار توبقال للنشر ، المغرب 1999.
33. الجرجاني الشريف علي بن محمد ، الإشارات و التنبهات في علم البلاغة تعليق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1/2000.
34. الجرجاني الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات تح عبد الرحمن عميرة عالم الكتب بيروت ط 1 1987.
35. الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تعليق : محمود محمد شاكر مكتبة الخانفي القاهرة ط 5 2004/.
- أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، دار المدني جدة د.ت.
36. جميل عبد الحميد ، البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ط 1/2000.
37. ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ط 4 / 1999.
38. جون أوستن ، نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف ننجز الأشياء بالكلمات ترجمة : عبد القادر قيني، إفريقيا الشرق د.ط . 1991.
39. جون ليوتر ، اللغة و المعنى و السياق ، ترجمة:عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط 1/87.
40. الجويني ، البرهان في أصول الفقه ، تحقيق عبد العظيم محمود، دار الوفاء مصر ، ط 4/1418هـ.
41. جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة :محمد يحياتن د م ج 1992.
42. الحباشة صابر ، التداولية و الحجاج ، مداخل و نصوص ، دمشق سوريا ط 1 / 2008.
43. حبص محمد يوسف ، البحث الدلالي عند الأصوليين ، مكتبة عالم الكتب، القاهرة ط 1/1991.
44. حسن جمعة ، جماليات الخبر و الإنشاء دراسة جمالية نقدية منشورات اتحاد العرب دمشق 2005.
45. الحسيني أبو البقاء أيوب بن موسى الكليات ، مكتبة البوق ط 1 1281هـ.
46. حلمي خليل ، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية ط 2/1998.

47. الحمزاوي محمد أبو العلا، الخصائص البلاغية للبيان النبوي، مكتبة الرشد 2007.
48. الحنبلي ابن رجب، جامع العلوم، تح صلاح عريضة دار المنار القاهرة
49. حيدر فريد عوض، سياق الحال في الدرس الدلالي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1998.
50. ابن الخشاب، المرتجل، تحقيق: علي حيدر دمشق 1972.
51. خطابي محمد، لسانيات النص مدخل الى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، المركز الثقافي العربي المغرب ط 1991/1.
52. الخطيب عبد الكريم، إعجاز القرآن، دار الفكر العربي القاهرة، ط 1/د، ت.
53. الخطيب محمد عجاج، أصول الحديث علومه و مصطلحاته، دار الفكر للطباعة و النشر ط 4 1981 -الوجيز في علوم الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية الجزائر 1984.
54. خفاجي محمد عبد المنعم، عبد العزيز شرف الدين، نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب القاهرة .
55. خلاف عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط 3 د، ت.
56. ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة، تحقيق محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي بيروت 2005.
57. خلية البحث التربوي، الحجاج في درس الفلسفة، إفريقيا الشرق المغرب ط 1/ 2006.
58. خليل عبد المنعم، السياق بين القدامى و المحدثين، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية 2007.
59. الخولي محمد علي، معجم اللغة النظري، مكتبة لبنان بيروت ط 1/1982.
60. درويش الجندي، علم المعاني، مطبعة نهضة مصر د.ت.
61. ابن دريد، جمهرة اللغة، مؤسسة الحلبي للنشر و التوزيع، د.ط..
62. دريدي سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم عالم الكتب الحديث، اريد لبنان ط 1/ 2008.
63. دفة بلقاسم بنية الجملة الطلبية ودلالاتها في السور المدنية، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر ط 1/2008.
64. الرافي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية، صيدا بيروت 2009 -إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2008.
65. الزجاجي أبو القاسم، حروف المعاني، تحقيق: علي الحمد، مؤسسة الرسالة 1984.
66. الزركشي برهان الدين، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، ط 2 1972.
67. الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت 1998. -الكشاف عن حقائق التنزيل، مطبعة البوق مصر 1281 هجرية .

68. الزناد الأزهر ، دروس في البلاغة العربية ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء بيروت ط1 /1992.
69. الزنكي نجم الدين كريم ،نظرية السياق ، دراسة أصولية ، دار الكتب العلمية 2006.
70. زوين علي ،منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث ،دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1986.
71. ساسي عمار ، المدخل إلى النحو و البلاغة في إعجاز القرآن الكريم ، عالم الكتب الأردن د ط/ 2007.
72. السبعواوي طه أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ،دار الكتب العلمية بيروت ط1 /2001.
73. ستيفن أولمان ،دور الكلمة في اللغة ، ترجمة: كمال بشر مكتب الشهاب ط1 /1986.
74. ابن السراج أبو بكر محمد ،الأصول في النحو ،تح: الحسين الفتلي ،مطبعة النعمان النجف 1973.
75. السعران محمد، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ،دار الفكر العربي القاهرة ط2 /1997.
76. سعودي النواري أبو زيد) ، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ و الإجراءات ،بيت الحكمة ط1/2009.
77. السكاكي أبو يعقوب ،مفتاح العلوم ، تح عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2/ 2011.
78. سيوييه) ، الكتاب، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل ،بيروت ط 1. / 1988 .
79. السيوطي جلال الدين ،همع الهوامع ،تح: عبد العال سالم مكرم ،بيروت ط2/1987.
80. شاهر الحسن ،علم الدلالة السمانتكية و البراغماتية في اللغة العربية ،دار الفكر ،عمان ط1/2001.
81. الشاوش محمد ،أصول تحليل الخطاب ،المؤسسة الوطنية للتوزيع ، بيروت ط1 / 2001.
82. ابن الشجري ضياء الدين ، الأماي الشجرية ،دار المعرفة بيروت دت.
83. الشهاوي محمد مجدي ،خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ،المكتبة التوفيقية ، دت.
84. الشهري عبد الهادي بن ظافر،استراتيجيات الخطاب ،مقاربة لغوية تداولية،دار الكتاب الجديد بيروت 2004.
85. الشوكاني محمد بن علي ،إرشاد الفحول الى تحقيق علم الأصول ، تحقيق محمد سعيد البدري ، دار الفكر بيروت ط1/1992.
86. الصابوني محمد علي ، من كنوز السنة ،مكتبة رحاب الجزائر ط2/1986.

87. الصبان محمد بن علي ، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك ، دار إحياء التراث العربي القاهرة. د ت .
88. صحراوي مسعود ،التداولية عند العلماء العرب ،دار الطليعة للطباعة و النشر ط1/2005.
89. الصراف علي محمد ،الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة ،دراسة دلالية ومعجم سياقي ، مكتبة الآداب القاهرة ط1/2010.
90. صلاح إسماعيل ،التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ،دار التنوير للطباعة لبنان ،ط1/1993.
91. صلاح فضل ،بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري القاهرة ط 1/2004.
92. صولة عبد الله ،الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،دار الفارابي بيروت ط2/2007.
- الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال تصنيف في الحجاج (الخطابة الجديدة) د.ت .
93. طاهر سليمان بن حمودة،دراسة المعنى عند الأصوليين،الدار الجامعية للطباعة الإسكندرية 1983.
94. طروس محمد ،النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية ،دار النشر للثقافة ،مطبعة النجاح الدار البيضاء ،المغرب ط 1/2005
95. طه سليمان حمودة ، دراسة المعنى عند الأصوليين ، الدار الجامعية للطباعة الإسكندرية 1983.
96. طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط2/2000.
- تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب 1993.
- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1997.
97. العامر نجيب ،من أساليب الرسول في التربية ، مكتبة البشري الإسلامية ،ط1/1410هـ.
98. عباس حسن ، النحو الوافي ،دار المعارف مصر ط3 د ت .
99. عبد الفتاح أحمد يوسف ،قراءة النص وسؤال الثقافة ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع عمان 1999.
100. عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، دار صفاء للنشر و التوزيع عمان ط1/2002.
101. عتيق عبد العزيز، علم المعاني البيان البديع ،دار النهضة للطباعة والنشر 1970 .
102. عرفة عبد العزيز عبد المعطي ،من بلاغة النظم العربي ، عالم الكتب ،بيروت ط2/1984.
103. العزاوي أبو بكر ،اللغة و الحجاج ،العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ط 1/2006.
- لا تواصل من غير حجاج ،ولا حجاج من غير تواصل ،بيان اليوم، المغرب 2006.

104. عزت علي ، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، القاهرة ، د.ط.1996.
105. العسقلاني ابن حجر ،فتح الباري على شرح صحيح البخاري ، دار الحديث القاهرة 1998.
106. العسكري أبو هلال ، كتاب الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية 1986.
- الفروق في اللغة ، مكتبة القدس ، القاهرة . د ت .
107. عشير عبد السلام ، عندما نتواصل نغير ، مقارنة تداولية لآليات التواصل و الحجاج ، إفريقيا الشرق المغرب 2007.
108. العشير محمد بن مسلم ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ط 1 1989.
109. عصفور جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي لبنان ط 3 / 1993.
110. العقاد عباس محمود ، عبقرية محمد ص ، دار الكتاب العربي ط 1 1971.
111. ابن عقيل بهاء الدين ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، دار إحياء التراث ، القاهرة ط 2 . / 1980.
112. العلوي يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، مراجعة : محمد عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية بيروت ط 1 / 1415 هـ .
113. عمادية خليل أحمد ، في نحو اللغة و تراكيبها ، دار المعرفة جدة ط 1 / 1984.
114. عوض حيدر فريد ، سياق الحال في الدرس الدلالي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1998.
115. عون نسيم ، الألسنية محاضرات في علم الدلالة ، دار الفارابي بيروت ط 1 / 2005.
116. ابن فارس ، الصّاحي في فقه اللغة ، تح : مصطفى الشومبي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت 1964.
- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ط 1 / 1991 .
117. فان ديك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة سعيد بحري ، القاهرة ، مصر ط 1 / 2001.
- النص و السياق ، ترجمة عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق المغرب 2000
118. أبو الفتوح محمد أحمد ، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، دار النهضة العربية ط 1 / 1996.
119. فرانسوا مورو ، البلاغة مدخل الصور البيانية ، إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب 2003.
120. أبو الفرج محمد أحمد ، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، دار النهضة العربية ط 1 / 1996.

121. فرديناند دو سوسير، علم اللغة العام، ترجمة بونيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة و النشر العراق 1988.
122. فرنسواز ارمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعد علوش، مركز الانماء القومي، الرباط 1986.
123. الفقي صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، دار الحكمة .د.ت.
124. فندرايس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي محمد القصاص، القاهرة 1950.
125. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة دمشق سوريا د ت .
126. فيود بيسيوني عبد الفتاح، بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة ط 2010/1.
127. الفيومي أحمد بن محمد علي، المصباح المنير، تح يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت ط 1999
128. القاسمي محمد جمال الدين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية 1332 هـ.
129. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح احمد صقر ط 1973/2.
- - أدب الكاتب تح محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط 4 / 1963.
130. القرضاوي يوسف، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق ط 2004/1.
131. القرطاجني حازم أبو الحسن، منهاج البلغاء، دار المغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط 2 / 1981.
132. القرطبي أبو العباس، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محمد محي الدين، دار ابن كثير دمشق ط 1420/2 هـ
133. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة تح محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السنة المحمدية،
134. قطبي الطاهر، بحوث في اللغة (الاستفهام النحوي)، د،م،ج، ابن عكنون الجزائر جويلية 1994.
135. قطبي سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت لبنان د ت .
136. القيرواني أبو علي بن رشيق، العمدة، شرح وضبط عفيف نايف فاطوم، دار صادر بيروت ط 2003/
137. الكاتبي نجم الدين، الرسالة الشمسية مطبعة الحلبي القاهرة، ط 2/1957.
138. ابن كثير، تفسير ابن كثير، ضبطه، وخرّج آياته: محمود عبد الكريم الدمشقي، دار صبح بيروت ط 2007/
139. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، القاهرة، ط 3/2001.

140. لاشين عبد الفتاح ، المعاني في ضوء أساليب القران ، دار المعارف مصر ط 1976/1.
141. لالاند اندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات بيروت ط 2001/.
142. ابن مالك بن محمد بن عبد الله الأندلسي ، ألفية بن مالك ، المكتبة الشعبية بيروت 2011.
143. المباركفوري صفى الرحمن ، الرحيق المختوم ، دار الكتاب الحديث .
144. المتوكل أحمد ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، منشورات عكاظ الرباط 1987.
145. - الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع المغرب ط 1985/1.
146. مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، القاهرة ط 1 / 1998.
147. محمد أبو موسى ، دلالة التراكيب ، مكتبة وهبة القاهرة ط 2 / 1408 هجرية .
148. محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر و التوزيع د ط 1989.
149. محمد العمري ، الخطابة الجديدة بين التمثيل و التداول إفريقيا الشرق الدار البيضاء ط 1 / 2005.
- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، إفريقيا الشرق المغرب د، ت .
- الخطابة الجديدة بين التمثيل و التداول ، إفريقيا الشرق الدار البيضاء ط 2 / 2005 .
- في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري لدراسة البلاغة العربية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع الدار البيضاء 1998.
149. محمد العيد ، اللغة و الإبداع الأدبي ، دار الفكر للدراسات القاهرة ط 1 1989.
150. محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو و الدلالة ، القاهرة ط 1 / 1983.
151. محمد سعيد أسير ، بلال جنيدي ، الشامل في علوم اللغة ، دار العودة ، بيروت ط 2 / 1975.
152. محمد شمال حسان ، الصورة و الإقناع ، دار الآفاق العربية بيروت
153. محمد كمال حسن ، الصورة و الإقناع ، دار الآفاق العربية بيروت ، ط 1 / 2006.
154. محمد أحمد يوسف ، معجم التشبيهات النبوية في صحيح البخاري ، دار البيان القاهرة ، 1995.
155. محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب ، دار الكتب الجديد بيروت لبنان 2004.
156. المخزومي مهدي ، في النحو العربي نقد و توجيه ، بيروت ط 1 / 1964.
157. مذكور عاطف ، علم اللغة بين التراث و المعاصرة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة 1987.
158. المراغي أحمد مصطفى ، علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 4 / 2007.
159. مرتاض عبد المالك ، نظرية البلاغة ، دار القدس العربي الجزائر ، ط 2 / 2010.

160. مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، 1989
161. مطلوب أحمد ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الجمع العلمي العراقي 1983.
162. منذر عياش ، اللسانيات و الدلالة (الكلمة) ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ط1/1996.
163. ابن منظور أحمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان
164. الموسى نهاد ، نظرية النحو العربي التنظير اللغوي الحديث المؤسسة العربية للدراسات بيروت 1980.
165. مومن أحمد ، اللسانيات، النشأة و التطور ، دم ج الجزائر ط1/2008
166. نخلة أحمد محمود ، أفاق جديدة في البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية مصر 2002.
167. النووي أبو زكريا يحيى ، رياض الصالحين ، تحقيق :عبد العزيز رباح ، دار السلام الرياض ، 1991.
- صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي ، ط1 د ت.
168. هارون محمد عبد السلام ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، مكتبة الخافقي ، مصر ط2 / 1979.
169. الهاشمي أحمد ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان تح محمد التونجي مؤسسة المعارف بيروت ط
2006/4
170. ابن هشام الأنصاري ، السيرة النبوية ، دار الحلبي ، ط2 / 1955.
- قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار رحاب ، الجزائر.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، د ط ، د ت
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا
2007.
171. ياسين عبد العزيز، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية ، مطبعة السعادة ط 1 / 1989.
172. ياقوت أحمد سليمان ، علم اللغة التقابلي ، دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط1/
2002 .
173. ابن يعيش ، شرح المفصل، عالم الكتب ، بيروت لبنان .

5/ فهرس المجلات و الدوريات و الأطاريح الجامعية و المصادر الأجنبية :

أولا : المجلات و الدوريات و الأطاريح الجامعية :

1. أميمة بدر الدين ، التكرار في الأحاديث النبوية ، مقال في مجلة جامعة دمشق ، ع 1 / 2010
2. بعيطيش يحيى ، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب قسنطينة 2006.
3. بو قرومة حكيمه دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقارنة تداولية مجلة الخطاب جامعة تيزي وزو ع3 / 2003/
4. بوبكري راضية خفيف ، التداولية و تحليل الخطاب ، مجلة الموقف الأدبي اتحاد الكتاب العرب العدد 399 .
5. بوزناشة نور الدين ، الحجاج في الدرس اللغوي العربي ، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 44 / 2010.
6. بوقرة نعمان ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ، مجلة اللغة و الأدب جامعة الجزائر، عدد 2006/17.
7. ثابتي يمينة ، الحجاج في رسائل ابن عباد ، مجلة الخطاب دار الأمل الجزائر ع 2 / 2006.
8. الجبر خالد عبد الرؤوف ، معالجة المعنى في التراث الفكري ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية الكويت 2000.
9. حشاني عباس ، مصطلح الحجاج بواعثه و تقنياته ، مجلة المخبر جامعة بسكرة (اللغة و الأدب الجزائري) ع9/2013.
10. حفناوي بعلي ، التداولية البراغماتية الجديدة ، مجلة اللغة و الأدب ، جامعة الجزائر ع 19 / 2006.
11. الريفي هشام ، الحجاج عند أرسطو ، منشورات كلية الآداب ، منوبة ، تونس، 1992.
12. زرزور عدنان ، البلاغة النبوية بين الجاحظ و الرافعي و العقاد ، مجلة مركز البحوث و السيرة ع 5 / 1991.
13. لهوميل باديس ، السياق و مقتضى الحال في مفتاح العلوم ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة الأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ، 2013 .
14. المبخوت شكري، الحجاج في اللغة ، جامعة الآداب و العلوم ، تونس كلية الآداب منوبة .
15. محمد العيد ، النص الحجاجي العربي ، مجلة فصول، الهيئة العربية للكتاب ، العدد 60 / 2002.
16. محمد سالم محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" و تطوره ، بحث في مجلة عالم الفكر، 1998.

17. مرتاض عبد المالك ، مقدمة في نظرية البلاغة ،مجلة جذور ، ع 25 / 2009
18. مسعودي الحواس ، البنية الحجاجية في القرآن الكريم صورة النمل أنموذجا ،مجلة اللغة و الأدب ،الجزائر ع14 / 1999.
19. مقبول إدريس ، البعد التداولي عند سيويو ،مجلة عالم الفكر ، ع 1 / 2005.
- . ثانيا :المراجع و القواميس الأجنبية :

◦ - Ahmed elmoutawakel réflexion sur Théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe- faculté de lettres et des sciences humains de rabat ,these et mémoire n 08,1982,

-Bakhtine : esthetique de la creation verbale : Galinard – paris .1988

-Combridge Advanced learners :Dictionary ,combridge un–press. 2nd 2004--

-D. Mang uneau : les termes clés de l’analyse du déserus, France, 1996. -

-Ducrot-/jéan cloude amxandre, L argumentation dans la longue , Piere – mardaga, editeur 2 ; Bruxelle,

G Mounin, Dictionnaire de la linguistique, 4éme Edition- PUF France, 2004,

-J Grimas, J Courts : sémiotique, Dictionnaire saisonné de la théorie du language,

-J. Dubois, Dictionnaire de linguistique, Larousse, paris 1993

-Longuan : Dictionary of contempray english longuen 1989-

-Le grand Robert , Dictionnaire de la longue française: Paris 1989-

Micro Robert : imprime en France par prod and graphique, Ed, paris 1982,

-O. Ducrot. T. Todorov : Dictionnaire encyclopédique de sciences du langage,

-Petit Larousse : en colleurs, édition paris, 1984,

-Wittgenstien : semantics : theories of meaning in generative grammar .1988

6/ فهرس الموضوعات :

الإهداء .	
شكر وعرقان.	
المقدمة.....	من أ - ط
الفصل الأول: تمهيدي مفاهيمي.....	من 1 - 59
المبحث الأول : جملة الطلب في الدرس النحوي.....	3
1- مفهوم الإنشاء الطلي.....	4
أ/ الإنشاء في اللغة.....	5
ب/ الإنشاء في الاصطلاح.....	6
2- أنماط الجملة الطلبية.....	10
1-2 أسلوب الاستفهام بين اللغة و الاصطلاح.....	10
1 القسم الأول : الاستفهام الحقيقي.....	11
أ/ أدوات الاستفهام.....	11
ب/ حروف الاستفهام.....	12
ج/ أسماء الاستفهام.....	13
2 القسم الثاني الاستفهام المجازي.....	16
2-2 أسلوب النداء.....	17
1- النداء بين اللغة و الاصطلاح.....	17
2- أدوات النداء.....	17
3- أحكام المنادى.....	19
أ/ المنادى المفرد.....	19
ب/ المنادى المضاف.....	20
ج/ المنادى الشبيه بالمضاف.....	20
2-3 أسلوب الأمر.....	21

21.....	1-الأمر بين اللغة و الاصطلاح.....
21.....	2-صيغ الأمر.....
21.....	أ/ الأمر بصيغة افعال.....
22	ب/ المضارع المقرون بلام الأمر.....
23.....	ج/ الأمر بصيغة المصدر النائب عن فعله.....
24	د/ الأمر بصيغة أسماء الأفعال.....
25	2-4-أسلوب النهي.....
25.....	1-النهي بين اللغة و الاصطلاح.....
26.....	2-صيغة النهي : لا تفعل.....
27.....	3-النهي بلفظ الخبر.....
28.....	4-النهي بأسلوب بعض أفعال الأمر.....
28.....	5-صيغة النهي بين الحقيقة و المجاز.....
31.....	المبحث الثاني: البلاغة النبوية بين أسباب التكوين وبلاغة التمكين.....
31.....	1-الحديث النبوي بين المفهوم و الأهمية.....
31	أ/ تعريف الحديث لغة.....
32.....	ب/ تعريف الحديث اصطلاحا.....
33.....	2-أسباب بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم.....
35.....	أ/ النشأة و البيئة.....
35.....	ب/ الفطرة النقية و الإعداد الرباني.....
37.....	ج/ نور القرآن و هديه.....
39.....	3-سمات البلاغة النبوية.....
39	أ/ عند الجاحظ.....
40.....	ب/ عند مصطفى الصادق الرافي.....
42.....	ج/ عند عباس محمود العقاد.....
45.....	المبحث الثالث: التداولية بين النشأة و المفهوم.....
45.....	توطئة.....

48.....	1-التداولية بين اللغة و الاصطلاح.....
49.....	أ/المفهوم المعجمي للتداولية.....
51.....	ب/ المفهوم الاصطلاحي للتداولية.....
53.....	2-التداولية بين النشأة و التطور.....
55.....	3-التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى.....
55.....	أ/ التداولية وعلاقتها بالبنوية.....
57.....	ب/ التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة.....
56.....	ج/التداولية وعلاقتها بالأسلوبية.....
57.....	د/التداولية وعلاقتها بالبلاغة.....
57.....	هـ/ التداولية وعلاقتها بالنحو الوظيفي.....
58.....	و/ التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب.....
59.....	ز/التداولية وعلاقتها باللسانيات النفسية و الاجتماعية.....
الفصل الثاني : السياق التداولي وأثره في عملية التواصل من 60 الى 132 .	
62.....	توطئة.....
64.....	1-السياق بين اللغة و الاصطلاح
65.....	أ/ السياق في المعاجم العربية و الغربية.....
67.....	ب/ السياق في المعاجم الغربية.....
68.....	1-قاموس السيميائيات لقريماس و كورتيس.....
68.....	2-قاموس لسانيات جون دي بوا.....
69.....	3-القاموس اللساني جورج مولان.....
69.....	4-القاموس الموسوعي ديكرو و ترودوروف
70.....	5-قاموس المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب لمانقو نو
71.....	ج/ التعريف الاصطلاحي للسياق.....
73.....	د/ السياق عند الغربيين المحدثين.....

73.....	1-جون فيرث و النظرية السياقية.....
79.....	2-السياق عند أولمان ستيفن.....
82.....	هـ/ السياق عند المحدثين العرب.....
85.....	2- أنواع السياق
86.....	أ/السياق اللغوي.....
95.....	ب/السياق غير اللغوي.....
95.....	3 -ملامح السياق في التراث العربي القديم.....
95.....	أ/ ملامح السياق عند اللغويين.....
96.....	ب/ ملامح السياق عند النحاة
105.....	ج/ ملامح السياق عند البلاغيين.....
113.....	4-السياق التداولي من خلال الحديث النبوي الشريف.....
113.....	توطئة.....
118.....	1/ تداولية السياق من خلال الحديث النبوي.....
119.....	أ/ السياق و مراعاة التدين.....
122.....	ب/ السياق ومراعاة البيئة.....
125.....	ج/ السياق ومراعاة المكانة و المنزلة.....
127.....	د/ السياق و مراعاة الجنس و العمر.....
132.....	الخلاصة.....
133- 222.....	الفصل الثالث :الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف.....
135.....	مدخل.....
137.....	1-الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.....
138.....	2-أقسام الكلام عند القدماء (التمييز بين الخبر و الإنشاء).....
139.....	أ/ المعيار الأول : الصدق و الكذب.....

140.....	ب/المعيار الثاني: مطابقة نسبة الكلام النسبة الخارجية
142.....	3-تعريف الخبر وأغراضه.....
143	أ/ الخبر الابتدائي.....
144.....	ب/ الخبر الطلبي.....
144.....	ج/ الخبر الانكاري.....
145.....	4-الأفعال الكلامية في التراث اللساني الغربي.....
146.....	1-مراحل التأصيل لنظرية أفعال الكلام.....
147.....	أ/ مرحلة التأسيس و النشأة.....
150.....	ب/ مرحلة النضج و الضبط المنهجي.....
153.....	5-البعد التداولي لأفعال الكلام في الحديث النبوي الشريف.....
154.....	1-الأفعال اللغوية المباشرة الأفعال اللغوية غير المباشرة.....
155.....	2- دراسة العرب للأفعال الكلامية المباشرة.....
156.....	أ/ جهود العرب القدامى / السكاكي.....
157.....	ب/ جهود العرب المحدثين /أحمد المتوكل.....
160.....	3-دراسة العرب للأفعال الكلامية غير المباشرة.....
161.....	خلاصة.....
163.....	6-الأفعال الكلامية في الحديث النبوي حسب تصور سيرل.....
163.....	1-الاخباريات أو التقريريات.....
164.....	أ/ الخبر الابتدائي.....
166.....	ب/ الخبر الطلبي.....
168.....	ج/ الخبر الانكاري.....
173.....	2-الطلبية أو التوجيهيات.....
173.....	أ/ الحمولة الانجازية.....

174.....	ب/ القوة الانجازية الحرفية.....
174.....	ج/ القوة الانجازية المستلزمة.....
175.....	أولا: أسلوب الاستفهام.....
177.....	1- الفعل الكلامي المباشر الاستفهام الحقيقي.....
180.....	2- الفعل الكلامي غير المباشر الاستفهام المجازي.....
183.....	أ/ التقرير.....
183.....	ب/ النفي.....
185.....	ج/ التشويق.....
188.....	د/ الإنكار.....
191.....	ثانيا: أسلوب الأمر.....
192.....	1- الفعل الكلامي المباشر الأمر الحقيقي.....
195.....	2- الفعل الكلامي غير المباشر الأمر المجازي.....
196.....	أ/ الدعاء.....
199.....	ب/ الإباحة و التخيير.....
201.....	ج/ النصح و الارشاد.....
203.....	د/ التعجيز.....
	هـ/
205.....	التأديب.....
207.....	ثالثا: أسلوب النهي.....
207.....	1- الفعل الكلامي المباشر النهي الحقيقي.....
209.....	2- الفعل الكلامي غير المباشر النهي المجازي.....
209.....	أ/ النصح و الارشاد.....
211.....	ب/ الكراهة.....

212.....	ج/التأنيس.....
213.....	د/ الإنكار.....
214.....	رابعاً: أسلوب النداء.....
215.....	أ / صورة أداة النداء+ المنادى + مضمون النداء.....
215.....	ب/ أداة النداء+ منادى مفرد مبني+مضمون النداء.....
217.....	ج/ أداة نداء محذوفة+منادى(الله) +مضمون النداء.....
218.....	1 فعل كلامي غير مباشر.....
218.....	أ/ التأنيس.....
219.....	ب/ الانكار.....
220.....	ج / المدح و الثناء.....
220.....	د/ التوبيخ و التحسير.....
الفصل الرابع: الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف من 223 - 302	
225.....	توطئة.....
228.....	المبحث الأول:الدلالة المعجمية للفظ الحجاج.....
228.....	أ/ مفهوم الحجاج لغتنا.....
232.....	ب/ الدلالة الاصطلاحية للفظ الحجاج.....
236.....	المبحث الثاني: الحجاج دراسة نظرية.....
236.....	1 الحجاج في الفكر اليوناني القديم.....
237.....	2 الحجاج في الدراسات العربية القديمة.....
241.....	3تحليلات الحجاج في الفكر الغربي الحديث.....
242.....	أ/ الحجاج عند بيرلمان.....
246.....	ب/الحجاج عند ديكرود.....
246.....	ج/ الحجاج عند ميشال ماير.....

248.....	4 الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة.....
248.....	1 الحجاج الفلسفي طه عبد الرحمن
249.....	2 الحجاج البلاغي محمد العمري.....
249.....	3 الحجاج اللساني أبو بكر العزاوي.....
250.....	المبحث الثالث الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف.....
251.....	أ/ تعريف الإقناع لغة.....
251.....	ب/ تعريف الإقناع اصطلاحا.....
253.....	1 تقنيات و آليات الحجاج في الحديث النبوي الشريف.....
254.....	1 الآليات البلاغية في الحجاج
255.....	أ/ المجاز اللغوي.....
256.....	ب/ الاستعارة.....
265.....	ج /التشبيه.....
265.....	بين التشبيه و التمثيل.....
267.....	نماذج من التشبيه في الحديث النبوي الشريف
273.....	2 الآليات اللغوية في الحجاج.....
274.....	أ/التكرار بين اللغة و الاصطلاح.....
276.....	ب/التكرار في الحديث النبوي الشريف.....
284.....	3 الآليات المنطقية في الحديث النبوي.....
285.....	1تعريف السلم الحجاجي.....
286.....	2قوانين السلم الحجاجي.....
287.....	3القياس وأنواعه.....
289.....	القياس المنطقي مكتمل الأركان
291.....	أ/ القياس المضمهر.....

293.....	ب/القياس بالخُلْفُ.....
294.....	ج/القياس المتدرج.....
302.....	الخلاصة.....
310-303.....	الخاتمة.....
357- 311 من.....	الفهارس العامة
316 - 313	1-فهرس الآيات القرآنية الواردة في البحث.....
334-317	2-فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....
336-335.....	3- فهرس الآيات الشعرية الواردة في البحث.....
346-337.....	4-قائمة المصادر و المراجع.....
348-347.....	5-قائمة المجلات و الدوريات و الأطاريح الجامعية ، و المصادر الأجنبية
357-349.....	6-فهرس الموضوعات.....

عنوان المذكرة : الأساليب الطليبية و أداء آتها الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف (مقاربة تداولية).

المشرف : الدكتور محمد بوادي

اللقب : حميدات

الاسم : الجمعي

ملخص :

تحتّم التداولية بدراسة اللغة لحظة الاستعمال و كذا بأقطاب العملية التواصلية ، و ذلك عندما أدرك التداوليون أنّ اللغة شكلٌ من أشكال النشاط الإنساني ، القائم على وظيفة التواصل و الإبلاغ ، وما يستتبع ذلك من رهانات الاستعمال اللغوي في العملية التواصلية ، فكان اهتمامها بالمتكلم و مقاصده و مراعاة حال المخاطب أثناء الخطاب ، في وقتٍ عملت فيه على العناية بالظروف السياقية التي تحيط بالعملية التخاطبية ، سعيًا منها لتحقيق التواصل من جهة ، وبيان أهمية هذه الظروف في الوصول إلى مقصدية الخطاب ، و منه إقناع المتلقي و التأثير فيه من جهة أخرى .

وباعتبار الحديث النبوي الشريف واحدا من أنواع الخطابات في صورة آية من آيات التواصل البشري ، إذ يعكس البعد التفاعلي بين الأفراد و تحقيق التواصل فيما بينهم ، لذلك حتمّ هذا النوع من النصوص تحليله لنتمكن من فهم معانيه و مقاصده ، و ذلك بتوظيف مقاربات تحتّم بتحليل الخطاب بتوظيف آليات مختلفة، القصد منها الفهم ، التحليل ، التأثير ، الإقناع .

كلمات مفاتيح : أساليب الطلب ، الأغراض البلاغية ، الأفعال الكلامية ، الحجاج ، التداولية ، الحديث النبوي الشريف .

L'intitulé du memoir : les styles (méthodes) d'ordres et les fins rhétoriques dans le hadith
(approches pragmatique)

Nom : Hamidat

Prénom : djemai

Encadreur : d . Bouadi mohammed

Résumé :

La pragmatique se propose d'étudier la langue pendant son usage meme , elle étudie également les poles du processus de communication et ce, après que les pragmatique ont pris conscience que la langue n'est en fait que la manifestation d'une activité humain fondée sur le princip de la communication et de l'énonciation , et tout les défis de l'usage linguistique qui s'en suivent dans le processus de communication . La pragmatique a donc comme objects d'étude : le locuteur et ses intentions communicative , l'état de l'intertocuteur Durant le discours , elle tient compte aussi de tous les elements contextuels que entourent l'énonciation , pour garantir ainsi la communication d'une part et d'eutre part pour les exploiter en vue de réaliser la vise du discours et convaincre l'interlocuteur.

Puisque le hadith est considérés comme un genre de discours , il represente un mécanisme de Communication humain , le hadith est alors l'un des plus important discours employes par les individus , il reflète la dimontion interactive et a comme finalité la Communication entre eux, donc l' existonce du hadith dans le système communicative nous oblige a l'analyser pour pouvoir son sens et ses vises , parmi les approches qui s'intéressent a la analyse du discours empoie des mécanisme pour comprendre et analyser et persuasion .

Les mots-clés : les styles (méthodes) d'ordres , les fins rhétoriques , les acts des paroles , l'argumentation , la pragmatique , el-hadith.